

رواية

أحمد عثمان

(أنا) الراوي؛ أدركت الكثير منذ لحظة إعدامي، وإن لم يستوعب الجميع "سر الأمنية الأخيرة"

فما زالت عيناي هنا تبصر ما يعمهون،

فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم!

(أنا) الراوي؛ أدركت الكثير منذ لحظة إعدامي، وإن لم يستوعب الجميع "سر الأمنية الأخيرة"

فما زالت عيناي هنا تبصر ما يعمهون،

فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم!

تنويه هام

بعض شخصيات هذا العمل من أبطال روايات الكاتب، وعالمه الخاص وإن لم يؤثر ظهورهم عن استقلالية هذه الرواية؛ التي ستجوبُ بك هذا العالم....

فلتنتظر....

جميع أحداث الرواية وشخصياتها لا تمت للواقع بصلة، وأي تشابه فهو من قبيل المصادفة لا أكثر...

الإهداء

إلى كل من رحل...

تاركًا قلبًا يعشق وعينًا لا زالت في الجرح تدمع

31 تشرين الأول 1942

من صحراء مصر الغربية، كان ذلك الحاخام اليهودي يصارع إرهاق جسده، مرتديًا خاتمه المميز ذا النجمة الخماسية، هذا الخاتم الذي لا يرتديه إلا كبير جماعتهم! ظل يحاول إرخاء جفون عينه الماكرة، مستعينًا بهرمون الخوف الساري في شرايينه، وهو يستمع إلى دقات طبول الحرب عبر أثير مذياع سيارته الرباعية، لتصل إلى مسامعه أصوات قذائف الألمان ممزوجة في خياله بصيحات القتلى تتعالى مضيئة فجر السماء القاحلة أمامه قبل لحظات من بزوغ الشمس، فازداد يقينه بحتمية الفرار خارج الأراضي المصرية المهددة بالغزو النازي، ورغم تصاعد حدة المواجهات بين قوات المحور والحلفاء بـ"العلمين"، إلا أنه رفض الاستسلام، حيث كان يعرف أنها (قد) تكون فرصته الأخيرة بعد نتاج سنين طويلة من البحث في شتى ربوع مصر، ومن ثمّ أجبر من تبقى من رجاله على استكمال الحفر المحدد على خريطته إلى أن تجاوز عمقه عشرة أمتار رغم ضيق عرضه، وهنا يشعر المنقبون بضآلة الأكسجين بالمكان الذي صار كالمقبرة الباحثين عنها.

مع تقاطر عرق العمال مغرقًا الأرضية أدركوا من تدعوهم من القاع كالنداهة، محفزة إياهم على الاستمرار حال عبيدها منذ آلاف السنين، وهاهو وجهها يبرز أخيرًا من أسفل الرمال مغازلًا أول خيط لأشعة شمس اليوم الغائب عنها منذ أزل التاريخ، سمع الحاخام تهليل رجاله، وسارع إلى الحافة بملابسه السوداء جاثيًا على ركبتيه ممسكًا بخريطته البردية، ليخدعه جمالها للحظات قبل أن يسمع الجميع زئيرها من الخارج وسط الصحراء، تلك اللبؤة التي تحرس هذه الغرفة لآلاف السنين، مقتربة بجسدها الممشوق من فوهة الحفر بخطوات هادئة شيئًا فشيئًا، تصاحبها رياح الصحراء الساخنة، تكاد تذيب جلودهم، فسيدة الخطوط الحمراء هي كما يلقبونها، استفاق الرجال من سحرها فزعين لينظروا إلى أعلى جاهلين ما يحدث، فلم يظهر من الداخل إلا وجه الحاخام المتصلب فزعًا من هول ما يرى ويجهلونه، لترمق اللبؤة فريستها بتوعد من عينيها العسليتين، يترك الحاخام

خريطته لتبتلعها الرياح، قبل أن تتسارع الرمال كاسية زجاج نظارته عامية إياه عما يحدث، لتنهي تلك اللبؤة ما بدأته، وتغلق الفوهة على صيحات من بداخلها في يوم عيدها من كل عام.

(فقط) في الحادي والثلاثين من تشرين الأول!

31 تشرين الأول 2016

مهرولاً وصل إلى غرفة نومه تستدرجه قدماه إلى مصيره الذي صار قدري ولو كره الكارهون، ليدخلها ويغلق بابها من الداخل، عله يفصل بيننا، وإن كان يجمعنا سويًا قبل أن يسمع صوت الرسالة الواردة إلى هاتفه والتي أرسلتها له للتو، فقرأها مندهشًا بينما كررتها و(أنا) أغرز في أحشائه خنجري المسموم بسم الأفعى التي أقدسها وتحفظني!:

- كنت عارف إنك هاتيجي هنا.

حدّق "أدهم" إلى عيني فهو يعرفهما جيدًا! من خلف قناع اللبؤة الذي اخترته دون غيره لإثبات كينونتي، لأستمتع بنظراته و(أنا) أشبع غريزة ثأري قبل أن يتلفظ أخيرًا باسمي.

- "عياش"!

لم أُجبه خشوعًا لقدسية تلك اللحظة التي غادرت فيها روحه النجسة لمقابلة "العدل" قد سبقته (أنا) إليه!

لحظات قليلة من المتعة لطخت فيها دماؤه عباءتي الكتانية الحمراء التي كست جسدي وغطت رأسي، مختلسًا نظرة عبر تلك المرآة الجاهلة حقيقتي، من خلف قناعي، لأحطم غاضبًا صورة مرآتي، و(أنا) أتحرك مفارقًا جثة ضحيتي تاركًا فيها خنجري لعل الجميع يعرف حكايتي، ويدرك بعضهم مقصدي، فلم يكن الانتقام فقط هو غايتي!

غادرت الغرفة منسلًا بهدوء وترقب حتى وصلت إلى السلالم الشرفية، رامقًا الحفل التنكري الصاخب الذي يحتفل فيه الحضور بهذا العيد الجاهلين بأصله دون احترام لقدسيتي! متنكرين بأقنعة تخفي هويتهم، دنوت منهم برياح أنفاسي الساخنة متوسطًا حفلهم، دون أن يرتاب أحد لهيئتي، عكس كل زياراتي السابقة لضحاياي في هذا اليوم المقدس لاستنشاق عبق الدماء، فخرجت عليهم (أنا) حرًا بهيئتي المفضلة إلى نفسي المتلهفة للانتقام. بادلني الجميع نظرة إعجاب بعباءتي الكتانية، معتقدين زيف دمائها المرتوية منها، تجولت في المكان الذي يعكس ثراء "أدهم" الفاحش المتباهي بالكثير من

المعروضات الفخمة من لوحات وتماثيل أثرية، الكثير منها مهرب. استمتعت أذناي بتلك الموسيقى الكلاسيكية الجاهل الجميع بقصتها، هذه المقطوعة لحنها الفرنسي "شارل كامي سان سانس" في مطلع القرن التاسع عشر، وهي تبدأ بالقيثارة وفيها يضرب العازف على أوتارها نفس الافتتاحية اثنتي عشرة مرة، مشيرًا إلى منتصف الليل ليبعث الأموات في نفس اليوم بالتحديد من كل عام، في الحادي والثلاثين من تشرين الأول؛ متراقصين مع أحبائهم حول الشياطين، رقصة الموت! وأتراقص (أنا) من بينهم بطقوسي المقدسة خلف قناعي، فيبادل الجميع شيطاني الاحتفال، سللت من باطن حزامي الجلدي خنجري الأخير، وسط تهليل السكارى ممن يرتدون تلك الأزياء القديمة، شاهرين سيوفهم الزائفة محيين إياي، لأكمل (أنا) طقوسي مفتشًا من بين العيون عن ضحيتي التالية، فانتقيته من بينهم أخيرًا، وخنجري يتعطش إليه شوقًا، ولكنه بادرني بسلاحه، مطلقًا عيارًا ناريًا استوقف الحفل، لتخطئني تلك الطلقة وتصيب شابًا ثلاثينيًا عرفته جيدًا من فوره!

فسقط هذا الشاب الذي يجهلني أرضًا، وإن كان يجمعني به أكثر بكثير مما يتخيل، فهو مني و(أنا) منه! توقفت الموسيقى وعلا الصراخ، بينما لازلت أرمق ضحيتي تهرب مني وسط الصخب، ليدفعني شيطاني على ملاحقته، وإن استوقفتني دماء الشاب النازفة بغزارة، لأظل (أنا) حائرًا بين هذا وذاك!

فلقد جهل الجميع "سر أمنيتي الأخيرة"!

فلننتظر عامًا آخر إذن، عندما يعلو صوت القيثارة مشيرًا إلى حادٍ وثلاثين جديد، فإلى لقاء ليس ببعيد!

(41)

عيناي رفضتا الابتعاد عنه في لحظاته الأخيرة؛ حيث سيتم فصل "حلمي مهران" عن الأجهزة التي تدب في قلبه الحياة، فقد يئس جميع الأطباء من حالته منذ إصابته بسببي (أنا) في هذا الحفل في الحادي والثلاثين من أكتوبر الماضي، ليظل هنا سجين الفراش من حينها حتى أصدر الأطباء حكمهم عليه بالإعدام، ذاك الحكم الذي قُرر تنفيذه بعد دقائق معدودة من الآن، لأتسلل (أنا) إلى غرفته البغيضة بالعناية المركزة مختلسًا نظرة وداع أخيرة إليه وإن كان لا يزال يجهل حقًّا من (أنا)؛ حيث كان هو مستلقيًا على سريره مستسلمًا بعدما طال أسره في هذه الغرفة لشهور طويلة.

"حلمي مهران" شاب قمحي البشرة، ذو أنف معقوف، يمتلك عينين واسعتين خضراوي اللون مثلي! بنيته الجسدية متوسطة وإن تمكن منه الضعف أثر الفترة التي عاشها على السوائل المغذية لجسده دون روحه. كما طال شعر رأسه ولحيته السوداء الناعمة والذي اعتاد حلاقتهما في السابق، فهو ضابط بالداخلية المصرية برتبة "مقدم"، وإن اختلفت ملامحه في تلك الدقائق الأخيرة، خاصة مع هذه الندبة التي اعتلت جبهته أثر العيار الناري الذي اختاره دون سواه، لأحاول (أنا) مرارًا استرجاعه إلى الحياة ولكن دون جدوى، ليزداد شعوري بالألم يومًا بعد يوم، فأدنو منه بعباءتي المقدسة ذات اللون الأحمر، هامسًا إليه بسر أمنيتي الأخيرة، عله يدرك من (أنا)! لحظات مرت و(أنا) أناديه داخل طرقات عقله العليل، حتى سمعت تلك الخطوات القادمة من الخارج فكادت تدنس طقوسي لأنظر إلى مقبض الباب الذي بدأ القادم يحركه من الخارج، لأدرك ما توجب عليَّ فعله! قبل أن يُفتح الباب بالفعل، لتدخل رئيسة التمريض إلى داخل الغرفة مندهشة مما رأت!!

***

من مكان بعيد وبالتحديد من فيلا "حلمي مهران" ظهر وجه زوجته الثلاثينية "وعد" من داخل مرآة تسريحة غرفتهما الكلاسيكية،

والتي عكست ملامحها الحادة، فهي صهباء، سمراء البشرة، ذات أنف مدبب، وفم دقيق زاد من جاذبيتها وقد دفنتها تحت طبقات من مساحيق التجميل، تخفي معها حقيقة مشاعرها المتقلبة في هذه الساعة تحديدًا، بين الحزن والارتياح، فهي تحاول جاهدة إخفاء سعادتها وكبت بسمة قلبها، فأكثرت من الكحل أسفل عينيها، صانعة بعض الهالات الخادعة أسفلها، إلى أن اكتمل كذب مكياجها الأنيق ذي الطابع الحزين، إذ إنها محترفة في هذا المجال وتعمل بالتجميل في الأساس.

فتحت "وعد" علبة مصاغها منتقية من بين حليها خاتم زواجها فلم تكن ترتَدِيهِ كثيرًا مؤخرًا، ليبتسم شيطانها، وتمسك بهاتفها متصلة بحبيبها "فؤاد مطاوع".... الفنان الثلاثيني مرهف المشاعر فاستقبل مكالمتها في تلك الساعة بأحاسيس ممزوجة بالسعادة وتأنيب الضمير، خافيًا ابتسامته من داخل مرسمه الذي يهرب فيه إلى الرسم والنحت كراهب في محرابه، فلقد أرهقته الحياة كثيرًا حتى وصل إلى ما هو فيه الآن بصعوبة وكد. مسح "فؤاد" يده المتسخة في معطفه الأبيض المليء بآثار الألوان والطين ثم رفض مكالمة "وعد"، ليفشل بعدها في استكمال التمثال الذي كان ينحته بجدية، ترك مقعده الخشبي المرتفع، ودنا بخطواته على رخام الأرضية البيضاء، لتخترق برودته قدميه الحافيتين اللتين اقتادتاه إلى مرآته المتوسطة مرسمه الذي أبدع ديكوراته بنفسه عاكسًا هويته الضائعة، فالمكان يفتقر للدفء، إلا من خلال بعض الألواح الخشبية قطعت السقف بطريقة هندسية فريدة، فصارت هي قلب الغرفة النابض بالحياة. رمق "فؤاد" مرسمه ثم جسده الممتلئ في أسى، حيث بدا أكبر سنًّا من حقيقته، مفتقرًا الكثير من جاذبيته، إذ اخترقت التجاعيد بشرة وجهه البيضاء، كما تساقط الكثير من شعر رأسه البني الذي كان مصدر جاذبيته في الماضي، تحسر "فؤاد" على حاله، وهرب دون أن ينهي تمثاله العنيد كعادته منذ شهور طويلة.

تقبلت "وعد" رفض "فؤاد" لمكالمتها بابتسامة راضية، فلذلك أحبته احترامًا لمبادئه التي امتلكها دون غيره، أحكمت "وعد" ارتداء

خاتم زواجها بـ"حلمي مهران" ووقفت أمام مرآتها مرتدية فستانًا أسود متوسط الطول، يُظهر أسفله "كولون" غامقًا وحذاءً ذا كعب عالٍ، يعكس اهتمامها المعروف بمظهرها الأنثوية. ألقت "وعد" نظرة على جمالها في المرآة غير منتبهة إلى الابتسامة التي اعتلت شفتيها رغمًا عنها، لتدور بعفوية حول نفسها، ويتطاير معها فستانها فرحًا، داخل تلك الغرفة التي تزوجت فيها من "حلمي" التي تتوسطها صورة زفافها من "حلمي مهران" المعتلية سريرهما ذا الظهر الذهبي والمنجد بلون نبيتي، بعكس الديكور القديم الذي كانت تكرهه "وعد" رغم فخامته، وبينما هي مستمتعة بهذا الشعور الرائع بالحرية استوقفها ابنها "وليد" الذي ظهر فجأة من العدم أمام باب غرفتها:

- ماما... إحنا مش هانروح لبابا النهارده؟

قالها بتلقائية أوقفت "وعد" عن الأحلام حال توقف فستانها عن الدوران، دمعت عيناها صدقًا للمرة الأولى منذ الصباح عند رؤيتها ابنهما "وليد" ذي السنوات السبع المفتقد أباه "حلمي مهران" غافلاً ما يحدث له الآن!

***

من داخل غرفة "حلمي مهران" أغلقت رئيسة التمريض النافذة المفتوحة عند دخولها، مسيطرة على رياحها الغاضبة في تعجب شديد، فلقد كانت متيقنة من انغلاقها منذ قليل، ولأهرب (أنا) من خلفها وتلاحظ حركتي ملتفة في توتر فاحصة الغرفة الخاوية ببصرها من الجميع عدا "حلمي مهران" في اندهاش، ثم باشرت عملها قلقة حتى تبعتها إحدى زميلاتها من الخارج لتعاتبها قائلة:

- إنتي فين ده كله! لازم نجهز كل حاجه لغاية ما الدكتور "صلاح" ينزل.

- طب بس مش هانستنى حد من أهل الأستاذ "حلمي" يجي؟

قالتها الممرضة لرئيستها راهبة الموقف، بينما أكملت الأخيرة كشفها النهائي على "حلمي مهران" الغائب عن العالم.

- مين ده اللي يجي! ده راجل مقطوع من شجره.

- مقطوع من شجرة إيه! ده عنده ست زي القمر وعيل يفرح ما شاء الله!

توقفت رئيسة التمريض في رفض وقالت بشيء من العتاب ممسكة بطرحة حجابها:

- وهي فين القمر دي؟! دي زي ما تكون ما صدقت، دي حتى البت الصحفيه اللي اسمها "أمنية" بتيجي أكتر منها!

قالتها رئيسة التمريض جاهلة أن تلك الصحفية الثلاثينية كانت بالفعل تتسلل في خفة داخل ممرات المستشفى، حتى استطاعت الولوج إلى إحدى غرف الممرضين، اختلست "أمنية" ملابس إحدى الممرضات، وارتدت معطفًا أبيض قصيرًا وغطت شعرها الكستنائي القصير بهذه القبعة البيضاء، وأخفت جمال وجهها الصارخ بقناع الممرضين، حيث كانت "أمنية" تتمتع بملامح أوروبية نادرة، فهي رشيقة، طويلة القوام بخصر نحيل، بيضاء البشرة، وردية الخدود، مرسومة الحواجب التي تحرس عينيها الجميلتين لافتة أنظار بعض الممرضات عندما اخترقت "أمنية" جناح العناية المركزة، لتتحاشى نظراتهن بإخراج هاتفها متصلة بزميلتها بالجريدة "سالي" الفتاة العشرينية السمينة خفيفة الظل.

- إنتي فين يا "سالي"؟ الساعه داخله على اتناشر.

- حاضر يا "أمنية" كنت بفطر ونازله أهو.

قالتها "سالي" وهي تأكل على مكتبها بصالة الجريدة الشاسعة المطلة على النيل من خلال نافذة بانورامية كبيرة، ولا يستمتع كل الموظفين بهذا المنظر الطبيعي بل ينهكون مركزين على همومهم في شاشات حواسيبهم.

- إنتي لسه مانزلتيش!!

مندهشة علقت "أمنية"، لتجيب "سالي" ببرودها المعتاد:

- هو مش ناقص ربع ساعه؟ بلاش مرازيه بقى.. دقايق وهاكون

عندك.

أغلقت "سالي" الخط لحظة ظهور مديرها الأربعيني الرشيق "تيم" ذي الشعر الرمادي والشارب الخفيف، حاولت "سالي" إخفاء طعامها، بينما اكتفي "تيم" بنظرة عتاب مضيفًا:

- طمنيني.. شالوه من على أجهزة التنفس خلاص؟

- يا باشا أنا رايحه أهو أشيلهولك بنفسي، هو أنا عندي مدير أغلى منك؟

ساخرة قالتها، ليعقب "تيم" مبتسمًا:

- عارفه إنتي لو بتشتغلي قد ما بتتكلمي كان زمانك مديرة المجله كلها.

- يا باشا مقدرش أبقى المديره وإنت موجود معاليك.

ابتسم "تيم" ببساطته المعروفة وتساءل:

- طيب المهم إيه الأخبار؟

- "أمنية" وصلت هناك سيادتك وأنا رايحالها أهو.

- طيب أول ما يخلصوا طمنيني، خلينا نخلص من وجع دماغ "أمنية" ده.

باستياء وملل علق، فلقد اهتمت "أمنية" بـ"حلمي مهران" اهتمامًا مبالغًا أثار حفيظة "تيم" الذي لم يستطع إخفاء مشاعره تجاهها، فلقد كان متيمًا بها منذ لحظة لقائهما الأول.

- يا باشا دي مقفلالك تحقيق يحل من على حبل المشنقه.

- لما نشوف...

- هاتشوف يا كبير، ماتشوفش ليه، هو إنت صغير ده إنت الباشا بتاعنا.

***

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم....أخوكي عنده حق، ما

ينفعش تروحي لوحدك يا "وعد".

قالتها "إيمان" والدة "وعد" من داخل صالون فيلا "حلمي مهران" بالطابق الأرضي، كلاسيكي الديكور رغم حداثة الفيلا، فالسقف مرتفع، تزينه الثريات النحاسية متوسطة كرانيش ذهبية كبيرة.

- معلش يا ماما "وليد" محتاجكوا هنا أكتر مني.

قالتها "وعد" منفعلة، فأجابت "إيمان" التي كانت ترتدي الملابس السوداء تحضيرًا لوفاة "حلمي مهران" المرتقبة بعد وقت قصير.

- ما هو أخوكي معاه فوق بيلاعبه.

- معلش يا ماما لو سمحتوا ماتضغطوش عليا أكتر من كده!

ارتبكت "إيمان" من قوة ابنتها غير المعتادة وخلعت نظارتها الشمسية، غارزة إياها في ثنايا خصلات شعرها الأسود.

- يا بنتي "فاروق" أبوكي لو عرف إننا سيبناكي لوحدك اليوم ده هايطربق الدنيا على دماغي.

- بابا!....هو ده اللي همك؟

متهكمة قالتها "وعد" لتنفعل "إيمان":

- في إيه يا "وعد"؟!

- مفيش حاجه يا ماما آسفه.

اعتذرت بعدما أدركت انفعالها، لتكمل في هدوء:

- لو سمحتي يا أمي أنا محتاجه اليوم ده أكون لوحدي، وبابا أكيد مشغول في الوزاره دلوقتي.

كانت بالفعل صائبة، فقد كان والدها اللواء "فاروق ناجي" من أهم رجال الداخلية، وكان يشغل كل وقته خدمة لوطنه مهملًا حياته الشخصية والاجتماعية.

- ماتزعليش لو سمحتي يا أمي وماتخافيش عليا، أنا هاطلع أجيب شنطتي واتحرك.

قبلت "وعد" جبين أمها الرشيقة ثم تحركت على تلك الأرضية الرخامية المستوردة، وتوجهت إلى سلم دائري توسط الصالون المليء باللوحات الزيتية المتقدمة في السن عن "وعد" و"حلمي مهران" فهي تخص والدته التي كانا يسكنان معها حتى توفاها الله قبيل أيام من حادث "حلمي مهران". وصلت "وعد" إلى أعلى وأرسلت نظرة حانية إلى ابنها الحزين وهو يلاعب أخاها بألعاب الفيديو التي يهواها مثل والده. هربت "وعد" من نظرات ابنها، وتوجهت إلى غرفتها لتأخذ حقيبة يدها وخرجت بسرعة، قبل أن يناديها هذا الباب الذي انفتح لتوه تلقائيًّا من جانب السلم كاشفًا عن غرفة "حكمت" والدة "حلمي مهران"؛ تعجبت "وعد" قبل أن يناديها الظلام من الداخل، فدخلت متذكرة ما حدث في الماضي من قلب تلك الغرفة!

***

من داخل غرفة "حكمت"، ولكن منذ شهور طويلة، كان "حلمي مهران" يجلس على هذا السرير النحاسي داخل ظلمة الغرفة ذات المساحة الفارهة، والسقف المرتفع والديكورات الكلاسيكية المفضلة لدى والدته "حكمت" منذ وسع الله في رزقها، وحتى وفاتها التي رفضها ابنها الوحيد "حلمي مهران" حتى تمكن من ضعفه الحزن، مزيدًا من ضياعه ليصبح كما هو الآن، غير مهندم، طويل اللحية، جاحظ العينين، شارد الذهن قبل أن تقاطع "وعد" خلوته معاتبة إياه:

- مش معقول كده يا "حلمي".طنط ماتت بقالها أكتر من أسبوعين، مش كده..

لم يكترث "حلمي مهران" لوجودها، فأضافت:

- طيب وشغلك؟ إنت كده هاتتفصل!!

ظل "حلمي مهران" صامتًا، فأكملت "وعد" في غضب:

- يا "حلمي" رد عليا.

- مش قادر.

بصعوبة أجاب "حلمي مهران" لتنفعل "وعد" أكثر:

- إنت كده علطول مش قادر!..... إنت راجل يا "حلمي" مش عيل صغير.

باستسلام تام وصوت منخفض أشار "حلمي مهران" إلى المكان:

- لا يا "وعد" عيل...قدام أمي كنت دايمًا صغير، وكل الخير اللي إحنا فيه ده بفضلها علينا.

- عليك إنت بس يا "حلمي".. عارف ليه؟ عشان أنا أهلي خلوني محتجش لحد، لكن إنت لغاية دلوقتي مش عارف تحقق أي حاجه ولا عارف حتى تعتمد على نفسك.

بضعف رفض "حلمي مهران" حديثها:

- اسكتي يا "وعد" لو سمحتي...

- مش هاسكت واسمعني كويس، ده مش ذنبك إنت يا "حلمي"، ده ذنب أمك، أمك اللي اديتك كل حاجه لغاية ما خليتك مسخ ومابقاش ليك طعم، ولا عارف تحقق لنفسك أي حاجه، بقيت فاشل يا "حلمي" فاشل!

- كفايه يا "وعد" حرام عليكي.

وقف "حلمي مهران" سادًا أذنيه هروبًا من كلماتها، لتخفضها له "وعد" في تحدٍّ متابعة:

- لأ مش كفايه يا "حلمي" أنا عايزه أتكلم وتسمعني، من ساعة ما اتجوزتني وإنت حارمني من إن يبقى لينا بيت لوحدنا وخليتنا نعيش هنا عند أمك وقلت ماشي، بس من ساعتها كل ما بتكلم كلمه وهي اللي بترد عليا....

حاول "حلمي مهران" مقاطعة "وعد" الثائرة، قبل أن تكمل منعها صارخة:

- ماتقطعنيش!!....يا أخي أنا نفسي أحس إني متجوزه راجل!! راجل أتباهى بيه قدام الناس، راجل أتبسط وأنا ماشيه جنبه، راجل بجد، أقدر أعتمد عليه في بيتي وفي تربية إبني اللي مشيلهاني لوحدي، راجل يا "حلمي" راجل أقدر أعتمد عليه هو..... مش على

فلوسه!!!

لم يتجاوب ضعف "حلمي مهران" لكل هذا الغضب، واقترب منها بسلبية وبراءة:

- خلاص أنا هاتغير وهانزل الشغل من بكره صدقيني يا "وعد".

ساخرة علقت "وعد":

- صدقيني يا "وعد"!!! هه.. هو ده ردك؟!! يا أخي ياريتك حتى ضربتني بالقلم.

بانكسار اقترب "حلمي مهران":

- "وعد".. أنا مابقاش ليا غيركوا في الدنيا.

- لأ يا "حلمي" إنت مابقاش ليك حد خالص.

نظر لها "حلمي مهران" نظرة استعطاف لم تمنع "وعد" من استكمال هجومها:

- لو سمحت يا "حلمي" إذا كان عندك ذرة نخوه.... طلقني من غير فضايح.

***

عادت "وعد" من ذكرياتها عند سماع صوت هاتفها، فأخرجته من حقيبتها مبتسمة، عند قراءتها اسم "فؤاد مطاوع"، لتترك الماضي وخرجت من الغرفة مجيبة بسعادة وهي تنزل سلم الفيلا:

- أنا مش مصدقه نفسي.

بدلال أنثوي قالتها زاد من ارتباك "فؤاد" حبيبها الذي لم يتزوج حتى تلك اللحظة حفاظًا على عهد حبيبته "وعد" التي تركته مسبقًا وقت دراستهما الجامعية، ليظل هو حتى الآن ينتظر ظهور معجزة ما، وقد كانت!

- أيوه يا حبيبتي أنا آسف إني سايبك لوحدك في ظرف زي ده...

سكت لحظة وهو ينظر إلى هذا التمثال الذي يصنعه ثم تابع بحرج:

- بس إنتي أكيد فاهماني كويس.

- أيوه يا "فؤاد" فاهماك، وبالعكس مش مهم تكون معايا النهارده المهم تكون معايا من بعد النهارده يا حبيبي.

بذكاء قالتها "وعد" وهي تغلق الهاتف بعدما وصلت إلى الطابق الأرضي، أمام أمها "إيمان" التي كانت تنتظرها بتلك النظرات المعاتبة من أمام السلم، لتكشف "وعد" ابتسامتها في تحدٍّ وثقة استمدتهما من حبيبها "فؤاد" الذي كان في نفس الحال؛ حيث تابع نظراته لهذا التمثال الطيني الذي كان نسخة طبق الأصل من وجه "وعد" وهي تبتسم لـ"فؤاد" هذا العاشق الأسير الذي ظل حيًّا وفيًّا على الوعد.

***

من خارج جناح العناية المركزة كانت "سالي" تحاول الدخول إلى "أمنية" دون أن يسمح لها أحد الممرضين بالعبور.

- يا باشا أنا صحفيه.

قالتها "سالي" ليجيب الممرض بحزم:

- عارف والله وممنوع.

- يا باشا إحنا واخدين تصريح من....

قاطع الممرض حديثها بملل:

- الدكتور "صلاح" لغى التصاريح كلها النهارده.

انفعلت "سالي" في تحدٍّ قائلة:

- ويطلع مين الدكتور "صلاح" ده؟

- أنا.

قالها الدكتور "صلاح" الذي وصل فجأة من خلف "سالي" لتلتفت إليه مكتشفة معرفتها به، فلقد تقابلا مرارًا منذ وصول "حلمي مهران" المستشفى فقالت محرجة:

- هو حضرتك؟! أهلًا أهلًا، طيب أنا أبقى....

قاطعها الدكتور "صلاح" بملل:

- عارفك، ويا ريت إنتي وزميلتك تخلوا عندكوا دم وحرمة للراجل النهارده، وتحرمونا من تطفلكوا في يوم زي ده.

ارتبكت "سالي" وابتعدت عن الباب وعبر الدكتور "صلاح" الذي كان يعرج قليلًا في خطواته، أخرجت "سالي" هاتفها متصلة بـ"أمنية"، بينما من الداخل بدأ الدكتور "صلاح" في تحية باقي الممرضين من على الكاونتر قبل أن يصل إلى الممر المؤدي إلى غرفة "حلمي مهران" ليلاحظ وجود "أمنية" المتنكرة بملابس الممرضين، ليشك في شعرها الكستنائي المثير حتى أنقذها صوت هزاز هاتفها، فأخرجه وابتعدت عن الدكتور "صلاح" بحجة إجابة الهاتف، ليهملها ويدخل غرفة "حلمي مهران" فلم يكن في حال جيدة اليوم.

- أيوه يا "أمنية" إنتي فين؟

- أنا هنا عند أوضة "حلمي" إنتي اللي فين؟!!

تعجبت "سالي" وحاولت البحث عن "أمنية" بنظرها عبر زجاج باب العناية المركزة حتى رأتها:

- يا بنت اللذينا.. دخلتي إزاي يا قرشانه انتي؟!

قالتها "سالي" مندهشة قبل أن تشرد "أمنية" في النظر إلى "حلمي مهران" عبر زجاج باب غرفته حيث دخل الدكتور "صلاح" لتوه.

الدكتور "صلاح" جراح ستيني، أسمر الوجه، وله حاجبان كثيفان، وذو شعر أبيض، يفتقر إلى الهندام، كما كان له شارب كبير مستفز، يمتلك طرفًا صناعيًّا بديلًا لقدمه اليمنى لم يمنعه من أداء عمله، فلقد كان الدكتور "صلاح" هو الأفضل عبر كل العصور، وإن ظهر عليه الهم في تلك اللحظات، إذ إنه كان الرافض الوحيد لفكرة إعدام "حلمي مهران" بفصله عن أجهزة الحياة؛ حيث كان يؤمن باستطاعته العودة من الموت، إلا أن الجميع هاجموه بحجة شخصنته للأمور ورفضه للفشل؛ كان الدكتور "صلاح" هو من استقبل حالة "حلمي

مهران" وهو من أجرى تلك العملية الجراحية الشائكة التي استأصل فيها جزءًا سطحيًا من الفص الأمامي لمخ "حلمي مهران" نظرًا لتهتكه بعد إصابته بهذا العيار الناري في جبهته والذي نتج عنه كسر بالجمجمة، ليتعين على الدكتور "صلاح" القيام بتلك الجراحة الدقيقة التي قلما يعود منها المرضى، وإن عادوا عادة يصحبهم تغير كبير في الطباع!

ظل الدكتور "صلاح" يتفقد "حلمي مهران" في محاولة أخيرة لتتبع أي أثر للحياة حتى يئس من إيجاد جديد يحول دون تنفيذ حكم الإعدام عليه، أنهى "صلاح" تقريره ووقع لرئيسة التمريض على الورقة الأخيرة التي تنقصها، معطيًا إياها الضوء الأخضر لتنهي ما بدأته، بينما انسحب هو من هذا الموقف وفتح الباب هاربًا، قبل أن يصطدم بـ"أمنية" المتطلعة من أمام زجاج الباب دامعة العين، تراقب في يأس لحظات "حلمي مهران" الأخيرة.

اندهش الدكتور "صلاح" من وجودها، فهو يعرفها جيدًا خاصة من عينيها الدامعتين اللتين خففتا وطأة غضبه، وإن لم تُحِده عن قراره، حيث اصطحبها معه إلى خارج العناية المركزة، موصيًا أحد الممرضين بمنعها منعًا باتًّا من الدخول، لتظل "أمنية" مطرودة مع حزنها ودموعها بجانب "سالي" الباردة.

- في إيه يا "أمنية"؟! إستهدي بالله ماهواش من باقي أهلنا عشان نزعل عليه، ولا إنتي أول مرة تشوفي حد بيودع؟

لم تُجِبها "أمنية" وظلت شاردة في هذين الممرضين اللذين مرا بجانبها يجران هذا الترولي الذي عرفته من فوره، فهو من سيحمل جثمان "حلمي مهران"، عبر الممرضان إلى داخل الجناح خاطفين دموع "أمنية".

بينما من داخل غرفة العناية نظرت رئيسة التمريض إلى ساعتها التي وصلت إلى الثانية عشرة، فأشارت إلى زميلتها التي كانت تقرأ بعض الآيات القرآنية، فتركت الأخيرة مضطرة مصحفها جانبًا، وبدأت بنزع أجهزة التنفس، ومن ثم أخرجت رئيسة التمريض باقي الأجهزة من

أوردة رقبة "حلمي مهران" لتنقطع كل صلته بالحياة.

ثم تابعت ضم جفنيه بخديه بوضع لاصق شفاف، حتى لا يتحركا حفاظًا على قدسية جثته، بينما كانت الممرضة الأخرى تلف قدميه بعضهما البعض بالشاش حتى لا تتحركا في طريقها للثلاجة.

تفقدت رئيسة التمريض نبض الجثة كإجراء روتيني قبل أن تشير إلى زميلتها لتخرج ورقة صغيرة دونت فيها بيانات الجثة وميعاد الوفاة ووضعتها في حافظة لفتها حول إبهام قدم "حلمي مهران".

فتح باب الغرفة أحد الممرضين القادمين بالترولي، محيين رئيستهما بإيماءة رأس، ووضعا الترولي بجانب سرير "حلمي مهران" استعدادًا لنقل الجثمان!

***

(40)

من داخل وزارة الداخلية ومن على تلك المائدة البيضاوية الكبيرة، اجتمع الكثير من الرتب المرموقة بملابسهم "الميري"، بينما على رأس الاجتماع كان اللواء "فاروق ناجي" والد "وعد"، فهو أحد مساعدي وزير الداخلية، وهو رجل ستيني أبيض البشرة، أصلع الرأس، متوسط الطول والوزن، حاد الملامح، رشيق الجسد رغم سنه، وكان معروفًا بإخلاصه وتفانيه في العمل، وقد كان أحد تلاميذه قد استشهد في الأيام الماضية، مما زاد من مسؤوليته لدعم ضباطه وذويهم.

بدا عليه التعب والإرهاق الجسدي والذهني في هذه الساعة التي ينهي الأطباء فيها حياة زوج ابنته "حلمي مهران":

- مفيش وقت لأي ظابط دلوقتي لحياته الشخصيه، المقدم "سيف" استشهد عشان كل واحد فينا يعيش، البلد محتاجه كل واحد مننا في مكانه جاهز وعينه مفتحه، بدون تقصير أو تهاون، ولازم ده يطبق على الكبير قبل الصغير، لازم ولادنا يشوفوا ده في عيونكوا.

لاحظ ألمه أحد الضباط برتبة رفيعة فقاطعه:

- يا "فاروق" بيه كلنا هنا زي المقدم "سيف" الله يرحمه، وحضرتك بالذات أكبر مثال لده وبتعكس قدامنا قدره كبيره على التفاني في العمل، رغم الظروف الصعبه اللي بتمروا بيها، وحتى المقدم "حلمي" كان قدوه لينا كلنا رغم صغر سنه، وإن شاء الله ربنا يغمره بفسيح جناته وتبقى آخر الأحزان.

بدأ الجميع في تعزية "فاروق ناجي" المعتصر ألمًا رغمًا عنه، وهو ينظر إلى الساعة التي تخطت الثانية عشرة ببضع دقائق؛ حيث كان من المفترض أن يكمل الممرضان نقل جثمان "حلمي مهران" وقد كانا بالفعل في غرفته حيث بدأ كل منهما الإمساك بجزء من الملاءة أسفل "حلمي مهران"، ثم قال أحدهما:

- يالا يا جماعة عند تلاته.

ليباشر الممرضان استعدادهما بالضغط على يديهما، قبل أن أظهر

(أنا) لأكشف ما كان يراه عقل "حلمي مهران" المغادر للحياة، بينما يبدأ الممرضان العد:

- واحد..

***

- واحد...إتنين...

قالها الطبيب مشيرًا إلى "حكمت" والدة "حلمي مهران" عندما كانت في غرفة الولادة منذ سنين طويلة...

- يالا يا مدام ساعدينا أكتر.

كررها الطبيب من داخل غرفة جراحية متواضعة في تلك الحقبة الثمانينية؛ حيث كانت "حكمت" في تلك اللحظة في أواخر الثلاثينيات، وكان هذا حملها الوحيد الذي وصل لمرحلة الولادة، فلقد كانت دائمًا تفقد الأجنة قبل مرحلة الولادة؛ الأمر الذي جعلها تفقد الأمل، ليصبح هذا الحمل بمثابة حلم لها هي وزوجها "عبد المهيمن مهران" الذي كان بجانبها ممسكًا بيديها تشجيعًا لها في تلك المرحلة المتقدمة.

كان "عبد المهيمن" ضابط شرطة مجتهدًا ومرموقًا في الداخلية المصرية، وكان مهيمنًا قوي الشخصية، لم يستطع أحد منعه من التواجد جانب زوجته في تلك اللحظة التي طال انتظارها؛ فقد تخطى الأربعين منذ بضع سنوات، ولا يزال يترقب ولي عهده، بجانب "حكمت" وحولهما ثلاثة ممرضين يساعدون الطبيب وهو يحاول إلهاء الأم مشاكسًا زوجها قائلًا:

- يا باشا شجع المدام شويه، أمال أنا مدخلك معايا ليه؟

لم يُجِب "عبد المهيمن" بل ضغط على يد زوجته وهمس إليها قائلًا:

- متخافيش يا "حكمت" أنا هنا.

حاول الطبيب تخفيف التوتر وهو لا يزال يحاول استخراج رأس هذا الطفل العنيد.

- ماقولتوليش بقى.. هاتسموا البطل العنيد ده إيه؟

نظر "عبد المهيمن" إلى زوجته وقال متأثرًا:

- لو عاش المره دي هايبقى "حلمي".

وضعت "حكمت" كف يدها اليمنى على فم زوجها قائلة:

- ده "حلمي" أنا كمان يا "عبده" وهايعيش...هايعيش المره دي، أنا متأكده.

ابتسم الطبيب مستقبلًا هذه الصرخات بأريحية شديدة، ليعلو صوت هذا البطل العنيد "حلمي" الذي جاء لتوه إلى الحياة... الحياة التي استبسل في التمسك بها في الوقت الحاضر، حين رفعته الممرضتان من على أجهزة التنفس الصناعي، ليكمل الممرضان عملهما متابعين العد لنقل جسده إلى الترولي، ليقولا في نفس واحد:

- إتنين.

أدرك مخ "حلمي مهران" النهاية وأكمل عرضه لشريط حياته الصعبة عائدًا بالزمن مرة إلى طفولته....

***

عودة لأواخر الثمانينيات ومن داخل غرفة شاسعة لعيادة أحد الأطباء المختصين لمثل هذه الأعراض لاضطراب الأطفال، كان الطفل "حلمي" يجلس منطويًا كعادته على كرسي خشبي مصمم للصغار في آخر الغرفة وهو في سنه الخامسة، وبجانبه ممرضة تضع أمامه بعض الألغاز والأسئلة فظهر عليه الرفض، لتشير إلى الطبيب الجالس بعيدًا على مكتبه برفض الصغير للتجاوب، فنظر الرجل إلى "عبد المهيمن"، و"حكمت" الجالسين أمام مكتبه قائلًا:

- طبعًا اللي إنتوا بتقولوه واضح جدًا في سلوك إبنكوا.

- يعني "توحد" يا دكتور!!

قالها "عبد المهيمن" الذي كان يخشى أن يكون ابنه قد صار مثل أخيه الذي نهره سابقًا لمثل هذا المرض، قبل أن تنفعل "حكمت"

قائلة:

- لا أنا إبني كويس، خرَّج الأوهام دي من دماغك يا "عبده".

- يا جماعه، أنا مقولتش "توحد"، أنا قلت في سلوك مختلف، مقدرش أحدد إذا كان "توحد" أو حتى "طيف توحد" ولا لأ.

- يعني إيه يا دكتور؟ إبني سليم؟

علقت "حكمت" بأمل نفاه الطبيب:

- مقدرش أأكد ده، بس هو في حاجه مختلفه في سلوك الولد، طبعًا الانطوائية دي من أعراض التوحد فعلًا، بس تأخر التعليم ده مختلف!!

- يعني ممكن يخف؟

كررتها "حكمت" بينما ظهر الاستياء واليأس على زوجها.

- نحدد الأول بس فين المشكله، ممكن يكون ده كله أعراض بس للتوحد، ويكون في سبب تاني ورا عزلة إبنك...

سكت الطبيب لحظة، ونظر إلى الأب بترقب وهيبة ثم تابع:

- دلوقتي المطلوب منكوا تفضلوا تحاولوا مع إبنكوا، وتابعوا معايا كل أسبوع، أنا مش عايز أعمل أي تدخل غريب من ناحيتنا عشان ممكن يضره دلوقتي وهو رافضنا كده.

- يا دكتور أنا ممكن أعمل أي حاجه.

بإصرار وأمومة علقت وأمومة علقت الأم، بينما سيطر الوجوم على زوجها.

- عارف يا مدام "حكمت"، ربنا كبير وإن شاء الله خير، على فكره بقى في دلوقتي ألعاب إلكترونيه وكمبيوترات، بيكون فيها برامج تعليميه كويسه ممكن تساعده.

- هاجيبله كل حاجه يا دكتور.

قالتها بأمل رفضه "عبد المهيمن" ناهضًا وتاركهما ناحية مخرج الغرفة، خاطفًا نظرة إلى ابنه الذي هرب من نظرات والده ليقول الأب:

- مفيش فايده!

غادر الأب، بينما بدأ الطفل "حلمي" في النظر إلى الباب الذي غادر منه الأب في حزن وغضب.. .غضب لا يزال يسيطر على ذكريات عقل "حلمي مهران" حتى هذه الساعة في الوقت الحاضر، وهو يستعرض فيها شريط ذكرياته إلى نهايته، مع وصول الممرضين إلى تلك العدة الأخيرة.

- تلاته.

قالاها و(أنا) أتابع البحث داخل عقل صديقي المخلص.

***

من تسعينيات القرن الماضي، كان الطفل "حلمي" يجلس أرضًا في غرفة معيشة قديمة الطراز، داخل منزل والده "عبد المهيمن" القديم الذي بُني في ثلاثينيات نفس القرن، وإن كانت الديكورات أحدث حيث تم تنفيذها في تلك الحقبة التي تلت الانفتاح، ليتسلل القبح إلى الغرفة التي توسطها تلفاز قديم كبير بالنسبة لتلك الفترة، من أمامه كان هناك طقم أثاث منجد تنجيدًا "بني" اللون مريح نسبيًا.

السقف مرتفع، والطلاء بال يساعد على الاكتئاب مثل تلك المستخدمة في المستشفيات لتسرع في عملية تصفية المرضى، بينما كانت وزرة الحوائط فقيرة جدًا مدهونة بدرجة أغمق قليلًا من الجدران.

توسط الطفل "حلمي مهران" الغرفة ممسكًا بذراع جهاز "صخر" قديم للألعاب الإلكترونية المشهورة في ذلك الوقت، ويلعب لعبة ما يجيدها جيدًا.

كان للغرفة نافذة مرتفعة خلف التلفاز، وبابان أحدهما يستخدم كمخرج يؤدي إلى فناء خارجي عن يمين الطفل، وباب آخر خلفه مفتوح، يطل على الردهة الداخلية للشقة، دخل منها للتو والده "عبد المهيمن" قادمًا من الخارج في حالة من الإرهاق، مقتربًا إلى غرفة المعيشة الجالس فيها ابنه، ووقف على بابها، مترددًا يريد احتضانه،

قبل أن يمنعه كبرياؤه ويتابع رفضه، التفت الطفل إلى والده الذي التف هو الآخر متوجهًا إلى باب غرفته المجاور للمعيشة هروبًا من ابنه الظاهر عليه علامات الأسى؛ لنفور أبيه منه ومتابعة رفضه له، ليتجه إلى الباب المؤدي إلى الفناء الخارجي.

خرج الطفل "حلمي" من هذا الباب الساحر، إلى الفناء الخارجي الصغير إذ لا يتعدى العشرين مترًا مربعًا والمحصور بين السور الخارجي والعقار الذي يسكنون في طابقه الأرضي، خطا الطفل "حلمي مهران" بضع خطوات ومن ثم اتجه عن يساره إلى باب آخر، ولكنه متهالك فهو قديم قدم الزمن الذي يحرسه ويحجب ساكنيه عن العالم! ثم فتح هذا الباب للغرفة المؤدية للقبو السحري الذي لا يستقبل غيره، دخل بجرأة مغلقًا الباب ببرود مخيف وثقة لا يمتلكها من هو في سنه، وساد الظلام الموقف إلا من إضاءة خافتة قادمة من شباك مرتفع صغير، عابرًا إلى هذا الظلام، الذي توسطه سلم مخيف يصل إلى القبو حيث استقررتُ (أنا) منذ دهور، ليبدأ في نزول هذا السلم بخطوات هادئة، حتى وصل إلى منتصف القبو مبتسمًا ابتسامة غريبة، وهو ينتظرني (أنا) صديقه الوهمي الذي كان يجهل حقيقته!

ظهرت عيناي الخضراوان من الظلام الذي جئت منه، ليبتسم لي قبل أن أكشف له عن جسدي الصغير فلقد كنت (أنا) طفلًا بدوري حبيس هذا القبو الذي ظل الطفل "حلمي مهران" يهرب إليه من إنكار والده، واقترب مني ناظرًا داخل عينيّ الخضراوين اللتين تذكرهما "حلمي مهران" الآن لتوه من داخل غرفة العناية المركزة بالمستشفى، تلك العيون الخضراء التي كانت إلى جانبه أسفل تلك العباءة الداكنة منذ لحظات!! نعم، لقد كنت (أنا) ها هنا! أنهى الممرضان عداتهما الثلاث ونقلا "حلمي مهران" من سريره إلى هذا الترولي الذي وقع عليه بقوة وسرعة مبالغة، ساعدته ليفاجئهم وينهض فور وصوله إلى ترولى الموت، صاح الجميع هلعًا، خصوصًا عند عجزه عن فتح عينه الملصقة بهذا اللاصق الذي وضعه له طاقم التمريض، لمنع جفونه عن الحركة، فيزداد خوفه ويشاركهم الصياح هو الآخر!!

***

من داخل مكتب "تيم" وقف الرجل مندهشًا عند سماعه حديث "سالي" عبر الهاتف.

- يعني إيه فاق؟! هو كان بيلعب كوره، ده كان ميت يا "سالي"!

قاطعته "سالي" من المستشفى بسعادة:

- إكلينيكيًا يا باشا، وربنا ردله الروح هانعترض بقى على قضا ربنا!

- لأ طبعًا ونعم بالله، طيب خلاص خدوا وقتكوا خالص، مش عايز أشوف وشكوا النهارده غير بتحقيق كامل.

- حاضر يا كبير.

أغلقت الهاتف لتنظر إلى زميلتها "أمنية" السعيدة بهذه الأخبار، حتى لمحت "وعد" زوجة "حلمي مهران" قادمة تهرول من بعيد، قبل أن يظهر الدكتور "صلاح" هو الآخر يهرول فرحًا، لتحاول "وعد" أن تستوقفه قبل "أمنية" و"سالي".

- دكتور "صلاح"...دكتور "صلاح".

ظلت "وعد" تناديه، فتوقف وعلى مضض أجابها:

- لو سمحتوا كلكوا تخليكوا برا العنايه وأنا هاطمنكوا لما الحاله تستقر ونفهم.

- يا فندم أنا محتاجه بس أعرف هو فاق فعلًا ولّا دي مجرد انتعاشه؟

بسرعة التف الدكتور "صلاح" مرة أخيرة وهو يحاول إخفاء سعادته، عكس "وعد" التي اقترب من خلفها "أمنية" و"سالي" يتطفلان على الحديث.

- يا "وعد" هانم زي ما شرحت لحضرتك قبل كده إصابة المقدم "حلمي مهران" عملتله تهتك في الفص الأمامي للمخ، والمنطقه دي مفيش ليها تفسيرات علميه واضحه، بس بعد ما قام من الكومه دي، أعتقد إن الأمل بقى كبير جدًا إن شاء الله.

- يعني هايعيش يا دكتور؟

بترقب تساءلت، بينما بدأت "أمنية" تقترب رغم محاولات "سالي" الفاشلة في منعها، ليجيب الدكتور "صلاح":

- كل حاجه بإيد ربنا يا فندم بس زي ما فهمت حضرتك قبل كده لو عاش أكيد هايكون في تغيير.

- تغيير إزاي يعني؟!

تساءلت "وعد" في تعجب وهنا تدخلت "أمنية" في دهاء وتطفل، حيث كانت تقرأ الكثير من الأبحاث عن حالة "حلمي مهران"منذ إصابته:

- تغيير في الطباع والعواطف!

نظرت إلى "أمنية" نظرة قاتلة استغلها الدكتور "صلاح" ليعلن انسحابه ويدخل العناية، حتى قطع نظرة "وعد" اتصال "فؤاد" المتكرر من داخل أتيليه مرسمه، أمام تمثال "وعد" المنقطعة عنه منذ فترة طويلة، نظرت "وعد" إلى الهاتف دامعة ورفضت المكالمة وهي ترمق سعادة "أمنية" في غيرة، رغم تعلقها بـ"فؤاد" مؤخرًا، فلم تكن غيرتها عاطفية بل غيرة كبرياء، فلطالما اعتبرت "حلمي مهران" ملكية خاصة، مجرد دمية تمتلكها رغمًا عنها، ولكنها لن تسمح لغيرها من الاقتراب منه، فليس بعدها نساء، أو هكذا ظنت! إلا أن اهتمام "أمنية" بزوجها كان خلاف توقعاتها، استمرت في إرسال نظرات الحقد والرفض خاصة لجمالها المبالغ رغم بساطتها، عكس "وعد" متواضعة الجمال، وإن برعت في إظهاره بالكثير من مساحيق التجميل التي احترفت استخدامها، ليظل كل منهما يرمق الآخر في تحدٍّ.

***

من داخل غرفته كان "حلمي مهران" جالسًا على سريره في حالة رهبة حال الممرضين الذين تجمعوا أمامه في اندهاش، ويكرر سؤاله عني في ثورة:

- أنا عايز أعرف مين اللي كان معايا هنا في الأوضه؟

- يا فندم قلنا لحضرتك مكنش في غيرنا.

أجابته رئيسة التمريض قبل أن يدخل الدكتور "صلاح" من الخارج في حالة ترقب بخطاه الحثيثة، دون أن ينتبه له الممرضون، أو يلفت هو انتباههم، فقد كان يريد استيعاب المشهد بالكامل، ليظل يرمق "حلمي مهران" باندهاش لا يخلو من سعادة مراهق، ينظر إلى قدوته، بينما الأخير لا يزال يصيح في ثورة عجيبة رغم ضعف جسده:

- لأ، كان فيه حد، أنا متأكد.

كان صادقًا، بل وكانوا أيضًا صادقين!

- يا فندم حضرتك لازم تهدى دلوقتي.

- مش هاهدى غير لما أعرف مين اللي كان هنا.

- طيب براحه بس، كان لابس إيه؟ وراجل ولّا ست؟

حاول "حلمي مهران" تذكر ما أخفته عليه ذاكرته، فلقد كنت لا أزال في الأجواء أراقبهم في صمت، من خارج زجاج باب الغرفة، ليلاحظ البعض انعكاس طيفي يتحرك بسرعة، لمحه "حلمي مهران" ويقف بسرعة مقتربًا من الباب، فسح الجميع له المجال في توتر، منتبهين أخيرًا إلى وجود الدكتور "صلاح" الذي أعطى هو الآخر المجال لـ"حلمي مهران" مراقبًا إياه وهو يبحث عني خارج زجاج غرفته، فحاول الدكتور "صلاح" هو الآخر إدراكي بنظراته عبر الزجاج، ولكنهما لاحظا خلو الممر، إلا من أنفاسي!!! أمسك "حلمي مهران" رأسه متذكرًا إياي، عندما همست في أذنه منذ لحظات قائلًا:

"جاء وقت الحساب!"

أمسك "حلمي مهران" أذنيه محاولًا مصارعتي داخل عقله أمام الممرضين ثم أخذت أكرر على مسامعه جملتي الأخيرة مرة تلو الأخرى:

"سر الأمنية الأخيرة!"

بدا على "حلمي مهران" الإعياء؛ فأسنده الدكتور "صلاح" معيدًا إياه إلى السرير، غير منتبهين لطيفي الذي ولج من الخارج للتو، فلقد كان الجميع لا يزالون يجهلون "سر أمنيتي الأخيرة"!!

لأتحرك بطيفي في هذا الممر الخارجي الخالي، في هدوء مريب في المكان، حتى عبرت إلى جناح الزوار في الخارج، كاشفًا بعيني "وعد" تنظر يمينًا حيث تقف"أمنية".

تبادلا نظرات الرفض أمام باب العناية المركزة، ثم تقدمت "وعد" خطوة قائلة بكيد:

- واضح إن جوزي فاق، يعني الحمد لله أعتقد التقرير بتاعك المفروض يكون خلص هنا.

اقتربت "أمنية" بخطوتها هي الأخرى لتقول بكيد:

- بالعكس!!.....أنا تقريري لسه هايبدأ من النهارده.

ابتسمت "سالي" ساخرة، فحقًّا إن كيدهن عظيم!! هذا بينما كان الدكتور "صلاح" في الداخل لا يزال يحاول تهدئة "حلمي مهران" ممسكًا بذراعه يستشعر نبضه، ومن حوله الممرضون، ثم أشار إلى رئيسة التمريض فأعطته "حقنة" ما، ليعاود مرة أخرى السؤال عن هويته، وكأنه يحاول التشويش على ألم الإبرة، ليجاوب الأخير مكررًا إجابته في ثقة.

- يعني إنت فاكر إسمك إيه؟

- أيوه يا دكتور قلتلكوا أنا "حلمي مهران".

وضع "صلاح" الإبرة في وريد "حلمي مهران" دون أن يظهر الأخير أي ألم؛ مما أثار فضول الدكتور "صلاح" وخطف نظرة إلى مساعدته رئيسة التمريض مندهشًا، قبل أن يفاجئه "حلمي مهران" مضيفًا:

- وعارفك إنت كمان يا دكتور "صلاح"!!!

أوقع الدكتور "صلاح" الإبرة أرضًا! فهو لم يقابل "حلمي مهران" أبدًا إلا وهو غائب عن الوعي، ويستحيل أن يتعرف عليه، توترت رئيسة التمريض هي الأخرى، حتى انتبهت إلى شارة اسم الدكتور "صلاح" المعلقة على صدره، لتشير بيدها مطمئنة إياه، فيستريح هو الآخر، مداريًا قلقه في كبرياء، متابعًا حديثه غير مكترث لتعليق "حلمي مهران" الذي كان يجهل صدقه!

- تمام أوي.. طيب قولي بقى فاكر آخر يوم قبل الحادثه؟

- أيوه آخر يوم فاكره كان واحد وتلاتين.....

سكت "حلمي مهران" لحظة مع شعوره بالدوار من أثر الحقنة، قبل أن يضيف بثقة:

- واحد وتلاتين، عشره.

كررها، متحديًا المهدئ الذي حقنه الدكتور "صلاح" نظرًا لخطورة سؤاله الأخير؛ والذي سأله بهدوء وبشيء من الترقب:

- فاكر سنة كام؟!

ظهر الهلع على "حلمي مهران" وجحظت عيناه، بعدما أدرك لتوه حقيقة مأساته، موقنًا أنه قد تُرك منسيًّا في هذه الغرفة لشهور طويلة، ليتخيل ما هو أسوأ!!!

***

من معبد الكرنك، وقبل منتصف الليل بلحظات، كنت (أنا) أتحرك بعباءتي الكتانية بين تلك الأعمدة الضخمة وسط الإضاءة المنبعثة من كشافات الأرضية التي كانت تعطيني تلك الهالة المخيفة.

بينما يظهر من بعيد بعض الأشخاص الأجانب، الذين جاءوا من شتى بقاع الأرض لعبادتي، وهم يرتدون ملابس بيضاء موحدة من الكتان، يمسك بعضهم شعلات نارية مخيفة للإضاءة، من أمام هذا الباب الذي يخفي الكثير من الأسرار خلفه.

حتى اقتربت (أنا) منهم شيئًا فشيئًا، لينتبهوا توًّا لقدومي، ويخلو لي الطريق إلى الباب، ناظرًا إلى ساعتي التي كادت تشير إلى منتصف الليل ويتحرك التاريخ ببطء إلى رقم ٣١، ويعلو صوت القيثارة في المكان من جديد، نظرت إلى نور السماء الصافية، و(أنا) ممسك على خناجري الموضوعة في حزامي الجلدي، لأستمد من شيطاني القوة على أفعالي، قبل أن أدخل الغرفة وأبدأ طقوسي مع علو صوت حفيف الأفعى.

فلقد حانت الساعة وجاء وقت الحساب،

فلا زال الجميع يجهل سر الأمنية الأخيرة!!!

***

استيقظ "حلمي مهران" فَزِعًا من هذا الكابوس الذي رآه للتو وظل يحول بناظريه في أرجاء الغرفة كلها، في جميع الاتجاهات، ويلاحظ تفاصيل المكان، بدءًا من الباب عن يساره ومن ثم إلى يمينه قبل أن يتعب عينيه ضوء النافذة لينظر إليها في انزعاج مع تلك الزغللة التي اصطحبت صورتها، ويميل بجسده ناحيتها، رافعًا إياه بصعوبة ليجلس وتلامس قدماه الأرض، محاولًا إمعان النظر إلى "أمنية" الجالسة عند النافذة بشيء من الثقة استفز فضوله متفحصًا تفاصيل مكياجها البسيط وملابسها العملية وحذائها الرياضي، حتى يديها اللتين كانتا تخلوان من خاتم زوجية أو خطبة كما أرسل بصره في خصلات

وتفاصيل شعرها المربوط بقلم خشبي.

- إنتي مين؟!

قالها مقتربًا منها، لتعكس الشمس أشعتها على وجهه زائدة من حدة نظراته، لتبتسم "أمنية" بدلال مثير.

***

لم تنم "وعد" لحظة منذ أمس، وظلت مستلقية على سريرها بنفس الملابس التي كانت ترتديها في ليلتها الماضية، بينما كان مكياجها قد بدأ في الانسحاب معريًا عن إرهاق نفسيتها، حتى بدأ منبه هاتفها في الصياح مشيرًا إلى الساعة التاسعة والنصف صباحًا، ذلك الوقت من الصباح الذي لم تدركه يومًا، لتمسك بهاتفها خامدة المنبه، ثم جلست بنظراتها التائهة، ووقفت متحركة بصعوبة خارج غرفتها منتبهة إلى صورتها البائسة في المرآة، خاطفة نظرة حسرة إلى جمالها المرهق، توقفت للحظات لتمسح بعضًا من مكياجها، قبل أن تخرج من الغرفة إلى المعيشة الفاصلة غرفتها عن باقي الغرف أمام سلم الفيلا، ثم انتبهت إلى باب غرفة ابنها المفتوح، فتوترت وتوجهت إليها مسرعة، لتدخل وترتسم على وجهها تلك النظرة المندهشة مما رأت!

***

توقف "حلمي مهران" أمام "أمنية" كالمحقق يدقق النظر إليها قائلًا:

- يعني أنا معرفكيش؟!

- لأ ولا عمرك شوفتني.

تابع "حلمي مهران" تدقيقه إلى هاتفها وأجندة صغيرة كانت تملكها، ومن ثم إلى هذا القلم الذي عقدت به شعرها مرة أخرى، ليقول بثقة:

- إنتي صحفيه؟

- عرفت إزاي!!

قاطع حديثهما الدكتور "صلاح" فاتحًا الباب دونما استئذان كعادته، وكأنه يعتبر المرضى مجرد ماكينات معطلة في مخزنه!

- إنتي تاني؟!!!

قالها الدكتور "صلاح" منفعلًا عند رؤيته "أمنية" مبتسمة وتوجهت لـ"حلمي مهران" قائلة:

- أعتقد إني لازم أمشي.

- أنا عايز أعرف إنتي بتخشي هنا ازاي!!! دي مستشفى مش نادي.

انفعل الدكتور "صلاح" وحفظت "أمنية" ماء وجهها قائلة:

- مفيش داعي تعلي صوتك، أنا عارفه الطريق.

تحركت "أمنية" في تجاه الباب، قبل أن يمسك يدها "حلمي مهران" بجرأة كان يفتقدها قديمًا قائلًا بقوة:

- بس أنا متأكد إني عارفك.

أربكت تلك الجملة الدكتور "صلاح"، مع لحظة دخول رئيسة التمريض:

- تاني يا آنسه "أمنية"؟! والله بيتي هايتخرب بسببك.

توجهت إليها رئيسة التمريض لتطردها، قبل أن يمنعها فجأة الدكتور "صلاح" الذي حرك فضوله معرفة "حلمي مهران" بـ"أمنية"، قائلًا:

- اخرجي إنتي خلاص واقفلي الباب وراكي وماتدخليش حد خالص.

نظرت له رئيسة التمريض في اندهاش ليكمل:

- أنا شكلي هاحتاج أستاذه "أمنية".

استمتعت "أمنية" بتعليق الدكتور "صلاح" الذي اقترب من "حلمي مهران" بفضول:

- أستاذ "حلمي" إنت اتعرفت على آنسه "أمنية"؟

- لأ.

بشرود أجاب "حلمي مهران"، لتبتسم "أمنية" قائلة:

- بس أنا اتعرفت بيه.

***

من داخل غرفة "وليد" كانت لا تزال "وعد" مندهشة من تصرفات ابنها الذي كان مستيقظًا ومهندمًا مرتديًا أفضل ثيابه دون مساعدة منها أو حتى من خادمته الواقعة بجانبه مبتسمة:

- والله يا مدام "وعد" أنا استغربت زيك كده بالظبط، أنا لقيت "وليد" صاحي من بدري لوحده، ومطلع لبسه ومجهز نفسه، بس أنا الصراحه مرضيتش أقلقك، أنا عارفه إنك راجعه تعبانه متأخر.

- آه يا مامي، أنا لبست لوحدي، عشان نروح لبابا بسرعه.

علق "وليد"، الواقف أمام خزانة ملابسه البيضاء في سعادة، كانت غرفته مليئة بالحياة والألغاز المحببة إليه، حال والده. توسط الغرفة سريره الخشبي الذي يتم تركيبه يدويًا، أمامه تلفاز موصل بأجهزة ألعاب حديثة، بينما الحوائط كلها عليها الكثير من أبطال الألغاز خاصة "تان تان".

ابتسمت "وعد" رغمًا عنها، قبل أن تضيف تلك الخادمة الأربعينية الخبيثة التي كانت تعرف الكثير:

- الولد ما شاء الله فرحان بباباه، زيينا كلنا!

سكتت لحظة قبل أن تكمل بكيد واضح:

- وحضرتك طبعًا!!

فهمت "وعد" الرسالة، إذ إنّ هذة الخادمة، تخدم "حلمي مهران" ووالدته من قبلها ولم يكن بينها وبين طردها من منزل "حلمي مهران" إلا أيام قلائل، قبل أن تضحك لها الأيام من جديد إلى تلك الخادمة القمحية ذات الجسد الممتلئ.

- طيب روحي إنتي على أوضتك وأنا هاكمل لبس "وليد".

ظهر الاعتراض على الخادمة لتؤكد "وعد" في حدة:

- أظن إنك سمعتيني!

- زي ماتحبي يا هانم، كلها كام يوم و"حلمي" باشا ينور بيته.

بخبث قالتها، وهي تتحرك لتنفعل "وعد":

- تقصدي إيه يا ست إنتي!!!

في دهاء نظرت الخادمة إلى الأرض:

- في إيه يا "وعد" هانم؟ هو مش "حلمي" بيه هايرجع البيت ولّا إيه؟

زاد انفعال "وعد" قبل أن يتدخل "وليد" ببراءته:

- ماماااا، يالا بقى عشان نروح لبابا.

***

ظل "حلمي مهران" ينظر إلى "أمنية" بانجذاب شديد، بينما الدكتور "صلاح" يجلس بجانبه على السرير مفسرًا له الكثير:

- آنسه "أمنية" من ساعة الحادثه وهي متابعه حالتك.

- مش صحفيه! يعني شغل.

علق "حلمي مهران" بشيء من العتاب، دون أن تستطيع "أمنية" نفيه، وإن كان ظالمًا، وليستمتع الدكتور "صلاح" بدوره بين "حلمي مهران" الجالس على السرير و"أمنية" الواقفة بجانب النافذة، كقريني وسطهما.

- بس الصراحه ما ينفعش نظلمها، واضح إن قلب آنسه "أمنية" طيب جدًا، وكانت متأثرة بحادثتك جدًا..... يا راجل دي مكنش في غيرها بيزورك.

قالها الدكتور "صلاح" عن قصد، وهنا تتغيّر ملامح "حلمي مهران" الذي لا يزال ينظر إلى "أمنية" قائلًا:

- عارف.

أثار "حلمي مهران" فضول "صلاح" الذي تساءل:

- حلو أوي... يعني إنت كنت واعي أثناء غيبوبتك؟

- هو مش إنت الدكتور برضه!

تعجَّب "حلمي مهران" بحدة فأجاب الدكتور "صلاح" بتوتر وضعف:

- أيوه بس زي ما إنت عارف، حالات الغيبوبه دي مبهمة علميًا.

نظر "حلمي مهران" إلى الدكتور "صلاح" ووقف تاركًا السرير ليرمق تفاصيله، تلك النظارة الطبية التي كانت تداري رعشة عينيه، ومن ثم قميصه المنمق، وذقنه الحليقة والتي أصيبت أثناء تنعيمها:

- إنت جراح يا دكتور "صلاح"؟

بتوتر أجاب الدكتور "صلاح"، فلقد كان يخفي الكثير، لذا هاب ذكاء "حلمي مهران"، يعرف أنه قد عاد من عالم آخر، يكشف كل الأسرار عبر كل الأزمنة، نظر "حلمي مهران" أخيرًا إلى قدم الدكتور "صلاح" اليمنى التي تميزه عن غيره، ليتذكر يوم إصابته، ويشير إلى جبهته مكملًا:

- ولو أنا فاكر صح إنت اللي عملتلي العمليه دي؟

ازداد توتر الدكتور "صلاح" وتساؤلاته، بينما تابع "حلمي مهران" حديثه الغامض:

- ماتخفش يا دكتور عمليتك نجحت.

ظهرت بعض قطرات العرق على جبين الدكتور "صلاح" قبل أن يضحك "حلمي" بطريقة مخيفة ويصرخ:

- أنا هاخرج إمتى؟

تعجب الدكتور "صلاح" من تغيير أسلوب "حلمي مهران" المفاجئ، والذي أكمل:

- هو أنا محبوس؟!

شعر "صلاح" بقوة مريضه التي استمدها من عالم آخر غير عالمه الماضي:

- لأ طبعًا محدش قال كده، بس إنت جسمك ضعيف ومحتاج تغذيه وتعويض.

رفض "حلمي مهران" تعليق الدكتور "صلاح" وتحرك في عناد مزيلًا

"الكانيولا" المغروزة في يده بشيء من عدم المبالاة أربكت الدكتور "صلاح" وتعجبت "أمنية"، ومن ثم تحرك غير منتبه إلى الدماء التي تتساقط من يديه، ليخرج فجأة إلى الردهة الخارجية، وسط اندهاشهما متبعين دماءه التي تسيل من يديه، وهو يسبقهم عبر الردهة بخطوات سريعة أخافت الجميع، خاصة لنظراته الحادة، بينما حاول الدكتور "صلاح" إمساكه، إلا أن "حلمي مهران" أكمل خطواته بقوة ليجر معه الدكتور اليائس وبدأ في الصياح، وهنا توقف فجأة "حلمي مهران" منتبهًا لنزيف يديه، وسط نظرات الجميع له، ولنزيف يديه، وابتسم أخيرًا قبل أن تخور قواه ويسقط فجأة أرضًا.

***

من داخل قاعة المحكمة، كانت رائحة الخوف تملأ أرجاء هذا المكان الذي أتذكره جيدًا، فهنا كانت نهايتي! وإن كنت (أنا) من اخترتها، فلم يكن في تلك الدنيا ما يشبع غريزتي في البقاء. كان المكان باردًا قابضًا للصدر والقلب، تستطيع أن تسمع دقات القلوب الضعيفة، مع رعشة أصفاد المتهمين، البريء منهم والمدان، لا تستطيع التفريق بين وجوه الجميع، فالكل هنا في هذه اللحظة يشعر بالهوان، شعور مخيف أقلق روحي، فالمكان قد صار كالقبور، مهلكًا للجناة وإن كان عادلًا لكل ذي مظلمة. كانت المحكمة الآن بصدد إدانة "ماجي" الجالسة عن يميني خلف القضبان، تلك الفتاة الثلاثينية المنكسرة دون مساحيق التجميل، ترتدي زي المتهمين، الذي أفقدها جاذبيتها، لم يعد لعينيها بريق، بل صارت شاردة لا حول لها ولا قوة، بعدما كانت تأسر كل الرجال بسحرها، وظلّ الجميع يرمقونها بكره دون سابق معرفة، فوجودها كمتهمة أسقط عنها كل رحمة في الكثير من القلوب، وقتلتها نظرات الشماتة من الحضور جميعهم رغم عدم معرفتهم حتى بقضيتها.

امتلأ المكان بأصحاب المهن والمصالح الدنيوية، فهناك من يحمل تلك المأكولات ليتاجر بجوع البعض، وآخرون ينتظرون خبرًا للتهليل، ومنهم من ينتظر شهادة كاذبة، وآخرون يستمتعون (فقط) بالعرض، على تلك الأرائك الخشبية المتهالكة الشاهدة على مصير الآلاف،

وكأن الأحكام تزيد من عمر خشبها المسن، وتملأ تجاعيد العجز عروقه، ليزداد هلاكًا شيئًا فشيئًا، بينما من الأعلى لم يكن القضاة أوفر حظًا، بل طالهم مر المكان، وكثرة المظالم بين العباد، فيزداد كل منهم همًا على همه، فلقد صارت حياتهم مليئة بالأكاذيب والادعاءات التي حرمتهم من عيش حياة هادئة ومنعتهم من راحة البال، وبين تلكم وهؤلاء كانت منصة المحامين الصادقين منهم والكاذبين، وفي وسطهم ذاك المحامي الأربعيني "غانم" متوسط الطول الذي كان يحاول أن يغتنم حكمًا مخففًا لخطيبته "ماجي" التي يترافع عنها مرتديًا هذا البالطو الأسود فوق بذلته الرمادية المتماشية مع خصلات شعره الأبيض وقد بدأت تغزو رأسه، لتزيد من رونقه، فهو وسيم حليق اللحية، ماكر، ولكنه يفتقد البراهين التي تساعده على الدفاع عن "ماجي" لأسباب كثيرة.

- لذا أرجو من سيادتكم أخذ ضعف الدافع بعين الاعتبار، وإني أظن أنه لا يزال هناك ما نجهله في تلك القضية، فمنذ مقتل رجل الأعمال "أدهم الجوهري" في قصره في الحادي والثلاثين من أكتوبر الماضي، ولا تزال النيابة عاجزة عن شرح كل ملابسات الحادث، خاصة مع إصابة المقدم "حلمي مهران" في نفس اليوم والمكان دون تحديد هوية مطلق الرصاص، لذا أرجو التأجيل لمدة كافية حتى نتمكن من إيجاد دلائل جديدة، فلا يعقل أن يكون هذا الملاك قاتلًا أبدًا.

قالها ناظرًا إلى "ماجي" وسط سخرية الحضور، فقاطعه القاضي الخمسيني بملل:

- خلصت يا "غانم"؟

- أيوه يا فندم.

بإحراج أجاب "غانم"، ليضيف القاضي:

- طيب إرجع مكانك.

بدأ القاضي في استشارة مستشاريه للحظات، ظهر فيها التوتر على "غانم":

- القضيه مش ناقصها دلائل يا "غانم"، وإصابة المقدم "حلمي مهران" دي قضيه تانيه، ملهاش علاقه بقضيتنا.

سكت القاضي لحظة ثم أضاف:

- رُفعت الجلسة للتداول.

ظهر القلق على "غانم" الذي ألقى نظرة يأس إلى "ماجي" الصامتة داخل القفص.

***

تابع "حلمي مهران" ثورته بعدما أعادوه إلى سريره وإن تمكن منه الإرهاق، فلامه الدكتور "صلاح" الواقف إلى جانبه بينما ظلت "أمنية" تبصره في تأثر، ويقول في عصبية تفتقر إلى القوة:

- أنا محبوس بين الحيطان دي بقالي شهور....شهور.

حاول الدكتور "صلاح" مقاطعته، إلا أن "حلمي مهران" تابع صائحًا:

- يا دكتور..عارف يعني إيه تعيش بين أربع حيطان كل الشهور دي!! أنا دخلت المستشفى دي واحد وتلاتين... واحد وتلاتين عشره ٢٠١٦....

سكت لحظة وتسائل:

- تقدر تقولي النهارده إيه؟

لم يجِب الدكتور "صلاح" فيواصل "حلمي مهران" صياحه ويجيب الرجل في حرج ممسكًا نظارته:

- ١٨ أكتوبر.

- بس ٢٠١٧ يا دكتور....٢٠١٧.

كررها فقاطعته "أمنية" بعطف:

- أستاذ "حلمي" ممكن تسمعني؟ عشان خاطري أنا.

نظر "حلمي مهران" إليها بألفة وموافقة فأكملت:

- إحنا فاهمين إنك كنت ميت سنه كامله، بس ربنا رجعك لينا

بالسلامه.... يبقى.... يبقى أكيد في سبب، أكيد ليك دور مهم لازم تعمله، عشان كده لازم تحمد ربنا وتخلي بالك من صحتك لغاية ما تعرف ربنا عاوزك تعرف إيه.

شعر "حلمي مهران" باطمئنان غريب لحديثها، فابتسم لـ"أمنية" وأعطى ذراعه للدكتور "صلاح" المندهش من تحوله ليمسكها ويضع الكانيولا قائلًا:

- أوعدك لو ساعدتني هاتخرج في أقل من أسبوع.

قالها بينما كان لا يزال "حلمي مهران" و"أمنية" يتبادلان النظرات؛ وعيناهما ترسلان وتستقبلان إشارات بث لم يغفل عنها الدكتور "صلاح".

- طيب فين "وليد" إبني؟

- زمانهم على وصول، ممكن بس تخليك معايا وتجاوبني عشان تطلع أوضه عاديه؟

تنهد "حلمي مهران" قائلًا:

- عايز تعرف إيه؟

- عايز أعرف السنه دي عدت عليك إزاي؟

نظر "حلمي مهران" إلى "أمنية" ثم أجاب:

- كنت شايفكوا كلكوا.

ارتعشت يد الدكتور "صلاح" بينما بدأت تدب حمرة الخجل في "أمنية" وهي تتبادل النظرات مع "حلمي مهران" وتارة تسرقها في حيم يسيطر عليها الفضول ومن ثم ضغطت سرًا على جهاز تسجيلي في يدها، وهو يكمل حديثه:

- وكنت حاسس بيكوا كلكوا، كنت حاسس باللي خايف عليا، حاسس باللي بيدعيلي، وحاسس كمان باللي بيدعي عليا.....شريط حياتي كلها كان بيمر قدامي، زي ما أكون ميت وبتحاسب، وكنت حاسس إن نتيجتي هاتطلع وهابقى ساقط، بس الحمد لله طلع لسه عندي ملحق.

ابتسمت "أمنية"، بينما تساءل الدكتور"صلاح" بجدية:

- إزاى؟!

- أنا جعان.

قالها "حلمي مهران" بجدية ساخرة أخذت "أمنية" تضحك بينما لم يتفهم الدكتور "صلاح" وعلق مندهشًا:

- أفندم!

- بقولك جعان....جعاان.

***

(38)

داخل قاعة المحكمة كان الجميع في حالة أنتظار، و(أنا) أراقب تعبيراتهم والقاضي يتابع قراءة ما توصلت إليه هيئة المحكمة:

- لذا قررت هيئة المحكمة رفض التأجيل، وحجزت القضية للحكم في الخامس من نوفمبر الحالي... رفعت الجلسة...

أنهى القاضي حكمه ووقف، ليتوقف الجميع، وتعم الفوضى المكان، و"ماجي" في حالة شرود، لا تكترث لما يحدث، بينما ظل "غانم" قعيدًا لا يستطيع الحراك، فلقد أدرك للتو نهاية "ماجي" ولن يصدر القضاة حكمًا بديلًا عن الإعدام بكل تلك الشواهد، علت في المكان صيحات الشماتة، فللبشر نشوة غريزية للقتل، يحاول الجميع كبتها، خلف ستار التحضر، ولكنهم يتلذذون برائحة الدماء مثلي، تلك المتعة التي ترويهم عند مشاهدة الأفلام الدموية، وتحد من حقيقتهم، فمثلهم مثل جمهور عصور الظلام، عندما كانوا يتجمعون في تلذذ لمشاهدة تطبيق أحكام الإعدام، فكلكم يحسد "عشماوي" على استمتاعه، في الحقيقة كلكم "عشماوي" ولكنكم تنكرون حقيقتكم، كلكم تستبقون الأحكام قبل المداولة، بل وتستمتعون بتطبيقها!

من بين الحضور، كان هناك الرائد "هشام" في آخر الصفوف، وهو شاب ثلاثيني قوي البنية، طويل القامة قصير الشعر، يختلس نظرة من بعيد إلى "ماجي" التي أوقفها الحراس، وتوجه إليها "غانم" في حركة بائسة ليقول من خارج القفص:

- ماتخافيش يا "ماجي" أكيد هلاقي دليل جديد.

لم تكترث "ماجي" لكلمات "غانم" وتحركت مع حراسها، لتبادل الرائد "هشام" نظرته من بعيد، فيضع الأخير نظارته الشمسية هروبًا من نظراتها وينسحب من القاعة في حالة غريبة فهو حبيب "ماجي" السابق، وتركته قبل أن تبدأ بالعمل عند "أدهم الجوهري"، ويصير الرائد "هشام" هو ذلك رجل المباحث الذي نجح في إدانتها في التحقيقات!

قطع فكر "هشام" مكالمة هاتفية، لم تُحدث ضجيجًا، فلقد وضع الهاتف مسبقًا على خاصية الاهتزاز، أجاب "هشام" إلى محضره بالمكتب "فريد" بانزعاج:

- أيوه يا زفت، مِيت مكالمه وأنا في المحكمه يا بني آدم!!!

من مكتب "هشام" ظهر "فريد" جالسًا على مكتب مديره في سعادة مستمتعًا بعدم وجوده، مستغلًا كل لحظة من غيابه، فهو شخصية هزلية فريدة من نوعها، نحيف الجسد، في العشرينيات من العمر، يظهر "فريد" متحدثًا من هاتف المكتب الأرضي للرائد "هشام":

- يا باشا ما هو أنا محتاجك ضروري.

- أكيد مصيبه طالما من وشك.

- لا يا باشتنا على عكس المتوقع جنابك.. .للأسف خير.

- للأسف! إخلص!!!

- يا باشا المقدم "حلمي مهران" فاق!

انفعل "هشام" وسط المحكمة، فنظر إليه الجميع.

- إنت بتقول إيه!!! إنت متأكد؟!

- يا باشا عيب عليك ده أنا "فريد" الفريد.

- ومقولتليش ليه يا بني آدم من الصبح؟

بطريقة تعكس أسلوبه الهزلي أجاب "فريد" قائلًا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، يا باشا ما هو أنا بكلمك من الصبح وحضرتك بتقفل عليا.

- طيب ما تبعتلي رساله ولَّا تتصرف ولَّا حتى تيجي بنفسك.

نظر "فريد" بغبائه إلى سماعة الهاتف الأرضي مرددًا:

- وهو ده يبعت رسايل إزاي!!

أغلق "هشام" هاتفه ليسرع في الذهاب إلى "حلمي مهران"، مرورًا من جانب "سالي" التي سبقت "هشام" بالخروج، ممسكة هي الأخرى

بهاتفها متصلة بمديرها "تيم":

- أيوه يا باشا، مش هاتصدق.

أجابها "تيم" مندهشًا من داخل مكتبه الصغير، المطل بواجهة زجاجية على منطقة المحررين:

- إتحجزت للحكم.... يعني إعدام!

بابتسامة وبرود أجابت "سالي":

- أيوه يا باشا إن شاء الله.. وزي ما إنت كنت متوقع محدش كان عارف إن "حلمي مهران" فاق.

انفعل "تيم" من الإثارة ووقف قائلًا:

- ده كده يا بت يا "سالي" الموضوع ولع، لازم نكتب الموضوع في خبر شديد.

بلهفة تحركت "سالي" مسرعة في الممر المؤدي إلى خارج المحكمة:

- يا باشا هوا هاكون عندك وهاكتبلك الخبر.

- لا إستني.. الموضوع ده محتاج "أمنية".

في ضيق وغيرة تابعت "سالي":

- وليه يا باشا هو أنا صغيره؟ ما أنا اللي متمرطه في المحاكم من الصبح وجايبالك الخبر طازه أهو.

- معلش يا "سالي" بس الموضوع ده بالذات محتاج طريقة "أمنية".. هي فين؟

- هاتكون فين يعني يا باشا عند حبيب القلب!

بتهكم مقصود قالتها "سالي"، لتُغضب "تيم" وتثير مشاعره فعلق:

- حبيب القلب!!!!

أغلق "تيم" الهاتف وهو في حالة غيرة وغضب، واتصل بـ"أمنية"، التي استقبلت المكالمة بضيق لترفضها أمام "حلمي مهران" الذي

لاحظ ارتباكها، ورفضها للمكالمة، بل ولاحظ حتى اسمه:

- مين "تيم" ده؟

اندهشت "أمنية" من قوة ملاحظة "حلمي مهران" لتسأل:

- وإنت إشعرفك؟

- أبدًا صورة الشاشه معكوسه على الإزاز.

قالها "حلمي مهران" في تحدٍّ أدهش الدكتور "صلاح" الذي بالكاد استطاع تمييز صورة الشاشة من على زجاج النافذة، قبل أن تدخل ممرضة ببعض الطعام على عربة صغيرة، ليقول الدكتور "صلاح":

- لأ ده إحنا لينا قعده كبيره بعد الأكل.

***

من داخل سيارتها الـ"بي إم دبليو" كانت "وعد" تقود وبجانبها "وليد" الذي لم ينفك يستعجلها بتأفف، قبل أن تتلقى اتصال "فؤاد"، نظرت إلى اسمه فرفضت الاتصال وأكملت طريقها، مما زاد غضبه، فقد اختفت عنه "وعد" منذ أمس، ليظهر عليه الاستياء من داخل مكتبه الكلاسيكي، ذي الديكور البسيط غير المتكلف، ومن أمامه دخل محاسبه ومساعده وهو رجل خمسيني طيب.

- يا بشمهندس "فؤاد" الست صاحبة الشقه بتستعجلك.

- طيب دخلها دخلها يالا، ولَّا أقولك خليها تستنى خمس دقايق.

- أوامرك.

بخيبة أمل خرج الرجل ويعاود "فؤاد" الاتصال بـ"وعد" التي ازدادت توترًا من مكالماته فأجابته مضطرة:

- أيوه يا "فؤاد".

بارتياح لسماع صوتها يجلس "فؤاد" مطمئنًا:

- أيوه يا "وعد" إنتي فين؟ من امبارح مش بتردي عليا ليه!!

- سبحان الله يا "فؤاد" أنا دايمًا اللي كنت بتضايق من عدم ردك

عليا.

سكت "فؤاد" لحظة ثم أكمل بخجل:

- معلش هو البني آدم كده مابيعرفش قيمة الحاجه وهي في إيديه.

ببراءة قاطعها "وليد":

- هو إنتي بتكلمي بابي؟

- "فؤاد" معلش أنا معايا إبني هاكلمك أنا لما أعرف.

قالتها وأغلقت الخط لتنظر إلى "وليد" معقبة:

- لا يا حبيبي ده حد معايا في الشغل.

- بس إنتي مش بتشتغلي يا مامي!!

أحرج "وليد" والدته بينما توتر "فؤاد" في مكتبه، فلديه الكثير من التساؤلات المؤرقة له؛ ولم يعد يجد الإجابات الملائمة، حتى دخل مساعده مرة أخرى:

- "فؤاد" باشا الست بدأت تضايق.

- معلش إعتذرلها أنا مش فايق.

- يعني إيه؟!

- زي ما قلتلك يا بني آدم، إسمع الكلام.

تسمر الرجل وأدرك "فؤاد" تماديه:

- معلش يا حاج أنا تعبان شويه، ماتزعلش مني.

في أبوة تقبل الرجل الاعتذار وأكمل:

- مقدرش أزعل منك يا بني، بس إنت بقالك كام يوم مقصر في الشغل، ومضيع وقتك في الرسم والنحت، ولما بتيجي المكتب بتبقى دماغك مش فيك....ماتآخزنيش يا بني، بس إنت ربنا بيرزقك برزقنا، فلو إنت مستغني، أنا بفكرك إن في غيرك محتاج.

شعر "فؤاد" بكلام الرجل ليعقب قائلًا:

- عندك حق يا حاج، خلاص دخلها.

***

وصل "هشام" بسيارته الـ"هيونداي" إلى المستشفى ومن ثمّ يصفها ويترجل مسرعًا، ليدخلها ويعبر من خلال الاستقبال متجاهلًا تساؤلات الموظفين، متجهًا إلى المصعد في خطوات سريعة تؤكد معرفته بالمكان، صعد ووصل إلى باب أجنحة العناية وفتحه بقوة مخترقًا حرمة المكان لتحاول رئيسة التمريض منعه، ولكنه تخطاها وتوجه إلى غرفة "حلمي مهران" ليقتحمها، ويجده جالسًا يأكل بهدوء ومن جانبه الدكتور "صلاح" والصحفية "أمنية". نظر "حلمي مهران" باندهاش إلى الرائد "هشام" الذي يعرفه جيدًا، وألم بكل تفاصيله بميكانيكية غريبة، من ملابسه الملكية، وإلى نظارة الشمس التي ارتداها رغم تواجده بالداخل، مع لهفته وتعرقه، وتوجهه بنظره إلى "أمنية" قائلًا:

- إنتي كمان هنا! ده أنا آخر من يعلم بقى.

لم تعلق "أمنية" مكتفية بالوقوف بينما ظل "حلمي مهران" جالسًا ببرود بجانب الدكتور "صلاح" الذي رحب بالرائد "هشام" على استحياء.

- أهلًا يا "هشام" بيه.

- إزاي يا دكتور مانتبلغش من امبارح باللي حصل؟

بنبرة عتاب وعدائية قالها الرائد "هشام"، ليرتبك الدكتور "صلاح" قائلًا:

- يا فندم امبارح كله كنا مشغولين مع الحاله،اتلهينا بالمفاجأه، وبعدين إحنا بلغنا الصبح، والأهم إن الحاله بدأت تستقر.

- حاله!!!!

مستاءً رددها "حلمي مهران" في سخريه، تجاهلها الدكتور "صلاح" واكمل مرتبكًا:

- طيب ممكن بس آخد من وقتك دقيقه أفهم حضرتك كل حاجه؟

- وقت إيه!!.......دا في متهمه هاتاخد إعدام لو ماتكلمتش معاه!!

بتأثر قالها "هشام"، فعلقت "أمنية" مندهشة وهي تتحقق من هاتفها الخلوي:

- إعدام!!!

- أيوه إعدام! وأي معلومه من المقدم "حلمي" ممكن تغير القضيه.

- مين اللي هايتحكم عليه بالإعدام؟!

تساءل "حلمي مهران" الذي أظهر لأول مرة تفاعلًا مع الأحداث، في حين أصر الدكتور "صلاح" على تأجيل الحديث واضعًا يده على كتف الرائد "هشام" وأنزلها بكبرياء وإن تجاوب على التحرك معه إلى خارج الغرفة، اتصلت "أمنية" بـ"سالي" على عجل:

- أيوه يا "سالي" إنتي ازاي ماتبعتليش اللي حصل؟

من مكتبها الذي عادت إليه أجابت "سالي" بعدما أهملت مرورها بـ"أمنية":

- معلش يا "أمنية" نسيت.

- نسيتي!!

- أيوه يا "أمنية" نسيت إيه هاتخصميلي؟

تعجبت "أمنية" ببراءة من طريقة "سالي":

- أخصملك إيه بس يا "سالي" في إيه؟!

لاحظت "سالي" مبالغتها في رد فعلها.

- معلش يا "أمنية" أنا آسفه بس القضيه وترتني شويه، أصل المحكمه رفضت التأجيل وحجزت القضيه للحكم بعد كام يوم...... يعني إعدام.

- ده بجد بقى!!

زاد فضول "حلمي مهران" من جانب "أمنية"، ليتعجل إنهاءها مكالمتها متابعة:

- طيب وإنتي فين دلوقتي؟

- في الجريده.

- طيب ماجتليش ليه؟

- معلش يا "أمنية" اللي حصل.

- طيب جهزي الخبر بقى لغاية ما أجيلك.

بغيرة ملحوظة، وانكسار علقت "سالي":

- لا ما هو "تيم" عايزك إنتي اللي تكتبيه.

تفهمت "أمنية" ما حدث، لتتجاوب بطيبة قلب بعد أن لاحظت غيرة "سالي":

- آه فهمت طيب معلش، إكتبيه إنتي من رؤيتك ولما آجي نتناقش فيه.

- بجد!

تفاجأت "سالي"، لتكمل "أمنية" جبرًا لخاطرها ودعمًا لها:

- أيوه بجد طبعًا، إنتي بقيتي أحسن مني يا "سالي".

- ربنا يخليكي، أنا هابدأ حالًا.

- وأنا هاجيلك.

بابتسامة ملائكية أغلقت "أمنية" الخط، مستمتعة بفضول "حلمي مهران" الذي فاجأها:

- دي غِيره؟

تعجبت "أمنية" من قوة ملاحظته.

- لا أبدًا.

كان كأنه يرى ما تخفيه:

- إنتي قلبك طيب.

هربت "أمنية" من جرأة "حلمي مهران" التي عكست جاذبية جديدة

له:

- هه! المهم فعلًا "ماجي" قضيتها اتحجزت خلاص للحكم.

- "ماجي" مين؟

قاطع السؤال فتح الباب المفاجئ، حيث دخلت "وعد" لتقف متسمرة أمام "حلمي مهران" و"أمنية" اللذين وقفا وكأنهما حبيبان، وتظهر "وعد" نظرة غيرة لم تعهدها، ويستمتع بها "حلمي مهران" ملاحظًا أيضًا الإرهاق على عينيها وقد حاولت أن تداريه بالكثير من مساحيق التجميل، قبل أن يقتل صمت المكان "وليد" الذي هرع إلى والده.

- بابيييي.

ظهر على "أمنية" التأثر والانزعاج عند رؤية "وليد"، الذي أعاد إليها عقلها لحظة عندما جثا "حلمي مهران" على ركبتيه فاتحًا ذراعيه مستقبلًا ابنه السعيد ليعود بذاكرته لمثل هذا الحضن الذي كان يفتقده عند صغره من والده، ليستحضر "حلمي مهران" كامل المشهد في خياله، من داخل منزل والده عندما كان في نفس سن "وليد"، في ذلك اليوم الذي عاد فيه من مدرسته ودخل ممر ردهة منزله فيجد والده "عبد المهيمن" عند باب المعيشة فهرع إليه مبتسمًا ليحتضنه، ولكن الأب اتجه إلى غرفته، ناهرًا ابنه مبعدًا إياه بيده، قبل أن تلاحظ "حكمت" والدته، فتسرع هي لاحتضانه بعدما انكسر خاطر الطفل "حلمي" لتدمع عينيه بين أحضان أمه التي دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب وإن لم يحدد من صوتها بالداخل:

- يا أخي حرام عليك، الولد معندوش حاجه، معاملتك هي اللي عقدته حرام عليك.

دخل الطفل "حلمي" إلى غرفة المعيشة منكسرًا وهو يسمع كلمات الأم، ليقرر الهروب إلى صديقه الوهمي! ويتجه إلى الباب المؤدي إلى الفناء الخارجي، ومنه إلى باب القبو فاتحًا إياه بهدوء، فيجدني في الداخل بعينيَّ الخضراوين، صديقه الوحيد من حينها!

- بابي وحشتني أوي أوي.

قالها "وليد" مستعيدًا أباه من ذكرياته الحزينة، وفطن "حلمي مهران" إلى ما افتقره في طفولته وأذله من حينها في حياته، ليبتسم لابنه:

- حبيبي أنا أهو، أنا رجعت مخصوص عشانك.

قالها ثم نظر إلى "وعد" متابعًا:

- عشانك إنت بس!

***

(37)

في غرفته جلس الدكتور "صلاح" مع الرائد "هشام" المتوتر، مشعلًا الأخير سيجارة غير مكترث لعلامة منع التدخين الموضوعة على مكتب الدكتور "صلاح" الذي لم يستطع الاعتراض بدوره وأكمل حديثه:

- عشان كده يا فندم إحنا كنا متوقعين إن الحاله تفوق ساعات قليله وتتنكس، بس سبحان الله، جسم الإنسان ده معجزه العلم بيعجز عن فك طلاسمها.

ظل الرائد "هشام" مهملًا النظر إلى الدكتور "صلاح" في محاولة رخيصة لرسم هيبة كاذبة بحرفية:

- وحصلت المعجزه وحالته مستقره، وبكره هايتنقل لأوضه عاديه، وتقدر تتابع معاه كل حاجه، بس في حدود المعقول.

- يعني إيه معقول! ما الراجل صاحي زي القرد أهو.

في تحدٍّ قالها الرائد "هشام"، إلا أن الدكتور "صلاح" لم يخشَهُ، وجلس واضعًا رجلًا على أخرى ممسكًا بقدمه المعدنية، ويتابع متمالكًا أعصابه في هدوء نسبي:

- يا فندم ده اللي بينام يومين تلاته بيصحى تعبان.. فمابالك بسنه؟! إسألني أنا.

في وعي لشيء ما في صدره، علق الرائد "هشام":

- لسه معدتش السنه.

ثم وقف ورمى سيجارته على الأرض مطفئها بقدمه نظرًا لعدم وجود طفايات:

- عمومًا اللي حصل حصل، والنهارده مش هايفرق من بكره، بس في حدود المعقول دي تبقى بتاعتي أنا، سلام مؤقت.

خرج "هشام" حاملًا هاتفيه، وجلس الدكتور "صلاح" مستريحًا ليدور بكرسيه فاتحًا النافذة ليطرد الدخان الذي خنقه، شاردًا للحظات في

النيل وما يحمله من أسرار عبر التاريخ، ثم عاد إلى حاضره وفتح ملفًا كُتب عليه اسم "مقدم حلمي عبد المهيمن مهران" وافتره سريعًا قبل أن يتنهد تنهيدة تعب، ووقف وخرج متجهًا إلى غرفة "حلمي مهران" ملاحظًا وجود مساعدته الأُولى رئيسة التمريض، متوقفة عند الباب تتصنت باستمتاع لما يدور في الداخل، ليتعجب الدكتور "صلاح" ويوبخها بنظراته، لتفزع وتتحرك محرجة، ليدخل الدكتور "صلاح" ويتفهم لمَ توقفت هي عند هذا الباب، حيث توقف ثلاثتهم حول الطفل في مشهد سينمائي مقلق، ويكسر الدكتور "صلاح" الصمت محييًا "وعد":

- أهلًا مدام "وعد".

- أهلًا يا دكتور.

مشيرًا إلى "وليد":

- إزيك يا بطل؟

يومئ "وليد" برأسه بإحراج، فيعلق "حلمي مهران":

- رد على الدكتور يا "وليد".

اندهشت "وعد" من تعليق "حلمي مهران" حال الطفل الذي استجاب لأَبيه:

- كويس...

- طيب أنا ممكن أسيبكوا شويه مع.......

قاطع حديث الدكتور "صلاح" رنين هاتف "وعد"؛ فما انفك "فؤاد" محاولًا الاتصال بها، لاحظ "حلمي مهران" ارتباك وجهها متفهمًا ما يحدث مُزيدًا من توترها قائلًا:

- ماتردي على تليفونك!

- لا، لا مش مهم.

- طيب هاستأذنكوا أنا.

علق الدكتور "صلاح"، ليتدخل "حلمي مهران" معلقًا:

- لا يا دكتور ملوش لزوم "وعد" كانت ماشيه دلوقتي.

أحرجها وتابع ناظرًا في عينيها الضعيفتين.

- تقدري تروحي تشوفي اللي وراكي، وتعدي تاخدي "وليد" وانتي راجعه.

ازداد حرج "وعد" المحدقة إلى "أمنية" التي قالت بدورها:

- طيب أنا كمان هاسيبكوا.

- لسه بدري يا "أمنية".

- معلش عندي شغل متأخر.

- ماشي بس يا ريت تيجي بكره يا "أمنية" محتاج أفهم كل اللي فاتني منك.

بدهاء قالها "حلمي مهران" وهو ينظر إلى "وعد" المنتظرة خروج "أمنية":

- مني أنا؟!

متعجبة علقت "أمنية".

- طبعًا إنتي.

- طيب حاضر أنا كده كده هاجيلكوا بكره.

في كيد قالتها "أمنية" ناظرة إلى "وعد"، ثم تخرج هي الأخري وتلاحقها، ليضحك من الداخل الدكتور "صلاح" ويحرجه "حلمي مهران" قائلًا:

- بتضحك على إيه؟!

بفضول واندهاش يجيب الدكتور "صلاح" بسؤال آخر:

- إنت مين؟

ضحك "حلمي مهران" ضحكة أخافت من حوله عدا ابنه، فهو منه.

- ماتستعجلش على رزقك يا دكتور، هاتعرف كل حاجه، بس يا ريت

تسيبني مع "وليد" شويه.

تفهم الدكتور "صلاح" مشاعره فتركه وخرج إلى الردهة وتطلع فيها على مشهد سينمائي مثير حيث كانت "أمنية" من أمامه على اليسار، بينما "وعد" عن يمينها، يسيران في تحدٍّ وصولًا إلى باب العناية فتفتح كل منهما ضلفة بقوة، وتقفان لحظة متواجهتين، حتى قاطع توعدهما صراخ هذا الطفل على ترولي خارج العناية حيث كانت هناك ممرضة ما تحاول وضع "كانيولا" له في ذراعه بصعوبة، لترتبك "أمنية" وتترك غريمتها وتهرع إليه، خاطفة الإبرة من تلك الممرضة، وتنظر إلى الطفل وتركب له "الكانيولا" في حركة سريعة لم يشعر الطفل فيها بالألم، فشكرتها الممرضة مع نظرات ذهول الدكتور "صلاح" الذي كان يتابع المشهد من بعيد حال "وعد" من أمامه قبل أن يعاود هاتفها الرنين، لتهرب مجيبة بعصبية:

- أيوه يا "فؤاد" مش قلتلك أنا اللي هاتصل بيك؟

- يا "وعد" ما هو أنا مش لعبه.

أجاب "فؤاد" من مكتبه بجانب مساعده حيث كانا يجالسان أحد عملائه:

- لعبة إيه بس! أنا في إيه ولّا في إيه!

تنهدت وتابعت بهدوء:

- "فؤاد" تعالالي دلوقتي المهندسين؟

أغلقت "وعد" الهاتف، وعادت إلى نظراتها القاتلة لـ"أمنية" التي وقفت كملاك حارس لهذا الطفل إلا أنها خطفت هي الأخرى نظرة كيد لا يملكها إلا أسوأ البشر.

***

ظل "حلمي مهران" جالسًا بجانب ابنه على السرير ضامًّا إياه شوقًا، وكأنه رزق به للتو:

- عارف يا "وليد"... أنا كنت علطول شايفك.

- بجد يا بابي؟

- طبعًا مش أنا بابي؟

بحنان قالها وهو يقبل رأسه:

- إنت وحشتني أوي يا بابي، على فكره أنا جبتلك تليفونك.

أخرج "وليد" هاتف والده الذي أمسكه مبتسمًا دون اكتراث قبل أن يضيف الطفل مبتسمًا:

- وحزر فزر جبتلك إيه كمان؟

ارتسمت علامة الأبوة والفضول على "حلمي مهران" ليبتسم "وليد":

- جبتلك خاتم جدو.

أخرج "وليد" هذا الخاتم الذي كان يخبئه طوال هذه المدة في درج خزانته، وترتسم السعادة على وجه "حلمي مهران" ممسكًا بالخاتم الفضي ذي الحجر الكريم الأحمر الساحر:

- هو مش ده خاتم جدو برضه يا بابي؟

تساءل "وليد" في براءة، وإن لم يسمعه "حلمي مهران" فلقد كان أعاده الخاتم لعشرات السنين، مستذكرًا ذلك المشهد المؤلم لطفولته.

***

من داخل صالون منزل "عبد المهيمن" كان الطفل "حلمي" جالسًا يرمق هذا الزائر الذي رآه في هذا اليوم للمرة الأولى، كان الزائر هو "فاروق ناجي" الذي صار حماه الآن في حاضره، أما حينها فلقد كان زميل والده وقد جاء في هذا اليوم لسبب آخر أقلق "حكمت" المتوترة:

- في إيه يا "فاروق" طمني، وفين "عبد المهيمن"؟

لم يعلق "فاروق" المرتدي زيه الميري الذي يعكس زيارته الرسمية، مخرجًا هذه الحقيبة المعدنية التي عرفتها "حكمت" من فورها صارخة:

- هو "عبد المهيمن" حصل له حاجه؟

في هدوء وسكينة نظر "فاروق" في عينيها الدامعة، ليؤكد لها ما شكت فيه:

- جوزك بطل يا "حكمت".

سكت لحظة متألمًا ثم أضاف:

- "عبد المهيمن" استشهد.

ظل الطفل "حلمي مهران" يرمق المشهد في عدم فهم، فرغم قسوة والده في بداية نشأته، إلا أنه كان السبب الحقيقي في خروجه من قوقعته ولعله هو السبب الخفي في شفائه، بل ولقد كان هو أيضًا قدوته ورمز الرجولة الذي حاول تتبعه، وقد كان في حاجة لأن يثبت لوالده مدى كفاءته كما كان أيضًا في حاجة إلى لحظة أبوة، جاهلًا أن "عبد المهيمن" كان قد أدركها بالفعل قبيل موته بساعات قليلة، ولم يسعفه العمر ليجهر بمشاعره لابنه الذي لم يبكِ في تلك اللحظة عند وفاة والده، بل ظل يرمق تلك الحقيبة المعدنية التي جلبها "فاروق" ليمسكها ويفتحها ويجد في مقدمتها هذا الخاتم، الذي لطالما ارتداه والده، فأمسك الطفل "حلمي مهران" بالخاتم واقترب من "فاروق" متجاهلًا بكاء والدته سائلًا "فاروق" بتماسك غريب:

- عمو.. هو أنا ممكن أطلع ظابط زي بابا؟

احتضن "فاروق" الطفل "حلمي" بقوة، جاهشًا بالبكاء أخيرًا، قبل أن يعود من ماضيه إلى الوقت الحاضر بنداء ابنه.

- بابي.. إنت رحت فين!

- ها!.. أنا هنا يا حبيب بابي، قولي بقى يا بطل إنت عايز تطلع إيه لما تكبر يا "وليد"؟

- ظابط طبعًا يا بابا.

***

من داخل أحد مطاعم المهندسين كان "فؤاد" يجلس غاضبًا بعد مناقشة طويلة مع "وعد" وهو ينظر خارج المكان إلى تلك السيارات المتعاركة، حيث كان الزحام سيد الموقف:

- يعني زي ما أهلك دمروني زمان، جوزك بيدمرني تاني دلوقتي؟

- يا "فؤاد" أنا مقدره اللي إنت فيه، وعارفه إني ظلمتك كتير.

بشعور بالمسؤولية والذنب أجابت "وعد" وعلق "فؤاد" بحرقة قلب:

- كفايه بقى.....طيب مكنتيش تظهري، أنا كنت ما صدقت نسيتك وعرفت أعيش حياتي، ليه تظهري تاني!!! ليه تعشميني تاني؟ أنا عمري ما حاولت أستعطفك أو أجري وراكي، أنا اللي كنت بصدك، بس لما ظهرتي تاني....حسيت....حسيت بالحياة، ليه عايزه تاخديها مني تاني؟ أنا المره دي مش هاعرف أرجع...مش هاعرف أنساكي...المره دي أنا هانكسر.

أمسكت "وعد" بيد "فؤاد" بشعور عارم بالذنب:

- أنا حاسه بيك يا "فؤاد" واللي فيا أكتر بكتير، بس أنا مش خاينه.

ترك "فؤاد" يدها دون أن ينظر لها قائلًا:

- هه.. لأ إحنا خونه يا "وعد" وكفرنا بإرادة ربنا كمان.

- طيب وإنت عايزني أعمل إيه دلوقتي يا "فؤاد"؟

سكت "فؤاد" عائدًا إلى شروده خارج زجاج المطعم.

***

من مكان آخر بالقرب من حي "المهندسين" دلف "غانم" متوترًا إلى غرفة مكتبه التي تتمتع بذوق عالٍ، فالجدران جميعها مكسوة بالخشب الذي يعطي دفئًا للمكان، كما أنه بالطبع يعزل الصوت. ظل "غانم" شاردًا يتحرك بين جدران الغرفة المحتوية على ملفات الكثيرين من المظلومين هنا وهناك والذي أفنى شبابه في المرافعة عنهم، وإن خسر أغلب قضاياه، ولكن هذة القضية التي تحيره الآن كانت أكثرها خصوصية فهي قضية خطيبته المثيرة "ماجي"، والتي حاول كثيرًا الوصول إلى قلبها، وولكنها لم تكن أبدًا هدفًا سهلًا، إذ لم يكن هناك من يستطيع جذب انتباهها أو نيل إعجابها بسهولة، فلقد كانت هي من تمتلك مفاتيح قلوب الرجال وتلعب على غرائزهم دون

أن تعطي أيًا منهم مفتاح قلبها خاصة بعدما كسر الرجال قلبها في الماضي، أما الآن فهي قابعة في محبسها تنظر إلى حوائط سجنها التي ابتلعت سنين الكثيرين من قبلها الذين عاشوا في داخلها على الذكريات لتحمل تلك الجدران ذنب حبسهم، وتزيد أعمارهم من هموم شيخوختها فتصبح تلك الجدران أقدم من الدهر، وتعكس أقبح ما في التاريخ من شهور وسنين. كانت "ماجي" تشعر بتلك المشاعر المتناقضة، فجسدها لا يزال يرفض الدفن حيًا في هذه المقبرة، مفضلًا الحكم القادم بسلام لتعبر روحها إلى السماء، إلا أن غريزتها في البقاء كانت قد أحبت هذا المسكن مفضلة إياه على الفناء، هروبًا من اللقاء وساعة الحساب، رهبة من الخالق، فكلما استسلمت للموت، هابت لقاء ربها، فرغم يقينها برحمته، إلا أن رجال دينها كانوا قد أرهبوها من لحظة اللقاء، لتتمنى لو لم تُخلق من البداية، متأكدة من عدم استعدادها للمواجهة، ناسية أن حالها حال الجميع، غير جاهزين لهذا اللقاء ولو عاشوا آلاف السنين، إلا من رحم ربي.

ترفع "ماجي" يدها للسماء للمرة الأولى منذ عقود، فتفرح ملائكة الرحمن متفهمين الرسالة للتو.

***

من ممر المباحث دخل الرائد "هشام" وسط تهليل ومباركات الجميع، على رفض القضاء تلاعب المحامي "غانم" بطلب التأجيل، لتكون تلك القضية من القضايا التي سيُحكم فيها بسرعة فائقة نظرًا لضغط الرأي العام، وتصبح بمثابة وسام على صدر الرائد "هشام" المنتقل إلى المباحث العامة على أثر تلك القضية.

حيا "هشام" كل المباركين ببرود دون أي فخر، حتى وصل إلى غرفته المكتوب عليها اسمه ورتبته، فيستقبله من داخلها مساعده الجالس على مكتبه المتواضع قديم الطراز، حال غرفته ذات الأرضية البورسلين الباردة، ومفروشات الثمانينيات. قذف الرائد "هشام" مساعده المحضر "فريد" النحيف بنظرة غضب أصابته كالسهم، ليقف الأخير محييًا مديره:

- كده يا "هشام" بيه تخليني أعرف من الغريب؟ عمومًا ألف مليون مبروك، وعقبال كل قضاياك.

- إطلع برا.

بجدية قالها "هشام" متوجهًا إلى مكتبه ليجلس مكانه بعدما تركه "فريد" الذي ظل واقفًا للحظات:

- بقولك إطلع برا وخد الباب وراك.

توتر "فريد" وخرج مندهشًا، بينما أشعل "هشام" سيجارة نفث مع دخانها بعض همومه، ثم التقط هاتفه باحثًا عن صورة حبيبته السابقة "ماجي" التي أوصلها لتوه إلى حبل المشنقة بيديه! لحظات من تأنيب الضمير أضعفت همته، حيث شعر أنه ربما يكون قد تحامل عليها، متذكرًا تلك النظرة التي رمته بها عندما اكتشفت أنه هو من سيتولى قضيتها، لتشعر بأمل حطمه بحرقته، فهو يحبها بالفعل، ولم يتقبل ابتعادها، وإن لم يقدم لها البدائل لتبقى. مشاعر متوهجة داهمته، فهل سيتقبل فراقها البعيد وأن يتم إعدام تلك المرأة المثيرة التي أحب كل من أبصرها الحياة؟! لم تعد القضية عتابًا، بل إنها صارت حياة أو موتًا، ورغم أن كل الدلائل كانت تدين "ماجي" إلا أن كبرياء قلبه رفض أن تكون كاذبة في استعطافها له، وأنها كانت حتى هذه اللحظة قادرة على خداعه.

قطع شرود الرائد "هشام" رنين هاتفه الذي فاجأه، خاصة مع اسم المتصل الذي لم يتوقعه أبدًا، فلقد كان الاتصال باسم المقدم "حلمي مهران"!

- آلو.

مندهشًا أجاب الرائد "هشام" في فضول بينما كان "حلمي مهران" في غرفة العناية يمسك هاتفه ببرود وهو ينظر إلى تلك التغييرات في ملامحه، ويظل الرائد "هشام" يناديه عبر الهاتف، فيجيب "حلمي مهران" أخيرًا ببرود وهدوء شديد:

- مش "ماجي" يا "هشام".

ظهر الانفعال والفضول على الرائد "هشام" الذي نهض صائحًا:

- بتقول إيه يا "حلمي"؟!

لامس "حلمي مهران" ببرود تلك الندبة التي على جبينه أثر الحادث، ثم نظر إلى ابنه الجالس على سريره مبتسمًا، ثم قال بقوة باردة:

- مش "ماجي" اللي قتلت "أدهم".

قالها بذكاء كنت أعهده منه، لأبتسم (أنا) محييًا هذا القدر من الذكاء، ولكن هل كان "حلمي مهران" يعلم حقيقة الحادي والثلاثين من تشرين الأول الماضي، أم أنه خاطئ؟ وهل سيستطيع أن يوقفني عن استكمال ما بدأته عندما تشير العقارب إلى الحادي والثلاثين من تشرين الأول القادم، أم لعله يهرب مني مجددًا؟!!! فكما ذكرت أنا منه وهو مني، فكلانا يسري في عروقه نفس الدماء التي تحمل جينات أجدادنا عبر العصور، تلك الجينات التي تشكل خبرات ماضينا وهوية مستقبلنا! أم أنّ هذا هو إيماني وعقيدتي (أنا)!

تركت (أنا) صورة "حلمي مهران" على تلك المنضدة الخشبية المتهالكة داخل قبوي المقدس، متوجهًا إلى هذا القفص الزجاجي، مدخلًا يديَّ بقفازي الجلدي لأمسك بتلك الكوبرا المصرية، لأخرجها من محبسها، لأنظر إليها مبجلًا، فطالما كانت من تحمي عرشي منذ العهد القديم، ثم استخرجت (أنا) من بين أنيابها هذا السم المقدس في كوب زجاجي صغير قبل أن أعيدها إلى جحرها الذي سجنت فيه هذا الأرنب الخائف، لحظات من الانتظار سمعت فيها صوت نبضات قلبه تتسارع، قبل أن تنفذ فيه الكوبرا حكم الإعدام، ويهدأ قلب المسكين تمامًا داخل أحشائها بعد أن ابتلعته شيئًا فشيئًا، ليتلاشى ضعفه من هذا الوجود الذي خُلق للأقوياء، فأما أن تكون ذاك الأرنب وتلك الكوبرا بتلك الحياة الظالمة! لأشاهد (أنا) جسد تلك الكوبرا وهو يتمطّط مخلدًا الأرنب من على جلده الملون، لأنحني (أنا) إليها، وأبدأ في طلاء خنجري البارد المتعطش إلى دفء الدماء!

فلقد حانت الساعة وجاء وقت الحساب، ولكن فقط في الحادي

والثلاثين من تشرين الأول، فلا يزال الجميع يجهل سر أمنيتي الأخيرة!!

***

(36)

في التسعينيات ومن داخل مدرسة الطفل "حلمي" كان هو في فصله يجلس في الصف الأمامي وحده منبوذًا؛ حيث بدأ الجميع ينفر من ذكائه الذي ظهر عليه فجأة، بعدما اكتشف الجميع أن تأخر قدراته التعليمية لم يكن إلا لذكائه الحاد، وليس "توحدًا" كما ظن الجميع، فلم تتقبل مجتمعاتنا أي اختلاف، بل ولم تتفهم المختلفين الذين سُموا أحيانًا بالمتخلفين!

كان الفصل لمدرسة لغات، به ثلاثون طالبًا، علقت سبُّورة سوداء كتب عليها بعض المسائل الرقمية بالإنجليزية ومن أمامها مدرسة ثلاثينية حسناء تنتظر إجابة طلابها على المسألة، بينما كان الطفل "حلمي" هو الطالب الوحيد الذي يعرف الإجابة؛ لذلك ظل رافعًا يده في تحدٍّ لزملائه الذين ظهرت عليهم الغَيرة والاستياء.

- ها يا ولاد.. محدش عارف الإجابه برضه غير "حلمي"؟

تساءلت المدرسة وساد الصمت، وتشير إلى الطفل "حلمي" يائسة:

- طيب إتفضل إنت يا "حلمي".

وقف الطفل "حلمي" بشموخ مجيبًا بإنجليزية:

- 124.

- شاطر يا "حلمي" طيب تاني مسأله..

بتنهيدة متوقعة قالتها المدرسة، بينما ظل الطفل "حلمي" رافعًا يده، وهو واقف لتتخيل المدرسة أنه يسأل عن شيء ما.

- نعم يا "حلمي"؟

- 349

- أفندم!

باندهاش قالتها فيوضح الطفل "حلمي":

- الحل 349.

- ها آه...آه صح برافو يا "حلمي" برافو.

ظلت المدرسة في حالة اندهاش لحظات قبل أن يقاطع صمتها صوت طرق الباب، لتتجه إليه وتفتحه في حالة من الشرود وتجد القادم هي "حكمت" والدة الطفل "حلمي" بدت نظرات السخرية على زملائه، بينما نظرت "حكمت" إلى ابنها نظرة حنان وقالت للمدرسة:

- معلش يا فندم آسفة، أنا "حكمت" مامت "حلمي" ممكن آخد من وقتك ثواني؟

- آه طبعًا يا فندم تحت أمرك... مش عايزة صوت يا ولاد أنا برا الباب.

كانت "حكمت" تتابع تقدم ابنها بنفسها بين الحين والآخر في ترقب لأي تدهور أو تغير، لتفاجئها المدرسة بتطور الطفل النابغة "حلمي" بينما من الداخل كانت الضحكات تتعالى انتقامًا من ذكاء هذا الطفل الغريب، في عدم تقبل للآخر، وانعكاس لطريقة تربيتهم، ليزيدوا هم من نهره بتنمر واضح، حتى بدأوا في إلقاء بعض الأوراق عليه من الخلف ويكتم غيظه غِلًّا وضعفًا إلى أن تتزايد تلك الأوراق ومن ثم صاحبتها بعض الأقلام المتطايرة لتؤلمه، وهنا يلتفت الطفل "حلمي" إليهم ووقف تاركًا مكانه في محاولة يائسة منه لمواجهة جهلهم، متحركًا ناحيتهم في رباطة جأش حاول استجماعها قبل أن يعرقله أحد زملائه بقدمه، ليقع أرضًا، وتصطدم رأسه ذلًّا بالأرض، ليتهافت المتنمرون عليه غِلًّا ونقصًا، ينهالون عليه ضربًا وشماتة، ذرفت عيناه الدمع بين أقدام زملائه الحاقدين حتى وجد بينهم ضالته!

تلك الأقدام الصغيرة لطيفي (أنا)، صديقه الوفي الذي لطالما ساند ضعفه، ويشرد صديقي "حلمي" الدامع في النظر إلى طيفي، الذي هرب فيه منطويًا عن الجميع، وإن كان يظن أني مجرد وهم غير ملم بالواقع، فلقد كنت الحقيقة الوحيدة في حياته!

***

استيقظ "حلمي مهران" من كابوسه الذي ذكَّره بماضيه مذعورًا عند الفجر، من داخل غرفته بالعناية المظلمة، ليظل ينظر يمينه ويساره

باحثًا عني عله يجد طيفي هاهنا في المكان، ومن ثم يلاحظ تلك الحركة خارج نافذة الغرفة، ويقف ويترك سريره في حزم مقررًا شيئًا ما!!

بينما كان الدكتور "صلاح" في غرفة مكتبه الرئيسية بقبو المستشفى والتي كانت منفذه الخاص الذي يهرب إليه من العمل، فلم تكن له أي حياة اجتماعية منذ الأمد البعيد! فهو وحيد لا يبالي إلا بعمله الذي صار فيه من أهم الجراحين في المنطقة، والأهم في تلك المستشفى الساكنة على ضفاف النيل، وهو من يعرف كل أسرارها؛ لذا سخر له المالك كل ما يبتغي، ليؤسس في قبوها هذا المكان الخاص جدًّا المحتوي على الكثير والكثير من الكتب، ليست غالبيتها طبية، بل أدبية وتاريخية، منها الأبحاث ومنها الورقيات النادرة، فلقد كان قارئًا نهمًا، وقد ساهمت تلك الكتب والأبحاث النادرة في تكوين ديكور عتيق يشبه غرف حفظ السجلات القديمة التي لا يفتأ العالم يبحث عنها. كان الدكتور "صلاح" منهمكًا في قراءة رواية ما!! تساعده موسيقى مخيفة في المكان، حتي تمكن منه الإرهاق في الساعات الباكرة من الصباح، فأغلق الرواية وتوقفت الموسيقى في الحال، وقام تاركًا المكان وخرج منه عن طريق هذا الباب الساحر إلى ردهة عُلقت فيها صورة زيتية له، صعد إلى المصعد ومنه خرج إلى غرفة مكتبه العلوية الصغيرة المتواجدة في الطابق الثالث بجانب غرفة المرضى، خلع معطفه الطبي واقترب من مكتبه، نادته شاشة حاسوب عن يساره، فحرك الفأرة لتضيء الشاشة التي تراقب عنبر العناية المركزة، ويلاحظ عدم وجود "حلمي مهران"، فانتفض فجأة واتجه بسرعة إلى طابق العناية المركزة ببطءٍ بسبب علة قدمه التي أذلت حركته وقيدتها، فلم تساعده قدمه المعدنية أن تجاري قلقه، شعر بعجزه للحظة دمعت فيها عيناه، ثم تذكر ما وهبه الخالق من هبات ليتماسك ويكمل طريقه - رغم ألمه - إلى غرفة "حلمي مهران"، لاحظت الممرضات توتره حتى وصل إلى الغرفة فاتحًا إياها بسرعة، ودخل فهاجمته تلك الرياح الساخطة، لتتطاير ملابسه وتظهر ملامح الدهشة على وجهه!

***

من معيشة فيلا "حلمي مهران" كانت "وعد" جالسة على أريكتها والإرهاق قد تغلبها بعد تلك الأيام العصيبة التي هرب فيها النوم من عينيها، فتحيطها الهالات السوداء أسفل عينيها وجفنيها، بعد هذه الحيرة التي تملكتها، فلقد تغيرت كل خططها فجأة، لتظل تتساءل في نفسها عن حكمة الخالق، فهي تعلم أنه لا مجال لمثل هذه الصدف إلا في الروايات الضعيفة؛ لذا ظلت تبحث في خيالها عن مسببات لتلك الأحداث التي تمر بها، فإن كان اختبارًا من ربها فهي لا تزال تجهل الإجابة الصحيحة، فإن تركت زوجها في مثل تلك الظروف فستكون ناشزًا في نظر المجتمع والناس، وإن كان الأهم نظرتها هي لنفسها، فهي ابنة اللواء "فاروق" الذي أحبت فيه عدله الفاروق، ولم تكن تستطيع التخلي عن زوجها في مرضه، إذ طالما كانت تلوم نفسها على طلبها الطلاق من زوجها بعد وفاة والدته بأيام قليلة، حيث شعرت بظلمها له، متمنية أن يمهلها الخالق لتعطي والد ابنها الوحيد الفرصة ليتعافى أولًا، ولكن غيبوبة "حلمي مهران" ويأس الأطباء، جعلاها تشعر بأمل مصحوب بألم، لتنسى ماضيها وتبدأ أخيرًا في تخطيط مستقبلها على حاضر جهلت حقيقته، أنها الآن حائرة، فإن لم تخن زوجها، فلن تستطيع الإخلاص له بعد، ستظلمه إن تابعت حياتها متجاهلة الواقع، إذ يكن زوجها أبدًا ما تصبو إليه، خاصة بعدما وجدت ضالتها مرة أخرى، فلقد وعدت زوجها يومًا بعقلها ووعدت "فؤاد" يومًا بقلبها، لتظل "وعد" حائرة أي وعد منهما تنكث! وأي وعد منهما سيلبيه جسدها! جاهلة أنها ستحتاج لثلاثتهم في أي علاقة منهما، قلبها وعقلها مع جسدها الضعيف، لتتساءل: لِمَ يحتاج المرء للاختيار؟ ظلت الأسئلة تتعاظم، لتجد "وعد" أن الوقت قد تعدى الفجر، فتنهض متوجهة إلى غرفتها، قبل أن تفقدها حيرتها توازنها، وتسقط "وعد" تعبًا، لتصطدم رأسها بالمنضدة الخشبية التي تتوسط المكان، وتهوي أرضًا وسط دمائها التائهة.

***

هدأ الدكتور "صلاح" نسبيًا عندما رأى "حلمي مهران" في الغرفة

وإن كان الأخير واقفًا عند النافذة المفتوحة في جرأة غريبة، متحديًا برودة الشتاء، بملابس المستشفى الخفيفة، اقترب منه وأغلق النافذة في تعجب:

- إنت عايز تموت نفسك!!!

ظل "حلمي مهران" يرمقه ببرود مستفز:

- يعني هايحصل إيه؟

- إنت جسمك لسه ضعيف ما يستحملش.

بهدوء نسبي أجاب الدكتور "صلاح"، ليكمل "حلمي مهران" بتحدٍّ:

- ماجاوبتنيش!

- ممكن يحصل مضاعفات.

- وبعد المضاعفات هايحصل إيه؟ هاموت؟!!

سكت لحظة ثم تابع:

- ما أنا كنت ميت يا دكتور ولّا نسيت!

***

من أتيليه "فؤاد" كان جالسًا على كرسيه ينظر خارج النافذة التي بدأت تشير إلى أول خيط للصباح، ظل شاردًا هو الآخر في حظ قلبه الذي علقه بتلك الأميرة صعبة المنال، شعر بتضارب في المشاعر، فلقد كان يشعر لوهلة أنه يسرق من "حلمي مهران" زوجته، ولكنه تذكر أنه لم يكن الجاني بل المجني عليه! لينظر إلى تمثال "وعد" الذي صنعه لها، تذكر هؤلاء الذين كانوا يصنعون التماثيل ومن يعبدونها، ليشعر بألم وضعف وهوان من ركوعه لمثل هذا التمثال، تحرك في رفض ضعيف، إلى حائط علق فيه الكثير من الصور، فشرد في صورة منهم لوالده، متذكرًا ما حاول أن ينساه، فمنذ سنوات طويلة كانا معًا في منزل والدي "وعد"، عندما طلبها للزواج للمرة الأولى بعدما أنهى الجامعة، وقبل شهور من معرفتها بـ"حلمي مهران"، فلقد كان "فؤاد" و"وعد" سويًّا في كلية الفنون الجميلة، إلا أنه كان

يكبرها بسنتين ليكون هو هذا الفنان الذي تمنته "وعد" في البداية، ليلعب دور المساعد والناصح وبدأت تمني نفسها أنه فارس أحلامها لتفسح له في فؤادها متسعًا كبيرًا ملأه مداعبًا عواطفها يعيش معها في خيالها، وليمتلك بسرعة قلبها، من داخل تلك البيئة الفنية الخصبة التي درسوا فيها، حتى أنهى دراسته وجاء اليوم ليخطبها، بعدما وافقت والدتها "إيمان" على لقائهما في المنزل مع والده، لبي "فؤاد" الدعوة وذهب مع والده لزيارة "فاروق" والد "وعد" في منزله بالزمالك، إلا أن والد "وعد" لم يخرج لمقابلتهما في ذلك اليوم في البداية؛ الأمر الذي بدأ يوتر "فؤاد" ووالده فسأل الأم "إيمان" قائلًا:

- طيب تحبوا نيجي وقت تاني يكون "فاروق" بيه فاضي فيه؟

- لا أبدًا أبدًا أنا هاخش أستعجله.

- إتفضلي يا هانم.

دلفت الأم إلى الداخل بينما شعر والد "فؤاد" للتو بافتقاده لزوجته المتوفاة في هذه اللحظة من داخل شقة "فاروق" الكلاسيكية بالزمالك، التي عكست مستوى اجتماعيًا مرتفعًا إلى حد كبير، ويلوم الأب ابنه:

- هي دي الست اللي قالتلك تيجي البيت؟ ده شكل الراجل لا موافق ولا نيله، وإنت جايبني هنا تهزأني!!

- يا بابا، طنط "إيمان" هي اللي قالتلي نيجي والله العظيم، وأنا من إمتى بكدب على حضرتك؟

- مش عارف يا بني أنا قلبي مش متطمن.

- لا يا حاج ماتخافش، ماعاش ولا كان اللي يزعلك.

قاطعت حديثهما "وعد" التي دخلت متألقة بصينية مشروبات في حياء، ليقف الأب قائلًا:

- بسم الله ما شاء الله!!

- أهلًا يا أنكل.

بحياء أنثوي قالتها، ويبتسم الأب:

- لا ده أنا كده أولى بالعروسه منك يا واد يا "فؤاد".

- لا يا بابا معلش اللي سبق.

ضحكت "وعد" من المداعبة اللطيفة وجلست قبل أن تخرج عليهم الأم ومن خلفها زوجها "فاروق" الذي ظهر عليه عدم الترحيب، فلقد خرج مرتديًا قميصًا وبنطالًا بسيطين دون أي تكلف، وقف "فؤاد" ووالده محييًا ثم اتجه إلى ابنته بالحديث أولًا:

- خشي انتي جوا يا "وعد".

اندهشت "وعد" وأحرجت لتحاول أمها تخفيف حدة الحوار قائلة:

- معلش يا حبيبتي خلي الكبار ياخدوا راحتهم.

دخلت "وعد" بعد خطف نظرة مودة قلقة إلى "فؤاد" الذي كان يشعر بالتوتر هو الآخر:

- أهلًا يا "فاروق" بيه، معلش عملنالك إزعاج.

- أبدًا يا فندم إتفضل استريح، أهلًا يا "فؤاد" اقعد يا بني ماتتكسفش.

جلس الجميع في راحة مؤقتة، ثم بدأ والد "فؤاد" الحديث:

- والله إحنا سعداء جدًا بمقابلتك يا فندم، وأكيد حضرتك عارف إحنا عشمانين في إيه.

- طبعًا عارف يا فندم، بس زي ما "فؤاد" كان بيقول اللي سبق كل النبأ.

- يعني إيه!!

قالها "فؤاد" الذي عاد من ذاكرته للتو للحظات في مرسمه، عندما لامس وجهه أشعة شمس الصباح، ليتحرك ناحية النافذة ويغلق الستار، ومن ثم خطى ناحية تمثال "وعد" وتذكر ما حاول مرارًا نسيانه، عندما قال "فاروق" لوالده تلك الجملة:

- مهر "وعد" مدفوع من زمان جدًا.

كانت الكلمة حينذاك صادمة، ليعلق "فؤاد" مستفهمًا:

- مش فاهم!

- هافهمك.. في التسعينيات وأنا لسه في شبابي ظهر في مصر المتاجره بإسم الدين واللي طلع منه الإرهاب.

- الله ما يعيدها أيام.

علقّ والد "فؤاد" وتابع "فاروق":

- ساعتها أنا كنت من قوات الأمن المركزي، وكنا بننزل ندافع عن البلد بأرواحنا واستشهد مننا كتير.

ظهر الألم على "إيمان" وهي تربت على رجل زوجها الذي أكمل:

- وفي يوم اضرب عليا نار وكنت متحاصر في مصر القديمه، ذخيرتي كانت خلصانه وكنت أعتبر ميت، وده كان بعد أيام قليله من ولادة إبني.....أخو "وعد" الصغير.

ظهر التألم على "فاروق" وتابع:

- لولا أخويا وصاحب عمري، "عبد المهيمن"، اللي كان عارف ظروفي وعارف إني لسه ماشوفتش إبني، "عبد المهيمن" قطع خط النار وحاول يدافع عني، بس للأسف استشهد مكاني، عشان أعيش أنا وأربي إبني وبنتي وأقدر أقابلكوا النهارده.

تعاطف والد "فؤاد" للحديث قائلًا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، راجل أصيل وجدع والله، يا ريت الواحد عنده صاحب زي ده.

- بس يا عمي يعني أنا مش فاهم ده إيه علاقته بينا؟!

تساءل "فؤاد".

- هافهمك يا "فؤاد" ماتستعجلش، "عبد المهيمن" وصاني على إبنه قبل ما يموت.

- وهي دي محتاجه توصيه؟

علق والد "فؤاد"، وآسهب "فاروق" شارحًا:

- بالظبط كده يا فندم، و"حلمي" إبن المرحوم "عبد المهيمن" اتقدم لـ"وعد" وطبعًا زي ما قلتلك أنا اعتبرت إن المهر مدفوع من سنين طويله.

صُدمت "إيمان" لتوها، فلم تفهم مقصده إلا الأن، لتنظر أرضًا هروبًا من نظرات "فؤاد" ووالده الذي تفهم الرفض.

- مفهوم، مفهوم يا فندم.

- بس يا عمي ده...

- "فؤاد"... اسكت خالص دلوقتي.

قالها الأب بحزم، ونظر إلى ابنه بقوة، ليسكت تمامًا ويتابع والده الذي وقف هو في حالة من التفهم ليكمل حديثه:

- "فاروق" بيه، أنا حقيقي محظوظ إني قابلتك، وأنا كنت عارف إن في أسباب كتير تمنع طلبي ده.

سكت الأب الذي كان يعلم أن اختلافات الآباء ستنعكس على الأبناء!

- وشاكر إن حضرتك اخترت السبب ده بس عشان توصلي رغبتك، وصدقني إحنا نعرف الأصول، و"وعد" من النهارده في عنيا أنا زي بنتي، ولـ"فؤاد" زي أخته مش أكتر.

اختلس "فؤاد" نظرة إلى "وعد" التي كانت تتصنت، وهي تقف من الداخل مستندة إلى الحائط في حالة من التألم، قبل أن تجثو على ركبتيها أرضًا في استسلام دامعة لا حول لها ولا قوة، فلقد كان الأب هو الآمر الناهي في هذه الأسرة، ليقف "فؤاد" هو الآخر لحظة قبل أن يدفعه والده في التقدم ناحية الباب الخارجي، ليخرج "فؤاد" عائدًا إلى الواقع من أمام تمثال "وعد" ليمسك بملاءة قماشية كانت على كرسيه ويغطيه بها، رافضًا النظر داخل عيون حبيبته التي صنع تمثالها بيديه وعبده بقلبه، حال أهل الجاهلية!

***

من فيلا "حلمي مهران" بالطابق الأرضي استيقظت الخادمة وبدأت يومها المعتاد بفتح الستائر ليدخل ضوء الصباح في سعادة، ثم توجهت إلى الطابق العلوي لتوقظ "وليد"، فصعدت السلم وتوجهت إلى تلك الغرفة عن يسارها قبل أن يلكزه نظرها الإضاءة التي لا تزال تعمل منذ أمس، وغيرت مسارها في غضب من تبذير "وعد" ومن ثم اصطدمت بجسد الأخيرة المستلقية أرضًا تنزف الدماء، لتصرخ هلعًا من هول ما رأت!!

***

جلس "حلمي مهران" على سريره من أمام الدكتور "صلاح" بغرفته ليبدأ الحديث.

- هو إنت مهتم بيا كده ليه يا دكتور؟ في فضول في عنيك ملوش علاقه بالطب.

في لمحة إنسانية نادرة أجاب الدكتور "صلاح":

- كالعاده بتفاجئني، وشكلي مش هاعرف ألف وادور معاك....... هاقولك..... فاكر مسلسل "رأفت الهجان"؟

- طبعًا، ده أنا كنت بغيب من المدرسه عشان أسهر عليه.

- يبقى فاكر الفنان العظيم "محمد وفيق" ودوره في المسلسل.

- فهمتك.

قالها "حلمي مهران" بدهاء، فتعجب الدكتور "صلاح".

- بس أنا لسه ماقولتش حاجه.

- مش محتاج تقول، "محمد وفيق" كان عايش مع شخصيه لمدة شهور كتير من غير ما يشوفها.

- صح.

- بس "رأفت الهجان" مات..... لكن أنا صحيت.

- بالظبط كده.

***

غير الرائد "هشام" مساره وتوجه إلى مكتبه أولًا بعد هذه المكالمة التي أقلقته من مساعده ومحضره "فريد"، ليصل متوترًا ويدخل ليجده جالسًا على مكتبه كالمعتاد.

- في إيه يا بني آدم؟

- صباح الخير يا باشتنا.

وقف "فريد" محييًا رئيسه، ليتابع "هشام" بعصبية:

- بقولك في إيه؟

- يا كبير معرفش، في لواءات كتير جت الصبح لـ"فاروق" باشا، وفي الآخر هو طلب إني أندهلك.

ببلاهة علق "فريد"، ليتودد "هشام" إليه قائلًا:

- يعني ما تعرفش إيه الموضوع؟

- وهاعرف منين يا باشتنا؟

- "فريد"!!!

بحزم قالها الرائد "هشام" ممسكًا "فريد" من قميصه الذي اعترف فجأة ببلاهته المعهودة:

- أعرف طبعًا يا باشا ده أنا "فريد" الفريد أمال إيه.

***

(35)

كائن مخيف يتحرك وسط الظلام في هدوء مريب، متأهبًا ينتظر فريسته الخاطية، أنفاسه حارة تكاد تحرق المكان، إلا أن سيده أمره بالانتظار، ليجلس بجسده المهجن من الأسد والنمر ورأس التمساح، ليتابع القاضي عمله، من داخل تلك المحاكمة التي عُقدت أعلى السحاب. كان القاضي أسود البشرة يرتدي الفرو الأبيض، برأس "كلب" مخيف، دنا منه المتوفى ليكون متأهبًا للحساب ليخرج القاضي قلبه ويزنه أمام ريشة للنعام، ليتذكر الميت عهوده، فهل اشتهى زوجة جاره أو لوث ماء النيل؟! ظل شريط حياته يمر، لينظر إلى عهوده الأربعين، بينما ظل هذا "البعبع" المخيف يلهث بجانبه ينتظر النتيجة، فهل سيلتهمه أم سيُبعث الميت من الجديد إذا خف قلبه عن تلك الريشة!

- "وليييييد".

قالها الجد "فاروق" لحفيده الشارد في تلك الرؤيا الفرعونية البشعة التي تخيلها الفتى للتو، جاهلًا حقيقة تلك الأسطورة، ليفقد الفتى صوابه ويضمه الجد مفزوعًا على شرود حفيده، بينما تابع المسعفون عملهم في متابعة حالة "وعد" المستلقية أرضًا وبجانبها أمها "إيمان" الجاثية على ركبتيها تبكي بجانب ابنتها، بينما ظل ابنها شاردًا في خياله، لا يعرف إن كانت الأم قد ذهبت إلى حيث سبقتها "حكمت" في العام الماضي، أم هي فقط غائبة عن الوعي، مثلها مثل والده الذي عاد من الموت، حيث كان "وليد" ينتظر أن يعرف منه الحقيقة، تلك الحقيقة التي حاول عقله البريء الوصول إليها دون فائدة، فعقله الصغير لا يستطيع استيعاب الحدث، فمنذ سكون جدته "حكمت" العام الماضي، وهو لا يستطيع إدراك الحدث، فلقد كان هذا هو حادث الموت الأول الذي واجهه في حياته ليعرف فيه أن الإنسان فانٍ، حقيقة مفزعة لأي طفل، تخلو من المنطق، فلقد تعلم "وليد" كلمة "موت" فقط من خلال ألعاب الفيديو التي تتكرر فيها تلك الكلمة، حين يموت أبطال اللعبة قبل أن يبعثوا فيها من جديد بإشارة بسيطة من اللاعب، خالية من أي شجن أو خوف، وتخسر هيبتها أمام

الصغار، ظل "وليد" عند وفاة جدته يحاول الاستفهام عما يحدث حقًّا، فأين يذهب المتوفى؟!! فيكتشف أن هذا هو أعظم سؤال في تاريخ البشرية الذي يختلف في إجابته الجميع، ولو لم يختلفوا لتوحد الدين في شتى ربوع العالم، إلا أنها تظل تكهنات، لا يستطيع أي منا إثباتها، وإن دافع كل منا باستماتة عن صحة رؤيته التي ورثها من أجداده، وكأنهم لم يختلفوا بدورهم، بل وتقاتلوا، وتحاربوا دون أن يرى أي منهم الحق، فالكل يجتهد ويدافع عن يقين إيمانه، تعجب "وليد" من ردود الجميع، فأين ذهبت جدته؟! ولمَ قد تكون في الجنة؟ ولمَ قد تُعذب في الجحيم؟ الجحيم الذي لم يدرك بكل خيالاته مدى قبحه، ليحاول جاهدًا تخيل ما هو أسوأ، ويبدأ لتوه في تكوين صور قميئة محاولًا إدراك ذلك المكان الذي يهابه الجميع، وإن ظل يتساءل: لِمَ يخلق ربه مثل هذ القبح بعدما عرَّفه له الجميع بالجمال والمحبة؟! ليهربوا بعد ذلك عن إجابته بوصف الجنة، في محاولة لخلق اتزان كاذب في عقله، ولكنه ظل ببراءة يريد التأكد مما سيحدث، فإن أصدقاءه المسيحيين في الدراسة لم يقرؤوا ما وصفته له والدته "وعد" ليزداد اندهاشه، فمثل تلك الأمور لا تتحمل الاختلاف، ويتوجب على البشرية حسمها، ليعلم كل منا الحقيقة، فهل سنتبخر دون حساب، أم سيدفع كل منا فاتورة أفعاله؟! ولكن أي عملة سنحاسب بها؟ فلكل دين حساباته، فالمسيحية التي طُلقت وذهبت لتتزوج مدنيًّا هي زانية وخاطئة في المسيحية، وإن لم تلُمها بقية الأديان، حال المسلم الذي جمع زوجتين، سيظل خاطيًا في جميع المذاهب الأخرى! أسئلة بدأت تتراكم في عقل "وليد" واجهتها الأم بجهل، هاربة منها بوضع الكثير من الأسوار العالية لحجب رؤية الابن، ليسير مثل الجميع، حيوانًا ناطقًا يهرب من السؤال، جاهلًا الحقيقة التي لا يعرفها الجميع، بعدما قتلوا فطرة فضوله وحبه للاستطلاع ففقد اليقين الذي بحث عنه الجميع منذ فجر التاريخ، فحتى أجداده، حاولوا رسم صورة للحساب، استمرت في الحضارة المصرية القديمة لآلاف السنين ومنها عرفنا من هو "البعبع"، فكما تخيل "دانتي" صورة للجحيم، رسم المصريون القدماء صورة أكثر وضوحًا للحساب، عندما يقدم الميت للمحاسبة من أمام "أنوبس" إله الموت ذي رأس الكلب المخيف، الذي يحدد

من يُبعث مرة أخرى ومن يُترك إلى "أمت" آكلة الموتى الشهيرة بـ"البعبع"، هذا الوحش الهجين الذي يدمج رأس التمساح، في جسد دمج بين الأسد والنمر، تلك الهيئة المخيفة التي ابتكرها المصريون القدماء ورسمت منها الأديان صورة الجنة والجحيم، ليظل الجميع جاهلين الحقيقة.

- "ولييد"!!!

كررها الجد ممسكًا جسد الابن الذي انتبه أخيرًا إلى جده الذي تابع:

- ماتخافش يا حبيبي ماما هاتبقى كويسه.

ظل "وليد" ينظر إلى جسد أمه الذي حمله المسعفون على الترولي، لينزلوا به إلى السيارة، ليجثو الجد بجانب حفيده قائلًا:

- إحنا هانروح المستشفى نطمن بس على ماما ونيجي ناخدك، وخليك هنا مع خالك ماتخافش.

- بس أنا عايز بابا.

- حاضر بكره هاتشوف بابا وماما.

قالها الجد بابتسامة استطاعت حجب الكثير من الخوف، فلقد كان الرجل محترفًا في إدارة الأزمات، عكس زوجته التي كادت تفقد النطق، وهي تهرول على السلالم خلف ابنتها وصولًا إلى سيارة الإسعاف ومن خلفها اللواء "فاروق" الذي ترك حفيده وسط خاله والخادمة. وضع المسعفون "وعد" داخل السيارة مسرعين وبدأت في الحركة بينما تابعهم من خلفهم في توتر اللواء "فاروق" وزوجته بسيارته البيجو الحديثة، بدأت "إيمان" أخيرًا في عتابها:

- تفتكر إحنا السبب في اللي هي وصلت ليه ده يا "فاروق"؟

لم يُجب اللواء "فاروق" في البداية، لتظل "إيمان" تعاتبه حتى نطق بحدة:

- ده قضاء ربنا يا "إيمان".

- بس إحنا كسرناها يا "فاروق"، أنا فاكره كويس.

قالتها الأم وهي تتذكر ذلك اليوم الذي كانت تبكي فيه "وعد" حرقة على رفض والدها لحبيبها الأول "فؤاد" عندما كانت تجلس في غرفتها بالزمالك لتحاول "إيمان" حينذاك تهدئتها قائلة:

- خلاص بقى يا "وعد" مش نهاية العالم.

- طيب فهميني ليه قولتيلي أخليهم يجيوا يا ماما؟ عشان نهزأهم!

محتضنة ابنتها قالت "إيمان" حينذاك:

- يا "وعد" محدش فينا بيفهم دماغ أبوكي إنتي عارفه.

لم تُشفِ الإجابة غليل "وعد" فتابعت بعصبية:

- بس دي حياتي أنا يا ماما.

- يا بنتي إفهمي، أبوكي كده كده مكنش موافق على "فؤاد".

- عشان الفلوس؟!

- لأ طبعًا مش بس عشان الفلوس ولا مستواهم، في حاجات كتير في عيلة "فؤاد" ماتناسبناش يا "وعد"، أبوكي سأل كويس عليهم، ولازم يبقى عندك ثقه في رؤية باباكي.

- طب هو عرف إيه؟

تساءلت "وعد" بفضول بحثًا عما يريح قلبها، لتجيب الأم وكأنها تعرف الكثير وإن كانت لا تعلم الحقيقة كاملة.

- مش كل حاجه تتعرف لازم تتقال يا بنتي، بس أنا عارفه الراجل المخلص اللي أنا اتجوزته كويس، وواثقه فيه، ويا ريت تفهمي إن خلاص موضوع "فؤاد" اتقفل.

- بس أنا مش هاقدر أكسره يا أمي.

قالتها "وعد" بتغير في نبرة الصوت الذي بدا أهدأ، لتتابع الأم بخبرتها الحياتية:

- ومش هاتتجوزيه جبر خاطر يا "وعد"، اللي إنتي فيه ده مش حب

صدقيني، ده إعجاب أو تعلق بفنان موهوب مش أكتر، وصدقيني لو عشمتي "فؤاد" تاني، هاتأذيه أكتر، خليكي بعيد أحسن، عشان أنا وإنتي عارفين إن طالما "فاروق" قال لأ يبقى لأ، وإنتي لا طريقتك ولا أخلاقك، هاتخليكي تخسري أبوكي.

- عشان كده تعبانه، تعبانه أوي يا ماما.

- عارفه، بس أنا "فاروق" قالي أطمنك، مش معنى إنه رفض "فؤاد" إنه هايجبرك على "حلمي"، ومش شرط توافقي عليه....... يعني رفض أبوكي لـ"فؤاد" مش مشروط بجوازك من "حلمي" خالص...... محدش منا يقدر يجبرك أبدًا على حد إنتي مش عايزاه.

قالتها "إيمان" بأمومة وحكمة وصدق.

- مابقتش فارقه يا أمي، لو مش هاتجوز "فؤاد" مش هايفرق "حلمي" من غيره، عشان أنا كده كده هاحس إن روحي ماتت.

قالتها "وعد" حينذاك قبل أن تخسر عمرها كله منذ تلك اللحظة وحتى الآن وهي مستلقية لا حول لها ولا قوة داخل سيارة الإسعاف تحت أجهزة التنفس، فدمعت عيناها دمعة حزن رغم غيبوبتها.

***

من داخل غرفته كان "حلمي مهران" قد تقبل الدكتور "صلاح" للمرة الأولى منذ لقائهما، وكان الخوف الصادق واضحًا عليه ليقول له بصدق:

- أنا فعلًا حاسس إني متغير، في حاجه جوايا مبقتش موجوده.

- زي إيه؟

بفضول واستمتاع تساءل الدكتور "صلاح":

- مش عارف أحددها، بس يمكن الخوف، أنا كنت بخاف من كل حاجه، خصوصًا من عدم تقبل الناس ليا.

- ليه بتقول كده؟

- المفروض لو إنت قريت ملفي فعلًا تبقى عارف، أنا من صغري

وأنا مختلف، في فتره كنت متأخر فيها عن كل اللي كانوا في سني.

أمسك الدكتور "صلاح" ملف "حلمي مهران" متعجبًا:

- بس ملفك مابيقولش كده.

- يبقى حظك حلو إني رجعت..

بدأ الدكتور "صلاح" في مراجعة سريعة للملف:

- الملف شارح ذكاء غريب من طفولتك أهو.

ابتسم "حلمي مهران" ساخرًا ليعلق:

- الذكاء ده اللي كان نقمه عليا، وحرمني من كل الصحاب كلهم، غِيره أو عدم تقبل، المهم إني عشت دايمًا لوحدي، ويمكن عشان كده كنت دايمًا بخاف، من صغري ولغاية الكليه.

أغلق الدكتور "صلاح" الملف وتساءل في فضول:

- طيب تسمحلي أسألك ليه يعني دخلت شرطه مش هندسه ولا علوم مثلًا؟

نظر "حلمي مهران" إلى خاتم والده وقال:

- عشان برضه كنت خايف.

- خايف من إيه؟!

- مش مهم، المهم إني خلاص مابقتش أخاف.

***

من غرفة العميد "ضياء عدلي" رئيس "هشام" جلس الأخير في حالة من الرهبة داخل المكتب البسيط متواضع الديكورات، من أمام رئيسه، هذا الرجل الأربعيني صاحب تلك النظارة الطبية الذهبية وهذا الشارب الكثيف، والذي تحدث بهدوء مقلق:

- إنت عارف يا "هشام" إن وضع الداخليه دلوقتي اختلف، والدوله بتحارب التجاوزات في كل القطاعات، ولازم كل كوادر الشرطه تبقى قدوه للشارع المصري كله.

وافقه الرائد "هشام" قلقًا من تلك المقدمة:

- وعشان كده أنا جايبك هنا.

- هو أنا بدر مني أي تصرف مايلقش بالداخليه سعادتك؟

متناولًا ملف "هشام" من أمامه تابع العميد "ضياء عدلي":

- الصراحه إنت ملفك نضيف ويفرح، بس في مشكله واحده.

سكت لحظة ثم تابع:

- إنت اتنقلت هنا من إدارة التوثيق والمعلومات، بتزكيه من رئيسك القديم اللواء "محمود وهبة".

نطق اسمه بشيء من الشك والاتهام، وكان هذا بالضبط ما يخيفه، ليبدأ الرائد "هشام" دفاعه قلقًا من فوره:

- أنا حقيقي كنت طلبت من سيادة اللوا النقل أكتر من مره، بس مكنش في فرصه، لغاية ما ربنا أراد وأثبت نفسي، وكله أشاد بمجهودي.

كان بالفعل الرائد "هشام" صادقًا، فقد شارك مشاركة فعالة في أحداث "الوحي" في ٢٠١٥، عندما استطاع السيطرة على تلك الصفحات الإلكترونية المثيرة الكثير من البلبلة إثر تلك الجريمة التي أذيعت على الهواء مباشرة، ولكن هذا لم يبرر من شبهة معرفته باللواء "محمود وهبة"!

- بس كده؟

تساءل "ضياء عدلي" ليتابع "هشام"، وهو يتجنب النظر في عيون "هشام":

- أعتقد حضرتك تقدر تسأل سيادة اللوا "محمود" بنفسه يا فندم.

- هانسأله ماتخافش، بس مش غريبه إنك اتنقلت هنا بعد ما المقدم "حلمي مهران" زميلك في نفس الإداره ما اتصاب في حادثة واحد وتلاتين عشره اللي فات؟!

مجيبًا والعرق يغمر جبينه:

- ده حقيقي يا فندم، "حلمي مهران" كان زميلي في الإداره، وكان اللوا "محمود وهبة" متأثر جدًا باللي حصل له، وشاف إنها فرصه كويسه إني أحاول أوصل للي كان السبب.

بتحدٍّ أحرج "هشام" تابع العميد "ضياء عدلي" استجوابه:

- ووصلت؟!

***

- إنت بتحاول تهرب من إيه؟

تساءل الدكتور "صلاح" ليجيبه "حلمي مهران":

- أنا مابقتش عايز أهرب.

تنهد ونظر للسقف ليكمل وهو شارد في الملكوت:

- دكتور "صلاح" أنا مارجعتش من السفر، أنا رجعت من الموت، يعني كل حساباتي اتغيرت، أنا زي ما كون اتعلمت في السنه دي... اللي معلمتهوليش أمي الله يرحمها، في حياتي كلها.

وقف "حلمي مهران" واقترب من النافذة، ثم تابع وهو يفحص ما هو العالم من خارج النافذة التي تمنى لو تعداها.

- أنا يا دكتور حاسس إني كنت مضيع عمري هدر، ودلوقتي مش ناوي أضيع يوم.

اقترب منه الدكتور "صلاح" مبتسمًا:

- يعني "حلمي" القديم هايموت؟

- الحلم عمره ما بيموت، إلا لما بنصحى يا دكتور، وأنا مش ناوي أصحى، أنا هاكمل وهاعيش الحياه اللي كنت بتمناها في أحلامي، أنا من النهارده مش هاكون "حلمي" بتاع زمان، أنا هابقى "حلمي مهران" اللي كان نفسي فيه.

- يعني نتوقع بدايه جديده؟

- لا... توقع نهايه مختلفه...

اندهش الدكتور "صلاح" متحيرًا من هذا الشخص الناضج الذي تحول إليه "حلمي مهران":

- الصراحه كلامك أصعب من اللي مكتوب في ملفك، وأنا سعيد جدًا إني قدرت أقابلك.

- مش مهم تقابلني يا دكتور....

سكت لحظة واستدار ليتابع وهو ينظر داخل عيني الدكتور "صلاح":

- المهم تشوفني!

- كلامك بقى صعب.

- صدقني كل الصعب هايبقى سهل المهم تقولي هاخرج إمتى؟

بصدق زائف أجاب الدكتور "صلاح":

- زي ما وعدتك.. أقل من أسبوع وهاتكون في بيتك.

بشرود وهو ينظر إلى حوائط الغرفة قال "حلمي مهران":

- البيت!.......المهم بس أخرج من هنا، وبعدين نبقى شوف موضوع البيت ده، مابقاش عندي وقت أضيعه يا دكتور.

- حاضر وزي ما وعدتك النهارده هاتودع الحيطان دي..... الحيطان اللي حبستك شهور طويله هنا وهاتتنقل لأوضه عاديه.

لامس كلام الدكتور "صلاح" قلب "حلمي مهران" ليقترب من هذا الحائط جاسًا إياه:

- الحيطان دي يا دكتور كانت أقرب ليا من ناس كتير.

***

- يا فندم أنا مش فاهم.. هو في حاجه معينه ضدي؟

تساءل الرائد "هشام" الذي أرهقته أسئلة العميد "ضياء عدلي" وشكوكه للمرة الأولى منذ انتقاله إلى المباحث العامة، ويجيب الأخير:

- إطلاقًا.. دي تساؤلات عامه، على الأقل لغاية دلوقتي، عمومًا

خلاص يا "هشام" تقدر تروح تشوف شغلك.

بتردد بدأ الرائد "هشام" طرح مخاوفه:

- طيب طبعًا حضرتك عارف إن المقدم "حلمي مهران" فاق؟

أجاب العميد "ضياء عدلي" دون أن ينظر إلى الرائد "هشام" حتى لا يطمئنه:

- طبعًا عارفين.

- طيب أكمل في تحقيقي ولّا في جديد؟

اقترب العميد "ضياء عدلي" من الرائد "هشام":

- "هشام" إنت معندكش مشكله في حاجه، كمل شغلك عادي خالص، بس ياريت مفيش أي معلومه عن شغلنا توصل لأي حد برا الإداره هنا، خصوصًا اللواء "محمود وهبة"!!!

بوضوح قالها العميد "ضياء عدلي" فتابع الرائد "هشام" بفضول:

- طيب هو يا فندم ممكن بس تسمحلي أسأل؟ في إيه ضد اللوا "محمود وهبة"؟.. ده كان مديري برضه.

- أنا متفهم شعورك يا "هشام" بس حقيقي مفيش حاجه ممكن تتقال دلوقتي، ونصيحه من أخوك الكبير خليك بعيد.

قالها العميد "ضياء عدلي" مُنهيًا اللقاء تاركًا الرائد "هشام" في قلقه، فلقد كان "محمود وهبة" يعرف عنه الكثير منذ قضية "الوحي" التي دفنت الكثير من الفضائح والأسرار!!

***

من غرفة شاسعة ذات طابع حكومي، كان مفتش وزارة الداخلية يجلس على مكتبه في قوة وتأهب، بينما أمامه وقف هذا الرجل ذو الخمسين عامًا "محمود وهبة"، وهو رجل قوي البنية، حاد الملامح، طويل القامة، رشيق إلى حد ما، معروف بقوته في العمل وإن كان سيئ السمعة؛ حيث كان يستغل نفوذه في الكثير من التجاوزات، في الحِقَب السابقة، حتى بدأ النظام يضيِّق عليه الخناق في السنين

الأخيرة.

- ماينفعش كل التجاوزات دي تطلع من ظابط محسوب على الداخليه، الدوله دلوقتي بتحارب الفساد في كل حته، وما ينفعش يبقى منا واحد بيشارك فيه.

لم يُجب "محمود وهبة" الذي ظل واقفًا في قوة وتحدٍّ، ليكمل مفتش الداخلية حديثه:

- إنت أسأت لينا كلنا، وأنا حقيقي حزين للي وصلتله، إنت بدأت ظابط عصامي، وكنت قدوه لكل زمايلك، كنت ظابط مصري أصيل، معرفش إيه اللي غيرك، أنا عارف إن مفيش حد منا بيتولد ملاك لكن إنت بقيت شيطان يا "محمود"!!!

كان الرجل صادقًا، فلقد كان "محمود وهبة" عصاميًّا في بداية حياته، قبل أن تغير صعوبات حياته طريقته في التفكير.

- عشان كده إنت لازم تراجع نفسك، وتحاول تدور على اللوا "محمود وهبة" اللي اترقى وهو أصغر دفعته.. بس لغاية ما تلاقيه، يؤسفني أبلغك إن مابقاش ينفع تكون وسطنا.

حاول الرجل تجميل حكمه متابعًا:

- بس عشان إنت كان ليك تاريخ كويس، وعشان مواقف كتير كنت صادق فيها، واحترامًا لرتبتك، وبضمان مني أنا شخصيًّا...أنا هاخلي الموضوع يمشي بشكل مشرف.

رمق "محمود وهبة" مفتش الداخلية بنظرة ترقب بعدما فهم الرسالة التي لم يكن يتوقعها أبدًا.

- "محمود" تقدر تعتبر نفسك موقوف عن العمل لغاية ميعاد الحركه اللي جايه...اللي هاتطلع فيها معاش.

سكت الرجل أخيرًا للحظات قبل أن يكمل:

- ولغاية ميعاد الحركه دي، يا ريت ما يوصلش للداخليه أي تجاوز منك مهما كان صغير يا "محمود".

***

دخلت رئيسة التمريض غرفة "حلمي مهران" في سعادة مبتسمة وهي تحمل كرسيًا متحركًا لنقله إلى غرفة عادية بالطابق الثالث، خارج العناية المركزة.

- صباح الخير يا فندم، وألف حمد لله على السلامه.

- تقدر تتفضل معايا.. الدكتور كتبلك غرفه عاديه.

أشارت إلى الكرسي المتحرك، فعلق غير مكترث:

- طيب والكرسي لازمته إيه؟

- ده عشان راحتك.

مارًا من جانبها:

- لا أنا كده أريحلي.. يالا بينا.

حاولت رئيسة التمريض إيقافه ولكن دون جدوى، لتقف أمام الكرسي المتحرك في تحدٍّ، ليدفعها "حلمي مهران" فجأة لتقع هي على الكرسي في وضع الجلوس رغمًا عنها قبل أن يلتف ليجرها هي، قائلًا بخفة ظل:

- يالا بقى ماتأخريناش.

حاولت رئيسة التمريض الوقوف ولكن دون أن تستطيع مع حركة الكرسي لتخرج من الغرفة وهو يجرها، في الممر، لتبتسم هي رغمًا عنها مع ظهور روح جديدة لـ"حلمي مهران" لا ينقصها الاندفاع.

- يا فندم ما ينفعش كده.

- قوليلي بس الطريق عشان مانتأخرش.

استرسلت في ضحكها حال طاقم التمريض الذي عبرت بجانبه، وهي تقول ساخرة:

- طب إذا كان كده كمل طوالي الأسانسير آخر الطرقه.

سار بها "حلمي مهران" في الممر خارجًا مغادرًا ذلك المكان القاتم،

بينما كانت زوجته "وعد" تتحرك على ترولي المرضى في ممر لطوارئ مستشفى أخرى مجرورة ببعض المسعفين ومن خلفها والداها، تحاول التمسك بالحياة، حتى دخلت غرفة الطوارئ، ليمنع الطبيب المناوب والديها من المرور، ليستسلما وينتظرا في الخارج، مختلسين نظرة أخيرة إلى ابنتهما.

***

من عقار قديم بنزلة السمان قبل تعديل المنطقة حديثًا خرجت "أمنية" من باب شقتها بالدور الأرضي مغلقة إياه بالمفتاح وتخرج منه قبل أن يتصل بها "تيم"، لتجيب بتحفظ، وهي خارجة من باب العقار:

- أهلًا يا "تيم" بيه.

- إنتي فين يا "أمنية"؟

تساءل "تيم" وهو ينظر من نافذة سيارته رباعية الدفع إلى الأهرامات التي كان قريبًا منها.

- في البيت وبتحرك أهو.

- أيوه فاهم، فين البيت؟

اندهشت "أمنية" وهي تخرج إلى شارع شعبي نسبيًا ويتابع "تيم":

- أنا جيتلك "نزلة السمان" أهو، بس مش عارف بيتك فين، عشان إنتي مش مسجلاه في الجريده.

- وهو حضرتك جايلي هنا ليه؟!

بتوتر قالتها وهي تنظر إلى فقر منطقتها، فأجاب مندهشًا من غضبها:

- إيه يا "أمنية" بدل ما تقوليلي شكرًا؟.. ده أنا كنت عاملك مفاجأة، بس ممكن تقوليلي بيتك فين؟

- لأ.

بعفوية علقت قبل أن تعتذر وهي تنظر إلى شارعها الصغير.

- قصدي يعني مش هاتعرف توصل، هاطلعلك عند شارع رئيسي.

- طيب مش مشكله.. فين؟

***

(34)

داخل سيارة دفع رباعي كان "محمود وهبة" يجلس في الخلف وسائقه الخاص يقوم بالقيادة من داخل أحد شوارع "المعادي" حتى وصل إلى فيلته القديمة، فيفتح الغفير بابها الحديدي يدويًا، وتدخل السيارة التي ظل "محمود وهبة" داخلها حتى صفها السائق ومن ثم خرج ليفتح له الباب، وإن ظل "محمود وهبة" في الداخل شاردًا ليكرر السائق مناداته، انتبه أخيرًا، وخرج متوجهًا إلى مدخل الفيلا الصغيرة المبنية في الثمانينيات من القرن الماضي والتي استولى عليها من أهل زوجته!

كانت الفيلا تعكس ديكورات مودرن ولكنها قديمة نسبيًا، فهي صيحة تلك الحقبة التي بنيت فيها الفيلا. أغلق "محمود وهبة" الباب محدثًا جلبة في المكان، فسمعته "هالة" زوجته من معيشة المنزل المطلة على السلم الداخلي، الذي يسبق الصالونات.

"هالة" سيدة في أواخر الأربعينيات، جميلة الملامح وإن كانت قعيدة على كرسي متحرك لم تفارقه منذ سنين عندما حجز زوجها "محمود وهبة" على منزل والدها رغمًا عن أهلها، وهرب عقلها من ظلمه معطيًا أوامره بتوقفها عن الحركة، في رفض يائس.

تنهد "محمود وهبة" عند رؤية زوجته التي هربت من حضوره، متجهًا إلى السلم الداخلي المتصل به كرسي كهربائي متحرك، موضوع على درابزين معدني، ليساعد عجزها على الحركة.

نقلت "هالة" نفسها بصعوبة من كرسيها إلى هذا الكرسي الكهربائي ومن ثم تضغط على زر ما لتبدأ في الصعود تدريجيًا في مشهد يعكس تألم عجزها مع صمتها المريب وهي تختلس تلك النظرات لـ"محمود وهبة" المتوجه إلى المعيشة وجلس أمام تلفاز لم تغلقه زوجته ففعل هو، ثم سمع إشعارًا من هاتفه لرسالة واردة، فتفقدها وكانت تقول الآتي:

"إقرا الخبر ده"

أسفل الرسالة كان هناك رابط فتحه "محمود وهبة" من فوره بفضول، لينتقل إلى تطبيق "الفيسبوك" ظهر عليه القلق والتعجب مما اكتشف لتوه!

***

- ده الخبر مكسر الدنيا.

قالها "تيم" لـ"أمنية" من داخل سيارته موضحًا سببًا واهيًا لقدومه.

- بجد!!

قالتها بتعجب لا يخلو من فخر وسعادة، أشار إلى هاتفه.

- أمال أنا جايلك بنفسي ليه؟ الخبر انتشر من صفحتنا زي النار.

التقطت "أمنية" هاتفه بلهفة، ليجيب "تيم" باستعراض:

- الفضول يا "أمنية"، الفضول حرك الناس اللي عايزه تعرف حدوتة "حلمي مهران".

ابتسمت "أمنية" وقالت بفرحة:

- يعني ممكن نبدأ نعمل تقارير عن "حلمي مهران" وحياته ونزلها على شكل حلقات.

- حلقات إيه بس يا "أمنية"!

قالها منزعجًا لتحاول إقناعه:

- صدقني يا فندم.

- وبرضه ليه يا فندم!

مستنكرًا صدها لحقيقة مشاعره:

- مش فاهمه!

- لأ فاهمه يا "أمنية".

***

ترك الطبيب المناوب "وعد" في غرفتها بطوارئ المستشفى ليخرج

مطمئنًا الوالدين قائلًا:

- تمام الحمد لله.. إطمنوا خالص، الهانم بخير وفاقت الحمد لله.

- كان في إيه يا دكتور؟

- والله مش واضح هي وقعت ليه، ممكن تكون فقدت اتزانها من الإرهاق ووقعت مش أكتر.

- يعني مفيش قلق يا دكتور؟

قالتها "إيمان" في قلق، فأجاب الطبيب:

- من الوقعه نفسها، مفيش قلق خالص إن شاء الله، هي بس فقدت دم كتير، ومحتاجه راحه.

- مش فاهم!

علق والدها اللواء "فاروق" بحزمه المعروف.

- يعني بعد ما تخرج ياريت تفضل تحت ملاحظتكوا عشان نطمن إن الحادث عرضي مش أكتر.

- طيب ممكن نخشلها يا دكتور؟

- آه طبعًا بس محتاجين نخلص الورق في الاستقبال عشان نحجزلها أوضه النهارده من باب الاحتياط.

تجاوب "فاروق" مشيرًا إلى زوجته:

- آه وماله يا دكتور، خشي إنتي يا "إيمان"، وأنا هاروح مع الدكتور.

بسرعة دخلت الأم إلى ابنتها في حالة من تأنيب الضمير لسلبيتها، وتستقبلها "وعد" بنظرة فرح وتقوم بظهرها لتحتضن أمها:

- ماما... كنتي فين؟!!

- أنا هنا يا حبيبتي، إنتي موتينا عليكي.

في استفهام بريء تساءلت "وعد":

- أنا مش فاكره حصل إيه!!

***

كان "حلمي مهران" يتفقد غرفته الجديدة، ومن خلفه رئيسة التمريض تقف في حالة إعجاب أنثوي بأسلوبه غير التقليدي:

- دي أحلى أوضه هنا.

- هو فندق!

- يا أستاذنا نخليهولك فندق، المهم بس حضرتك تقوملنا بالسلامه.

- كلها يومين تلاته واسيبكوا خالص.

- والله يا باشا، إحنا لو علينا عايزينك معانا علطول، بس المهم تخرج بألف سلامه.

أمسك "حلمي مهران" ريموت التلفاز باشتياق، ليفتحه ويجلس دون اكتراث للممرضة ليقول:

- إطلعي برا.

- أفندم!

- إطلعي برا عايز أعد لوحدي.

- هاطلع بس هارجع بعدِّة الحلاقه، عشان الدقن دي مش لايقه عليك.

***

احتد الخلاف بين "أمنية" و"تيم" من داخل سيارته:

- "تيم" إحنا اتكلمنا أكتر من مره في الموضوع ده، أنا مليش غير في الشغل وبس.

- أنا مش فاهم ليه يا "أمنية"! أنا فيا إيه مش عاجبك؟

- يا "تيم" إنت أي بنت في الدنيا تتمناك.

- لأ أنا مايتقاليش الجمله دي!!

بكبرياء غاضب علق مستنكرًا، فلم تعد تلك الجملة إلا هروبًا

دبلوماسيًا ممن هم أقل شأنًا عاطفيًا.

- وبعدين أنا اخترتك إنتي، إنتي بس يا "أمنية".

- يا "تيم" أنا عمري ما فكرت ولا هافكر في الجواز.

- ليه يعني؟.. هاتترهبني!

- آه هاترهبن.

- طب وأهلك فين من ده كله؟

جرحها لتوه دون أن يشعر، لتتذكر "أمنية" ما تحاول دائمًا نسيانه، وتبدأ عيناها في الدمع متذكرة طفولتها!!

- لو سمحت يا "تيم" مالكش دعوه بأهلي، ونزلني هنا.

اندهش "تيم" الذي جهل ما فعل لتوه.

- في إيه بس يا "أمنية"؟!

- قلتلك نزلني هنا.

فتحت "أمنية" الباب فجأة باندفاع ليقف "تيم" مضطرًا وخرجت من السيارة وهو من خلفها قائلًا:

- إنتي مجنونه؟!!!

صادقًا كان، لتهرع "أمنية" مُشيرةً لإحدى سيارات الأجرة، ويتوقف هذا السائق الأحدب الذي بهره جمالها، لركب والغيظ يقتل "تيم" الذي عطلت سيارته الطريق وسط صيحات المارة.

***

ظل "محمود وهبة" ممسكًا هاتفه بشرود داخل غرفة معيشته، فلم يكن يتوقع أن يعود "حلمي مهران" للحياة، حاله حال الجميع، خطط لحياته من دون عودته، ليغلق تطبيق "الفيسبوك" بتوتر، ليقوم باتصال هاتفي تردد منه في البداية، إلا أنه قرر استخدام سلاحه المفضل في الابتزاز، فلقد عرف مداخل ضعف مجتمعنا، الخوف كان مفتاحه، خوف الجميع من بعضهم البعض، تلك الرهبة من المجتمع والناس،

والأهم رهبة الجميع من القانون، خاصة من خالفه!!

- آلو. . . .إزيك يابني طمني عليك.

من سيارته استقبل الرائد "هشام" الاتصال على مضض.

- أهلًا "محمود" بيه، أنا الحمد لله بفضل سيادتك يا فندم.

بأبوة كاذبة تابع "محمود وهبة":

- أبدًا يا "هشام" يا بني إنت مجتهد وتستحق. . . . . . . بقولك إيه، هو صحيح "حلمي مهران" فاق؟

- معنديش خلفيه والله سعادتك.

بحزم وقف "محمود وهبة" معلقًا:

- لأ ازاي! لازم يكون عندك يا "هشام"، ده إنت اللي ماسك القضيه.

زاد توتر الرائد "هشام" الذي تذكر تعليق مديره، فيكمل استنكاره:

- يا فندم ما القضيه اتقفلت خلاص، والحكم بعد أسبوع.

- يبقى لازم تفتح عنيك الأسبوع ده يا "هشام" وتاخد بالك من كل كبيره وصغيره، أمال أنا نقلتك ليه؟

- حاضر يا فندم هاتابع الموضوع.

قالها "هشام" محاولًا إنهاء المكالمة، بينما تفهم "محمود وهبة" طريقة الرائد "هشام" في الهروب، غيّر من نبرة صوته ويقول بتهديد واضح:

- لأ. . .تتابع وتبلغني، إنت عارف كويس يا "هشام" إننا كنا دايمًا ستر وغطى على بعض، ورغم كل سقطاتك اللي أنا عارفها كويس، إلا إنك كنت دايمًا عند حسن ظني.

بوضوح وتبجح أوصل الرجل تهديده، ليربك الرائد "هشام" الذي اكتشف لتوه حقيقة "محمود وهبة"، ويجيب "هشام" منكسرًا في هم وشرود:

- أكيد يا فندم.

***

- والله يا ماما ولا فاكره حاجه من اللي حصل خالص، ولا كأني كنت نايمه!!

قالتها "وعد" في إرهاق وضياع أقلق الأم فاحتضنتها قائلة:

- يا حبيبتي الحمد لله جت سليمه.

رن جرس هاتف الأم مقاطعًا حديثها، نظرت إلى شاشته فوجدته زوجها اللواء "فاروق يطلب منها أن تحضر له بطاقته التي نسيها معها من أثر توتره، لتقف مسرعة ملبية لندائه، حيث كان حازمًا يهابه الجميع خاصة هي، فأنهت الاتصال وتوجهت إلى "أمنية" قائلة:

- هاروح أدي أبوكي بطاقته عشان نسيها معايا.

تحركت "إيمان" خارجة، قبل أن تستوقفها "وعد" قائلة:

- ماما....ماتتأخريش عليا.

***

بجرأة غريبة فتح "حلمي مهران" باب غرفته عازمًا على الخروج، فلقد شعر أنه تحسن ولو للحظة، ووصل إلى الباب ناظرًا يمينه ويساره، حال أي هارب من العدالة، ثم تحرك بضع خطوات في الممر متوجهًا إلى خارج القسم كله قبل أن تظهر له رئيسة التمريض فجأة أمامه، وتحاول استيعاب الموقف! ويسبقها هو بالحديث بحضور ودهاء ساخر:

- إنتي فين ده كله؟ أنا بدور عليكي من بدري.

اندهشت لحديثه غير مدركة لخدعته، فيكمل بأسلوبه الرشيق:

- مش معقول كده، التكييف بايظ، فندق إيه ده!

- تكييف إيه!! وبعدين الصيف خلص.

بسخرية تابع كلامه مشيرًا لها لتتقدمه:

- يالا اتفضلي قدامي أنا مش هاعمل كل حاجه بنفسي.

***

كان "غانم" يحاول التخفيف عن خطيبته "ماجي" من داخل مكتب مأمور السجن النسائي، حيث حضر اليوم لزيارتها، وقد بات الجميع يتوقع الحكم، ولكنها تشعر برحمة ربها الذي أخفى عن عباده مواعيد حتفهم، فمهما كانت صعوبة اللقاء، فانتظاره أصعب بكثير.

- لو سمحت يا "غانم" أنا مابقتش محتاجه محامي، أنا فوضت أمري لربنا، لو هو عايزني، أنا مش هاعرف أتأخر عليه.

بيأس قالتها فيحاول "غانم" تزييف الحقيقة:

- إيه الكلام ده بس يا "ماجي"! لسه القاضي محكمش، وأنا جاي النهارده أطمنك إن "حلمي مهران" فاق، وممكن يكون عنده معلومات جديده.

- قلتلك مابقتش فارقه يا "غانم" ولو سمحت ماتجيش هنا تاني.

قالتها ووقفت لتنهي الحديث في لحظة دخول المأمور الذي تساءل بأدب احترامًا لصديقه "غانم":

- أسيبكوا شويه كمان؟

- لا يا فندم "غانم" بيه كان ماشي دلوقتي.

وقف "غانم" مستسلمًا وقال:

- حاضر يا "ماجي" أنا هامشي بس برضه مش هاسيبك، وهافضل معاكي لآخر نفس ومش هايأس هاروح لـ"حلمي مهران" وإن شاء الله يكون في جديد وهارجعلك تاني بأخبار كويسه.... وهارجعلك تاني.

***

أنهى اللواء "فاروق" إجراءات المستشفى، ومن ثم عاد مع زوجته "إيمان" إلى ابنتهما في سعادة واطمئنان عندما شعرا باستقرار حالتها، بعدما مرا بساعات طويلة من التوتر والقلق، وعند غرفتها فتح الرجل الباب لزوجته فتتقدمت في خجل استمر للكثير من السنوات، مرضية

غرور زوجها الذي كان بالفعل يستحق سنين عمرها، فلقد كان يتسم بكل صفات الرجولة الحقيقية، فرغم حزمه إلا أنه كان حنونًا طيب القلب الذي امتلكته بأنوثتها وضعفها، لتؤثره رغمًا عنه. من الداخل انتفضت "وعد" في سعادة قائلة:

- ماما، كنتي فين من الصبح؟

في تعجب وقلق من رد فعل "وعد" التي بدت وكأنها ناسية ما حدث للتو!

- ما أنا كنت لسه معاكي يا "وعد" من شويه!

علقت "إيمان" مندهشة ثم صدمت بما سمعت:

- إمتى ده يا ماما؟ أنا مرميه هنا من الصبح لوحدي ومش فاهمه أي حاجه!

***

(33)

من إحدى البقاع الصحراوية الغامضة بـ"مصر" ظهر هذا الموقع الأثري الجديد؛ حيث هناك مجموعة من العمال يتحركون يمينًا ويسارًا وهم من محترفي التنقيب عن الآثار، وهم هنا حول تلك المقبرة يحاولون إيجاد طريقة ما لفتحها، وإن كانوا يجهلون عما يبحث كبيرهم حقًّا!!

بجانب الموقع كانت تقع خيمة لرئيس العمال الذي يُعلِم كبيرهم بكل التطورات، في محاولة للوصول لغايتهم قبل أن تكتشف السلطات المصرية هذا الموقع الذي حفروا فيه كثيرًا، حتى وصلوا لتلك المقبرة المدفونة!

ظل العمال يحفرون وينقبون بحرفية شديدة دون استخدام القوة المفرطة حفاظًا على معالم تلك الآثار في محاولة إيجاد فتحة ما لدخول هذا المكان الغامض، حتى ظهر على أحدهم السعادة عندما بدر لهم وجه تلك اللبؤة الفرعونية، المنحوتة بحرفية شديدة على الباب.

عمت الفوضى، وسمع المشرف العام هذا الخبر من داخل خيمته الصغيرة، فوقف هذا الرجل الأربعيني فرحًا وتوجه إلى الفوهة المحفورة، وهو في حالة تأهب ناظرًا إلى شيء عظيم قد وجدوه لتوهم، بينما من خلفه بدأت أشعة الشمس في رسم ظلاله على المكان لتصل الأخبار إلى كبيرهم في ألمانيا والذي كان يتوسط تلك المكتبة الواسعة في إحدى الجامعات بـ"فرانكفورت"، وهي ذات سقف عالٍ جدًّا لتدخل الإضاءة من نوافذ علوية، المكان دائري مليء بالمكتبات الخشبية وتصل إلى علو خمسة أمتار. توسط المكان منضدة دائرية وحيدة تعكس أن تلك المكتبة خاصة لمجموعة ما!

برز كبيرهم في منتصفها، هذا الشخص الغامض الذي يقرأ في كتابه الضخم، متختمًا بخاتمه ذي النجمة الخماسية المميزة، المختلفة عن البقية، ذاك الخاتم الذي لا يرتديه إلا كبير جماعتهم؛ لذا ارتداه "جون" بفخر، هذا الألماني يهودي الديانة، الذي استطاع استغلال

ديانته في ابتزاز تلك الدولة التي أعطته جواز سفرها إيمانًا منها بولائه، إلا أنه كان حالهم جميعًا، يسجد لرب آخر!

من بعيد بدأت خطوات شخص ما في الاقتراب فوق الأرضية الخشبية، وصولًا إلى "جون"، ثم بدأ التحدث بالألمانية:

- سيدي.. هناك أخبار جديدة من "مصر".

***

في غرفته جلس "حلمي مهران" وكأنه في صالون حلاقة فاخر؛ حيث وضعت له رئيسة التمريض غطاءً حول ملابسه وكأنها حلاق متمرس وهي تحضر أدواتها المحترفة لقص شعره:

- بما إنك قمت بالسلامه ممكن أرجعلك نفس قصة الشعر بتاعتك اللي جيت بيها، إيه رأيك؟

لم يجبها وظل يرقب نفسه في تلك المرآة شاردًا متذكرًا يوم زفافه عندما جلس تلك الجلسة ذاتها أمام مرآة مماثلة بينما سأله حلاقه نفس السؤال:

- يا باشا مش ناوي تغير الحلاقه بتاعت كل مره دي حتى للفرح؟

- وليه بس؟ مش هاجرب في الفرح، خلينا زي ما احنا.

- على راحتك خلاص.

قالها الرجل وأكمل حلاقة شعر "حلمي مهران" القصير والقَصَّة التي لم يغيرها أبدًا، وينتهي الحلاق بسرعة من عمله الرتيب التقليدي، ومن ثم بدأ في ارتداء ملابسه بنفس الرتابة، ثم تحرك أخيرًا إلى غرفة عروسه ليبدأ التصوير الذي يسبق الزفاف، ليصل إلى غرفتها وتفتح له والدتها "إيمان" الباب، فحييها بسرعة متلهفًا لرؤية عروسه الخلابة في فضول، ليبحث عنها في المكان بلهفة، حتى خرجت له من داخل الجناح ليبتسم إليها قبل أن تنظر هي إليه بخيبة أمل، فلم يكن هو أبدًا فتى أحلامها، فلم يكن مميزًا على الإطلاق، لم يكن مميزًا في نظرها هي!

جرحته نظراتها فرمق نفسه في المرآة بانزعاج، ليجد نفسه عاديًا،

ولم يكتشف حينها أن تلك كانت مصيبته، ليعود من شروده خارجًا عن المرآة لحاضره على صوت رئيسة التمريض المتسائلة:

- ها يا بطل.. أقصهولك خالص زي ما جيتلنا؟

قالتها ويدها تقترب بالماكينة الكهربائية من رأسه قبل أن يوقفها ويضع تلك الماكينة جانبًا ويتناول مقصًا يدويًا وبجرأة يشرع في قص شعره في صمت!

***

عادت "ماجي" إلى زنزانتها في حالة من الإرهاق النفسي، فهي لا تستطيع تحمل ما يفعله "غانم" لها، فلقد خانته دومًا وأبدًا، فشعرت بتأنيب لم تمتلكه من قبل، فباتت متأكدة من دنو ساعتها ولم تشأ أن تثقل ميزان سيئاتها، لاحظت زميلتها الأربعينية الجديدة بالزنزانة شرودها، بينما كانت ترمقها في توتر وفضول قائلة:

- هو إنتي صحيح اللي قتلتي "أدهم الجوهري"؟!

انفعلت "ماجي" عند سماع اسمه لتدخل في دوامة من الفكر أعادتها إلى الماضي، عندما كانت داخل مكتبه، في هذا اليوم الذي حاول فيه الالتفاف حولها كالثعبان، ملتصقًا بأردافها مدليًا يديه على نهديها من فوق عاتقيها وتحيطان بجيدها بلطف وهو يدخن سيجاره الكوبي الفاخر مرتديًا بذلة فخمة، تعكس اهتمامه بمظهره ورقيه حيث كان "أدهم" رجلًا خمسينيًا فاحش الثراء، منذ أن بدأ يتاجر في كل ما هو مخالف!

- ما ينفعش تخافي وأنا معاكي يا "ماجي"، أنا الفارس الكسبان، اللي مع "أدهم الجوهري" بيكسبوا بس، مابيخسروش.

- ما هو أنا معاك يا "أدهم" من ساعة ما اشتغلت مديرة مكتبك ولغاية ما رجعت تتاجر في الآثار تاني.

وقف "أدهم الجوهري" وتحرك حول مكتبه الخشبي العتيق الذي يعود لحقبة قديمة، وإن لم يكن الكثيرون ليعرفوا قيمته! واقترب من "ماجي" في تحرش واضح، وهو يشير إلى ما يتحرك بداخله وينتفض.

- مش مهم الأثار، ومش مهم الشغل، المهم إنتي.

- يا "أدهم" السكه دي آخرها وحش.

- ليه مش مالي عينك؟ ولَّا يمكن عشان مديرك اللي فات اتقتل؟

بوقاحة لمَّح "أدهم" إلى مقتل مديرها السابق "ناصف شوكت"علنًا في أحداث "الوحي" منذ شهور، لتجيب "ماجي" مستنكرة:

- قلتلك مابحبش السيره دي.

- خلاص يا سيتي.. بس خليكي فاهمه كويس إن أنا مابخافش من حاجه.

ظلت "ماجي" تتحرك وسط هذه الغرفة التي صممها "أدهم" ببذخ واضح، فالمكان مكدس بالأثاث، ولذا بدا ضيقًا رغم اتساعه، مفتقرًا اللمسة النسائية، فلم تكن أي منهن تشعر بامتلاكها للمكان، حتى زوجته التي كانت هي الأخرى مديرة مكتبه السابقة. اقتربت "ماجي" بهدوء من "أدهم" وقالت بخبث أنثوي:

- يعني مابتخفش حتى من مراتك؟

- "دنيا"؟!

تذكرها "أدهم" متوترًا للحظة فقد فيها توازنه، وارتخى نوعًا ما بعد ما كان متخفزًا، لتكمل هي:

- أيوه "دنيا" أظن إنها عارفه عنك كل حاجه، وهي كمان اللي معرفاك على الخواجه "جون"!

- وأظن إن أنا دفعتلها التمن.

قالها مبتعدًا عن "ماجي" مقتربًا من مدفأة خشبية عجوز، اتكأ عليها مكملًا تدخينه للسيجار، فتقترب هي بدهاء تنوء بصدرها وقد كشف ستر ثدييها لتغرس جذور بذرتها:

- أمال ليه مش عايز تطلقها؟

- مش خوف منها، لأ...

نفى خوفه مشيرًا بيده الممسكة بالسيجار الذي جسد دخانه قلقه، تابعت "ماجي":

- أمال إيه؟ هي مش كانت مجرد مديرة مكتبك برضه؟

- آه بس دلوقتي بقت أم إبني، وبعدين إنتي قولتي بنفسك إنها تعرف عني كتير، وأنا مش بحب أحارب في كذا جبهه في نفس الوقت، وده مش خوف.... ده ذكاء.

قالها عائدًا إلى مكتبه متلافيًا نظراتها، لتتفهم هي هروبه، مكتفية بزرع أفكارها في هذا اليوم.

- براحتك بس خليك فاكر، لو طاوعتك "دنيا" مراتك مش هاتسكت أنا عارفه كيد النسا كويس.

ظهر القلق على وجه "أدهم" بينما لمعت عينا "ماجي" قبل أن تعيدها زميلة محبسها من ماضيها إلى واقع السجن قائلة بصوت عالٍ امتزج بصدأ الزنزانة:

- مين "دنيا" دي؟

اندهشت "ماجي" التي نطقت اسم غريمتها رغمًا عنها في لحظة شرودها:

- "دنيا"! إنتي تعرفيها منين؟!

- أعرف مين منين؟! هو إنتي بتكلمي نفسك ولا بتكلميني؟!...... لا حول ولا قوة إلا بالله.. دي ضايعه منك خالص!

ظلت "ماجي" شاردة في صورة "دنيا" تلك الحسناء التي تستمتع بحريتها الآن رغم أنها كانت المستفيد الأكبر من مقتل زوجها "أدهم الجوهري"، ليزداد مقت "ماجي" لها، الذي ولد منذ اللحظة الأولى عندما استفزها جمال "دنيا" لتحاول منافستها في غيرة أنثوية واضحة، محاولة استقطاب "أدهم" بطريقتها المثيرة التي لطالما فازت بها على معظم النساء! مستمتعة بانتصاراتها على امرأة تلو الأخرى، منتقمة من المرأة الوحيدة التي هزمتها وخطفت منها حبيبها الأول فتخلى

عنها في صغرها، ولتستمتع "ماجي" من حينها في هزيمة الجميلات، مستغلة كل الأسلحة المحرمة، فقط لتصل إلى تلك النشوة الممزوجة بعقدة نقص أذلتها طوال حياتها!

***

على هذا السرير الملكي كانت نائمة داخل غرفتها الأرستقراطية شاسعة المساحة، ذات السقف شاهق الارتفاع، المتدلي منه ثريا نحاسية الصنع بها الكثير من الكريستال الغني الذي ملأ الغرفة بانعكاساته، كما تفعل "أبليكات" الحوائط العاكسة لجمال الحليات الجبسية المطلية بماء الذهب، حال الباب المكون من ضلفتين رشيقتين، متماشيًا مع قطع الأثاث الغنية المليئة بالأعمال اليدوية، خاصة مرآة "دنيا" بقطعة تسريحتها التي حرسها الكثير من تماثيل الملائكة خشبية الصنع بأجنحتها الصغيرة، وإن كانت تخفي شرًّا أكثر مما تظهر.

كانت "دنيا" نائمة لهذا الوقت المتأخر من اليوم كعادتها، حتى دخلت الغرفة خادمتها الأربعينية مرتدية ملابس الخدم الكلاسيكية وتوجهت إلى النافذة وفتحت ستارتها المطلة على حديقة القصر الفخم.

لتبدأ "دنيا" أخيرًا في الاستيقاظ، وتلامس أناملها شعرها الأحمر المثير، فتلك المرأة الثلاثينية حسناء، تمتلك من الدنيا مفاتنها، فهي بالفعل فاتنة، تحمل عينين عسليتين تأسران الناظرين، طويلة ممشوقة القوام، تهتم بكامل تفاصيلها، ترتدي قميصًا حريريًّا للنوم استمتع بنعومة بشرتها وهو يكشف من جسدها المثير أكثر بكثير مما يستر، جلست الحسناء على سريرها ملتوية الخصر مدلية قدميها بأنوثة طاغية، مستمتعة بهذا القصر الذي ورثته عن زوجها القتيل!

- صباح الفل والياسمين.

قالتها الخادمة بتملق لتسألها "دنيا":

- هي الساعة كام دلوقتي؟

- واحده يا "دنيا" هانم زي ما طلبتي مني بالظبط.

- والله ما قادره أصحى.

ابتسمت الخادمة وحاولت التقرب من سيدتها بدهاء قائلة:

- ما هو من سهرة امبارح، هي الفرحه كده دايمًا حلوه، والحمد لله القضيه فرحت قلوبنا كلها وإن شاء الله يعدموها ونرتاح كلنا.

ابتسمت "دنيا" بعدما أطلعت خادمتها أسماعها ما تبتغي:

- طيب خلاص يالا بقى هاتيلي النسكافيه بتاعي.

- دقيقه ويبقى عندك.

بدأت "دنيا" في النهوض، لتلامس قدماها الزهريتين نعليها المليئتان بالفرو الأسود، وأمسكت بهاتفها من على "الكومود" لتجد الكثير من الإشعارات التي تنتظرها، لتقرأ إشعارًا تلو الآخر حتى وصلت إلى رسائل عشيقها! فانتظرت لحظة حتى خرجت خادمتها الفضولية لتتصل بحبيبها وهي تتجه بأنوثة إلى النافذة، لتكشف حديقة قصرها المليئة بالزهور الملونة التي كانت تستحق جمالها.

- حبيبي صباح الفل، معلش كنت نايمه.

ضحكت بإثارة أسعدت النسيم من حولها قبل أن تكمل:

- خلاص يا روحي كلها كام يوم والقاضي يحكم والعز ده كله يبقى بتاعنا......

قالتها متناسية عشيقها الذي ذكرها بدوره، لتصحح خطأها:

- طبعًا يا حبيبي أنا وإنت وبس!

***

من خارج غرفة "وعد" بالطوارئ، ظل الطبيب المناوب يطمئن "فاروق" و"إيمان" محاولًا توضيح تلك الأعراض التي تعرضت لها "وعد" أثر الحادث:

- والله يا جماعه ما تقلقوش، ده طبيعي جدًا من الوقعه.

- يا دكتور دي مافتكرتش إني كنت عندها.

- والله بتحصل يا فندم.....ده ارتجاج خفيف، وكتير بيجلهم فقدان مؤقت للذاكره.

- يا نهار اسود!!

توترت "إيمان" ليحاول المناوب تهدئتها:

- يا فندم مؤقت.

- معلش يا دكتور.. لو سمحت قبل ما تنقل البنت لأوضتها إعملها رنين على المخ.

علق "فاروق" بعقلانية عملية أدهشت المناوب:

- زي ما تحب، بس فعلًا مفيش داعي للقلق.

- شكرًا يا دكتور... معلش لو تسمحلي، هي ممكن تنسى حاجه تانيه؟

كان "فاروق" قلقًا حيال شيء ما!

- يعني، ممكن تنسى حاجه حصلت النهارده، أو امبارح مش أكتر!

***

ما فتئ "فؤاد" في منزله رافضًا الخروج من قوقعته التي عزل نفسه فيها شاعرًا أنه الشخص الأقل حظًا في العالم، وتمكن شيطانه من غضبه، وجعله ساخطًا من رحمة خالقه، ليبتعد "فؤاد" عن ربه، ويبدأ يُسرِف على نفسه، قانطًا من رحمة الله، إلا أنه تذكر لحظة أن الله يغفر الذنوب جميعًا، فإنه هو الغفور الرحيم، ليتجه إلى حمامه ويتوضأ في هدوء مستغفرًا ربه، ويتجه إلى سجادة صلاته المليئة بالأتربة من قلة الاستخدام، فلقد هجرها منذ شهور طويلة، ويفرشها على الأرض باحثًا عن قبلة رب قلبه، وبدأ أخيرًا في صلاته التي أنهاها مستريحًا، فاستفز شيطانه الذي لم يرضَ إلا بعد أن جلب إليه هذا الاتصال من صديقته "حنان"، تلك الصحفية الثلاثينية التي زادها طلاقها إثارة، تتحدث من شقتها الصغيرة وهي تطلي أظافر يديها بمونيكير أسود

جذاب، متماشٍ مع بياض بشرتها وشعرها الداكن. كانت "حنان" من سيدات المجتمع، تركت الصحافة بعد طلاقها ولم تعد تعمل، وما عادت تؤمن بشيء؛ حيث فقدت الاهتمام بالعمل واستمرت تبحث فقط عما يحيي أنوثتها، لتستهلك وقتها في بعض الأعمال الخيرية عن طريق نادٍ أرستقراطي استخدمته للواجهة الاجتماعية أكثر من الأعمال الخيرة، فلقد هربت في هذا المجتمع من فشلها في علاقتها الزوجية التي فُرضت عليها في صغر سنها من زوج قبيح المعشر والهيئة، وإن كان طيب القلب غنيًا إلى حد ما حيث كان يعمل بإحدى الشركات الدولية الهامة، حتى توقفت تلك الشركة عن العمل في مصر، ليُسرح الرجل من عمله، وتجد "حنان" نفسها في مواجهته طوال الوقت محاصرًا إياها في المنزل، عصبيًا يشعر بالنقص، عاطلًا عن العمل، ينهار مستواه المادي ومن ثم الاجتماعي، لتختار "حنان" أخيرًا الانفصال؛ الأمر الذي واجهه أهلها بالرفض مُزيدًا من عزلتها في تلك الشقة التي اشترتها لتبدأ فيها حياتها كما تمنت، واضعة كلمة "أميرة" على حوائط غرفتها كما وشمتها على صدرها، فلقد تمنت لو اعتبرها أحدهم مليكته! أجاب "فؤاد" الاتصال في تعب:

- أهلًا "حنان".

- أخيرًا رديت عليا؟

- حظك حلو أصلي مأجز النهارده مانزلتش الشغل.

- يبقى حظي فعلًا حلو، وهاتيجي تشوف الشقه اللي بقالي شهور بقولك تشوفها.

- بس أصلي...

- مفيش أصل، أنا متأخره في الشغل، وأكيد مش هاروح لمهندس ديكور وإنت موجود!

قالتها وأغلقت بعدما وافقها "فؤاد" أخيرًا، لتبتسم "حنان" وتقف أمام مرآتها تنظر إلى جمالها المرهق في صمت حالم، أرضى شيطانها.

***

ظهر "حلمي مهران" بـ"نيولوك" جديد بعدما قص جزءًا صغيرًا من شعره الذي صار ثائرًا كحاله، محافظًا على جزء من لحيته التي هذبها قليلًا، مع هذا الشارب الذي حدده بدقة مرضية غريبة، ليصبح هذا الشخص الجديد الذي ولد للتو! ليظل مبتسمًا لنفسه في المرآة للحظات، ثم نهض وتحرك ناحية النافذة مختلسًا نظرة إلى الخارج، مستطلعًا هذه المستشفى من الخارج والتي كانت مليئة بتلك التشكيلات المعمارية الشبيهة بتراسات لكل نافذة ولكنها دون درابزين حماية، فهي للتشكيل المعماري فقط، ولكنها كانت جذابة، ولقد جذبت بالفعل فضول "حلمي مهران" الذي عرف ما يتمنى فعله لتوه، ولكنه في البداية عاد إلى غرفته ومنها تسلل إلى الممر متفقدًا من في الخارج في هدوء مختلسًا نظرة إلى المكان يمنة ويسرة قبل أن يقرر ما سيفعل!! ليعاود إلى الداخل، بينما من الخارج مر الرائد "هشام" لتوه، ولكنه كان يبحث عن غرفة الدكتور "صلاح" بنفس الطابق، والقريبة من غرفة "حلمي مهران" الجديدة، ليدخلها دون استئذان كعادته، ليبتسم "صلاح" من تصرفات "هشام" الصبيانية، ويستقبله بحفاوة:

- أهلًا "هشام" بيه، إتفضل استريح.

- لأ معلش يا دكتور، تعالى نروح أوضة "حلمي مهران" علطول زي ما وعدتني لو سمحت.

- أنا عمري ما خلفت وعدي يا "هشام" بيه، معملتهاش عمري كله، وإنت ماتعرفش عمري كام سنه!

قالها الدكتور "صلاح" بطريقة مخيفة، فلقد كانت ملامحه ثابتة، وكأنه يمتلك آلاف السنين، ليشعر الرائد "هشام" برهبة غريبة تملكته، قبل أن يضحك الدكتور "صلاح" مهدئًا من وطأة حديثه:

- معلش أصلي راجل عجوز أوي، إتفضل معايا على أوضة "حلمي مهران" عشان ماضيعش وقتك.

وقف "صلاح" وتحرك متقدمًا الرائد "هشام" وهو لا يزال مرتبكًا من طريقة الدكتور "صلاح" المريبة في الحديث، ليخرج كلاهما في

تلك اللحظة التي وصلت فيها "أمنية" هي الأخرى إلى المستشفى، لتحاسب التاكسي وتتوجه إلى الداخل، بينما ظل الرائد "هشام" يتبع الدكتور "صلاح" بخطواته العرجاء، ليلاحظ لتوه هذا الطرف الصناعي الذي قُبض عند رؤيته، ليلتفت إليه الدكتور "صلاح" مبتسمًا ابتسامة مريبة زادت من توتره هو مال رجلك يا دكتور؟!

- إنت أول مره تاخد بالك؟ ماتخافش دي حادثه بقالها زمن، وسابتلي ذكرى عشان مانسهاش، من هنا يا سيادة الرائد، دي أوضة المقدم "حلمي مهران".

قالها وهو يدخل الغرفة قبل أن يظهر عليهما الفزع من الداخل، ليخرجا مهرولين لتقابلهما "أمنية" الواصلة لتوها في حالة من الذعر لتتساءل:

- في إيه؟!

***

(32)

لم ينفك "جون" يستمع إلى الأخبار الواردة من "مصر" بخصوص تلك الكنوز المصرية التي عثر عليها رجاله، ليقف ويخرج إلى دائرة النور لتظهر ملامحه، فهو صاحب أنف معقوف، ولحية بنية خفيفة تخفي جزءًا من ندبة على خده الأيسر، ليقول بلسان ألماني:

- إذن فلتنتقلوا إلى الموقع جديد.

ببرود حسم قراره، فلم تكن تلك الكنوز هي ما يبحث عنه "جون" بل كان يبحث عما ظلت جماعته ينقبون عنه جيلًا بعد جيل!

- ولكن سيدي هذه المقبرة بالفعل مليئة بالكنوز!

- خذوا فقط ما تستطيعون واتركوا البقية، فلن أضيع وقتي بما انشغل فيه من سبقونا.

- لكن سيدي....

- سمعتني! فليتحرك الجميع إلى موقع آخر.

قالها "جون" وعاود إلى ظلام كرسيه، حزينًا على تلك الأخبار القاتمة التي تأتيه من مصر، خبرًا تلو الآخر، فلقد وصله لتوه خبر وقوع أهم رجاله في القاهرة، لتزداد مهمته صعوبة خصوصًا لعدم استطاعته السفر إلى "مصر" لأسباب كثيرة، كانت الرهبة أهمها!!!

***

ظل الرائد "هشام" والدكتور "صلاح" يبحثان عن "حلمي مهران" المفقود في أرجاء المستشفى، حيث كانت غرفته خاوية من وجوده، ولقد علما بنية هروبه، فهو حالم، لا يتقبل العزلة والحبس، خاصة بعدما ظل حبيس جسده لسنة كاملة! ليتوقعا رغبته في كسر كل الحواجز التي تسجنه، ولقد كانا بالفعل على حق، فلقد حاول "حلمي مهران" الهروب من سجنه، بل ومن جسده الذي عزل روحه عن الحياة، ليتخذ هذا القرار بالخروج، الخروج عن النص، لتطأ قدماه الهاوية، خارج حدود غرفته، حيث كانت "أمنية" هناك متسمرة،

داخل غرفته الخاوية، تتفقد شيئًا ما، هذا الظل القابع خلف النافذة المفتوحة! لتتقرب إليه شيئًا فشيئًا بتحرز من حركته التي قد تكون مميتة، فلم تكن تتوقع أبدًا رؤيته هنا! فلقد أدهشها كما أدهشني (أنا) شخصيًّا!

***

ظل اللواء "محمود وهبة" جالسًا في معيشته شاردًا، يحاول الإلمام بحقائق الأمور، فلم تعاكسه الدنيا هكذا أبدًا، بل كان دائمًا ينتصر شيطانه على الجميع، إلا أنه شعر بخيانته له، فلم يعد مطمئنًا للمستقبل الذي عجز عن إدراكه للمرة الأولى منذ سنين طويلة، حتى قاطع شروده صوت فتح باب الفيلا، لتظهر ابنته، تلك العشرينية الملائكية النحيفة التي يظهر على ملامحها الشجن منذ نجح والدها سجن زميلها في الجامعة الذي بادلته مشاعر الحب الصادق، قبل أن يهدم أبوها كل آمالها بجبروته ونابه الأزرق.

دخلت الفتاة بشرودها مارةً من جانب المعيشة متوجهة إلى السلم دون أن تحيي والدها كعادتها، ليستفزه تجاهلها، ويقف صارخًا بحدة:

- إنتي يا هانم!

وقفت ابنته دون أن تتحدث أو تلتفت، ليقترب منها الأب قائلًا:

- مش شايفاني ولا إيه!

لم تُجب "أمل" ببرود، ليقترب منها ويكرر بحدة وهو يمسك بذراعها:

- ماتردي عليا يا بني آدمه.

في تحدٍّ مستفز استدارت إليه قائلة:

- إضربني.

- أفندم!!

تعجب "محمود وهبة" لتكمل ابنته موضحة:

- إضربني....عشان أشوفك.

- طيب مفيش طريقه تانيه ممكن تشوفيني بيها؟

- لأ في........

قالتها وسكتت ثم أردفت ببرود:

- موت!!

***

ظلت "أمنية" متوقفة في شرود حتى عاد الدكتور "صلاح" والرائد "هشام" يائسين إلى الغرفة، ليجداها هكذا متسمرة من أمام ظله!

فلقد كان "حلمي مهران" هناك خلف النافذة يجلس على تلك التشكيلات المعمارية في الهواء، بمنتهى الثقة والقوة، دون أدنى خوف أو قلق من هذا المكان غير المهيأ لأي شخص أو حياة، فالعلو موحش، يقتل الآدمية، يرهب القلوب، إلا من رحم ربي! حيث كان المكان يفتقد لكل عوامل الأمان، إلا أن "حلمي مهران" ظل يحرك قدميه الحافيتين في برود مخيف، لتظل "أمنية" تراقبه في ذهول والدم يكاد يتجمد في عروقها خشية عليه، ولكنها عادت تهدئ روعها حيث كانت جريئة بدورها، فكلاهما ماتا من قبل! لتفتح النافذة بحرص شديد، ليلمحها ويبتسم وهو يقف ملتفتًا إليها بخفة ليواجهها دون اكتراث للارتفاع، لتفاجئه وتخرج يديها خارج النافذة، ليمسك بها في استجابة لجرأة لم يعهدها عن الجميع!

***

- لأ كده يبقى فعلًا لازم تضربي وبالحزام كمان.

قالها "محمود وهبة" منفعلًا وهو يمسك بـ"توكة" حزامه ليخلعه في إشارة لضربها به، قبل أن يظهر أخوها مسرعًا من أعلى يهرع إلى والده، فهو ابنه الأكبر وهو شاب في أواخر العشرينيات، نحيف الجسد، طويل القامة، والذي حاول تهدئة والده.

- باباااا

- حاسب يا بني خليني أعرف أربيها، طالما أمها معرفتش.

بعصبية قالها وهو ممسك بحزامه.

- طيب معلش إهدى يا بابا..عشان خاطري.....إطلعي إنتي فوق دلوقتي... بقولك إطلعي....

كررها ناظرًا إلى أخته التي صعدت بهدوء وتحدٍّ مستفزين، ليتابع الأب عصبيته:

- والله لأربيكي زي ما ربيت أمك من قبلك.

حاول الشاب بدهاء تهدئة والده محتضنًا إياه، متوجهًا به إلى المعيشة ليجلس الأب، ويتحرك الابن ناحية مبرّد مياه ليشغلها ويسكب كوبًا باردًا ويجلبه إلى والده بمكر شديد.

- إتفضل يا بابا واهدى خالص.

- أنا خلاص من النهارده هاعدلكوا في البيت عشان أعرف أربيكوا.

اندهش الابن وتساءل:

- وشغلك يا بابا!

هرب "محمود وهبة" من السؤال ،أخذ يرشف الماء وهنا رن جرس هاتفه حاملًا رقمًا خفيًا، فكتب على الشاشة "مكالمة من مجهول" بينما حاول الابن بفضوله معرفة المتصل، ليجبر والده على التنصل منه:

- سيبني يا بني دلوقتي.

- طيب بابا...

رد الابن مستغلًا انشغال الأب، مشيرًا بيده بعلامة المال ليتفهمها الأب، ويخرج من جيبه ألفي جنيه خطفها الابن متلهفًا، فلقد بدأ جسمه في طلب احتياجاته التي يمده بها يوميًا!

- طيب إمسك وامشي من قدامي دلوقتي.

- حبيبي يا ابويا، سلاااام.

خرج الابن وبعدما تأكد الأب بنظراته من ابتعاده جلس مجيبًا:

- آلو.

من برلين أجابه "جون" في ظلامه بلغة عربية مريبة:

- أخبارك وصلتنا.

- خواجه جون!!

- ما سمعناه عنك إذا كان صحيحًا، فلن يجعل لك أهمية عندنا..... ولكن في العموم سيظل عندك فرصة لتنظف تلك الفوضى التي أحدثتها، وسأتركك لتحيا حتى تنهي هذه الجلبة، ولكن فقط إلى آخر هذا الشهر! تذكر فقط آخر الشهر!

أنهى "محمود وهبة" المكالمة وهو ينظر إلى هذا التقويم المشير إلى التاسع عشر من أكتوبر في توتر ثم أجرى اتصالاً أخيرًا

***

عبر "حلمي مهران" بقوة إلى الداخل، ممسكًا بيد "أمنية" من أمام الرائد "هشام" والدكتور "صلاح" اللذين حبسا أنفاسهما من الخوف والترقب بينما بهدوء قالت "أمنية" لـ"حلمي مهران" الذي يخطو خطوته الأخيرة إلى الداخل:

- إنت مابقتش بتخاف، صح!

بأسلوب نسائي قالتها متجاهلة الجميع، ولكنه لم يُجبها واكتفى بالابتسامة لنظرة إعجابها، ليقاطع الدكتور "صلاح" الذي كان عن يمينه الحديث.

- والله إنت لو مش بتخاف على نفسك أنا خايف عليك، ولو سمحت ماينفعش التصرفات بتاعتك دي طول ما إنت هنا.

- أسبوع!

- أفندم!

لم يفهم الدكتور "صلاح" ليكرر "حلمي مهران" بأسلوب مخيف:

- أسبوع واحد، زي ما إنت قولت.

- أيوه أسبوع، بس لو كررت تصرفاتك دي مش هايبقى أسبوع.

لم تعجب نبرة الدكتور "صلاح" مريضه "حلمي مهران" العائد من الموت، ليقترب منه في تحد:

- وأنا بقولك هاخرج قبل أسبوع.

سكت لحظة ثم أضاف:

- واتفضل إطلع برا.

لم يدرك الدكتور "صلاح" جدية "حلمي مهران" إلى أن أشار إلى الخارج وأخذ يهدد بشيء ما لم يعرف الجميع صحته.

- بقولك إطلع برا، قبل ما أقولك أنا شفت عنك إيه.

توقف الدكتور "صلاح" مترددًا في حين اقترب "حلمي مهران" من قدمه الفولاذية، ليشير إليها قائلًا:

- أنا شفتك في أحلامي، بس معرفش إذا كانت أوهامي حقيقة ولا خيال.

- إنت رجعت منين بالظبط؟

- إنت بالذات عارف كويس أنا رجعت منين، ودلوقتي لو سمحت تسيبني قبل ما الربع اللي شغال عندي يضرب، وافتكر اللي بحاول أنساه.

- بس أنا عايزك تفتكر!!

في تحد قالها الدكتور "صلاح" ليزفر "حلمي مهران" قائلًا:

- هافتكر بس مش دلوقتي، وياريت تخليك في قرايتك ورواياتك القديمة وتسيبني هنا بدل ما أعملك مصيبه!!

بصوت حاد قالها أدهش الممرضين المتصنتين من الخارج، وهم يشاهدون لحظة خروج الدكتور "صلاح" مطرودًا بما يحمل في جعبته من أسرار منذ آلاف السنين!

***

ظلت "دنيا" تناجي عشيقها في مكالمة طالت خِلاف توقعها، بينما كانت تتناول فطورها في ركن من غرفتها.

- "يا حبيبي" أنا مش فاهمه حاجه من اللي إنت بتقوله، ما يفوق "حلمي مهران" ده ولَّا اسمه إيه، مش القضيه اتحجزت للحكم خلاص؟

بجدية أجابها حبيبها منبهًا إياها إلى إمكانية استدعاء "حلمي مهران" للشهادة؛ الأمر الذي يمكن أن يعطل مخططاتهم أو هدمها إذا كان الرجل قد شاهد شيئًا ما في ذلك الحفل المميت، لتعلق "دنيا" باضطراب وقلق:

- طيب خلاص يبقى تشوف شغلك بقى، وأنا هاعتبر نفسي معرفش حاجه.

قالتها ثم أغلقت الهاتف في توتر أظهر رعشة يديها وهي تحاول إخراج سيجارة من علبتها لتشعلها برهبة وهي تنظر إلى سريرها الذي رتبته الخادمة، لتعود "دنيا" إلى الماضي وتجد نفسها فيه بجوار زوجها القتيل "أدهم"! والذي كان في هذا الوقت منذ أشهر يجلس بجوارها يرتدي حذاءه، في مشهد لم تستطع نسيانه، فلقد كان يومًا خاصًا، حيث وقف "أدهم" حينها مرتديًا بذلة داكنة، وتحرك ناحية مرآة موضوعة عند الباب ليربط ربطة عنقه لتقول له "دنيا" الجالسة في غيرة:

- طبعًا بتتشيك للهانم الجديده.

التف "أدهم" في اندهاش مصطنع:

- هانم مين بس يا "دنيا"؟

قامت "دنيا" وتحركت لتشعل سيجارة قائلة:

- لا يا راجل! يا حبيبي إنت نسيت إني كنت مديرة مكتبك برضه قبل ما نتجوز؟

في تجاهل وهو ينظر للمرآة:

- يا حبيبتي كفايه النغمه دي، أنا مقدرش أبدًا أبص لحد غيرك،

وإنتي عارفه كده كويس.

بتهكم سخرت قائلة:

- حب يعني!

اقترب "أدهم" منها تاركًا ربطة عنقه ليقول بحنان كاذب:

- طبعًا حب يا "دنيا".

أمسكت "دنيا" ربطة عنقه لتكمل هي خنقه بها:

- ولو مش حب يا "أدهم"، المهم إنك تبقى عارف إنه ما ينفعش تبص لحد تاني غيري!!

- عارف يا "دنيا" وفاهمك كويس... بس ده مايمنعش إن جوزك طول عمره شيك.

بمداعبة حاول حفظ ماء وجهه، لتنهي "دنيا" عقد ربطة عنقه، وتذهب لسيجارتها.

- طيب إعمل حسابك إني هاحتاج فلوس للحفله.

- تاني موضوع الحفله ده يا "دنيا"!

في استياء علق لترد هي بقوة أرهبته:

- ما خلصنا بقى يا "أدهم" والحفله الأسبوع اللي جاي يوم واحد وتلاتين!

- يا "دنيا" أنا أفهم الواحد يعمل حفلة عيد ميلاد، رأس سنه، بس مش "هالوين"!!

في تكبر واضح وهي تجلس بتربيعة مغرية على كرسيها أبرزت شيئًا ملبسها الداخلي:

- وهو لو مش إحنا اللي عملنا "الهالوين" مين اللي هايعمله؟

ابتسم "أدهم" واقترب من زوجته وجثا أمام حجرها في تراجع ليقول:

- حاضر يا "دنيا" اللي تشوفيه المهم تكوني مبسوطه.

عادت "دنيا" إلى واقعها الآن، حين سمعت صوت خادمتها تنبهها إلى السيجارة التي كادت تحرق يدها، لتخطفها الخادمة قائلة:

- خدي بالك يا مدام "دنيا"، إيه اللي واخد عقلك؟

- ها!! ولا حاجه، سرحت شويه بس.

بتنهيدة حب كاذبة:

- إحنا كنا ما صدقنا شوفنا ضحكتك الحلوه بس يا مدام "دنيا"، إيه اللي عكرها تاني بس؟

- قلتلك ولا حاجه.... إتفضلي روحي هاتيلي نسكافيه تاني.

بتوتر قالتها لتظل الخادمة واقفة في تعجب لتكرر "دنيا" بعنف:

- بقولك نسكافيه تاني!!

- حاضر يا هانم اللي تشوفيه.

أخذت الخادمة الكوب الفارغ لتحضر آخر، بينما شرعت "دنيا" في اتصالها الأخير:

- أيوه يا "جون"!!

***

تجمع الممرضون عند غرفة "حلمي مهران" لكي يشهدوا على واقعة إحراج الدكتور "صلاح" وطرده وسط نبرات من السخرية، بينما ظل الرائد "هشام" مستمتعًا بالموقف، ليقول باندهاش:

- إنت لا يمكن تكون "حلمي مهران" اللي أنا أعرفه!

استمتع "حلمي مهران" بنظرة زميله، الذي حاول تذكيره بأول يوم له في الإدارة.

- إنت فاكر أول يوم جيت في الإدارة عندنا يا "حلمي"؟

- لأ.

استنكر "حلمي مهران" معرفته بذلك اليوم الأول في عمله مع الرائد "هشام" الذي عاد بذاكرته إلى هذا المشهد من داخل مكتب اللواء

"محمود وهبة" عندما كان جالسًا في حالة ترقب، فور علمه بتعيين زميله الجديد الذي جاء بعد وفاة أحد زملائه في أحداث "الوحي".

- ويطلع مين ده بقى يا فندم؟

تساءل الرائد "هشام" رئيسه في ذلك الوقت اللواء "محمود وهبة" عندما كان في إدارة التوثيق والمعلومات قبل انتقاله إلى المباحث.

- والله الملف اللي قدامي بيقول حاجات متناقضه جدًا يا "هشام".

قالها اللواء "محمود وهبة" في حيرة، ليستعلم "هشام":

- إشمعنى؟

- يعني مكتوب إنه عبقري...وإنه كان أذكى دفعته.

- طيب فين التناقض؟

سمع "محمود وهبة" صوت طرق الباب.

- إتفضل.

دخل "حلمي مهران" في زيه القديم، حيث ظهر بشكل طفولي، فلم يبالِ له "هشام" في بادئ الأمر، قبل أن يقف "حلمي مهران" محييًا رئيسه تحية رسمية جدًا وهو ينظر أمامه قائلًا:

- "حلمي مهران" يا فندم.

لتثير تحية "حلمي مهران" الرسمية وهندامه المبالغ، سخرية الرائد "هشام" إذ لم يكن يتوقع أن يكون هذا هو العبقري الذي يتحاكون عنه، ليتفهم التناقض الذي تحدث عنه اللواء "محمود وهبة"، ليضحك الرائد "هشام" حينها كما ضحك هو الآن عند عودته إلى الواقع، متذكرًا هيئة "حلمي مهران" القديمة قبل أن تتدخل "أمنية" في فضول لتحاول السؤال عما كان عليه "حلمي مهران" في السابق:

- كنت بتقول فاكر إيه لأستاذ "حلمي مهران"؟

انتبه الرائد "هشام" لوجود "أمنية" لتوه ليحرج ويقول:

- هه، لا مش مهم، ويا ريت يا آنسه...

- "أمنية".

- أهلًا آنسه "أمنية"، طب ممكن بس لو ينفع تسيبيني مع المقدم "حلمي مهران" شويه؟

- ليه؟!

قالها "حلمي مهران" ممسكًا بيد "أمنية" بدفء غريب لفت انتباهها، لتتمعن في النظر إليه:

- معلش يا "حلمي" أنا آسف، بس أنا هنا في شغل.

بجدية علق الرائد "هشام"، لينتبه "حلمي مهران" إلى سبب وجود زميله الذي حسبه صديقه للحظة.

- آه صحيح افتكرت، تصدق أنا للحظه تخيلت إنك جاي تزورني، بس افتكرت إني عمري ما حد عملها قبل كده.

يُحرج الرائد "هشام"، لتتدخل "أمنية" بحنان وهي تلامس كتف "حلمي مهران" بأناملها وتربت عليه بلطف:

- أنا هاستنى برا بس مش هامشي.

استراح "حلمي مهران" وابتسم لها قبل أن تخرج هي في حالة من السعادة بعدما لاحظت اهتمامه، لتسير في ذلك الممر الخارجي بخطوات هادئة، تتفحص المكان بفضولها المعتاد، وهي شاردة في طبيعة انجذابها لهذا العائد الغامض، الذي يربطها به الكثير من الصفات المشتركة!! من هذا الممر لاحظت "أمنية" باب تلك الغرفة المفتوحة بجانب غرفة الدكتور "صلاح"، والتي خرجت منها أشعة الشمس الغنية، لتقف أمام الغرفة وتتفقدها بنظراتها، لتتأكد من خلوها، لتناديها تلك النافذة كالنداهة! لتدخل "أمنية" وتتوقف أمامها لتلبي النداء، وتفتحها في ابتسامة قبل أن تخرج رجلها اليمنى.

***

(31)

من إحدى بقاع مصر الصحراوية، وصل موكب فرعون مع زوجته، محمولًا على ظهور عبيدهما، داخل مقصورة ذهبية خالصة. كان فرعون مصر مهمومًا، فلقد عرف خطورة ما تحمله علومه من أسرار، وورث حضارة لم يأتِ العالم بمثلها، وقد كانت تلك هي عظمة المصريين القدماء، الاستمرارية، فلم يمحُ ملك آثار من خلفه، بل أكمل كل منهم رسالة من سلفه، فإن لم يكن المصريون هم أول من كتبوا، ولكنهم أول من استمروا في الكتابة، ولقد كانت مواصلتهم سر نجاحهم، إذ أكمل كل منهم من حيث انتهى منه من سبقوهم، لتجد أن آخر ملوكهم يشبه أولهم، شكلًا وموضوعًا، فهذا حفيد ذاك، فلقد كانوا في الأصل واحدًا، حتى إن الملك "تحتمس الرابع" راودته رؤى في أحد أيام شبابه عندما كان أميرًا يقوم بالصيد بجانب "أبو الهول" الذي غطته الرمال، حيث كانت الرؤيا لـ"أبو الهول" نفسه يبشره بعرش مصر، طالبًا منه إزاحة الرمال من على جسده الصخري، لتتحقق تلك النبوءة التي جسدها هذا التمثال الغارق في الرمال والذي سبق تشييده عمر "تحتمس الرابع" بأكثر من الألف والثلاثمائة عام كامل، ليغدو "تحتمس الرابع" فرعونًا على مصر، ليأمر فور تتويجه بإزالة الرمال من على جسد التمثال العجوز، واضعًا بين يديه لوحة كبيرة سميت بلوحة الحلم، كتب عليها قصة الفرعون الصغير، ونبوءة هذا التمثال الذي جسد جدوده الذين سبقوه بأكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، وإن ظل الفرعون يقدسه، بتجانس غريب، لم ولن يحدث في أي حضارة، فمثل تلك المدة تتغير فيها عشرات الحضارات في البلد الواحد، لتطمس كل منها التي سبقتها، كما محا الإسبان تاريخهم الإسلامي، ومسح المسلمون تاريخهم القبطي، لتظل حضارة المصريين القدماء هي الأقوى بين جميع العصور، باستمراريتهم في البناء الذي تمكنوا منه دون غيرهم، سبقوا به العصور، ليشيدوا كل ما يذهب العقول، قبل أن يبرعوا في علم تلو الآخر، فلقد تمكن المصريون القدماء من تقويم الأسنان والجراحات العامة، حتى إنهم وصلوا لعمليات جراحية في المخ نفسه، مكتشفين سر العين الثالثة،

عين حورس التي تكشف ما يخفيه الجميع، تلك العين التي يرى بها الإنسان دون عينيه، لتساعد غريزته في حب البقاء، فلقد قدس المصريون القدماء الحياة، بكل أنواعها، قدسوا الإنسان والحيوان والنبات، وأدركوا قيمة التوازن البيئي قبل كل الحضارات، لتتحول مقدساتهم إلى قيم يقينية ومنها إلى مجموعة من المعارف، إلى سلوكيات، جعلت منهم شعبًا متحضرًا، لا يضاهيه أي من شعوب الأرض، ليتفهموا خطورة ما توصلوا إليه يومًا بعد يوم، وبدأوا يستشعرون أهميته؛ خاصة بعد غرق أطلانتس، ليحاولوا حفظ علومهم وتاريخهم، ولكنهم خافوا من وقوع تلك العلوم في الأيادي الخاطئة، لذا ظل فرعون مشتتًا لا يعرف ما يفعل في تلك المسؤولية التي وقعت على كاهله، لتنظر إليه زوجته الحبيبة التي بحث عنها عبر العصور، وتنصحه بنصيحة أخيرة:

- افعل ما يمليه عليك قلبك، ولا تحمل نفسك ما لا تستطيع تحمله.

أمسك فرعون بيدها، متقبلًا حديثها ثم ترجل من العربة، ليتوسط هذا المكان الذي اختاره مستشاره الأمين، المسمى بالكاهن الأعظم الذي ظهر من وسط الصحراء بعباءته الكتانية الحمراء التي توغلتها الكثير من التقطيعات عبر الزمن، كان لظهور الكاهن الأعظم هيبة تكاد تضاهي ظهور الفرعون، لينحني من أمامه الرجال، ويتقدم هو بخطوته الثقيلة ممسكًا بعصاه، وتتطاير الرمال من حوله خوفًا، لتزيد من رهبة قلوب الرجال الذين لم يعرفوا ملامحه من أسفل غطاء رأس عباءته الذي زاد من غموضه، مع انعكاس أشعه الشمس حول قلادة صدره ذات السائل الأحمر الموضوعة داخل مفتاح الحياة. انتظر الفرعون مستشاره باحترام مبالغ حتى اقترب الكاهن الأعظم أخيرًا من سيده، ليومئ برأسه محييًا إياه، ليبدأ الفرعون حديثه في قلق:

- هل هذا هو المكان المناسب الذي اخترته؟

- نعم يا مولاي، من داخل تلك الصحراء الموحشة، بنيت لك هذا الصرح.

قالها الكاهن الأعظم مشيرًا إلى غرفة ما، بنيت داخل الرمال.

- هل تستطيع إعلامي بالمزيد؟

- تذكر يا مولاي أن المزيد سيفسد لك المزيد.

- ولكني فرعون مصر، ويجب علي إدراك الحقيقة كاملة.

- كما تشاء يا مولاي، تلك الغرفة لا يمكن إغلاقها أو فتحها إلا من الداخل.

لم يفهم الفرعون، ومابرح مصوبًا بصره إلى بعض رجاله المخلصين المتوقفين داخل تلك الغرفة في إشفاق.

- ماذا تقصد أيها الكاهن؟!

- كما فهمت يا مولاي، سوف يتم إغلاق تلك الغرفة من الداخل، لتصمد عبر الزمان.

- هذا يعني.....

- نعم سيتحتم على بعض رجالنا المخلصين، إغلاقها من الداخل.

فهم الفرعون الرسالة، وينظر إلى هؤلاء الرجال الذين آمنوا بالقضية، ليستقبلوا تلك المهمة بسعة صدر، مدركين أنهم سيغلقون على أنفسهم تلك الغرفة التي ستصبح بمثابة مقبرة جماعية لهم، ولكنهم كانوا مؤمنين بربهم، آملين في الحياة الأخرى بعد البعث، وأن قلوبهم ستكون أخف من الريشة أمام الإله "أنوبيس" لتحكم عليهم "ماعت" بحياة أخرى هاربين فيها من "البعبع".

نظر فرعون إلى مليكته التي فهمت ما سيتوجب عليه فعله، لتحجب نظرها عن المشهد، فيعطي فرعون الإشارة، ليحيي الرجال الفرعون، ليكملوا إغلاق الغرفة التي حوت ما ستهابه الدنيا من علوم!!!

أنهى الدكتور "صلاح" قراءة هذا المشهد من روايته المفضلة التي تقص أسطورة "مليكا"، فيهدأ نسبيًا ويغلق الرواية من داخل مكتبه في القبو، ليقف مهمومًا بمساعدة عصاه التي تقف بجانب مقعده، ليخرج هاتفه ليقوم باتصال هام، إلا أنه لم يكن هناك إرسال كافٍ،

فتنهد ووضع هاتفه في جيبه، ومن ثم خرج من الغرفة إلى الخارج، مغلقًا الباب ويعبر إلى المصعد، ليعود إلى الطابق الثالث عابرًا أمام بعض الممرضين الذين نظروا إليه بسخرية، فيرد عليهم بنظرة شر أرعبت قلوبهم، ليهرب كل منهم إلى مكانه، قبل أن يتوجه الدكتور "صلاح" إلى غرفة مكتبه الأخرى ليقوم باتصالاته!! بينما كانت "أمنية" من الغرفة المجاورة له قد حسمت أمرها، لتتبع خطى "حلمي مهران" باحثة عن الحرية، هربًا من الواقع، لتعبر أخيرًا من تلك النافذة وتتوقف وسط هذا العراء ببرود وهدوء، ثم خلعت حذاءها وأمسكته بيديها بأعصاب باردة، ثم بدأت تتحرك على الحافة برشاقة وجرأة كما فعل هو، بل كانت أكثر جرأة، فلقد كانت تعشق التنافس، لتستنشق برد الشتاء باستمتاع قبل أن تجلس على الحافة مستقرة، من أعلى الطوابق الثلاثة، لتراقب المشهد بارتياح، لتحرك قدميها في سعادة طفولية غريبة.

***

وصل "فؤاد" إلى شقة "حنان" في محاولة منه لمحاربة فكره، لتستقبله استقبال الفاتحين داخل تلك الشقة الصغيرة ذات الصالونات العصرية التي تعكس ذوقًا رفيعًا وإن كانت بإمكانيات محدودة، التفت "فؤاد" عن يمينه ويساره يعاين المكان ويقول مندهشًا:

- أنا مش فاهم بس يا "حنان" إنتي عايزه تعملي إيه!

- يا "فؤاد" عايزه اتدلع.

- لو إنتي معاكي حبة قرشين ومحيرينك، اديهملي أنا يجوز عليا الصدقه.

ساخرًا علق "فؤاد" وتضحك "حنان" وتكمل:

- لا صدقة إيه؟ ما إنت ربنا فتح عليك، وبعدين ما أنا هاديلك الفلوس بس لما تعملي اللي أنا عاوزاه.

- أيوه اللي هو إيه؟!

- ما قولتلك تدلعني.... يعني تعملي أسقف جديده وألوان مختلفه،

عايزه أنسى إني كنت متجوزه يا سيدي.

قالتها بدلال قبل أن يرن هاتف "فؤاد" برقم "وعد" فيندهش من اتصالها ويجيب متعجبًا بصوت منخفض مبتعدًا عن "حنان".

- في حاجه يا "وعد"؟

- ولا حاجه وحشتني.

قالتها "وعد" ببراءة من داخل غرفتها الجديدة بالمستشفى التي انتقلت إليها لتوها، متناسية كل ما حدث، فكرر "فؤاد" مندهشًا:

- وحشتك!

- أيوه إنت مابتكلمنيش ليه؟

- كفايه بقى لعب بيا، حرام عليكي.

قالها بصوت مرتفع، لتبدأ "حنان" في إظهار ضيقها.

- أنا مش بلعب بيك يا "فؤاد"......... أنا بحبك.

قالتها لتجهز على "فؤاد" الذي استسلم لها فور سماعه تلك الكلمة، ليخضع لها تابعًا كعادة ضعفه أمام صوتها، بينما ظهرت الغيرة على "حنان" التي لاحظت تغير ملامحه؛ حيث كانت تتوقع أن يكون الوقت مناسبًا لتتقرب من "فؤاد" الذي ظهر عليه التوتر.

- حرام عليكي يا "وعد" أنا مابقتش أستحمل.

- ماتستحملش.

بدلال تابعت "وعد"، ليزداد اندهاش "فؤاد" متسائلًا:

- "وعد" هو إنتي كويسه؟!

- لأ أنا في المستشفى.

- مستشفى!!! ليه؟

- لما تيجي هاقولك.

قالتها وأعطته عنوانها في دلال وثقة، ثم أغلقت الهاتف مبتسمة

لوالدها الذي دخل الغرفة حالًا:

- بابا.. إنت هنا؟

- أيوه يا روحي هنا، ده "حلمي" اللي كنتي بتكلميه؟

- "حلمي"!!!

تذكرت "وعد" لتوها ما كانت تحاول نسيانه، ومن ثم تعود إلى شرودها متناسية أن "فؤاد" كان مستعدًّا للقدوم مغادرًا شقة "حنان" التي ظهر عليها الضيق فجأة من أسلوب "فؤاد" لتقول:

- يا "فؤاد" إنت بقالك شهور بتأجلني ماينفعش كده، أنا فعلًا محتاجالك جدًا...

تعجب "فؤاد" من انفعال صديقته المبالغ، فتشعر هي بتلك المبالغة لتحاول الحفاظ على ماء وجهها قائلة:

- محتاجه الشقه يعني، محتاجاها تجهز بسرعه.

في عجلة من أمره، أجاب "فؤاد":

- يا "حنان" حقك عليا أنا آسف بس لازم أتحرك.. في ظرف طارئ.

- طيب آجي معاك؟

فكر "فؤاد" لحظة قبل أن يدرك عدم إمكانية ذلك ليقول أخيرًا:

- لأ، معلش هاكلمك أنا لما أخلص.

***

استمر الدكتور "صلاح" يتابع حديثه عبر الهاتف في غضب متحركًا في أركان غرفة مكتبه بالطابق الثالث في سخط:

- أنا بقالي سنين مستني حاله زي كده......

توجه الدكتور "صلاح" إلى النافذة وفتحها، ثم أكمل بتوتر:

- ودي فرصتي عشان أفهم، حتى لو هاشرحه إحنا مش بنشوف حاله زي دي كل يوم!

من الخارج انتبهت "أمنية" المستلقية على ظهرها إلى حديث الدكتور "صلاح" بعدما فتح النافذة، وتقف بجرأتها عند الحافة في فضول متصنتة على المكالمة الهاتفية.

- "حلمي مهران" مش هايطلع من المستشفى دي غير لما آخد منه اللي أنا عايزه....أنا عارف كويس أنا هاعمل إيه.

صُدمت "أمنية" من هول ما سمعته، لتشرد في شكوكها، ونية الدكتور "صلاح" التي جهلتها قبل أن يرن جرس هاتفها فجأة مقاطعًا حديث الرجل الذي انتبه للصوت القادم من خارج نافذته، ليترك الهاتف في ريبة، وترتبك "أمنية" وأفقدها اتزانها، قبل أن يفتح الدكتور "صلاح" النافذة على مصراعيها في ترقب ليخرج ملقيًا نظرة عن يساره ثم عن يمينه!!!

***

من غرفة "حلمي مهران" كان الرجل لا يزال مع زميله الرائد "هشام" الذي جاء باحثًا عن براءة "ماجي" كما ادعى زميله القديم، إلا أن "حلمي مهران" باغته بالسؤال بذكائه وقدرته على الملاحظة ونظراته الثاقبة:

- واضح إنك اتنقلت المباحث زي ما كنت عايز!

ارتبك الرائد "هشام" من السؤال الذي كرره "حلمي مهران" من بعد رئيسه في العمل، فيؤكد توقعه:

- حقيقي.

في هدوء مصطنع أكمل "حلمي مهران" تلميحاته المريبة:

- وطبعًا اتنقلت بعد حادثتي علطول!

***

من عند الحافة ظهر تعجب الدكتور "صلاح"، فلم يجد شيئًا أكثر من حركة نافذة الغرفة المجاورة، ليدخل وينهي مكالمته في شك وتوتر، ثم خرج من غرفته إلى الممر يترقب، ليخطو بضع خطوات ناحية الغرفة المجاورة، ليدخلها!!!

***

- ما تجاوبني يا سيادة الرائد!!

قالها "حلمي مهران" الذي شرع في زرع الشك في قلب الرائد "هشام" فأجابه في خنوع:

- أيوه يا "حلمي"، اتنقلت بعد حادثتك.

- وطبعًا اللي نقلك "محمود وهبة"!!

***

من داخل الغرفة المجاورة اندهش الدكتور "صلاح" من عدم وجود أي أشخاص، فخرج منها متعجبًا ليصطدم بها في الممر!

- آسفه.

- آنسه "أمنية"!!

- معلش خضيتك.

ببراءة مصطنعة قالتها ليعقب هو بفضول:

- لا أبدًا.. إنتي كنتي فين؟

- أبدًا الرائد "هشام" طردني أنا كمان، إنت عارفه بقى.

بسخرية استطاعت إبعاد شكوكه، ليكمل الرجل بأريحية:

- هاتقوليلي؟ طيب إنتي ماشيه ولا مستنيه؟

- لأ مش ماشيه لسه هاستنى "سالي" زميلتي جايالي.

- طيب اتفضلي استريحي في مكتبي بدل الوقفه هنا.

- هو مكتبك فين؟

بدهاء تساءلت.

ليشير إلى غرفته المجاورة ببراءة.

- طيب هاستأذنك أعمل تليفون وأجيلك.

- براحتك خالص.

تركها الدكتور "صلاح" ومن ثم تخرج هاتفها وتتحدث من على بعد عدة خطوات:

- "سالي" إنتي فين؟

من مكتبها في الجريدة أجابت "سالي":

- إنتي اللي فين يا بنتي؟ كلمتك كانسلتيني.

- معلش لما تجيلي هافهمك.

- آجي فين؟!

في إرهاق تابعت "أمنية":

- تيجيلي المستشفى محتاجاكي ضروري.

- في حاجه ولا إيه قلقتيني!

في قلق تساءلت "سالي" لتجيب "أمنية" بحزم:

- تعالي بس يا "سالي" لو سمحتي.

- حاضر حاضر حالًا هاجيلك.

أغلقت "أمنية" الهاتف وأسندت ظهرها إلى الحائط وتنهدت تنهيدة هم، بينما من الجريدة لاحظ "تيم" توتر "سالي" فاقترب منها في فضول:

- دي كانت "أمنية"؟

- آه يا كبير، ولو سمحت هي محتاجالي ضروري، فهضطر أستأذن معلش.

- في إيه قلقتيني؟

- هي اللي قلقتني والله يا باشا، بس هي عايزاني أروحلها عند "حلمي مهران" بسرعة معرفش ليه.

- طب إستني هاجي معاكي.

- يا باشا ماتتعبش نفسك.

مبتسمة لإيجاد طريقة مجانية لتوصيلها.

- اسكتي خالص واستنيني.

- طب ماتتأخرش بقى.

قالتها بسخريتها المعهودة، لينظر لها "تيم" بحزم لتتراجع هي قائلة:

- دعابه يا باشا دعابه، براحتك طبعًا.

***

ظهر السخط على الرائد "هشام" من داخل غرفة "حلمي مهران" ليقول:

- عايز توصل لإيه إنت كمان يا "حلمي"؟

مستمتعًا بذكائه يقول "حلمي مهران" متهكمًا:

- أنا كمان! يعني واضح إن في غيري فاهم اللي أنا فاهمه.

- فاهم إيه! هو ماينفعش أكون أنا اتنقلت بمجهودي مثلًا؟ ولَّا لازم أبقى زيكم كلكم ليا ضهر؟

تغيرت ملامح "حلمي مهران" فلم يتوقع هذا الهجوم المفاجئ، محاولًا الدفاع:

- "هشام" أنا مقصدتش....

قاطعه الرائد "هشام" بحدة وتأثر:

- ولا حتى تقصد، بس لعلمك يا "حلمي"، أنا تعبت في شغلي أكتر من أي حد فيكوا، أنا ولا ساعدتني أم ولا حتى أب، أنا وعيت على الدنيا في بيت خالي يتيم، يتيم في كل حاجه وحيد في كل خطوه، واللي وصلتله في شغلي ده من عرقي وتعبي، مش لازم كل حاجه أحاول أوصلها في الدنيا دي، تحاولوا تاخدوها مني، أنا خلاص مابقاش عندي غير شغلي، فلو سمحت يا "حلمي" تسيبني أشتغل، عشان زي ما إنت قلت أنا مش هنا عشان أزورك.

***

من داخل زنزانتها الصغيرة كانت "ماجي" تصارع فكرة الموت، وتلك الحياة التي تنتظرها من بعدها، فهل ستندثر في الفناء، أم ستحاسب؟ لتتوجه إليها زميلتها في حبسها في حنان:

- يا ختي ماتحكيلي حكايتك بدل ما احنا كده، الحبسه شكلها طويله....

- بالعكس أنا شكل حبستي مش هاطول.

- ليه بس كده تفي من بوقك إن شاء الله مايكنش اللي بتفكري فيه، بس فضفضيلي بس، لو مش عشانك عشاني أنا معنديش هنا غيرك.

اقتنعت "ماجي" لحديث السيدة، شاردة فيما مضى، متذكرة هذا المشهد عندما كانت في غرفة "أدهم الجوهري" تنتظر قدومه، حتى وصل أخيرًا، فهرعت إليه لتحييه وتقبله على خديه محتضنة إياه بقوة نسائية، لكن دون أن يجاريها مشيرًا إليها لتجلس مكانه كما كانت.

كان المكتب ذا أرضية بيضاء من البورسلين، والأثاث مودرن، صُنع مكتبه من المعدن الفضي، والمقاعد سوداء جلدية، ومن جانب مكتبه كانت هناك مائدة اجتماعات دائرية توجه "أدهم" إليها، ليجلس بأريحية فاتحًا جهاز تلفاز معلقًا على الحائط.

- طمنيني يا "ماجي" إيه أخبار الشغل؟

- ومالك قافش كده ليه؟

قالتها وهي تقترب منه.

- قافش إيه بس يا "ماجي"؟ أنا لحقت أفتح بوقي!

جلست بجانبه بدلال نسائي احترفته:

- وهو إنت لازم تفتح بوقك عشان أعرفك؟

- يا سيتي أبدًا، أنا مفيش حد في الدنيا يعرفني أدك، بس أنا فعلًا ملحقتش أعمل حاجه ولا أفكر حتى.

- طيب خلاص زي ما تحب.

ابتعدت "ماجي" في ضيق ليقف "أدهم" مغلقًا التلفاز بغضب.

- يا "ماجي" إنتي بقيتي بتجهديني دايمًا مش معقول كده.

- خلاص خلاص أنا هامشي، أنا أصلًا زهقت من قرف الشغل.

بقوة ردت، ليتراجع "أدهم" من فوره:

- لا لا رايحه فين؟ خلاص استني، أنا آسف يا سيتي، أنا فعلًا مش نايم كويس.

- طب إحكيلي إيه اللي واخد عقلك؟

- موضوع الخواجه "جون" ده.

جلست "ماجي" ومن بعدها "أدهم".

- طيب كويس إنك فتحت الموضوع... عرفت توصل لأي حاجه جديده؟

- أبدًا ومش عارف أعمل إيه! الشغل مع الكبار ده يقلق بجد، وبعدين أنا حاسس إن "دنيا" هي اللي بتورطني معاه، ما إنتي عارفه هي اللي معرفاني عليه.

قلقت "ماجي" من "دنيا" وجبروتها لتتساءل:

- عارفه، أنا قلتلك من الأول "دنيا" مراتك مش سهله ونابها أزرق.

بتكبر يرفض "أدهم" حديثها.

- على نفسها يا "ماجي"، إنتي خلاص بقيتي مراتي.

- عرفي يا "أدهم"!! عرفي!! يعني مجرد ورقتين ولا راحوا ولا جم.

قاطع حديثها مكالمة جاءته على الآي فون ليرن جرس كل أجهزته الـ apple ليتوتر ويتحرك إلى مكتبه ويجيب من حاسوبه لاستقبال المكالمة الفيديو، حيث ظهر من على الشاشة هذا الوجه الذي كان يخشاه دومًا "جون"! الذي برز من مكانه المفضل في مكتبة الجامعة يجيب بمنتهى القوة وهو ينظر إليهما:

- "أدهم" بك، يبدو أنك نسيت اتفاقنا.

انسحبت "ماجي" خوفًا من جانب "أدهم" الذي أكمل:

- أبدًا يا خواجه إحنا شغالين بإدينا وسنانا أهو.

- إذن فهل هناك أخبار جديدة؟

بتوتر والعرق يملأ جبينه:

- هو للأسف مفيش بس أنا متابع كل حاجه بنفسي.

- من الواضح أننا لم نعد في أولى أولوياتك........ رغم كل تلك الأموال الطائلة التي دفعناها.

- يا باشا..

قاطعه "جون" في حزم:

- فلتسمعني أيها المصري الكاذب، لم يعد عندي المزيد من الوقت لأهدره، فلن يمنعني عنك عدم قدرتي دخول مصر، فاعلم أنه لا تحجزني الحدود، سأتركك حتى نهاية هذا الشهر، تذكر فقط حتى نهاية الشهر! ومن ثم ستصلك رسالتي...

ظهر الرعب على "ماجي" التي عادت من ماضيها إلى زنزانتها لتقف وهي تنظر إلى نافذة الزنزانة دامعة، قبل أن تكمل تلك الذكرى والمشهد الأليم، عندما حاولت هي حينها تنبيه "أدهم" مرارًا.

- يا "أدهم" لو "دنيا" هي اللي ورا "جون" ده نقطع الورقتين اللي بينا وخلاص، إحنا مش قدها.

ظهر على "أدهم" القلق لتقدم له "ماجي" سيجارة وقد أصبحت تجلس أمامه كالضيوف، تحاول التملص من زيجتهما، بينما ظل "أدهم" متوترًا على مكتبه ليقول رافضًا:

- ماتكبريش الموضوع زي ما سمعتيه، هو مايقدرش يخش مصر، يعني مفيش أي قلق.

- لأ فيه وأنا شايفه إن مفيش داعي لجوازنا ده، أنا كده كده مابقتش بشوفك برا المكتب.

بكبرياء غاضب علق "أدهم":

- حتى لو!....."أدهم الجوهري" لما يحط إسمه على حاجه مابيتمسحش، والورقتين دول يا شاطره هايفضلوا معلقينك طول ما أنا عايش .... خليكي فاكره كويس يا "ماجي" طول ما أنا عايش.

كررها مؤكدًا، لتنظر له نظرة الكره القاتل! فلقد جاءتها حينها الفكرة للحظة، فهل حرمتها تلك الورقة العرفية من حقوقها؟ ألن تستطيع الهروب مجددًا؟ فكرة داهمتها حينها، فهي كالطيور لا تتحمل الحبس، لتمسك بسكينة الجوابات الموضوعة من أمامه، وهي تنظر إلى أوداج رقبته التي استشعرت دماءه كمصاصي الدماء، فتقترب منه محررة نفسها، قبل أن يرن هاتفه، ليلتفت إليها مندهشًا من تلك السكين التي وضعتها بسرعة جانبًا ليقول:

- ده "غانم".

خطف "أدهم" نظرة شك منها، وأبعد السكين في قلق ثم أمسك بالهاتف ليجيب وهو يستدير بكرسيه بقلق:

- حبيبي يا أفوكاتو.

من سيارته أجاب "غانم" قائلًا:

- حبيبي يا صاحبي، أنا جنبك وفاضي، ينفع أفوت عليك سيكا كده؟

- ههه...سيكا! والله لو سيكا تعالى بس ماتخششِ إيدك فاضيه.

علق "أدهم" ساخرًا ثم أغلق الهاتف قائلًا لـ"ماجي":

- بقولك صحيح يا "دنيا".

انتبه "أدهم" لخطئه متأخرًا، لتعلق "ماجي" بعتاب:

- إسمي "ماجي" على فكره!

بكبرياء حاول "أدهم" تغيير الموضوع:

- آسف معلش يا حبيبتي آسف..... كنت بقولك أنا بفكر أسحب

شغل الشركه من "غانم".

- بس ده صاحبك!

مندهشة علقت "ماجي" فيوضح "أدهم" الذي لم يهتم إلا بمصلحته أولًا:

- صحاب دي على القهوه، أنا معرفش أبويا في الشغل، وبعدين أنا بقول شغل الشركه، لكن شغلي الخاص هايفضل معاه.

- طب ليه؟

ببرود يشرح "أدهم":

- والله ده مجرد تفكير، "غانم" صاحبي وثقتي فيه ملهاش حدود، بس نوفر الفِرده اللي بتروح لمكتبه دي أول كل شهر.

- طيب وهاتعمل معايا كده إمتى؟

- لأ إنتي ماتتعوضيش يا روحي، ولا "غانم" كمان على فكره....وأنا مش هاضره بالعكس، أنا بس عايزك تشوفيلي طريقه لطيفه أسحب فيها شغل الشركه منه.

- طيب سيبني أشوف.. هو الصراحه كده دمه تقيل على قلبي.

- لأ سلامة قلبك.

شعرت "ماجي" بالهوان والرخص، لتعود من ماضيها إلى زنزانتها دامعة العين.

***

(30)

أمام المستشفى توقفت تلك السيارة الفارهة التي تعكس مستوى اجتماعيًا رفيعًا، ليترجل منها السائق مهرولًا إلى سيده الجالس في الخلف، ويفتح له الباب بشيء من الرهبة وهو ينظر أرضًا متفاديًا النظر إليه، ليخرج الرجل بقدمه اليمنى التي تحمل حذاءً جلديًا إيطالي الصنع فريدًا من نوعه، ليقف موظفو الأمن لاستقباله، في فضول لمعرفة هويته قبل أن يذعروا من رؤيته، ليهربوا بنظراتهم هم الآخرون إلى الأرض، إذ لم يتوقعوا ما رأوه، ليعبر الرجل من جانبهم ببذلته السوداء، وينفر الجميع، بينما دخل الرجل المستشفى، ليرمق الاستقبال بشكل مرضي، ليحاول استكشاف سجنه الجديد، ثم تحرك هذا الرجل الرشيق إلى كاونتر الاستقبال حيث كانت هناك شابة عشرينية رهبته لتفر منه، فيلاحظ الجميع وجود هذا الرجل، لتبدأ الصيحات تتعالى، محدثين الكثير من الجلبة، ليقترب منه في حذر أحد موظفي الاستقبال:

- يا حضرة!!!

نظر له الرجل بعينه المخيفة، ليتوتر الموظف مكملًا:

- ماينفعش تخش كده يا فندم عشان الأمن.

ظل الرجل يحدق فيه باندهاش، وهو ينظر إلى نفسه ووقاره وهندامه، متعجبًا مما يضايق الموظف الذي أشار إليه عما يزعجه بأصبعه، ليتعصب الرجل ممسكًا أصبع الموظف ليلويه، ليقع الموظف متألمًا أرضًا بعدما أشار للرجل على القناع الأبيض الذي ارتداه، مما أخاف الجميع، حيث ظنه البعض إرهابيًا ما، جاهلين ما يخفيه هذا القناع من بشاعة!!!

***

من غرفته كان "حلمي مهران" قد بدأ للمرة الأولى في التواصل الصادق مع الرائد "هشام" بطريقة إنسانية راقية، بعدما وجد لديه بعض المساحات الإنسانية المشتركة التي أذابت الكثير من الجليد،

ليقترب إليه في هدوء:

- تصدق يا "هشام" أنا أول مره ألاقي فيك شبه مني!

اندهش الرائد "هشام" ثم يكشف ل"حلمي مهران":

- ماتستغربش أوي كده، إنت ما تعرفش عني أي حاجه.

- يعني هو إنت تعرف عني حاجه؟

علق الرائد "هشام" بسخرية ليتابع "حلمي مهران":

- مش بقولك فينا شبه من بعض...... شبه في الغربه نفسها يا "هشام"، صدقني مكنش في فروقات كتير بينا، أنا مكنش ليا في الدنيا غير أمي، اللي ماتت قبل ما أرجع الشغل بأسابيع قليله.

شعر الرائد "هشام" بألم صديقه وحاول تخفيف الضغط عن زميله السابق، رابتًا على كتفه، ليكمل الأخير:

- ماتحاولش تواسيني، إنت مش عارف تواسي نفسك...عارف يا "هشام" الحاجه الحلوه في الغيبويه اللي أنا كنت فيها هي إني كنت معاها... أمي، مافرقتنيش يوم واحد، أنا لو بإديا مكنتش فوقت، بس أكيد ربنا رد فيا الروح لحكمه هو يعرفها وأنا هامشي ورا حكمته، لغاية ما يجي يوم وأرجع لحضنها.

اقترب الرائد "هشام" من "حلمي مهران" بأخوة لم يعهدها على نفسه.

- "حلمي" أنا آسف أنا معرفش إيه اللي دخلنا في النكد ده، إنت أكيد ربنا رجعك بالسلامه عشان إبنك ماتنساهوش.

- "وليد".. صحيح هو مجاش ليه إبن الكلب ده؟!

قالها "حلمي مهران" متذكرًا ابنه الذي كان في غرفته مع خاله العشريني لا يزال يرفض الطعام نظرًا لافتقاده كلا والديه ليظل متقوقعًا على الأرض. لتحاول خادمتهم مرارًا إطعامه دون فائدة، وتدعو تلك الخادمة للمرة الأولى لـ"وعد" التي كانت بالفعل في أمس الحاجة للدعاء؛ حيث كانت الآن داخل تلك الكبسولة القاتلة، ذاك

الجهاز القابض الذي يختبر في الإنسان ضيق قبره، ليبدأ المسح الذري على رأس "وعد"، مكتشفًا ما فيها من عيب!

***

- آلو.....أيوه أنا رايح المستشفى لـ"حلمي" حاضر حاضر.

قالها "غانم" من داخل سيارته وأغلق الهاتف ناظرًا عبر النافذة حيث كانت عن يساره شركة القتيل "أدهم الجوهري" التي كانت في طريقه إلى المستشفى، تقف بانكسار بعدما خسرت صاحبها الأول، ليتذكر اليوم الذي ذهب فيه إلى "أدهم" عندما دخل من هذا المبنى محييًا رجال الأمن، وصولًا إلى الاستقبال بالداخل ليستقبله الموظف الذي عرفه من فوره قائلًا:

- صباح الخير "غانم" بيه إتفضل.

- هي مادموازيل "ماجي" فوق؟

- لأ هي هنا تحت في الكافيتيريا، وأدهم بيه كان نازلها.

- طيب خلاص أنا هاستناه هنا في الكافيتيريا مع مودموازيل "ماجي".

تحرك "غانم" إلى الكافيتيريا، المطلة على الشارع الرئيسي، لحظات بحث فيها بنظراته عنها في المكان، ليشعل سيجارة قبل أن يجد ضالته "ماجي" فهرع إليها "غانم" محييًا إياها محاولًا تقبيلها، لتصده هي بحزم.

- إحنا في الشركه يا "غانم".

- آه، آسف معلش، أصلك وحشتيني.

- خير؟

- ما انتي عارفه!

- والله أنا مابقتش عارفه حاجه خالص.

يشير إليها لتجلس بينما أكمل هو متحمسًا:

- لا إجمدي كده إحنا داخلين على مشاريع كبيره.

أخرجت "ماجي" سيجارة لتشعلها قبل أن تكمل:

- ماتسبقش الأحداث بس يا "غانم".

- خلاص يا "ماجي" سبق السيف العزل.

قاطع اندهاشها "أدهم" الذي ظهر فجأة، ليقف "غانم" سعيدًا، بينما ظلت "ماجي" جالسة في ملل.

- الأفوكاتو البكاش.

- سعادة الوزير.

- أقعد أقعد يا غالي، شربت حاجه ولّا لسه؟

مشيرًا له ليجلس.

- لأ يا عم.. السكرتيره بتاعتك مش راضيه تعبرني.

- سكرتيره!!!

في سخط علقت "ماجي" ليغير "أدهم" الموضوع مشيرًا للمضيف مهرعًا إليه.

- ههه، طب حالًا يا صاحبي...شوف يابني "غانم" باشا يشرب إيه؟

- قهوه على الريحه وحياتك، بس بن غامق من بتاع الباشا، هههه.

- ماشي يا عم من البن بتاعي، وأنا شرحه بس ساده كالعاده.

نسي "أدهم" مضايقة "ماجي" وعلقت وهي محرجة إياه كعادتها:

- طب مفيش حد هايستذوق ويطلبلي؟

- آه معلش، حالًا.

- لا خلاص، خلاص أنا عندي شغل بعد إذنكوا.

قالتها وتحركت بسرعة، ليتنهد "أدهم" منزعجًا:

- أوف على النكد.

- ليه يا عم! نكد إيه؟ ما هي زي الفل أهيه.

- والله يا بني بقى نكد هنا وفي البيت.

- طيب نكد البيت منطقي، بس نكد هنا ليه؟

- ما إنت شايف أهو، لو مفضلتش أدلع واهشتك تقلب عليا ولا كأنها مراتي.

وجد "غانم" أخيرًا طرف الخيط الذي يستطيع بدء الحديث من خلاله، ليعلق بدهاء:

- طيب هي مش مراتك يا "أدهم"؟

توتر "أدهم" فلم يتوقع السؤال ليضيف "غانم":

- في إيه؟ أنا جيت على الجرح ولّا حاجه؟

- لا جرح إيه؟ بس حسيتك "دنيا" مراتي في نفسك كده.

محاولًا التأكد مستخدمًا حسه الإجرامي في فك القضايا تابع "غانم":

- هي "دنيا" شاكه فيك.. صح؟

- مش بالظبط.

- طيب ماردتش عليا!

- أرد على إيه؟

- إنت متجوز "ماجي"؟

- هو إنت جايلي من بيتكوا عشان تسألني السؤال ده يا "غانم"؟

- عايز الحق؟

سكت لحظة ليؤكد مبتغاه دون أن يعطي أي مجال للهروب ليتابع"غانم" قائلًا:

- آه.

تعجب "أدهم" من جرأة "غانم" جاهلًا مقصده، فهو يعرفه عن طريق زوجته "دنيا" وقد توقع أن تحاول زوجته استخدامه للتأكد من

شكوكها، لذا حاول تقليص دوره في الشركة، إلا أنه لم يتوقع أن يكون "غانم" واضحًا بتلك الطريقة، ليسأل عن شكوكه مباشرة، إلا أنه كان يجهل نية "غانم" الحقيقية:

- مش فاهم!

- رد على سؤالي وأنا هافهمك.

- هي "دنيا" كلمتك في حاجه؟

تساءل "أدهم" بقلق ليجيبه "غانم" مطمئنًا:

- بص يا "أدهم" إنت عارف أن مراتك دي عشرة عمر، وأنا بعتبرها زي أختي بالظبط، بس صدقني ده ملوش أي علاقه بسؤالي، فلو سمحت جاوبني، إنت متجوز "ماجي" أو على أي علاقه بيها؟

- يابني هو اللي يتجوز مره يكررها؟ إنت عازب ومش فاهم بس.

راوغ "أدهم" وهرب من الإجابة الصريحة، بينما علق "غانم" بدهاء شديد:

- حلو أوي، خلاص يبقى أنا بقى عندي حل، يحللك مشكلة البيت، وفي نفس الوقت يخليك ماتخسرش "ماجي" في الشغل، أنا عارف أد إيه هي شاطره وعارف أكتر أد إيه إنت راجل محترم.

- مش فاهم!!

قالها "أدهم" مستفهمًا، فلم يكن يتوقع ما كان يصبو إليه "غانم" الذي ظل يتذكر هذا المشهد مبتسمًا من سيارته الآن، قبل أن يصل إلى المستشفى ليصف سيارته، خاطفًا نظرة إلى يمينه، قبل أن يترجل من السيارة ليدخل المستشفى التي أسرتهم جميعًا!

***

تابع "حلمي مهران" حديثه الدافئ مع الرائد "هشام"، ليبدو المشهد وكأنه هو من يحقق معه وليس العكس! حيث كان الرائد "هشام" جالسًا في استسلام على كرسيه، بينما "حلمي مهران" يدور حوله بخفة يقول:

- طيب بعد الكلام ده، إنت هنا عشان شغل ولّا حاجه شخصيه؟

- تفرق في إيه؟

متابعًا دورانه قال:

- لو شغل هاديك اللي أنا عايزه.

- ولو عشم؟

- لو عشم يا "هشام" هاديك اللي إنت عايزه.

توقف "حلمي مهران" عن الدوران وابتسم الرائد "هشام" قائلًا بثقة:

- يبقى خلينا في العشم.

- هه أنا برضه كنت متوقع كده، أصلي رغم إني مكنتش أعرف عنك حاجه شخصيه يا "هشام" لكن كنت عارفك في الشغل، وكويس أوي كمان، نظرتك امبارح وكلامك فيه حرقه، ماتطلعش من الشغل بس!

ظل الرائد "هشام" صامتًا، ليكمل "حلمي مهران" إصابته:

- هي "ماجي" دي اللي خدت إعدام تخصك؟

لم يعلق الرائد "هشام" وهرب من نظرات صديقه الجديد، ليتأكد "حلمي مهران" من صدق حدسه.

- واضح إن حدسي صح.

لم ينطق الرائد "هشام" ليتابع "حلمي مهران" التفافه حوله مشيرًا بسبابته بالدوران.

- وواضح إنك لفيت حبل المشنقه عليها.......... وواضح كمان إنك حاسس إنها بريئه.

وقف "حلمي مهران" فجأة بشيء من الإثارة كالمعلقين ليقول أخيرًا:

- والصراحه عندك حق.

***

كانت "ماجي" لا تزال تنظر إلى قمر الليل تدعو ربها بالمغفرة وهي

تتذكر ماضيها، لتسمع صوت "أدهم" قادمًا من خيالها حين طلب منها أبشع طلب من الممكن أن يطلبه رجل من امرأته، فما برح هذا المشهد عالقًا في ذاكرتها، حين قص عليها غاية "غانم" التي تقبلها "أدهم" بطريقة منافية لحدود عقلها آنذاك، لتسأله هي باندهاش:

- يعني إيه يا "أدهم"؟!

حاول آنذاك "أدهم" شرح وجهة نظره في بساطة مريضة:

- يعني.. الفكره دي ممكن تكون كويسه، ونحل كل مشاكلنا.

- إنت مدرك إنت بتقول إيه! أنا مراتك يا "أدهم"، عايز تجوز مراتك لحد تاني، وكمان صاحبك! إنت عارف ده يبقى إسمه إيه؟

ببرود وهو ينفث دخان سيجارته قال:

- ولا حاجه، إنتي اللي مخك صغير، دي خطوبه، يعني مجرد دبلتين.

- مش فاهمه!

وقف "أدهم" شارحًا خطته الدنيئة، التي لقنها له شيطانه البارع:

- يعني جالنا الفرج، يا هبله... تمثليه صغيره تخرجنا من كل القلق، "دنيا" وهاترتاح، ما هي مستحيل هاتشك إني هاوافق على جوازك من "غانم" لو في حاجه بيني وبينك، فلو "جون" مزقوق من "دنيا" هايخرج من دماغنا ويخلينا نشوف شغلنا، وهاعرف ساعتها أشوفك براحتي كل يوم من غير ما حد يشك فيا، و"غانم" يا حبيب قلبي بيموت في دباديبك، خليه يتبسط يومين.

تقف "ماجي" منفعلة:

- يتبسط يومين مع مراتك!!!! إنت مستحيل تكون بني آدم، إنت شيطان!! وأنا مستحيل أطاوعك، طلقني.

- لأ.

ببرود رفض وهو يملأ صدره بدخان سيجارته المستوردة.

- يعني إيه؟!

- يعني بالورقتين اللي معايا هاتفضلي طول عمرك كده زي البيت الوقف، ولو فكرتي تروحي لـ"دنيا" مش هاتصدقك عشان الورقتين معايا زي ما إنتي عارفه.

- هو إنت فاكرني جاريه عندك؟!

- أيوه بالورقتين دول إنتي جاريه عندي، ولا هاتعرفي في يوم تتجوزي، عشان ممكن ساعتها أرفع عليكي قضية زنا.... وزي ما قولتلك أنا لما بدفع تمن حاجه بعرف أستفيد منها كويس.... يالا بقى يا عروسه عشان تجهزي خطوبتك في البيت عندي الإتنين اللي جاي، إحنا كده كده عاملين حفله فنفرح بيكوا بالمره، أصلي أنا عارف إن ملكيش أهل غيري!!

قالها بإذلال، لتظل كلماته محفورة في ذهنها حتى هذه اللحظة لا تستطيع نسيانه ونسيان قذارته وشيطانيته، شعرت فجأة بالضعف، في تلك اللحظة الحالية بحبسها، من داخل زنزانتها، لتتحرك فجأة مستسلمة ناحية زميلتها التي كانت قد بدأت في النوم، وتجثو "ماجي" على ركبتيها قائلة:

- أنا بريئه والله العظيم بريئه.

اندهشت المرأة من تغير "ماجي" المفاجئ وضمتها بحنان قائلة:

- طب استهدي بالله.

- أنا خايفه، خايفه أوي.

- طب احكيلي، احكيلي بس الحكايه...

***

من داخل غرفته كان الدكتور "صلاح" يجلس خلف مكتبه، بينما على أريكة أمامه جلست "أمنية" وهي تمسك بهاتفها تراسل "سالي" برسائل نصية، كتبت فيها الآتي:

"يا سالي إسمعي الكلام".

لترد "سالي":

"يابنتي إحنا وصلنا من بدري مش عايزانا نخش ليه؟ أنا "تيم" معايا".

لتكتب "أمنية":

" ليه يا "سالي"؟ أنا ماقولتلكيش تجيبيه، خليه يخلل".

لتعلق "سالي" أخيرًا:

"وأنا ذنب أمي إيه؟".

ابتسمت "أمنية" بينما دخلت رئيسة التمريض تطلب الدكتور "صلاح" لاستقبال تلك الحالة الغريبة التي وصلت الاستقبال مؤخرًا.

- معلش يا دكتور محتاجينك في حاله.

تردد الدكتور "صلاح" وهو ينظر بقلق إلى "أمنية" التي قالت بدهاء:

- إتفضل إنت يا دكتور شوف شغلك، هما خلاص صلحوا العربيه وداخلين علينا أهو.

- طيب خلاص إعتبري المكتب مكتبك، عن إذنك.

بارتياح قالها ثم خرج وهو يعرج كعادته، ليستقبل هذا الرجل المقنع الذي جاءه خصيصًا، قبل أن تتبعه "أمنية" من خلفه لتتأكد من ابتعاده لتطمئن وتعاود إلى الداخل، بادئة عبثها.

***

- طيب أنا هاقولك بداية الحكايه.

قالها "حلمي مهران" وهو يبدأ أخيرًا في قص ما يعرفه عن الحادث، ليبتسم الرائد "هشام" قائلًا:

- وأنا عايز أسمع، بس بعشم طبعًا.

- يبقى حاول تفتكر معايا يا بطل.. قبل موت أمي بأيام كنت بدأت أتابع صفحه غريبه على الإنترنت.

- صفحة إيه ما كل شغلنا صفحات!

- لأ بس دي مكنتش أي صفحه...دي كانت صفحة واحد وتلاتين

عشره!!!

قالها "حلمي مهران" بشيطانية مذكرًا إياي بتلك الأيام الخوالي، عندما كنت ألاعب ذكاءهم ثم تابع مستمتعًا:

- الصفحه دي بدأت من بدري وكانت بتنزل حاجات غريبه، الناس افتكرتها صفحة رعب عاديه، بس أنا كنت حاسس إن في رسايل وسط الكلام، زي ما تكون أحجيات محتاجه حد يحلها وإنت عارفني... حاولت أعرف مين اللي ورا الصفحه دي!

كان "حلمي مهران" على حق، فلقد كنت (أنا) من يعبث بعقول الجميع حينها، لأتنهد (أنا) متناسيًا وجودهما، ليشعر الرائد "هشام" لوهلة بأنفاسي، ليقف متوترًا، بحثًا عن روحي، في كل أركان الغرفة كالممسوس، مع ابتسامات "حلمي مهران" الذي اعتاد لهيب أنفاسي الساخنة، ليخرج الرائد "هشام" من الغرفة ليطمئن من خلو المكان من المتطفلين، حال "أمنية" التي سمعت هي الأخرى تلك الأصوات من الممر الخارجي، لتخرج من غرفة الدكتور "صلاح"، لتطمئن وترجع إلى تصفح حاسوبه بحرفية ودهاء.

بينما دخل الرائد "هشام" متوترًا، يتعجب من برودة "حلمي مهران" الذي لم يبالِ لوجودي، فلقد كنت دومًا (أنا) صديقه الوحيد!! ليتابع "حلمي مهران" حديثه إلى الرائد "هشام" حول تلك الأحجيات التي وضعتها (أنا) بذكاء لأكشف فيهم عن سر كينونتي، سر الأمنية الأخيرة التي جهلها الجميع، وإن استطاع "حلمي مهران" حل أولى تلك الأحجيات إلا أنها كانت أسهلها!

***

الأحجية الأولى

بدأ المؤلف بنغمة متكررة أثنتي عشرة مرة انعكاسًا لمنتصف الليل؛ حيث يبدأ الحادي والثلاثون من تشرين الأول، فوفقًا (للأسطورة) يخرج الأموات من القبور ليتراقصوا من أجله (هو) في هذا التاريخ، حتى يصيح الديك عند (الفجر)، ليتعين عليهم العودة إلى قبورهم في انتظار العام القادم ليخرجوا (فقط) في نفس التاريخ مكررين

رقصاتهم منذ أن أنهى الفرنسي عمله في 1847.

***

(29)

نجح الدكتور "صلاح" في تهدئة الوضع، حِيال هذا الرجل المقنع الذي كان يعرف بالفعل حالته، فلقد كان هو الطبيب الذي استطاع استخراج تلك الطلقة من رأسه، محافظًا على حياته التي كادت تنتهي منذ شهور، إلا أن هذا الرجل المقنع لم يعد حافظًا للجميل، بل ناقمًا على الدكتور "صلاح" كارهًا له، إذ إنه هو السبب في استكمال الرجل لحياته، تلك الحياة التي سُلبت منه أثر التنمر الذي وقع ضحيته، فلم يستطع متابعة حياته كما كانت، فلم يهتم الدكتور "صلاح" إلا باستخراج تلك الطلقة المميتة من فك الرجل، غير مبالٍ لما سينتج من تلفيات، شأنه شأن بشري يهتم بغريزة البقاء، لتصبح هي غايته الأولى، فهذه كانت مدرسته، فما بترت ساقه إلا ليتمكن من الاستمرار حيًا دونها، حيث سبقته هي إلى ربه الذي هرب منه سنين طويلة!!

أما هذا الرجل المقنع، فيظن أنه خسارته أكبر من الدكتور "صلاح"، فلقد فقد ما كان مصدر رزقه، واعتاد مقابلة الغير، في كل دقيقة وساعة، ليرضخوا لملامحه المعسولة التي شُوهت أثر الحادث الذي كاد يودي بحياته. لم يستطع الدكتور "صلاح" المحافظة على وجه الرجل كما كان، بل تم تشويهه، مع تهتك فكه، ليفقد الرجل حتى القدرة على الحديث الذي هو مصدر قوته! ليهرب الرجل خلف قناعه؛ خوفًا من التنمر الذي تفشى في عروقه، ليتخذ من هذا القناع ساترًا، حيث فضل رهبة الجميع له، عن نظرات الاشمئزاز التي كان يستقبلها، ليقرر الرجل إنهاء حياته بيديه، قبل أن يتصل به الدكتور "صلاح" منذ أيام، ليبشره بتلك الجراحة التي درسها مسبقًا بإمكانية تصحيح فكه بعملية دقيقة تحتاج الكثير من الجهد والمال، ليؤجل الرجل قراره بالانتحار، متقبلًا خطورة العملية التي قد تودي بحياته، أو خلقها، عله يعود إلى ما كان، لينتقم الرجل ممن خانه وغدر به، فلقد كان يجهل الجميع من حقًا هو!!!

***

تذكر "حلمي مهران" ما حدث له في ذا؛ اليوم المشؤوم عندما دخل فيه على رئيسه اللواء "محمود وهبة" في مكتبه وهو يشعر بإنجاز رهيب، بينما كان الرائد "هشام" جالسًا أمام رئيسه منهمكين في الحديث، ويقول "حلمي مهران" بصبيانية:

- حلّتها.

- هي إيه دي؟!

تساءلا في تهكم.

- الأحجيه اللي في صفحة واحد وتلاتين عشره.

بدا التوتر على "محمود وهبة"! بينما ضحك "هشام" بهستيرية ليقول ساخرًا:

- يا عم "حلمي" ما بدل ما تضيع وقتك شوف الصفحه دي بتاعت مين وجيبهولي هنا وأنا هاقفلهالك وأعلمه العفه.

- لو سمحت يا "هشام" سيبني أشوف شغلي بطريقتي.

قالها "حلمي مهران" مدافعًا عن حلمه، فأكمل "هشام" متهكمًا:

- تلاقيك بس حبيت اللعبه وبتتسلى.

- "هشام"!!....

تدخل فجأة اللواء "محمود وهبة" الذي كان مهتمًا بتلك الصفحة لسبب ما لم يعلمه الرائد "هشام" فواصل الرجل بحدة:

- سيبني دلوقتي يا "هشام" مع المقدم "حلمي" لو سمحت.

- تحت أمر حضرتك يا فندم، عن إذنكوا.

اندهش "هشام" ووقف في استياء ليغادر، ليشير "محمود وهبة" إلى "حلمي مهران" بالجلوس، ليتابع بأبوية مصطنعة:

- أولًا البقاء لله مره تانيه، ثانيًا والأهم بقى أنا عايزك تسيب موضوع واحد وتلاتين عشره ده خالص النهارده، سيبه لحد من زمايلك.

- يا فندم محدش عرف يعمل اللي أنا عملته.

- مش مهم.

بحزم وتوتر قاطعه "محمود وهبة" قبل أن يكمل:

- قصدي يعني النهارده أول يوم ليك بعد رجوعك من الأجازه بتاعت وفاة والدتك.....ولازم تفهم يا "حلمي" إنك هنا زي إبني تمام....عشان كده أنا النهارده هاعزمك برا الشغل.

اندهش "حلمي مهران"، ليكمل "محمود وهبة":

- ماتستغربش، إنت هنا مابقالكش كتير معانا، بس أعمل إيه؟ أنا بعتبركوا عيلتي، وأنا مصمم إنك تسيب اللي في إيدك النهارده وتروح تلبس.

أخرج "محمود وهبة" الدخان من رئتيه وتابع وسط اندهاش "حلمي مهران":

- هاتيجي معايا حفله.

- حفلة إيه يا فندم بس؟!

- حفله عملها صديق ليا، هاعرفك فيها على ناس كتير مهمه.

- بس حضرتك...

- مفيش بس...إنت محتاج تخرج من اللي إنت فيه، ده تلاقي مراتك عايزه تطفش منك.

أحرج "حلمي مهران" عند سماع تلك الجملة، ليستغل "محمود وهبة" إصابته:

- شفت إنت محتاج تدردح شويه يا "حلمي"، يالا بقى إتفضل روح إجهز دلوقتي.

- تحت أمرك سعادتك.

وقف "حلمي مهران" متحيرًا ليتحرك، وناداه "محمود وهبة" قائلًا:

- "حلمي".....خلي بالك الحفله دي تنكريه!

قالها "محمود وهبة" بطريقة مريبة ظلت محفورة في ذهن "حلمي مهران" إلى هذه اللحظة التي يجلس فيها مع الرائد "هشام" بينما لازال يقص عليه تلك الذكرى، ويعلق الأخير ببرود من غرفة "حلمي مهران" بالمستشفى:

- طب وإيه يعني يا "حلمي"؟ الراجل في مقام أبونا كلنا.

- ما هو اللي حصل بعد كده في الحفله هو المهم.

قالها "حلمي مهران" بحرفية لترتسم نظرات الترقب على ملامح الرائد "هشام".

***

وصل أخيرًا "فؤاد" إلى المستشفى التي دلته عليها "وعد"، إلا أن هاتفها صار مغلقًا من حينها، ليزداد قلق المحب، أخذ يتحرك بلهفة وجنون بحثًا عن غرفة حبيبته، دون استئذان في حالة من التوتر والقلق، فما ترك العشق له من العقلانية إلا القليل، بعدما صارت حبيبته تتلاعب بقلبه يوميًا، مستغلة رقي قلبه الخام، الذي لم يتلاعب به غيرها، غير منتبهة أنها تخلق من براءته وحشًا، فكل تلك الوحوش التي تستحل القلوب، هم ضحايا في الأصل، استأسدوا على أيدي مدربين محترفين في كسر القلوب والضمائر، ليتحملوا وحدهم وزر جميع ضحاياهم.

وصل "فؤاد" أخيرًا إلى غرفة "وعد" التي دله عليها الممرضون بصعوبة مستسلمين لندرة دموع الرجل، فيقرع ثم يدخل بابها متلهفًا ليستقبله من الداخل اللواء "فاروق" بتلك النظرات القاتلة!!!

***

من غرفة معيشته وقف "محمود وهبة" متحدثًا عبر الهاتف بعدما تأكد مما سمعه للتو من خارج غرفة "حلمي مهران" فلقد كان للرجل أعين في كل مكان، فلقد أرسل بالفعل من يتفقد المعلومات، ليصل إلى نتيجة واحدة، ليقول أخيرًا في شر واضح:

- خلاص يبقى مستني إيه يا بني آدم؟ أنا مش هاقع لوحدي....

في إشارة واضحة لخطته الدنيئة قالها ليعطي الإذن، معلنًا عن نهاية تلك الصفحة التي ستجلب إليه المزيد من المتاعب، فلم يكن مرحبًا بعودة "حلمي مهران" من البداية، ولكنه كان يأمل أن تمسح إصابته كل ما كانت في عقله من شكوك، ليغلق الهاتف ببرود بعدما أعطى لتوه إشارة القتل الرحيم، لينتظر بترقب البشرى بنجاح خطته، متجهًا بخطوته إلى الطابق العلوي.

***

من خارج غرفة "وعد" تابع اللواء "فاروق" إحراج قلب "فؤاد" الذي ظهر عليه الذل والهوان من هول ما ظل يسمع بقسوة.

- أنا للأسف صدقت أبوك، بس واضح إني كنت غلطان ما هي عادته مش هايشتريها! وواضح كمان إنه معرفش يربي إبنه، ولو أنا ماتدخلتش زمان، ده عشان إنتوا كنتوا لسه عيال، بس دلوقتي، إنت جاي لست متجوزه، ومتجوزه ظابط محترم، ولو هو عيان، وإنت استغليت حرمة مرضه، ده مش معناه غير حاجه واحده بس، إنك حقيقي مش راجل...

كان "فاروق" محترفًا في اختيار ألفاظه التي تهشم العظام، خصوصًا تلك العظام اللينة التي يتمتع صاحبها بكرامة وأخلاق.

- اللي يستغل عجز راجل ويتعدى على حرمة بيته مايبقاش راجل يا "فؤاد"، وعشان كده المره دي أنا اللي هاقفلك، وممكن أمسح إسمك من على وش الأرض، لأن دي سمعة بنتي، وأم حفيدي الوحيد، ولو شيطانك سولك إنك تظهر في حياتهم، فمش عايز أقولك أنا شيطاني ممكن يعمل فيك إيه!

أنا هاسيبلك فرصه أخيره، بس لو شوفتك ولو صدفه، أهلك هما اللي هايدفعوا التمن، عشان إنت حقيقي مش راجل!!!

قالها "فاروق" وأنهى الحديث بينما من الداخل كانت "وعد" تبكي بحرقة من أمام الأم التي بدأت تشك في أخلاق ابنتها قائلة:

- "فؤاد" يا "وعد"!...... إنتي إزاي لسه بتكلميه لغاية دلوقتي

وليه؟

لم تُجِب "وعد" لتكمل الأم في شك متزايد:

- ردي عليا فهميني، حرام عليكي، أنا هاموت من الفكر، هو....حصل بينكوا حاجه؟؟

رفعت "وعد" ظهرها من على السرير مدافعة عن شرفها:

- لا والله يا ماما أبدًا، إنتي مربياني وعارفاني.

- طيب شوفتيه إزاي وبتكلميه ليه؟ فهميني!!

استسلمت "وعد" لضغط الأم لتبدأ تقص لها هذا اليوم الذي قابلت فيه "فؤاد" صدفة مؤخرًا عندما كانت مع صديقتها "حنان"!!!

في هذا اليوم الذي ذهبتا فيه سويًا إلى نادي الجزيرة، لزيارة هذا المعرض الفني الذي كانت "حنان" ذاهبة إليه في محاولة منها للتقرب من "فؤاد" جاهلة أنه صديق سابق لـ"وعد" لتقول إليها من داخل ممر النادي المشمس حينها:

- أيوه كده بقى يا "وعد" أخرجي وشوفي الدنيا، واحمدي ربنا إنه مخلصك من جوزك بالطريقه دي، عمليه نضيفه ميه في الميه.

هكذا جردت "حنان" الموقف من إنسانيته حينها، حيث كانت تعلم أن "حلمي مهران" سيُرفع من تلك الأجهزة في خلال أيام، لتبتسم "وعد" رغمًا عنها قائلة:

- يا "حنان" إنتي ماتعرفيش تتكلمي جد خالص؟

- واتكلم جد ليه؟ بلا نيلا، المهم تعالي بس نلحق ندخل المعرض.

- مش عارفه بس معرض إيه ده اللي إنتي عايزه تروحيه؟

قالتها "وعد" مندهشة لتعلق "حنان":

- مش إنتي طول عمرك فنانه وبتحبي الفن؟

- وإنتي طول عمرك بتتريقي عليا يا "حنان"!!

- ما هو الصراحه المعرض ده بيبقى فيه حبة رجاله عدله من بتوع

المسلسلات التركي دول، وفي منهم واحد لازمني الصراحه.

كانت "حنان" تقصد هذا الفنان المرهف "فؤاد"، غير مدركة أنها ستشعل النيران لتوها.

- لأ إذا كان زي المسلسلات التركي يبقى ماشي.

سخرت "وعد" قبل وصولهما أخيرًا إلى المعرض الكائن في الـ"كلوب هاوس" القديم، لتختلس بعض النظرات الخارجية على كامل المكان الذي جذبها لتوه، فلقد كان المعرض مليئًا بالأعمال الفنية الشابة الناطقة بالحياة، تتوسطه التحف النحتية، بينما على الحوائط عُلقت الكثير من اللوحات الفنية المعروضة في تلك المسابقة التي نظمتها "حنان" لصالح بعض الأعمال الخيرية.

- هاسيبك دقيقتين أشوف مصلحتي فين وارجعلك تاني.

قالتها "حنان" باحثة عن "فؤاد" بعينيه، بينما لم تعترض "وعد" المنبهرة بتلك الكنوز الفنية قائلة:

- خدي وقتك خالص وسيبيني.. أنا لقيت نفسي خلاص.

بدأت "وعد" في التمتع بكل المعروضات الفنية عامة وتلك التماثيل المعروضة خاصة! أخذت تتحرك إلى الداخل، وصولًا إلى منتصف المعرض، فاحصة التماثيل المعروضة بروية، تمثالًا تلو الآخر، مستمتعة بتلك الجرعة الفنية التي كانت تشتهيها بالفعل. بضع خطوات خطفتها حتى استوقفها ذلك التمثال الغامض، والذي كان يشبهها إلى حد كبير! بكل تفاصيلها وخاصة حزنها، لترتسم على ملامحها الاندهاش، فكيف خلق الله لها شبيهة إلى هذا الحد، أم لعلها لا تزال فتاة أحلام فتى ما، لا يزال يقدس جمالها الباهت! لحظة ظهور "فؤاد" من خلفها، والمحلق هو الآخر في هذا التمثال ليتحدث من خلفها عن ظهر قلب دون أن تلتفت هي:

- دي أعظم قطعه ليا في المعرض ده.

استقبلت "وعد" تلك الكلمات بدهشة تمنعها من الالتفات، فلقد علمت هي الأخرى عن ظهر قلب صوت فتى الأحلام هذا الذي ظل

يراها جميلة في عينيه ليكمل هو:

- ولسه لغاية دلوقتي مخلصتهاش.

اقترب "فؤاد" شاردًا من التمثال ملامسًا إياه بأنامله غير منتبه أن صاحبة التمثال نفسها أمامه بجمالها الذابل، لتلتف هي أخيرًا له، ليستقبل وجودها برهبة غريبة!! لحظات من الصدمة الممزوجة بالأمل شعرت بها "وعد" لتتنهد تنهيدة أمل كانت قد افتقدته....

عادت "وعد" شاردة من ذاكرتها الجميلة إلى الوقت الحاضر حيث كانت تقص ما حدث لها من صدفة غير مرتبة إلى أمها التي رفضت تقبل تلك الحجة الواهية، وتمسكت بشكها قبل أن يدخل الأب "فاروق" في غضب، لتتقوقع "وعد" خائفة من رد فعله، بينما وقفت الأم لتمنعه من التجاوز بانفعاله، إلا أن "فاروق" فاجأهما بعقاب مختلف:

- أنا مش عايز أفهم حاجه.....أنا هامشي، وهابعتلك السواق يا "إيمان" ياخدك لما تحبي.

قالها مهملًا وجود "وعد" التي أدركت صعوبة العقاب:

- بابا أنا آسفه.

- فعلًا لازم تبقي آسفه.

***

ظلت "أمنية" تبحث بين أوراق الدكتور "صلاح" حتى انتهت مما كانت تصبو إليه، لتمسك هاتفها وترسل إلى "سالي" برسالة نصية:

"يالا تعالي يا سالي أنا خلصت"

أرسلتها قبل أن تلاحظ تكرار صوت الحركة من الخارج، حيث كان "محمود وهبة" قد أرسل عيونه مسبقًا، لتترك "أمنية" كل شيء وتخرج بسرعة إلا أنها تأخرت للحظات، واصطدمت بـ"غانم" الذي ظهر فجأة في الخارج ليعتذر قائلًا:

- آسف.

- حصل خير.

قالتها بتوتر قبل أن يسأل:

- هو مش ده مكتب الدكتور "صلاح"؟

نظرت "أمنية" عبر الممر لتجد الدكتور "صلاح" قادمًا من بعيد فأشارت إليه قائلة:

- آه بالظبط كده، أهو هناك أهو وجاي.

من بعيد كان الدكتور "صلاح" يقترب بالفعل ومن خلفه تلك الممرضة الغريبة، طويلة القامة صاحبة النظرات المخيفة فشردت فيها "أمنية" دون أن تلاحظ غيرها!!! حتى إنها لم تبالِ بظهور "سالي" و"تيم" في آخر الرواق، لتظل تتبع تلك الممرضة بطريقة لا إرادية، فلقد زادت شكوكها في الدكتور "صلاح" ونواياه! لتقطر "أمنية" خطوات تلك الممرضة المرتبكة، استنشقت "أمنية" رائحة عرق المؤامرة، تلك الربكة الظاهرة على تلك الممرضة التي وضعت الكثير من مستحضرات التجميل، ولا يضعها غيرها في المستشفى، لتبدأ "أمنية" في مسح تفاصيل تلك الممرضة، متأكدة من شكوكها، حيث ارتدت تلك الممرضة المزيفة، حذاءً أسود جلديًا فاخرًا لا يقدر على تحمل كلفته الكثير، كما لا ينبغي على الممرضات ارتداؤه في تلك المساحة من المستشفى، لتتبع "أمنية" صوت خطوات تلك الممرضة الذي أقلق سكان المستشفى، حتى وصلت أخيرًا إلى غرفة "حلمي مهران" وكان فيها يحدث الرائد "هشام" عن يمينه، ليسكتا لحظة عند وصول تلك المرأة الغريبة، ليمد "حلمي مهران" ذراعه في تلقائية إلى تلك الممرضة دون أن يلتفت إليها، لتتقن الأخيرة دورها بحرفية، مخرجة حقنة ما من جيبها الأيمن، لتقوم بسرعة بحقن سمها في وريد "حلمي مهران" الذي أعطاه الرائد "هشام" بدوره بعض الخصوصية ناظرًا إلى خارج النافذة، لكيلا يحرج زميله، قبل أن يشاهد في انعكاس زجاج النافذة مشهدًا غريبًا! فلقد اقتحمت "أمنية" الغرفة، صارخة في تلك الممرضة المزيفة:

- إنتي بتعملي إيه؟!!

كانت الممرضة قد أوشكت على الانتهاء من دس سائل الحقنة في وريده، لتكرر "أمنية" سؤالها الذي انتبه إليه "حلمي مهران" متأخرًا، فلقد صار يشعر بالسم بالفعل.

- إيه الحقنه دي؟!!

توترت الممرضة والتفتت إليها قائلة لها:

- ولا حاجه دي أوامر الدكتور.

اقتربت "أمنية" من الممرضة بشك وريبة، ليبدأ الرائد "هشام" بدوره في الالتفات لهم.

- دكتور مين بالظبط؟!

تساءلت "أمنية" بينما بدأ "حلمي مهران" في الاعتراف بالألم، ممسكًا بذراعه مسقطًا الحقنة المسممة أرضًا مُصدرةً هذا الصوت المقلق، لتهرع الممرضة بالإسراع في الهروب دافعة "أمنية" بقوة إلى الخارج لتصطدم الأخيرة بالحائط الخارجي للممر ومن ثم تسقط أرضًا، بينما اهتم الرائد "هشام" بتفقد زميله، فرآه بدأ يغيب عن الوعي، في اللحظة التي أسرعت فيها الممرضة المزيفة بالهروب من وسط "تيم" و"سالي" اللذين كانا اقتربا بالفعل من الغرفة لينظرا إلى "أمنية" بهلع، قبل أن يخرج من بعدها الرائد "هشام" مخرجًا سلاحه في هذا الممر الذي ضم خمستهم! ليطلب من تلك الممرضة الوقوف موجهًا سلاحه إليها قبل أن يسبقه هذا العيار القادم من بعيد، ليسقط الرائد "هشام" أرضًا، مصابًا بطلقة الغدر، ليهوي بجانب "أمنية" التي كانت لا تزال تنظر إلى "حلمي مهران" الفاقد وعيه داخل الغرفة، قبل أن تنتبه إلى تلك الدماء الزاحفة إليها، مدركة لتوها جسد الرائد "هشام" الذي همس إليها بوصيته الأخيرة!

بينما من على بعد أمتار قليلة وقف هذا الرجل المقنع من على باب غرفته التي استلمها لتوه، ينظر إليهم كالشيطان، يبحث عني بينهم!! فلقد شم رائحة أنفاسي الساخنة، إلا أنه لم يعرف من منهم (أنا) فطالما فرقنا قناع، إلا أني كنت (أنا) من أتلثم به في السابق، لأكشفه ويجهلني، قبل أن تنعكس الآية، وينقلب السحر على الساحر،

ليحميه مني هذا القناع الذي دائمًا يحجب خلفه الشيطان الذي يهرب دومًا من مجابهة الجميع بملامحه الحقيقية، لأظل (أنا) أنظر إلى عينيه التي ميزتها، حال نظراته التي اخترقت عيني لتوه، ليذكرني بسؤاله لي دومًا عن حقيقة هويتي، فمن حقًّا (أنا)!!!

***

(28)

فراغ مظلم واسع بغيض، فارغ من الحياة، ذو سقف مرتفع، يدخله ضوء القمر من خلال نوافذه المفتوحة على مصراعيها مصحوبة برياح شتوية ظالمة جاءت لتتوغل عظام تلك الطفلة ذات السنوات الخمس، الواقفة في منتصف المكان، زائدًا من رعشة جسدها الضعيف، خاصة مع ملابسها الخفيفة، فهي لا ترتدي إلا بيجامة قطنية مهترئة قصيرة، حافية القدمين على تلك الأرضية المبللة التي تخترق ببرودتها كبرياء الصغيرة، لتظل ترتجف وهي تحاول تدفئة ذراعيها بكلا كفيها. لم تفهم تلك الفتاة ذنبها! فما فعلت أكثر مما يفعله من هم في سنها، فقط كانت تلهو وتضحك، فلِمَ يعاقبونها إذن؟! إذ كيف لها أن تدرك ما يطلبون في مثل هذا العمر، هل فقط طفلة تحاول لديها غريزة فطرية لحب الاستكشاف، الأمر الذي وجده مسؤولو هذا المكان خطيئة فاجعة، لينهالوا عليها بأبشع العقاب يومًا بعد يوم، جاهدين في محو غرائزها الإنسانية، محافظين فقط على غريزة البقاء الحيوانية، التي لا تميزها بعقلها. ساعات طويلة وقفت مبللة بهذا الماء البارد، معذبة بهذا الصقيع، ولكنها قاومت الانكسار، فرغم صغر سنها إلا أنها كانت أقوى من الكثير من أعتى الرجال، ليزيد مسؤولو المكان من قسوتهم، ليس لتقويمها، ولكن ليستمتعوا بقسوتهم، تلك القسوة المرضية التي يتمتع بها الكثير من البشر التي غلبت على قلوبهم الجينات الحيوانية، هؤلاء من يستمتعون بألم الغير، هؤلاء من يتلذذون بسلطتهم على الخادمات والعمال البسطاء، ليمتعوا غرائزهم المريضة بتألم الغير، ولقد كانت تلك الفتاة ضحية بعض من هؤلاء، لتتساءل عن حكمة خالقها في هذا العذاب، إلا أنها كانت تجهل تعويضه! سمعت الفتاة صوت فتح ذلك الباب الصدئ، ليظهر ضوء خارجي لينير وجهها الملائكي الصغير، لتسمع صوت تلك الخطوات المريضة لهذا القادم، دون رؤية صاحبها مزيدًا من هلعها، فلقد كانت تعرف نواياه جيدًا لتبلل الطفلة "أمنية" ثيابها البيضاء، فلقد كان القادم أسوأ من كل كوابيسها منذ فقدت والديها وصارت ضحية هذا الملجأ العقيم!!

***

أخذت "أمنية" تستفيق من وقعتها بعد هذه الدفعة التي تلقتها من الممرضة المزيفة، لتبدأ في اكتشاف هذا الموقف العبثي من أمامها، فكان "تيم" و"سالي" يركضان نحوها، حال الدكتور "صلاح" الذي تحرك بقدمه الصناعية بصعوبة من بعيد. بينما كانت الدماء تغطيها لتنتبه إلى الرائد "هشام" الملقى أرضًا بجوارها ممسكًا بسلاحه، لتتوتر وتتذكر "حلمي مهران" لتتحرك بنظرها إليه داخل غرفته ليظهر هو الآخر فاقدًا الوعي؛ أثر السم! لتقف "أمنية" بصعوبة مسرعة إلى داخل غرفة "حلمي مهران".

بينما توقف "تيم" و"سالي" عند جسد الرائد "هشام"، ليظلا ناظرين إليه في عجز للحظات، حتى اقترب الدكتور "صلاح" منهم، ليجثو على ركبتيه بجانب الرائد "هشام" ليبدأ بإجراءات أولية لإسعافه، بينما بدأ ينادي على طاقم التمريض الذين كانوا في حالة هلع من الموقف، ليفقد أغلبهم السيطرة على أعصابه.

داخل غرفة "حلمي مهران" أمسكت "أمنية" بيده لتبدأ في الضغط لتحاول إخراج الدماء الملوثة من عروقه، بحرفية غريبة، ليبدأ "حلمي مهران" في السعال وهو يستفيق تدريجيًا، ليتبعها الدكتور "صلاح" الذي دخل بعد وصول الممرضين إلى الرائد "هشام" ناقلين إياه إلى غرفة العمليات:

- أنا كويس يا دكتور، لو سمحت خليك مع "هشام".

قالها "حلمي مهران" مدعيًا أنه استعاد عافيته:

- أنا معاه يا دكتور ماتخافش.

قالتها "أمنية" التي رأى "صلاح" مسبقًا قدرتها على التمريض:

- طيب هابعتلك التمريض حالًا.

تحرك الدكتور "صلاح" بينما دخل "تيم" مع "سالي" متوترين، لتنظر "أمنية" إلى "حلمي مهران" قائلة:

- الرائد "هشام" طلب مني أهربك دلوقتي!

ازداد توتر "تيم" و"سالي"، بينما ابتسم "حلمي مهران" موافقًا!

***

من غرفة متوسطة المساحة، غريبة وعصرية الديكورات، ولكن بذلك الطراز الذي اشتهر في التسعينيات، الغرفة خالية من أي خزائن، فلها غرفة ملابس ملحقة بها، يتوسطها السرير يمينه كرسي جلست عليه الزوجة تصلي لتدعو ربها بأن ينتقم لضعفها! وعن يسار السرير مكتب زوجها "محمود وهبة" ينظر إلى هاتفه الذي رن أخيرًا، ليجيب بسرعة في ترقب، ليسمع "محمود وهبة" ما أغضبه، فلقد فشلت خطته وكادت تنكشف بالفعل، ليزداد انفعاله ويقف ملتفًا إلى زوجته في غضب، راميًا بهاتفه على سريره، لتلاحظ زوجته التي كانت قد أنهت صلاتها للتو انفعاله، وتنظر إليه بشماتة:

- إيه قربت؟

- هي إيه اللي قربت؟ هو أنا ناقص ألغازك إنتي كمان؟

بهدوء مريب تابعت:

- ده مش سؤال، دي معلومه.

- تقصدي إيه؟!

تساءل "محمود وهبة" لتجيب زوجته القعيدة بأسلوب مخيف:

- نهايتك... نهايتك قربت!!

***

من مدخل المستشفى خرج "حلمي مهران" متعكزًا على "تيم" بينما "سالي" و"أمنية" كانتا تلهيان الجميع بملابس الممرضتين اللتين سرقتاه، حتى استطاع أربعتهم الخروج من مدخل المستشفى، وبدا على "حلمي مهران" الإرهاق والتوتر.

وصل الجميع إلى سيارة "تيم" الذي لم يعتد مثل هذه الأمور، ليساعد "حلمي مهران" في الجلوس بالخلف ومن ثم توجه إلى مكانه ليقود، لتختار "أمنية" الجلوس بجانب "حلمي مهران"، لتجلس

"سالي" بجوار "تيم" المستاء من وجودها لتخلع غطاء رأسها الذي كانت ترتديه لزي التمريض، وتقول لـ"تيم" بسخرية:

- مسا مسا.

- يا جماعه أنا كبرت على الأكشن ده.

قالها "تيم" مستاء من منظر "سالي":

- ماتقولش كده إنت لسه في عز شبابك يا هندسه.

- هندسه!

تجاهل "تيم" كلمات "سالي" ثم وجه كلامه إلى "أمنية":

- المهم هانروح فين؟ زمان مصر كلها خدت خبر.

- أنا هاقولك.. إطلع بس من هنا.

قالتها وهي تنظر إلى "حلمي مهران" المتألم، ليغادر "تيم" بسرعة حرم المستشفى، لتكتشف رئيسة التمريض بعدها هروبهم، لتتعالى صيحاتها من غرفة "حلمي مهران" الخاوية، لترتبك جاهلة ماذا تفعل خاصة بعد دخول الدكتور "صلاح" العمليات في محاولة يائسة لاستعادة الرائد "هشام" الذي كان بين يدي الله في تلك الساعة، ينتظر الميعاد!!!

***

صالة شاسعة بسقف مرتفع امتلأ بالكشافات الفلورسنت التي تضيء المكان بإضاءة بيضاء باردة، الأرض خشبية قديمة مليئة بفراغات عتيقة، توغلتها الأتربة، المكان زصطفت فيه أرائك خشبية احتوت ثلاثين يتيمًا متوسط سنهم السبع السنوات، كانوا يتناولون عشاءهم الآن من داخل عنبر الطعام هذا بملجأ "مفتاح الحياة".

بينما توسطهم الدكتور "إيهاب فراج"، هذا الطبيب الخمسيني الرشيق الذي يتحرك بين الأطفال مرتديًا بذلة سوداء، ونظارة طبية غنية.

كان "إيهاب" يبادل الأطفال الابتسامات، قبل أن تتقدم إليه إحدى

المشرفات قائلة:

- دكتور "إيهاب" حضرتك مش هاتروح؟ الوقت متأخر!

قبل أن يجيب "إيهاب" وقف أحد الأطفال المحبوبين بالملجأ بشعره الأحمر المميز وهرول إليه محتضنًا رجله، ليجثو "إيهاب" محتضنًا إياه بحنان، ليقول الطفل:

- ماتمشيش يا بابا "إيهاب".

- حاضر أنا موجود بس كمل إنت أكلك كله.

قالها "إيهاب" بحنان ليسرع الطفل إلى مكانه:

- ما إنتي شايفه، مش مهم، أنا هابات في الدار النهارده، بس ممكن تجيبيلي قهوتي في المكتب؟

- عنيا الاتنين يا دكتور.

- لا بلاش عنين.. أنا النهارده أجازه.

ساخرًا علق الرجل فهو في الأصل طبيب رمد خلافًا لإدارته لهذا المكان منذ تبنته أخته التوأم "حياة"، لتغير الظلم الذي كان فيه إلى حياة أكرم.

خرج "إيهاب" إلى ممر خارج عنبر الطعام قبل أن يختلس نظرة أخيرة للأطفال، ثم توجه إلى مكتبه الكلاسيكي البسيط الذي ملأه بكتب الطب والعلوم، من الداخل كان مكتبه موضوع عليه بعض المجسمات التي تعكس توجهه الطبي، ومنهم مجسم لقرنية إنسان، خلاف الشهادات الطبية. جلس "إيهاب" ومن ثم بدأ متابعة قراءة تقرير كان أمامه، رسم به تشريح لرأس الإنسان ومكتوبًا عليه:

"العين الثالثة - عين حورس"

تابع "إيهاب" قراءة تقرير العين الثالثة التي رمز إليها المصريون القدماء سلفًا بنسبة كادت تصل إلى الكمال!

قبل أن يسمع رنين هاتفه ليندهش من رقم المتصل، فلقد كانت "أمنية" تطلب منه تحضير تلك الغرفة الطبية التي كان يمرض

"إيهاب" فيها الأطفال. لم يستعب "إيهاب" طلبها، خاصة لإنهائها الاتصال بسرعة أقلقته، ليتحرك من فوره تاركًا غرفته!!

***

من سيارته كان "فؤاد" يقود شاردًا في حالة يرثى لها تكاد عينه تدمع؛ أثر حديث اللواء "فاروق" الذي اتهمه فيه بافتقاده للنخوة والرجولة؛ الشيء الذي أثر فيه نظرًا لتصديقه لتلك الكلمات، فلقد صدق "فؤاد" أنه يستحقها، فلقد اعتاد جلد ذاته، معاتبًا نفسه في كل لحظة، منذ وقع في غرام "وعد"، ولكنه ظن حينها أنها حرة، لم يعرف الحقيقة إلا بعد فوات الأوان!! ليتذكر "فؤاد" هذا اللقاء من معرض نادي الجزيرة عندما استوقفته "وعد" قائلة:

- فؤاد"! إنت بتعمل إيه هنا؟!

- أنا مشارك هنا في المعرض، زي ما إنتي شايفه.

من داخل المعرض أجاب "فؤاد" بارتباك مشيرًا إلى تمثالها، لتُحرج "وعد" وتقول مشيرة إلى التمثال هي الأخرى:

- واضح إن أنا كمان مشاركه في المعرض وأنا معرفش.

بإحراج نظر "فؤاد" إلى الأرض معتذرًا:

- آسف.

- بالعكس دي أحلى مفاجأه حصلتلي.

- بجد!! طيب الحمد لله....

بسعادة قالها قبل أن يتذكر حالتها الاجتماعية ليسأل في خبث:

- وازاي "وليد"؟!

تعجبت "وعد" من معرفته اسم ابنها.

- أفندم!

- إبنك مش إسمه "وليد" برضه؟

- آه، حقيقي....الحمد لله، وطيب إنت إسم أولادك إيه؟

بدهاء أجاب "فؤاد" الذي لم يجد من تحل محلها حتى اللحظة ليفضل العيش على ذكراها:

- أنا ماتجوزتش يا "وعد".

بوضوح وتلميح أجابها، لتظهر هي نشوة المنتصر وراحة كانت تتمناها، قبل أن يكمل لومه:

- وازاي جوزك؟

- . .ميت!

مجازًا قالتها، فلقد كان "حلمي مهران" في هذا الوقت بالفعل ميتًا إكلينيكيًا، ينتظر لحظة إشارة الأطباء الذين حددوا تاريخًا لإعدامه بالفعل، وقبل أن تشرح "وعد"، دخلت بينهما "حنان" متعجبة:

- إيه ده؟ هو إنتوا تعرفوا بعض!

قالتها آنذاك باندهاش، ليتذكرها "فؤاد" الآن وهو في سيارته، ليخرج من ذكراه ويعود إلى واقعه، مختارًا إياها هروبًا إليها من الألم، ويمسح الآن دموعه من داخل سيارته، ويمسك هاتفه متصلًا بـ"حنان" ليرن جرس هاتفها من غرفتها الحديثة التي تعكس مبالغتها في ديكوراتها، فلقد كانت تحاول إقناع نفسها بأنها ملكة مستقلة! كانت "حنان" ترتدي ملابس نوم نسائية مبالغة تظهر أسلوبها النسائي المكبوت، لتبتسم وتجيب وهي تتمدد على شازلونج في ارتياح قبل أن تلاحظ اختلاف صوت "فؤاد" الذي أجابها لتُظهر هي قلقًا وحنانًا حقيقيين.

- مال صوتك يا "فؤاد"؟!

- مش عارف يا "حنان".

- إنت كويس؟!

قالتها بحنان كان يفتقده، ليقول بشرود ساذج:

- لأ مش كويس، ومش عارف أصلًا أنا بكلمك ليه!

- بس أنا عارفه يا "فؤاد"....عشان محتاجلي... بس صدقني مش

أد ما أنا محتاجالك.

نسي "فؤاد" فجأة ألمه، وارتسمت على ملامحه نظرة تعني الكثير قبل أن يسمع منها جملة أخيرة:

- إنت فين دلوقتي؟

***

صف "تيم" سيارته عند الملجأ المكتوب عليه لافتة "دار أيتام مفتاح الحياة"، والمصحوب برمز "مفتاح الحياة" والمزين بهذين التمثالين اللذين يرمزان للإله "سخمت" إله الحماية والذي هو عبارة عن تمثال لامرأة برأس "لبؤة" تشبه القطة صُنع من الجرانيت الأسود! اندهش "تيم" من المكان، وسأل "أمنية":

- أنا مش فاهم إحنا فين، وإيه الملجأ ده!

- بعدين يا "تيم".

في الخارج كان الدكتور "إيهاب" في انتظار "أمنية" ليقترب بسرعة من السيارة، مساعدًا "تيم" في حمل "حلمي مهران" الذي غاب نهائيًا عن الوعي، بينما ساعدتهما "أمنية" ومن خلفهما "سالي"، ليتقدمهم "إيهاب" قائلًا:

- ورايا من غير صوت.

دخلوا جميعًا من هذا المدخل الذي يتوسط التمثالين، ليستوقف أحدهما "سالي"، لتقف أمام التمثال للحظات قبل أن يصدر في خيالها صوت "زئير" غضبه، لتهرع خلفهم خوفًا إلى الداخل!!

صعد الجميع السلالم المؤدية للطابق العلوي وصولًا إلى تلك الغرفة التي جهزها "إيهاب" ليضعوا "حلمي مهران" على السرير. كانت الغرفة مريبة حيث تبدو وكأنها مجهزة لتكون غرفة عمليات وإن كانت مجرد غرفة عادية من غرف الملجأ يتوسطها سريران معدنيان!

نظر "إيهاب" إلى "أمنية" معاتبًا لتتفهم مقصده وتتوجه إلى "تيم" و"سالي" بالحديث:

- معلش الدكتور "إيهاب" هايتصرف خلاص ماتخافوش.

- أنا مش فاهمه أي حاجه يا "أمنية" إحنا فين ومين ده؟!

قالتها "سالي" مشيرةً إلى "إيهاب" الذي استاء هو الآخر متسائلًا:

- مين دي يا "أمنية"؟!

- معلش ثواني يا دكتور.

خرجت بهم "أمنية" إلى خارج الغرفة، ليعلق "تيم":

- يا "أمنية" أنا مش فاهم حاجه ولا إحنا فين، إنتي تعرفي الملجأ ده منين؟......هو إنتي...؟؟

قطعت "أمنية" شكوك "تيم" الحقيقية عن طفولتها قائلة:

- "تيم" لو سمحت، خلينا في اللي إحنا فيه دلوقتي، أنا هاساعد الدكتور "إيهاب" وأطمنكوا، إنتوا لازم تمشوا دلوقتي عشان محدش يحس بحاجه، ويا ريت ترجعوا الجريده قبل ما تروحوا.

- إشمعنى؟

بغباء تساءلت "سالي" ليجيب "تيم":

- عشان الناس تشوفنا.

- بالظبط كده.

- هو أنا ليه حاسه إننا عملنا مصيبه؟!

قالتها "سالي" بتوتر لتطمئنها "أمنية":

- ماتخافيش يا "سالي" إمشوا إنتوا بس دلوقتي.

- طيب يالا يا "تيم" بيه.

- حاضر...."أمنية" خلي بالك من نفسك.

قالها "تيم" وتحرك مع "سالي"، ثم دخلت "أمنية" الغرفة في حين بدأ الدكتور "إيهاب" بتجهيز معداته الطبية الموضوعة في الغرفة مسبقًا، فلم تكن المرة الأولى التي يقوم فيها بمثل هذه الأمور! بينما

ساعدته "أمنية" بحرفية وفهم لتلك الأمور وكأنها ممرضة محترفة، ليتابعوا إجراءاتهم الطبية لـ"حلمي مهران" المستلقي الآن لا حول له ولا قوة، حال زميله "هشام" المستلقي هو الآخر في غرفة العمليات أمام الدكتور "صلاح" وهو يتابع إجراء تلك العملية الحرجة، حتى استطاع أخيرًا إخراج تلك الطلقة الخبيثة من ذراعه ليضعها في طبق معدني بجواره، ليرتاح الرجل للحظة قبل متابعته ما هو أصعب!

***

(27)

دخل هذا المقنع الغامض غرفته هروبًا من الجلبة الخارجية، وإن كان مستمتعًا بهذه الأحداث المثيرة التي أفرزت الأدرينالين في عروقه، ليسترجع ماضيه، متذكرًا صولاته وجولاته وما في جعبته من أسرار!

وما انفك الرجل يحاول تذكر تلك العينين اللتين رآهما لتوه مندهشًا، فهل يعطيه القدر سببًا جديدًا للحياة؟ ولكن هذا السبب سيكون فقط الانتقام! ولكنه لم يعد ممن بالتحديد سينتقم، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم!

اقترب الرجل بخطوات هادئة من المرآة التي تحمل جميع أسرارنا الخفية، لينظر إلى قناعه الأبيض الخالي من الملامح في شيء من الحب، فلقد صار هذا الوجه يحمل مشاعره الخاوية، تظهر على ملامحه ابتسامة توعد مخيفة، ليتحسس بيده اليمني ملمس قناعه المصنوع من السيليكون، لينفر من هذا الملمس الصناعي، مشتاقًا إلى صناعة ربه، ليضع يديه خلف رأسه ليفك تلك العقدة المعقودة منذ ساعات طويلة، خالعًا إياه وقد خبأ ملامحه، لينظر إلى وجهه بألم، حيث ظهر فكه مكشوفًا عاريًا عن جلده من ناحية اليمين، كجمجمة الأموات في تلك المنطقة التي اخترقت فيها رصاصة الغدر؛ حماية لأسرار لم يرغب قاتله في كشفها!

ظل الرجل ينظر إلى فكه المهشم، في غضب وغل، ليكسر زجاج مرآته بقوة، محملقًا بعينيه في هذا المسخ الذي زاد قبحًا مع انعكاسات الزجاج المهشم، ليعجب بهذا المنظر لتوه، ليجد نفسه متصالحًا لوهلة مع حقيقته، ليبتسم الرجل ابتسامة قاتل كاد أن يتحول إليه، ليترك قناعه ليسقط أرضًا فوق حبيبات الزجاج المهشمة، ليتهشم معه هذا الحاجز النفسي الذي كسره هذا المعالج لتوه!

***

من خارج غرفة المقنع كان رجال الداخلية قد وصلوا لتوهم وعلى رأسهم العميد "ضياء عدلي" مدير الرائد "هشام" بنفسه، ليتحقق من الحدث ليدخل الرجل غرفة "حلمي مهران" وجثا أرضًا عند تلك الإبرة

التي حُقن بها "حلمي مهران" ليعطيها لأحد مساعديه، معطيًا إليه أوامره بتحليلها من فورهم، قبل أن يعلمه مساعده بإحباط:

- الفارغ ملوش أثر يا فندم.

- يعني إيه! اللي ضرب النار لحق يدور على الفارغ وياخده وسط كل الهيصه دي؟!

- يمكن حد من المستشفى يكون نضف.

توجه "ضياء عدلي" إلى رئيسة التمريض بالسؤال:

- إنتي إسمك إيه؟

- "رانيا" يا فندم.

- متأكده إن مفيش حد نضف هنا خالص؟

- يا فندم هو حد عارف ياخد نفسه من ساعة اللي حصل؟

- طيب خلاص إمشي إنتي دلوقتي.

في سعادة، تحركت رئيسة التمريض قبل أن يناديها "ضياء" مرة أخرى:

- إستني هنا.

- خير يا باشا!

- مفيش أخبار عن الرائد "هشام"؟

ماتقلقش، ده الدكتور "صلاح" اللي عمل عملية المقدم "حلمي مهران" هو بنفسه اللي بيعمل عملية الرائد "هشام".

- يعني أجيله بعد سنه عشان يكون فاق!

***

أنهى الدكتور "إيهاب" عمله داخل تلك الغرفة المريبة بالملجأ، ليتوقف قائلًا لـ"أمنية":

- خلاص اطمني.. شويه وهايفوق.

- ربنا يخليك ليا يا دكتور، وأوعدك الصبح هافهمك كل حاجه.

- براحتك......

قالها "إيهاب" وسكت للحظة ثم أكمل:

- إنتي عارفه إن عينك لسه بتفكرني بالمرحوم؟

نظرت "أمنية" أرضًا في تأثر عند سماع ذكراه في ألم.

- الله يرحمه.

- آمين يا رب، طيب خليكي جنبه، إنتي طبعًا فاهمه هاتعملي إيه.

- عارفه يا دكتور ده أنا تلميذتك.

- وأنا هابات هنا النهارده لو احتاجتي حاجه.

خرج "إيهاب" وظلت "أمنية" تحيط "حلمي مهران" بنظرات حنان عاطفي ملحوظ.

***

من سيارته كان "تيم" يقود وهو شارد الذهن، حال "سالي" التي سألته:

- هو إحنا هانروح في داهيه يا باشا؟

لم يجبها "تيم" لتكرر هي:

- يا باشا!!!

انتبه لها "تيم" أخيرًا:

- ها...معلش.. بقولك يا "سالي" هو إنتي عمرك قابلتي حد من أهل "أمنية"؟

قالها والشك يباغته لتؤكد "سالي" شكوكه:

- الصراحه لأ.

- يعني فكرك ممكن الملجأ ده يكون...؟

لم يكمل "تيم" وإن تفهمت "سالي" ما يقصد، لتقول بحنان:

- حبيبتي.....

- أنا بقول ممكن.. .أنا مش متأكد.

- يا باشا أنا معرفش غير إني مشوفتش في الدنيا حد في حنية قلب "أمنية" لكن إنها تكون يتيمه، دي أنا معرفهاش ولا هي عمرها لمحتلها أبدًا.

ظل "تيم" شاردًا في حقيقة طفولة "أمنية" حتى وصل بسيارته إلى الجريدة.

***

لم تبرح "أمنية" غرفة الملجأ التي يفصلها عن الممر الخارجي باب واربه "إيهاب" قبل خروجه، ويعكس الباب حركة ظلال ما من الخارج أربكت "أمنية" لوهلة، لتخرج من الباب، باحثة عني، فلقد كنت (أنا) هناك بالفعل في هذه الردهة، ولكنها لم تستطع رؤية ظلالي الواضحة على الأرض، لتدخل إلى الغرفة، قبل أن أخفي (أنا) ظلالي لأتبعها، لأراقبها حيث بدأت بوضع بعض الكمادات على جبين "حلمي مهران" وهو في عالم آخر حيث بدأ يتذكر ما حدث في هذا اليوم المشؤوم، الحادي والثلاثين من تشرين الأول الماضي! عندما ترك العمل وعاد ليرتدي ملابس تليق بهذا الحفل التنكري الذي دعاه إليه "محمود وهبة"، ليضطر للعودة إلى المنزل الذي تركه لزوجته بعدما طلبت الطلاق، ليصف "حلمي مهران" سيارته بالخارج ويترجل منها، وصولًا إلى باب الفيلا الحديدي، ليعبره ويدخل ممسكًا بمفتاح الفيلا قبل أن يتذكر مشاجرته مع "وعد"، واتفاقهما على الانفصال، ليفضل طرق الباب، مزعجًا هذا المسخ الذي كان في الداخل، مُغضبًا إياه! بعدما أقلقته طرقات "حلمي مهران" ليبدأ هذا المسخ القبيح في الداخل الالتفاف بملابسه المخيفة، ليبدأ هذا المسخ بجر تلك المطرقة الممزوجة بالدماء الخادعة يلامس ثقلها الأرض وهو يمسكها، ليتحرك هذا المسخ ببطء شديد والدماء تغطي كامل ملابسه المهترئة جارًا تلك المطرقة التي تجرح الأرضية الرخامية مُصدرة صوتًا مخيفًا أرهب "حلمي مهران" من الخارج! عند سماعه لذلك الصوت من هذا الكائن

ذي الخطوات المخيفة! ليرجع "حلمي مهران" خطوة إلى الوراء قبل أن يقوم هذا المسخ بفتح الباب، لتظهر ملامح الهلع على "حلمي مهران" من هول ما رآه آنذاك!!!

ارتبك "حلمي مهران" الآن في غيبوبته من تذكر هذا المشهد الذي حدث بالفعل، منذ بضعة شهور، ليظل العرق يغمره بغزارة، لترتبك "أمنية" هي الأخرى وهي تجفف جبينه، بينما (أنا) أستمتع بهذا المشهد، فلقد كنت أدرك بالفعل ما رأى "حلمي مهران" في هذا اليوم المجيد، فلقد كان هذا اليوم عيدي الذي ألهو فيه بالجميع، لأتذكر (أنا) واجبي منتقلًا إلى كابوس آخر في غرفة أخرى.

***

من غرفة "دنيا" كانت هي نائمة على سريرها أيضًا، كما ظهر على ملامحها نفس القلق! لأبدأ (أنا) في اللهو مصممًا تفاصيل كابوسي، ليظهر من خارج غرفتها خطوات هذا الميت! من أسفل سلم القصر يتحرك الآن بحثًا عنها، قادمًا إليها، صاعدًا السلالم بخطوات غريبة! لتتقلب "دنيا" على سريرها بعدم ارتياح وكأنها تشعر بما يجري، بينما وصل شبح هذا القتيل إلى أعلى ليقف للحظات، بحثًا عن ضالته، ثم توجه إلى غرفته و"دنيا" وهو ينزف الكثير من الدماء، ليصل إليها أخيرًا، ويفتح الباب بقوة!.. استيقظت "دنيا" من كابوسها لتصرخ في حالة مزرية.

لتفتح عينيها في ذعر وتبدأ في النظر إلى غرفتها الخاوية يمينًا ويسارًا، وصولًا إلى باب الغرفة المفتوح، ومن ثم باب البلكونة المفتوح هو الآخر، مُحدثًا تيارًا مخيفًا من الهواء الذي عبر (هو) من خلالهما.

لتفتح "دنيا" بسرعة الإضاءة عن يسارها، ثم تقف في حالة من الرعب وهي تنزل من السرير، لتقترب من باب البلكونة في محاولة لكبح جماح غضب رياحه، قبل أن تسمع صوت انغلاق باب الغرفة تلقائيًا من خلفها، محدثًا جلبةً مقلقةً، لتلتفت إليه في خوف واندهاش وهي تتحرك بضع خطوات إلى كومود سريرها.

لتجلس "دنيا" مرتبكة وهي لا تزال تنظر إلى باب غرفتها في ترقب، لتفتح درج كومودها مخرجة منه علبة سجائر لتشعل واحدة، لتحاول الهروب من جنونها، مستنشقة بعض الدخان المهدئ، قبل أن تلمح من داخل درج الكومود هذا البرواز لصورتها مع "أدهم" التي وضعتها هناك منذ فترة، بعدما حاولت إزالة آثاره من المكان، لتمسك به متذكرة هذا اليوم الأخير من حياة "أدهم" عندما فتح باب غرفتهما ليستعجلها.

لتعود إلى الماضي، إلى يوم هذا الحفل التنكري، عندما فتح "أدهم" باب غرفتهما فجأة ليتصلب وجهها خوفًا مما رأت قبل أن تكتشف أنه "أدهم" ولكنه كان متلثمًا بقناع للوجه على شكل أسد؛ احتفالًا بالهالوين:

- "دنيا" ده أنا "أدهم"...

قالها "أدهم" وهو يخلع قناع الأسد الذي كان يرتديه من داخل غرفة الزوجية، لتنزعج "دنيا" قائلة:

- حرام عليك يا "أدهم" خضتني.

- ههه.. يعني من كل اللي الناس لابساه تحت ده، اتخضيتي من ماسك الأسد ده؟

سخر "أدهم" ضاحكًا قبل أن يجلس على كرسي ذهبي ضخم بجانب النافذة المطلة على حديقة قصره الفخم، لتجلس "دنيا" في غضب على كرسي تسريحتها بجمالها المثير، خالعة قفازها الجلدي الذي كانت ترتديه، لتلامس يداها البيضاء شعرها المثير.

- أنا افتكرت حد من المعازيم دخل الأوضه.

- مفيش حد من المعازيم يقدر يطلع الدور اللي فوق يا "دنيا"، وبعدين إنتي ماجهزتيش ليه لغاية دلوقتي؟ مش كل الناس دي تبقى أصحابك، ودي الحفله اللي إنتي طلبتي أعملهالكوا؟

من مرآتها لمحت "دنيا" زوجها بشيء من الاشمئزاز.

- ليا ولًّا للعروسه؟

لاحظت "دنيا" ظهور "ماجي" التي خطط "أدهم" للاحتفال بها في هذا اليوم!

- يا سيتي بقى حرام عليكي، دي بت غلبانه مقطوعه من شجره، وبعدين سيبك منها، عشان خاطر "غانم" صاحبك.

لم تجب "دنيا" واكتفت بخطف نظرة شك أخرى إليه عبر المرآة، ليكمل هو:

- يالا بقى عشان عايزك تحضري تلبيس دبل "غانم" و"ماجي".

قالها غير مبالٍ بمستوى الدياثة التي تردى إليها!

- مش مهم.

- يا "دنيا" الناس في بيتنا، مايصحش.

- برضه مش مهم، وكفايه إني وافقت إن المسخره دي تحصل في بيتي.

- يا "دنيا" أنا مش فاهم.....

تقاطعه "دنيا" بحدة:

- "أدهم" أنا مش هانزل غير لما المسرحيه دي تخلص، ولَّا تحب أنزل وأعملك فضيحه في البيت؟

توتر "أدهم" فجأة، فلقد كان يعرف جنونها، ليستسلم إليها قائلًا:

- لا أبوس إيدك إعقلي، ده أنا عازم كبارات البلد كلها.

- يبقى خلاص ماتضغطش عليا واسبقني إنت، وأنا هابقى أنزل براحتي.

حاول "أدهم" تقليل وطأة انفعالها ووقف ببذلته المتصابية ذات اللون الفيروزي، واقترب منها ليطبع على خدها قبلة قائلًا:

- حاضر يا روحي اللي تشوفيه، وأوعدك أعملك كل اللي يريحك، إنتي لازم تفهمي إن كل اللي أنا فيه ده من فضلك.

- عارفه.

قالتها بعجرفة وهي تحاول التملص منه، ليكمل هو متسائلًا:

- طيب إيه ده؟ مش هاتوريني هاتتنكري في لبس إيه النهارده؟

- لأ........المهم أنا أعرف إنت لابس إيه، أما أنا خليها مفاجأه.

قالتها بدهاء كانت تقصده! ليندهش "أدهم"، معطيًا هذا التعبير الخائف الذي ظل عالقًا في أذهان "دنيا" حتى تلك اللحظة.. الآن تعود من تلك الذكرى للحاضر، وهي ممسكة بصورة زوجها القتيل، معيدة إياها إلى درج كومودها، وتكمل هي تدخين سيجارتها، حتى سمعت صوتًا مريبًا تكرر خارج غرفتها فوضعت سيجارتها في خوف، لتظنها الخادمة، لتنادي عليها! ولكنها لم تسمع أي رد، لتقف في جرأة وتمسك بأحد الشمعدانات النحاسية وتذهب لتفتح الباب بقوة مصطنعة، ومن ثم خرجت إلى صالة الدور الأول، تلك الردهة المخيفة التي تشبه متحفًا مصغرًا، تراصت على جانبيها أبواب الغرف العشر، ومن بينها الأعمدة الرخامية، مع حركة "دنيا" تنتبه إلى ظهور "سلويت" يقف عند السلم يشبه "أدهم"، فلقد كان شبحه بالفعل! اتبعته "دنيا" في ترقب حتى وصلت إلى السلم، لتجده واقفًا هنا في تحدٍ يبتسم لها مرتديًا نفس قناع الأسد ليصفق "أدهم" في حركة استعراضية، لتضاء الأنوار كلها فجأة ويعلو صوت الموسيقى ويبدأ الحفل التنكري مرة أخرى، وكأنه أعادها بالزمن لينتقم من سكوتها، واضعًا إياها في كابوس حي للعودة إلى الماضي في صورة تهيؤات.

ليتبع شبحه نزوله على سلالم قصره الشرفية؛ حيث إن هناك منزَلين للسلم من الطابق العلوي يتحدان قبل الوصول إلى الطابق الأرضي الممتلئ بالضيوف الذين ظهروا الآن كأشباح مخيفة لذكرى هذا الحفل المهيب الذي كلف "أدهم" مئات الألوف من الجنيهات.

ظل شبحه يخطو على السلالم ممسكًا بالدرابزين الرخامي الضخم الذي جسد تماثيل كثيرة، حال الأنتيكات والتحف التي ملأت صالونات المنزل، حتي وصل والتف إلى أعلى رافعًا قناع الأسد ليبتسم إلى "دنيا" ابتسامة أخيرة.

لتظهر هي من أعلى الآن في الوقت الحاضر في حالة هلع وهي

ممسكة بذلك الشمعدان في خوف شديد لتلتف إلى الداخل مسرعة، في تلك الطرقة التي هرول فيها "أدهم" مسبقًا في آخر لحظاته حتى وصلت لنفس الغرفة ولكنها هربت مني (أنا) مُضيئة تلك الأنوار التي أبغضها لتختبئ في سريرها وهي تمسك برأسها، لتتصل بحبيبها مرة أخرى، لأشعر بنصري وأتركها (أنا) ذاهبًا إلى مكان آخر حيث كانت "ماجي" هناك في زنزانتها!

***

كانت "ماجي" لا تزال تقص قصتها على زميلتها داخل الزنزانة لتنصت إليها في استمتاع.

- إن جيتي للحق هو يستاهل القتل، قال يخطب مراته لصاحبه قال! رجاله آخر زمن والله، لأ كمليلي أنا فنجلتك خلاص.

قالتها زميلتها لتكمل "ماجي" تذكرها لما حدث في هذا اليوم لتعود مرة أخرى إلى هذا الحفل الراقص وما دار فيه!!

كان حفل الهالوين الذي نظمه "أدهم" آنذاك فاخرًا داخل صالونات قصره الفاره، فلقد كان عاشقًا لكل ما هو ثمين وقديم، بل وأثري، فلقد كان المكان كمتاحف باريس، مليئًا بكل ما هو فني ومختلف، السقف مطرز بالكثير من الديكورات السوداء المتماشية مع الحدث، مع بعض الحليات الذهبية التي زادت من لمعان ذهب القصر، بينما ارتدى الجميع أقنعة مختلفة احتفالًا بالهالوين، وأعياد الشياطين، ليصعب التعرف على أي منهم!

من وسطهم رفع "أدهم" قناعه وأمسك بـ"مايك" لاسلكي ليخطب في الحفل الذي توسط فيه أغلب الحضور، ليبدأ الجميع رفع أقنعتهم، مستمعين إلى كلماته التي بدأها محييًا الجميع بعيدي!

- Happy Halloween Everyone النهارده يوم مش عادي، بيقولوا ده اليوم اللي الشياطين بتخرج فيه تحتفل معانا، بس ده مش صحيح، لأن النهارده يوم بنحتفل فيه باتنين ملايكه، "غانم" أخويا وصديقي.

مشيرًا إلى "غانم" وسط تصفيق الجميع ثم تابع:

- وأختي الصغيره، ومديرة مكتبي "ماجي".

بكذب محترف قالها لتقتله هي بنظراتها قبل أن يضمها إليه "غانم" بحنان، ليوسع الجميع لهما المجال في وسط القصر.

- يالا يا "غانم" مستني إيه؟

تحرك "غانم" مع "ماجي" ليتوسطا المكان، ثم وقف ليخرج من جيبه علبة خاتمي الخطوبة، ليبدآ ارتداء خاتميهما سويًا، بينما اقترب "أدهم" منهما بعلبة أكثر قيمة بها "شبكة" من الألماس الحر، ليفتحها بشيطانية قائلًا:

- ودي هديتي المتواضعه للعروسه.

بدهاء قاتل ألبسها إياها ومن ثم تابع:

- تسمحلي يا "غانم" أبوس العروسه؟

أشار "غانم" إلى "أدهم" موافقًا مظهرًا شيئًا من الخجل المصطنع، وسط تهليل الجميع، ليقبلها "أدهم" رغم اشمئزازها منه إذ أدركت لحظتها أن الرجل الذي كان يطارحها الفراش ما هو إلا خنزير لا غيرة ولا كرامة له، قبل أن يختم خطبته قائلًا:

- ودلوقتي مزيكا ورقص للصبح.. يالا!.

ليعلو صوت الموسيقى ويبدأ الرقص، ليرتدي الجميع أقنعتهم ومن وسطهم "ماجي" إلا أن "غانم" منعها قائلًا:

- لا ، سيبيني أشوف جمالك.

- إنت إزاي تسيبه يبوسني؟! إنت مش راجل!!!

قالتها "ماجي" بحرقة ليندهش "غانم".

- في إيه يا "ماجي" من أولها كده؟!

- ما هو ما فيش راجل يقبلها على نفسه.

- يا "ماجي" "أدهم" ده أخونا.

بعفوية قالها "غانم" وإن لم يقلص من غضبها.

- عشان أخوك تسيبني ليه كده!

- يا "ماجي" الراجل مهاديكي هديه بفوق الميت ألف جنيه.

زاد "غانم" الطين بلة، لتكمل هي غضبها منكلة به:

- يعني هو ده تمني في نظرك؟!

- يا "ماجي" في إيه؟ "أدهم" راجل محترم، وبعدين ما إنتي كنتي قدامه بقالك سنه وإنتي بنفسك أكدتيلي إنه عمره ما تطاول عليكي، ولّا هو حصل حاجه أنا معرفهاش؟!

قالها "غانم" بشك وريبة قبل أن تفرقهما الموسيقى الكلاسيكية، ليظل هذا المشهد محفورًا في ذاكرة "ماجي" وهي لا تزال تحكي قصتها لزميلتها.

***

(26)

بعد ساعات طويلة من المكوث في المكتبة، عاد مساعد "جون" إليه مرة أخرى معطيًا إياه ورقة طويلة، ليمسكها "جون" ويقرأ ما دوِّن فيها من أسماء، حيث كانت الورقة تحمل ترشيحات طويلة، كل اسم قُرن بالسن والحالة الاجتماعية، والأهم المنصب، فيشير "جون" لمساعده بالجلوس، ليبدأ المعماريان في مناقشة تلك الأسماء:

- هي تيقنت من معلوماتك؟

- بالطبع سيدي، لكني حذفت من لا تنطبق عليهم شروطنا، واصطفيت منهم الصفوة.

ظل "جون" يبحث بين الوظائف المقدمة من وزراء وعلماء عمن يمتهن علمًا محددًا دون غيره.

- أين علماء المصريات؟

أمسك مساعده الورقة مشيرًا إليه لبعض الأسماء، ليتنهد "جون" منزعجًا:

- لا أعتقد أن من بينهم من يمتلك العلم الكافي، كما سيظل عامل اللغة عائقًا.

ابتسم المساعد مشيرًا إلى اسم محدد ليقرأه "جون" ويتساءل:

- أليس ألمانيًّا؟

- ولكنه مغربي الأصل، ويتقن اللغة العربية، ويمتلك من النفوذ الكثير في الوطن العربي.

- إذن فلنعطِهِ فرصة القسم.

قالها "جون" وإن لاحظ فضول مساعده، ليسأله:

- أجد في عينك الكثير من الأسئلة.

- بالطبع سيد "جون"، فكل هؤلاء ممن يتقدمون للانضمام إلينا، هم من أهم المراكز والنفوذ، وهم من يطلبون تجنيدهم.

- بالطبع فنحن (فقط) من نختار.

- ولكن لِمَ تلك الرغبة واللهفة في عيونهم؟

ضحك "جون" قائلًا:

- الانتماء يا صديقي العزيز، الكل يبحث عن الفريق الرابح لينضم إليه، لذا فلا تندهش عند مشاهدة شعوب كاملة ترغب في اتباعنا، دون حتى معرفة غايتنا!!

***

ظل "حلمي مهران" ينتفض في سريره، والعرق يتصبب منه وهو يحلم بهذا اليوم الذي تذكره جيدًا، فلقد كان هذا اليوم المشؤوم هو يومه الأخير قبل الحادث! لتظل "أمنية" تمسح عرقه وهو يرتعش متذكرًا تلك اللحظة التي وقف فيها عند باب فيلته، ليفتح له الباب هذا المسخ، لأتابع (أنا) هذه الواقعة، عندما انتفض الأديرينالين في عروق "حلمي مهران" من هول ما رأى! فلقد كان هذا المسخ واقفًا أمامه قبل أن ينطق من شفاهه المليئة باللعاب:

- يا "حلمي" ده أنا.....هههه.

قالها أخو "وعد" الأصغر ضاحكًا وهو يزيل قناعه، بينما كاد "حلمي مهران" يفقد النطق، ليجلس على الدرجات منزعجًا حتى ظهر، بينما ظل الفتى يضحك حتى ظهر من خلفه الطفل "وليد" في زي "باتمان":

- هابي هالوين يا بابي.

استراح "حلمي مهران" لحظة منتبهًا إلى التاريخ، ثم وقف متنهدًا للحظات ثم وجه كلامه لابنه "وليد":

- وإنت طيب يا حبيبي..... رعبتوني حرام عليكوا.

ثم نظر إلى الفتى الآخر في استياء قائلًا:

- أختك هنا؟

- آه في أوضتكوا فوق.

- طيب روح قولها إن أنا هنا.

- مش فاهم!

قالها الفتى مندهشًا، فلم يكن يعلم أن "حلمي مهران" قد ترك المنزل نهائيًا وظن أنه في العمل كما ادعت أخته "وعد" ليكرر "حلمي مهران":

- قولها بس إني هنا.

صعد الفتى متعجبًا، بينما جلس "حلمي مهران" بجانب "وليد" الذي قال:

- بابي إنت مش بتبات معانا ليه؟

انزعج الأب ثم قال كاذبًا:

- معلش عندي زنقه في الشغل شويه.

- طيب هاتخلص إمتى؟

- حقيقي معرفش يا "وليد"، بس هانت، المهم إنت تاخد بالك من مامتك.

- طيب مش هاتعد معانا الهالوين النهارده؟

قاطع خال "وليد" أسئلته وهو على السلالم قائلًا:

- "حلمي" "وعد" بتقولك إطلع.

استراح "حلمي مهران" من هروبه من حديث ابنه واتجه ليصعد السلم، وهو يشعر بحنين إلى تفاصيل منزله الذي أسسه بنفسه مع أمه التي تذكر تفاصيلها، لتدمع عيناه رغمًا عنه، قبل أن يتوجه إلى غرفة النوم التي كانت فيها "وعد" التي ارتدت روب فوق ملابسها لتؤكد على الحاجز بينها وبينه، لتقول بجدية:

- خير يا "حلمي"؟

- معلش أنا آسف بس كنت محتاج هدوم.

تقبلت "وعد" كلماته بارتياح، فلقد ظنته جاءها ليعيد تمسكه بها، لتكرر هي نهره كعادتها، ولكنها استراحت عند شرحه لسبب قدومه:

- آه طبعًا اتفضل.

تحرك "حلمي مهران" بهدوء وبدأ في البحث عما يحتاج من ملابسه، بينما ظلت "وعد" تحوم حوله تريد قول شيء ما.

- على فكره أول ما إجراءات الطلاق تخلص أنا مش هاعد هنا، ده بيتك ودي فيلت مامتك.

في انكسار التفت "حلمي مهران" ليرفض طلبها:

- لأ.

- يعني إيه لأ؟!

علقت "وعد" منفعلة، ظنًّا منها أنها يرفض طلاقهما قبل أن يوضح "حلمي مهران":

- يعني ده بيت "وليد" وأنا مش هاخرج إبني من بيته، لو ده قرارك الأخير أنا هأجر شقه صغيره ليا.

لم تسمع إلا ما يهمها لتؤكد:

- قلتلك إن ده قراري الأخير.

في انكسار اقترب "حلمي مهران" من زوجته:

- معلش فكري تاني، عشان خاطر "وليد".

فعلها كعادته وترجاها، لتكرر نهره في استياء واشمئزاز لضعفه، وقلة حيلته، دون أن ترى في إخلاصه أي رجولة أو نخوة، فلم تتفهم "وعد" أبدًا اختلافه، بل كانت تبحث عن النمط الذكوري المتعارف والمعهود.

- إنت لو بتحب "وليد" يا "حلمي"، لو سمحت ماتفتحش الموضوع ده تاني.

حاول "حلمي مهران" تقبيل جبينها ولكنها منعته بإشارة من يدها حاجزة بينها وبينه، وتحركت لتترك له الغرفة، قبل أن تقف عند الباب قائلة:

- لو سمحت أهلي مايعرفوش حاجه، وإبقى قول لأخويا إنك نسيت المفتاح.

قالتها وتركت "حلمي مهران" وحيدًا في الغرفة فأنهى ارتداء بذلة بسيطة دون أي تنكر، إلا أنه اختار ربطة عنق رُسم عليها شخصية كرتونية، وقد كان هذا كل ما يستطيع عمله من التنكر! ثم خرج وتوجه إلى سيارته التي تحرك بها تابعًا "جي بي إس" وصولًا إلى قصر "أدهم" كما طلب منه رئيسه "محمود وهبة" وليصف سيارته البسيطة وسط سيارات الضيوف الفارهة، ويطلب السائس مفتاح سيارته باشمئزاز، ليترجل منها ويتحرك إلى الحديقة الواسعة التي أنارتها أضواء الاحتفالات النارية الصاخبة، ليظهر عليه الاندهاش من فخامة المكان، وإن أزعجته الإضاءات المبهرة، حتى استقبله أحد الخدم بالمكان متنكرًا بملابس فرعونية ليتقدم "حلمي مهران" إلى داخل القصر عبر باب عالٍ يضم طابقين بسقف واحد مرتفع.

دخل "حلمي مهران" في حالة من التعجب، ليقابله خادم آخر بصينية كانت غريبة المحتويات، إذ كانت مليئة بتلك الأقنعة الزائفة، فتفهم "حلمي مهران" أنه من القلائل الذين حضروا دون قناع تنكري، فاختار من فوره أحدها وعبر به إلى الداخل، مذهولًا من هذا الثراء الفاحش!

كان المكان صاخبًا، يرتفع فيه صوت الموسيقى والرقص، الجميع متنكرون، في حالة من إنكار للواقع، ورغم سحر المكان، لكنه كان مقبِضًا ومميتًا خاصة لـ"حلمي مهران" الذي ظهر "أدهم" بالقرب منه مرتديًا قناع الأسد، بينما ظهر من بين الصفوف هذا الراقص ذو العباءة الداكنة!! كان يتحرك بخفة بأساليبه الغريبة حاملًا صينية فوقها تلك الزجاجة الكحولية حمراء اللون، اقترب بها من "أدهم" فألتقط الزجاجة التي جلبها له ذو العباءة ليقرأ ما كُتب عليها مندهشًا:

Enjoy your red bloody wine on Halloween

توتر "أدهم" ورفع قناعه ليظهر عليه تغير ملامحه ثم سمع رنين هاتفه لورود رسالة جديدة، فأمسك بالهاتف ليقرأها، فازداد وجهه شحوبًا، ووقعت منه الزجاجة أرضًا مع اندهاش "حلمي مهران" الذي

كان يراقبه بأسلوبه المرضي المعتاد، بحثًا عن التفاصيل التي يقدسها منذ طفولته، ويرتفع صوت الموسيقى في أرجاء المكان.

كانت تلك الرسالة التي وردت إلى "أدهم" عبر تطبيق "الفيسبوك" جاءت من حساب يعلمه بكل تأكيد، وزادت من قلقه وهو يقرأها من هذا الحساب الشخصي لعالم المصريات الذي تم إعدامه منذ مدة!!

ليقرأ "أدهم" الرسالة التي كتبتها (أنا) بوضوح:

"حانت الساعة وجاء وقت الحساب"

توتر "أدهم" وأجابني كتابةً:

"إنت مين وعايز إيه؟!"

كتبها وهو يتصبب عرقًا لتزيد من توتره إجابتي القاتلة:

"قصرك حلو"

قبل أن يجيب "أدهم" وردته من نفس الحساب مكالمة فيديو، لم يستطع رفضها! ليجيب ويجدني (أنا) أظهر مباشرة على الهواء داخل صالون قصره بالفعل!!

ليظل "أدهم" متسمرًا للحظات وهو ينظر إلى الفيديو الذي يصور بثًّا حيًّا داخل صالون قصره وسط كل هؤلاء الراقصين المتنكرين، فيعجز عن كشف هويتي، ويتفاقم هلعه مع اقتراب خطواتي إلى السلم الذي يقف عنده، ليغلق "أدهم" الهاتف ومن ثم يصعد مهرولًا على السلم، باحثًا عن سلاحه.

خطوات هرولها "أدهم" مني في تلك الردهة الفارهة، بينما (أنا) أتحرك بهدوء مخرجًا هذا الخنجر المسموم بحرفية شديدة من حزامي الجلدي، إلى أن وصل "أدهم" لغرفة نومه.

فيغلق الباب من الداخل ليشعر بالارتياح نسبيًا، قبل أن يخرج هاتفه ليتصل بـ"ماجي" التي لم تسمعه من صوت الموسيقى من أسفل، ليرسل إليها برسالة نصية:

"ماجي إنتي فيين؟ إطلعيلي فوق"

توجه "أدهم" إلى خزينة مخبأة في غرفته، قبل أن يرن هاتفه مرة أخرى بورود رسالة جديدة، ليخرج "أدهم" هاتفه في انتظار رد "ماجي"، ولكنه يقرأ تلك الرسالة التي وردته مني (أنا):

"كنت عارف إنك هاتيجي هنا"

قرأها واستدار مذهولًا ليستقبل طعنتي في قلبه، ليظل يرمق عيني الخضراء في ذهول ناطقًا اسمي.

- "عيااش؟!".

لم أُجبه احترامًا لقدسية تلك اللحظة التي غادرت فيها روحه النجسة - مع تدفق الدماء الدافئة الطازجة - لمقابلة "عدل" قد سبقته (أنا) إليه!

لحظات قليلة من المتعة غطت فيها دماؤه عباءتي الكتانية الحمراء التي كست جسدي وغطت رأسي، لأختلس (أنا) نظرة عبر تلك المرآة التي جهلت حقيقتي، من وراء قناع وجهي، لأحطم (أنا) غاضبًا صورة مرآتي! وأتحرك مفارقًا جثة ضحيتي تاركًا فيها خنجري لعل الجميع يعرف حكايتي ويدرك بعضهم مقصدي، فلم يكن الانتقام فقط هو غايتي!

غادرت الغرفة وتحركت بهدوء وترقب حتى وصلت إلى السلالم الشرفية، لأجيل ناظري من أعلى في هذا التنكري الصاخب الذي يحتفل فيه الحضور بهذا العيد الذي يجهلون حقيقته بلا احترام لقدسيتي! مرتدين الأقنعة التي تخفي هويتهم، لأدنو منهم برياح أنفاسي الساخنة متخللًا حفلهم، دون أن يرتاب أحد لهيئتي، عكس كل زياراتي السابقة لضحاياي في هذا اليوم المقدس لأستنشق عبق الدماء، لأظهر (أنا) حرًا بهيئتي المقربة إلى نفسي المتلهفة إلى الانتقام. بادلني الجميع نظرة إعجاب بعباءتي الكتانية الحمراء، معتقدين زيف دمائها المرتوية بها، لأتحرك في هذا المكان الذي يعكس ثراء "أدهم" الفاحش المتباهي بالكثير من المعروضات الفخمة من لوحات وتماثيل أثرية والكثير منها مهرب! استمتعت أذناي بتلك الموسيقى الكلاسيكية التي يجهل الجميع قصتها، هذه المقطوعة

التي لحنها الفرنسي "شارل كامي سان سانس" في مطلع القرن التاسع عشر، والتي تبدأ بالقيثارة ضاربًا العازف على أوتارها نفس الافتتاحية اثنتي عشرة مرة، مشيرًا إلى منتصف الليل ليبعث بالأموات في هذا اليوم فقط من كل عام! في الحادي والثلاثين من تشرين الأول فيتراقصوا مع أحبائهم حول الشياطين، رقصة الموت.

وأتراقص "أنا" من بينهم بطقوسي المقدسة من خلف قناعي، ليبادل الجميع شيطاني الرقص، لأستل من باطن حزامي الجلدي خنجري الأخير، وسط تهليل الراقصين ممن يرتدون تلك الأزياء القديمة، مخرجين سيوفهم الزائفة محيين إياي، لأكمل (أنا) طقوس رقصتي باحثًا من بين العيون عن ضحيتي التالية، لأدركه أخيرًا، فيتعطش خنجري إليه شوقًا، ولكنه بادرني بسلاحه، مطلقًا عيارًا ناريًا استوقف الحفل، لتخطئني تلك الطلقة مصيبة شابًا ثلاثينيًا فسقط أرضًا ذاك الشاب الذي عرفته جيدًا من فوره وإن كان يجهلني؛ حيث يجمعني به أكثر بكثير مما يعلم هو نفسه! لتتوقف الموسيقى ويزداد الصراخ، وأظل أنا أرمق ضحيتي تهرب مني وسط الصخب، ليدفعني شيطاني على ملاحقته، وإن استوقفتني دماء هذا الشاب الذي ينزف بغزارة، لأظل (أنا) حائرًا بين هذا وذاك! فلقد جهل الجميع سر أمنيتي الأخيرة! لأختار (أنا) هذا الشاب الكاشف قناعه، لأبدأ (أنا) بسرعة في إسعاف "حلمي مهران"، ليفتح الأخير عينيه ليرمق عيني مندهشًا، فلقد كان يعلمها عن ظهر قلب منذ طفولته وفي كل أحلامه!

كانت هذه اللحظة التي اختارها "حلمي مهران" ليستيقظ منها صارخًا من نومه بجانب "أمنية" النائمة إلى جواره على السرير الآخر، فتستيقظ على صياحه، وتدنو منه في حنان كان يفتقر إليه قائلةً:

- ماتخافش أنا هنا....حمد لله على سلامتك.

تغيرت ملامح "حلمي مهران" فجأة بأسلوب مخيف عند رؤيتها، ليبتسم لها، بصورة غريبة، لتتابع هي:

- مش عايز تعرف إنت فين؟

- لأ، المهم إنك معايا.

قالها بدفء ليقترب "حلمي مهران" من "أمنية" بشكل عاطفي يأسرها.

***

فتحت "حنان" باب شقتها مرتدية ملابس بسيطة لا تكاد تستر سوى حلمتي نهديها وظلمة أنوثتها، ليدخل "فؤاد" منزلها دامعًا. اندهشت واندفعت من فورها لتحتضنه بأمومة ليترك نفسه إليها، ليلامس برأسه لين صدرها شاعرًا بظمأ لأنوثة ثديها، ليباغتها رغمًا عنه مقبلًا شفتيها ليطلق لتوه السراح لرغبته، ليغلق الباب بقدمه ويدخل حاملًا إياها ليرمي بها على الأريكة التي توسطت الصالونات، لتبادله الحب بشهوانية حارقة، فلقد كان رحمها بحاجة ماسة لذكورته، فلم تعطِ جسدها حقه منذ شهور، ليظل جسدها يصرخ إليها يومًا بعد يوم، ولكنها لم تستطع تلبية نداءه، صادة رجلًا تلو الآخر، فلم تكن أبدًا رخيصة ينالها كل من يشتهيها، بل كانت تبحث عمن يقدس جسدها بمشاعر رجولته، ليصب فيها ضعف اشتياقه ولوعته، ولقد كان "فؤاد" كذلك ممن يستطيع نكاحها بعقله أولًا، لتستسلم لشهوته، وتخلع عنه قميصه، ويتابع بثورة تقطيع أزرار قميصها ليشبع ذكورته المتألمة، ليدس لوعه في قدسها، لتستمتع هي بغريزته المكبوتة، لتزيح همه في داخلها، ليكمل كل منهما حاجة الآخر!

***

ابتعدت "أمنية" من "حلمي مهران" في حزم مصطنع قائلة:

- متخلنيش أندم إني ساعدتك يا "حلمي".

- آسف، أنا معرفش مالي!

محرجًا قالها "حلمي مهران" الذي اندهش لغريزته التي تحركت فجأة رُغمًا عنه، ليشعر بهذا الشعور الغريب، عندما يتبع العقل غريزة الجسد! لتتابع "أمنية" في سخرية لتحافظ على ماء وجهه:

- ههه، ولا يهمك دي تلاقيها الماده اللي إنت اتحقنت بيها بس.

- ومالك مبسوطه أوي كده، وكأنهم حطولي فيتامين!

بابتسامة قالها لتتابع هي:

- ههه، أصل الصراحه شكلك حلو وإنت مكسوف.

- يا سيتي..أنا طول عمري مكسوف بس ده كان قبل ما تشوفيني، المهم قوليلي بقى إحنا فين؟

- في الملجأ.

- ملجأ إيه؟

- ملجأ "مفتاح الحياة" اللي اتربيت فيه!

قالتها "أمنية" في نفس اللحظة التي اكتشف فيها مديرها "تيم" تلك الحقيقة من ملفها الذي استخرجه من الجريدة والذي كُتب فيه "لقيطة"!

***

من ممر المستشفى برز الدكتور "صلاح" أخيرًا بعدما أنهى عملية الرائد "هشام" لتوه والتي كشفت جانبه الإنساني، لتلاحظه رئيسة التمريض من بعيد لتشير إلى العميد "ضياء عدلي".

- أهو الدكتور "صلاح" شكله خلص خلاص.

بسرعة تقدم العميد "ضياء عدلي" متوجهًا إلى الدكتور "صلاح" الذي ارتبك من الرجل، ليرمق رئيسة التمريض معاتبًا، لتُحرج هي وتنظر أرضًا.

- عميد "ضياء عدلي"، مباحث عامه ومدير الرائد "هشام"، يا ريت تطمني عليه.

شعر الدكتور "صلاح" بالارتياح عند سماع اسم الرائد "هشام" وقال:

- آه...أهلًا يا فندم، الحمد لله الإصابه كانت في الكتف، وسبحان الله وجوده في المستشفى خلانا نلحقه قبل ما يفقد دم كتير.

- يعني حالته إيه يا دكتور؟

- العمليه عدت كويس وطلعنا الطلقه ولو عدى بكره بس، هايبقى

مفيش خطر خالص.

- والرصاصه؟

- مالها؟!

علق الدكتور "صلاح" بشيء من البلاهة.

- فين؟

تساءل "ضياء" ليبتسم الدكتور "صلاح" متناسيًا جدية الموقف.

***

مع تلك اللحظات المبكرة من الصباح، كانت "وعد" لا تزال مستيقظة وحيدة، تندب حظها وسنين عمرها التي لم تستثمرها كما كانت تتمنى، ليضخم شيطانها حجم احتياجاتها مما تفتقد في الحياة، شاغلًا إياها عن كل ما تمتلك، فيحرمها ذلك الشيطان اللعين من الاستمتاع بحياتها، لتفر من عينيها دمعة تصطحب الكثير من اليأس، ليرسل لها خالقها بمن يذكرها.

- إتفضل.

قالتها "وعد" عندما سمعت طرق الباب، ليدخل هذا الطبيب المرتبك قائلًا:

- صباح الخير يا مدام "وعد".

قالها وسكت لحظة متوترًا بينما لاحظت "وعد" هذا الملف الذي كان يحمله الرجل بيديه لتتساءل:

- في حاجه يا دكتور؟!

نظر الطبيب لهذا الملف الذي يضم أشعتها التي أنهتها "وعد" بالأمس، ليكمل بتردد:

- نتيجة الأشعه طلعت يا فندم!

***

استغل الدكتور "صلاح" انشغال الجميع في القضية، ليهرب

منهم مصارعًا إرهاقه، فلقد تغلب عليه الأرق، وناداه الحنين إلى الماضي!!!، ليقف بهدوء ويتحرك بقدمه المعدنية خارج غرفته بالطابق الثالث في ترقب، ليسرع عبر الردهة في طريقه إلى المصعد لينزل به إلى باطن الأرض، حيث خرج وترجل في ردهة أخرى مظلمة يعتليها صوت الموسيقى المصاحبة لحفلات السيرك، حتى ظهرت تلك اللوحة الزيتية المرسومة له التي تعكس قيمته في هذا المكان القديم ليتجه إلى باب سري أخفى الكثير، ليدخل منه إلى مكتبه بالقبو، ويجلس الدكتور "صلاح" في هذا المكان القديم قدم الأزل ليمسك بتلك الرواية التي قصت الأسطورة الغامضة عن حقيقة "مليكا" التي كان يعلمها فقط الكاهن الأعظم الذي ما فتئ يتنقل عبر العصور!

***

(25)

من داخل بهو كبير في هذا المحفل الغامض بدأ "جون" يتحرك بين أتباعه ذات اليمين وذات اليسار حتى وصل إلى منبره ليجلس بثقة، بينما تقدم أحد أتباعه بخطوات شعائرية إلى منضدة بيضاء متواجدة وسط الحشد المصطف على الجانبين عند المدرجات الخشبية يجلسون في قدسية للحفل. بدأ الرجل يلتف حول المائدة البيضاء يرفع الستار عن شيء ما في كل مرة، واضعًا يده اليمنى على خصره كلما كشف عن أحد أباريقه الذهبية. كان الرجل يرتدي بذلة سوداء مطرزة ببعض الحلي الذهبية حول ياقتها البنفسجية. تعالى صوت البيانو بتلك الموسيقى الجنائزية المخيفة، حتى أنهى الرجل كشفه عن كل محتويات المائدة، ناظرًا إلى سيده الذي أعطاه الإذن بإشعال تلك الشموع الثلاث وسط الشمعدان المقدس ويبدأ الحفل، ليراجع "جون" هوية المتقدمين الجدد، ثم يردد تابعوه أسماء هؤلاء المرشحين الثلاثة الذين وقع عليهم الاختيار ومناصبهم المهمة في الدولة، كما اتفقوا سابقًا، ثم يشير موافقًا إلى أحد تابعيه، ليدخل ثلاثتهم من الخارج، فيفتح الرجل الباب، ويدخلهم وهم معصوبو الأعين في حالة من الخوف والتوتر، ليبدأ أحد تابعيه بقراءة شروطهم، بالحفاظ على سرية هذا المحفل، وما سيرونه داخل تلك المنطقة المظلمة التي يطلقون عليها "غرفة التأمل"، وليقسم أولهم على التوراة وثانيهم على الإنجيل وأخيرهم على القرآن، قبل أن يضع ملقنهم بشيء ما على صدر أولهم ليسأله:

- هل تعلم ما يلامس صدرك الآن وتستشعره بيدك؟

بدأ الأول ملامسة هذا الشيء وهو معصوب العينين ليقول:

- نعم.. إنه يبدو كسيف.

- إذن لم تحتفظ بالسر، سيرافقك هذا الألم طوال حياتك.

كررها الرجل عند كل منهم إلى أنيقول أخيرًا:

- هذا كي لا يكون هناك أي سوء في أذهاننا، نود أن نعرف إذا كان

الأشخاص الذين يودون الانضمام إلينا... هم أنتم بالفعل؟

قالها ثم سأل كلًا منهم:

- هل قمتم بملء النموذج المقدم لكم والتوقيع عليه لتصبحوا منا، ونبيت منكم؟

أجاب ثلاثتهم بالإيجاب، وأكمل الرجل:

- بدون أي ضغوط خارجية وبقرار منكم وبإرادتكم الحرة؟

أومأ ثلاثتهم بالإيجاب أيضًا، وهنا يشير "جون" لتابعيه قائلًا:

- دع المرشحين يقومون بالرحلة الأولى، فهم يبحثون عن النور الحقيقي.

بدأ ثلاثتهم في الاقتراب من "جون" الذي أمرهم بالترديد بعده.

- من أمامكم، وبجانب رمز معماريِّي الكون العظام، بكامل رغبتنا وإرادتنا وبمنتهى الإخلاص، فإننا نقسم.

رددوا من بعده كالببغاء ليكمل "جون":

- إننا لن نفشي أي سر سنتلقاه هنا لأي شخص غيرنا، وفي أي مكان خارج هذا المحفل العظيم.

كرروها أيضًا في استسلام ليتابع:

- وإننا سنمضي تجاه غاية واحدة، وسنطيع مبادئكم، وسنحضر معكم اجتماعات المحفل الذي نتشرف أن نكون أعضاء فيه.

بدأ "جون" في سؤال المأمور الأول عما يريد من هؤلاء المرشحين الثلاثة فقال:

- أريد ضوء الحقيقة العلمية، أيها الأستاذ الجليل.

ثم نظر إلى بقية الجماعة يسألهم عما يبتغون من ثلاثتهم، فكرروا بصوت واحد مخيف:

- نريد ضوء الحقيقة العلمية، أيها الأستاذ الجليل.

- إذن مع الضربة الثالثة للمطرقة، دع ضوء الحقيقة العلمية يعطى

لهم.

لترفع العُصابة عن أعينهم، وتبدأ السيوف كلها تشير إليهم بيسار كل الحضور، فيقول "جون":

- هذه السيوف الموجهة إليكم، ترمز إلى أنه من الآن فصاعدًا في حال الاعتداء على حياتكم، فإننا سندافع عنكم.

هذا قبل أن يتم توجيه ثلاثتهم إلى قسم أخير، على هذا الكتاب الموحد لهم، ويركع ثلاثتهم أمامه، مقسمين عليه بحفظ تلك الأسرار، ثم يرفع "جون" الستار عن هذا الكتاب، فإذا هو التوراة، والذي خضع ثلاثتهم له ليقسموا به وعليه لحفظ السر!

***

من غرفة الملجأ توقف "حلمي مهران" في حالة نفور من هذا السجن الجديد، رافضًا إياه بشدة، بينما كانت "أمنية" تحاول تهدئته.

- يا "أمنية" أنا مش هربان.

- بس يا "حلمي" إنت في حد حاول يقتلك.

- هو أنا لحقت أعمل حاجه عشان يقتلوني!

- شوف إنت بقى مين اللي حاول يقتلك قبل كده في الحفله!

هرب "حلمي مهران" من السؤال وارتبك قائلًا:

- "أمنية"، أنا وجودي هنا خطر عليكي وعلى اللي معاكي، أنا لازم أمشي.

قاطع حديثهما دخول الدكتور "إيهاب" بوقاره المعهود قائلًا:

- "حلمي" عنده حق يا "أمنية"، بس أكيد مش هاتخرج من هنا بهدومك دي.

نظر "حلمي مهران" إلى ملابس المستشفى القميئة التي كان يرتديها ليتأكد من صحة حديث صديقه الجديد.

***

استيقظ "فؤاد" - أولًا - من جانب "حنان" في حالة من الندم الشديد، شاعرًا باختناق غريب من صنيع أخلاقه، فيقوم من سريرها ويتوجه إلى تراس صغير ملحق بالغرفة، ليستنشق الهواء بصعوبة. لحظات من المشاعر المتداخلة بقى حبيسًا بداخلها يستغفر خالقه، فلقد انتابه شعور غريب بالإثم، ليزداد في جلد ذاته، بعدما تيقن من هروبه من رحمة خالقه، وأنه صار من عبيده العاصين، بينما من داخله، ظلت بعض المشاعر الإنسانية، تحاول الاستمتاع بتلك اللحظة، فلم يُخلق ليكبت كل غرائزه، ليظل "فؤاد" بين هذا وذاك، لحظة يستمتع بحياته، وأخرى يخشى ما بعد مماته، فهل هو مسير أم مخير؟! أسئلة كثيرة راودته، ممزوجة بالكثير من الاضطراب النفسي، ليشعر أنه على مفترق طرق، فإن استسهل هذا الطريق، فلن يعود منه، وإن تركه، ستلومه غرائزه، ليبدأ أخيرًا في البحث عن طريق شرعي جديد، ليلبي به احتياجاته، قبل أن تقطع خلوته "حنان" واضعة تلك الملاءة حول جسدها السعيد، لتبتسم له قائلة:

- "فؤاد".. خش يا حبيبي لاحسن تاخد برد.

انتبه "فؤاد" إلى جسده العاري ليطاوعها ويدخل مسرعًا إلى ظلمة الغرفة الخبيثة، ليبحث عن ملابسه في حرج شديد بينما ضحكت "حنان" متعجبة:

- مالك يا حبيبي؟!

- خايف.

- مني؟!

قالتها بدلال وهي تقترب منه متلمسة رقبته تتحسسها بلين كفها وأطراف أناملها.

- أنا أول مره أعمل كده...

- ما أنا خدت بالي.

ضحكت "حنان" فأرتبك قائلًا:

- أنا لازم أمشي.

- لأ.

أوقفته بسرعة متابعة:

- مش قبل ما تقولي خايف من إيه؟

توقف "فؤاد" شاردًا، فلم يكن يعرف ممن يخاف بالفعل! فهل هاب خالقه الذي أغضبه، أم هو شعور بخيانته لحب عمره "وعد"! للحظة فكر قبل أن ينتبه أنها امرأة متزوجة يغشاها رجل آخر وقتما يشاء، يشتم عرقها وهي عارية بين أحضانه، لينفعل "فؤاد" لحظة لكرامته الذكورية ليقول:

- خايف منك وخايف عليكي.

- مش فاهمه!

تساءلت وهي تجلس على سريرها لتكشف عن قدمها البيضاء بارزة من ملاءتها تلامسه، وتحرك كل ما يمتلك من شهوة، ليتفهم "فؤاد" شعوره ويقول:

- أنا ماتعودتش آخد حاجه ماحسبش عليها، طول عمري بدفع تمن أي حاجه بخدها، وأنا معنديش حاجه أقدر أدفعهالك.

- وأنا مش عايزاك تدفعلي حاجه.

بذكاء أجابت، فلقد كانت تعرف الحقيقة، فلن تستطيع أن تطلب المزيد، على الأقل حتى تلك اللحظة، ليتفهم "فؤاد" قائلًا:

- يعني أنا نفسي التمن؟

- لأ قلبك.

- بس ده مش ملكي.

بوضوح أحرجها وإن كانت تعلم تلك الحقيقة بالفعل لتستمر بدهائها الأنثوي:

- بس مش ملك غيري.

تردد "فؤاد" وهرب من الإجابة قائلًا:

- أنا منكرش إني محتاجلك يا "حنان"..

أوقفته "حنان" واضعة يدها على شفتيه قائلة:

- ششششش، خلاص، مش عايزه حاجه تانيه.

اندهش "فؤاد" وحاول التوضيح، لكنها ضمت يدها بين شفتيه مكملة:

- الاحتياج دي مش كلمه وحشه أبدًا يا "فؤاد"، بالعكس دي أعظم كلمه في الدنيا، الكلمه دي ليها سحر لو فهمناه هانعرف جمالها.

لم يتفهم "فؤاد" حديثها لتكمل هي مبتعدة خطوة، ليتحرك جسدها بحرية.

- الاحتياج هو اللي بيحركنا، هو اللي بينبهنا للي ناقصنا، هو اللي بيخلينا نوصل للي إحنا محتاجينه.

قالتها ثم توقفت، لتترك الملاءة التي كانت تستر جسدها تقع أرضًا مع ما تبقى لديها من تمنع، فيحدق "فؤاد" إلى تفاصيل ثدييها بنهم، شاعرًا بهذا الاحتياج الذي تحدثت عنه، ليلبي النداء محاولًا إشباع جوعه، هذا الجوع الذي قيد فكره كثيرًا، ليتوقف هو عند فخذيها مخترقًا أنوثتها بنهم لتتمايل وهي متألمة باستمتاع على هذا المقعد الذي شاهد هذه الملحمة غير المتكافئة، فلقد كانت هي من تدير المعركة، والذي صار "فؤاد" فيها مجرد مقاتل لصالحها، يلبي لها مطالبها كعبد أسير!

***

ارتدى "حلمي مهران" تلك البذلة السوداء التي أعاره إياها الدكتور "إيهاب" في سعادة، ليستمتع "إيهاب" بشعور الأخوة الذي يفتقده، فلقد فقد حياته الاجتماعية منذ توليه مسؤولية هذا المكان خلفًا لأخته. نظر "حلمي مهران" إلى هيئته الجديدة في المرآة بمنتهى الثقة والفخر، شاعرًا أنه صار كدنجوان ما.

- لازم تبعد أي ضرر عن "أمنية".

- ماتقلقش يا دكتور، الحرب دي حربي أنا.

قالها "حلمي مهران" وهو يتحسس جيب بنطاله، حيث وجد بعض المال الموضوع به، فالتفت إلى الدكتور "إيهاب" الذي أشار له بمعرفته قائلًا:

- إنت هاتحتاج فلوس.

- بس...

- مابسش ولا حاجه، إحنا هانروح من بعض فين.

- يا دكتور ده كتير جدًا عليا.

- ولا كتير ولا حاجه.. يالا بقى عشان أشوف أوصلك فين؟

- لأ يا دكتور معلش، أنا محتاج أتمشى لوحدي، محتاج أشوف اللي اتغير في السنه دي بعنيا.

تفهم الدكتور "إيهاب" شعور "حلمي مهران" ليتركه يخرج من سجنه أخيرًا، من بين أنياب هذين التمثالين للبؤتين الموضوعين عند باب الملجأ، ومن ثم إلى الشارع الخارجي، لتبدأ الشمس تزعج عينيه، إذ إنه بات مثل مصاصي الدماء، منعزلًا عن الطبيعة وكل ما فيها من جمال وألم. لاحظ الكثير من الأشياء الصغيرة حوله، هذه الأشياء التي لم يكن يلاحظها أبدًا من قبل، فلقد أشفق على هذا الطفل المتسول الذي يأكل من تراب الأرصفة وكأنه يراه للمرة الأولى! كما استعطف قلبه ذلك العجوز الذي يجر عربة خشبية صغيرة وهو يبيع بعض البضاعة القديمة، ليشعر بالضيق فجأة، ليحاول الهرب من كل تلك الملاحظات التي لم يعد يستطيع تجاهلها، فأشار إلى سيارة أجرة بجانبه واستوقفه، ليبدأ "حلمي مهران" قصة أخرى من هذه السيارة، وهو عائد إلى منزله، فلقد أدرك لتوه رائحة دخان الحشيش الذي كان يدخنه منذ فترة، قبل أن يدرك تلك القطعة التي وضعها السائق في كونسول السيارة بسهولة، وكأنه صار محترفًا فجأة، لتزيد رائحة هذا الحشيش من مضايقته، حتى وصلت السيترة إلى هذا الكمين المتواجد عند مدخل مدينة أكتوبر، فترجل "حلمي مهران" فجأة من السيارة.

- يا أستاذ!!!

قالها السائق الذي خرج يتبعه متضجرًا من أسلوبه قبل أن يتوقف عند رؤية هذا الضابط المتوجه إليه "حلمي مهران" قائلًا:

- باشا التاكسي ده فيه حشيش!

تجاوب الضابط في حماس، وتحرك إلى سيارة الأجرة ليفتشه ويجد ما وعد به "حلمي مهران" وإن كان الحشيش ملفوفًا مما يجعل رائحته ضعيفة، ليخرجه الضابط من سيارة الرجل قائلًا:

- خلاص يا رجاله اتعشت.

حاول الضابط شكر "حلمي مهران" ولكنه تبخر هروبًا من التساؤلات، تلك التساؤلات التي أثقلته هو نفسه، فلقد كان يجهل ما يحدث معه، ليظل يتحرك وسط الكثير من الملاحظات التي يتجول فيها عن يمينه ويساره كلما تقدم خطوة، يمسك رأسه ويبدأ في الركض؛ هروبًا مما يراه عقله، حتى وصل أخيرًا إلى منزله ذي السور الحديدي المنخفض الذي عبره قافزًا ليدخل إلى الممر الداخلي، بينما كنت (أنا) أرمقه مراقبًا في دهشة من بعيد فلقد كنت أتبعه منذ لحظة تركه الملجأ. طرق "حلمي مهران" الباب بقوة وتعب والعرق يملأه، لتنفعل من الداخل الخادمة هارعة إلى الباب في استياء لتفتحه، قبل أن تتغير ملامحها إلى البهجة والفرحة عند رؤية "حلمي مهران" الذي كاد يسقط، فأمسكت هي به قبل وقوعه أرضًا.

***

تحركت "أمنية" إلى الجريدة بعدما اطمأنت على "حلمي مهران"، فلقد كانت تلك الليلة التي قضتها معه كافية لتقربه إلى قلبها العنيد، الذي بدأ يلين للمرة الأولى منذ لحظة ميلادها، فتظل مندهشة من رد فعل قلبها، إذ يكن هذا عهدها به!

***

من غرفته ارتمى "حلمى مهران" في أحضان "وليد" ابنه الذي ظهرت عليه السعادة، حال خاله الجالس إلى جانبهما، بينما رفعت

الخادمة الستائر لتدخل الشمس التي تجنبها "حلمي مهران" بينما قالت في سعادة:

- كده بقى أنا هاعملكوا فطار يرم عضمكوا لاحسن "وليد" كمان مكلش من امبارح.

اندهش "حلمي مهران" ونظر إلى ابنه الذي تذكر والدته ليقول:

- ماما عيانه يا بابي.

- "وعد"!

- أيوه يا "حلمي" وقعت امبارح من طولها وراسها اتفتحت.

قالها أخوها لتتابع الخادمة كيدها:

- طبعًا ما هي كان بقالها يومين مابتنامش ولا بترجع البيت، الله أعلم بقى إيه اللي كان واخد عقلها.

- تقصدي إيه"!!

قالها خال "وليد" منفعلًا، لتتراجع بعدما وضعت سمها.

- ولا حاجه يا أستاذنا، المهم البيه رجعلنا بالسلامه.

قالتها وخرجت، بينما ظن "حلمي مهران" أن حالة "وعد" لن تتعدى الضغط العصبي كعادتها، في حين أنه لم يعلم الحقيقة!

***

- سرطان؟!!

تساءلت "وعد" في حدة، ليجيب الطبيب في محاولة منه لتهدئتها:

- يا فندم أنا مقولتش كده، ممكن الورم يكون حميد، عشان كده لازم ناخد منه عينه ونطمن.

ظلت "وعد" شاردة بعدما اكتشفت لتوها تفاهة كل مشكلاتها السابقة في الحياة!

- نطمن على إيه يا دكتور؟ مابقتش تفرق.

- يا مدام لو سمحتي تتماسكي شويه وتحاولي تستبشري خير في ربنا، وإن شاء الله يكون الورم حميد.

- ولو ماطلعش حميد يا دكتور؟

- يبقى برضه لازم تتماسكي، المعنويات في الظروف دي مهمة جدًّا.

قالها لتقف "وعد" في عصبية:

- أنا عايزه أمشي دلوقتي.

- أفندم!

- أظن حضرتك سمعتني كويس، ويا ريت تحافظوا على خصوصية المعلومات دي، مش عايزه مخلوق يعرف حاجه.

- يا فندم دي صحتك.

- بالظبط كده، وأنا حره في صحتي، يا ريت تكتبلي على خروج من غير شوشره، وأنا هامضيلك أي ورقه على مسؤوليتي.

***

من غرفة "وليد" جلس "حلمي مهران" أرضًا يلاعب ابنه بإحدى الألعاب الإلكترونية المليئة بالألغاز والأسرار والتي يحبها كلاهما. لحظات من المشاركة لامس فيها ذكاء "وليد" الذي قال:

- حلتها ازاي دي يا قرد؟!

- زي ما كنت بتقولي يا بابي، نبدأ دايمًا بحل حته صغيره لغاية ما العقده تتفك.

ابتسم "حلمي مهران" بينما توقف "وليد" لحظة ليقول بفخر:

- بابي في لعبه جديده نزلت، بتخلي كل واحد فينا ليه كاركتر وبنشوف بعض صوت وصوره وبنحاول نخرج فيها من السجن.

- يا سلام!....

- آه وممكن ننزلها على الموبايلات.

- طيب يالا وريني.

أمسك الطفل ذراع الجهاز، وجعل يشرح لوالده تفاصيل تلك اللعبة التي ثبتها على هاتف الوالد، ثم أخذ كل منهما يتواصل مع الآخر بالصوت والصورة، بينما يستمتع الأب وهو يتحرك من غرفة لأخرى، حتى استطاع الطفل النجاح في تخطي أسوار السجن بمساعدة والده الذي أرهق أخيرًا قائلًا:

- لأ كده كمل إنت بقى لوحدك يا بطل، إنت مابقتش محتاجني.

- يا بابي!

- معلش يا روح بابي، ما إحنا لعبنا كتير، هالبس بس وأرجعلك.

قالها "حلمي مهران" وخرج ليلقي نظرة على غرفة والدته، لتجذبه إليها ويفتح باب ظلمتها، منيرًا إياها ملاحظًا ذاك الإهمال الذي تعرضت له غرفتها، ليتوجه إلى خزانتها ويفتح الضلفة الوسطى كاشفًا الخزينة الرقمية، ليدخل فيها تاريخ ميلاد والدته لتفتح، كاشفة عن سلاحه الذي أخرجه قبل أن يلاحظ إحدى دلايات أمه فتناولها، ليعود بالزمن إلى شبابه عندما تخرج في كلية الشرطة وهما لا يزالان في منزلهما القديم، لتقول له حينها الأم في سعادة من داخل غرفة المعيشة التي نشأ فيها في صغره:

- أنا طايره من الفرح يا "حلمي".

تنهد "حلمي مهران" حينها معلقًا:

- فكرك لو بابا عايش كان هايصدق إني بقيت ظابط زيه؟

شعرت الأم بعقدة ابنها، فتحاول التخفيف عنه:

- يا "حلمي" إفتكر الخير لأبوك بقى وسامحه في تربته.

- أسامحه!

- يا بني أبوك اتحرم من أمه وهو صغير عشان كده كان قاسي في معاملته.

- بس أنا جدتي مامتتش وهو صغير ولا حاجه.

- جدتك يا "حلمي" الله يرحمها طلبت الطلاق من جدك، ودي كانت حاجه عيب في الزمن ده.

سكت "حلمي مهران" لتكمل "حكمت" الأم:

- وجدك الله يسامحه بقى، مارضيش يطلقها غير بعد ما خد "عبده" منها.

- طب وهي طلبت الطلاق ليه؟!

***

(24)

في خمسينيات القرن الماضي، ومن داخل سرايا فخمة بالزمالك كان يمتلكها جد "حلمي مهران" وقف الرجل في حالة ثورة أمام زوجته، التي كانت مصرة على الطلاق، رغم أن الجد "مهران" كان من الأعيان كحالها، ولكنها لم تكن ممن تهتم بالماديات، بل كانت سيدة بسيطة تتعاطف مع العوام، خاصة هؤلاء الخدم الذين كان الجد "مهران" يقسو عليهم، ليزداد الخلاف بينهما يومًا بعد يوم، ليشاهد "عبد المهيمن" والد "حلمي مهران" تلك المشاهد الصعبة في طفولته، ويرى والده وهو يصفع والدته في الكثير من الأوقات، ويبرر "مهران" الأمر بحجة التقويم، لينشأ في تلك البيئة التي يشوبها الكثير من الأزمات، كحال هذا المشهد من ذاك الصالون الفخم مرتفع السقف الذي وقفت فيه الجدة بمنتهى الصلابة:

- إنت خدتني من بيت أهلي حتة عيله، مكنتش فاهمه حاجه، ودلوقتي خلاص أنا كبرت وفهمت إنك أكبر غلطه أنا غلطتها.

- إخرسيييي..

قالها الجد صافعًا إياها لتقع زوجته أرضًا قبل أن تقف مرة أخرى في عزة متحدية زوجها، في تلك المرحلة من شبابها، فلقد كانت لا تزال في العشرينيات آنذاك:

- مش هاخرس، ولو مديت إيدك عليا تاني أهلي هايردوا عليك.

- ولو أهلك عرفوا إنك طالبه الطلاق هايتبروا منك، مفيش في عائلاتنا حاجه إسمها طلاق، إحنا جوازنا جواز مسيحيين.

- يا أخي إنتوا كمان هاتحرموا حلال ربنا؟

- وهو إنتي تعرفي حلال ربنا منين؟ هو إنتي ناقصك حاجه أبدًا؟ إنتي عايشه في أغلى سرايا في مصر، ومعاكي بدل الخدام ميه، عايزه إيه تاني؟

- عايزه أحس إني بني آدمه.

- وإيه اللي يحسسك إنك بني آدمه؟ المشي مع الخدامين والصيع؟!

- الخدمين دول في منهم كتير أشرف منك.

- إنتي أكيد اتجننتي، بتقارنيني أنا بحبة كلاب مايسووش تمن سجايري؟ عمومًا أنا مابقاش عندي مانع أطلقك، بس بعد ما أخلي أهلك يتبروا منك، عشان تبقي في الشارع، وعمرك ما هاتشوفي إبنك تاني.

قالها الجد وأشار إلى ابنه "عبد المهيمن" الذي كان يرتدي سروالًا قصيرًا وقميصًا بطية عنق، ليتقدم الطفل إلى أبيه غاضبًا من أمه، ليقول له الجد:

- شايف يا "عبد المهيمن"؟ أمك بتكرهنا، أمك مش عايزه تعيش معانا، عايزه تعيش لوحدها مع ناس غيرنا، أمك يا "عبد المهيمن" مابتحبكش، أمك مابتحبش غير نفسها.

- ماتصدقوش يا حبيبي.

قالتها الجدة مدافعة عن حب ابنها الذي رفضها مصدقًا والده، ومن ثم يصعد السلالم الشرفية لهذا القصر الذي حدث فيه ما حدث!

انهارت الأم بعدما خسرت ابنها بالفعل، والذي عاش طوال عمره كذبة أبيه، إذ يكن طلب الأم للطلاق منطقيًا، فلقد امتلكت عائلته كل شيء، ليشعر أنها كانت السبب في كل هذا الخراب الذي حدث، ليلومها حتى عما أصاب والده من هلاك، فلقد فقد والده تلك السرايا، حال أغلب ممتلكاته بعد ثورة ١٩٥٢، ليظل والده "مهران" يلقنه كره الأم، ظانًا أن الخالق قد استجاب لدعواتها في هلاكه، وإن كانت أطهر من ذلك، ليستقر في قلب "عبد المهيمن" الكثير والكثير من الحقد، معلقًا على شماعة أمه كل سقطات أبيه عبر الحياة، فقط لعدم إدراكه لحقها في الامتناع عن حياة فُرضت عليها دون أي مشاعر، خاصة مع حديث الأب الذي ظل يسمم به عقل ابنه من حينها وحتى وفاته في يوم ميلاد الحفيد "حلمي مهران"!

***

ظل "حلمي مهران" ممسكًا بسلاحه في شرود داخل غرفة والدته، لتذعر الخادمة التي اقتحمت خلوته فجأة:

- خير يا بيه.. ماسك السلاح ليه كفى الله الشر؟!

- لا ولا حاجه ماتخافيش، إنتي ليه مش واخده بالك من أوضة المرحومه وسايبنها كده؟

سكتت الخادمة بدهاء ثم قالت:

- دي أوامر ست "وعد".

غضب "حلمي مهران" ضاغطًا على سلاحه قبل أن تكمل:

- سمسار مصر القديمة تحت ولما عرف إن حضرتك موجود أصر يقابلك.

- مين ده؟

- يا سيدي ده السمسار اللي بيأجر شقة المرحوم والمرحومه.

تذكر "حلمي مهران" هذا السمسار الذي أجر له شقة والده القديمة التي كنت أسكن (أنا) في قبوها مستمتعًا.

- آه آه، طيب أنا هالبس وأنزله.

توجه "حلمي مهران" إلى غرفته ليشتم رائحة "وعد"، ليتأثر ويتوجه إلى تسريحتها ليتعطر بعطرها، قبل أن يثور لكرامته ويلقي بالعطر أرضًا، ويتحرك إلى غرفة الملابس ليأخذ حقيبة سفر ليضع فيها أمتعته، بعدما تذكر أنه لن يعاشر زوجته "وعد" في تلك الفترة، ومن ثم ارتدى "حلمي مهران" بذلة سوداء تخصه هو، ليقف أمام المرآة معجبًا بمظهره الجديد، ثم بحث عن مفتاح سيارته بين أغراضه، ليجده أخيرًا بعد عناء، ليخرج "حلمي مهران" من غرفته وينزل السلم ليقابل هذا السمسار الشاب المرتدي ملابس حديثة، مدققًا تفاصيله بميكانيكية غريبة، ملاحظًا تلك الأموال الموضوعة في جيب الرجل!

- يا ألف نهار أبيض، ألف حمد لله على سلامتك يا بيه، عنك الشنطه.

- مفيش داعي، تسلم، إتفضل استريح.

- والله أنا فرحت جدًا لمَّا عرفت إنك قمت بالسلامه.

- متشكر جدًا.. قالولي إنك عايزني.

- مانستغناش طبعًا يا كبير، والله أنا قلت أفكرك بموضوعنا، طالما فُقت بالسلامه.

- موضوع إيه بس؟

- موضوع الشقه.. الست اللي مأجراها عشمانه تتملكها.

- أنا قلتلك أكتر من مره، دي شقة المرحوم والدي وعمري ما هابيعها، كفايه أوي إني مأجرها أصلًا.

- اللي تشوفه.. عمومًا دي فلوس الإيجار بتاعت الشهر، ياريت بقى تمضي الوصل ده، وأتمنى لو تقابلها ممكن تغير رأيك.

- أقابل مين؟

- المستأجره!

لم يفهم "حلمي مهران" سر إصرار السمسار، لينهي الحديث ويخرج باحثًا عن سيارته التي كانت متوقفة داخل الجراج، كما تركها منذ شهور، ليبتسم ويغازلها في حنين.

***

وصلت "أمنية" مكتبها متأخرة لتجد جميع الأعين ترمقها في ترقب، ليتملكها القلق، حتى وجدت من يسحبها إلى داخل غرفة "تيم" الذي كان يجلس في حالة هلع بجانب "سالي" من أمام العميد "ضياء عدلي" المنفعل وسط رجاله:

- دول إتنين من رجالة الداخليه.. منهم واحد من رجالتي أنا شخصيًا! فاهم يعني إيه ظابط مباحث يتضرب عليه نار!!!

- يا باشا والله أنا أول مره أشوف الرائد "هشام" كانت امبارح.

- بس الناس شافوكوا وإنتو خارجين مع المقدم "حلمي مهران" اللي

اختفى بعدها!

قالها "ضياء عدلي" بمنتهى العنف وهو يرمق "أمنية" ليتابع:

- أهلًا أهلًا.. إنتي شرفتي؟ كده العصابه كملت.

قاطع حديث "ضياء عدلي" صوت رنين هاتفه، ليندهش من الرقم ويجيب بسرعة:

- أيوه يا دكتور "صلاح"!!

أجابه الدكتور "صلاح" من غرفته وهو ينظر إلى السلاح الموضوع أمامه على مكتبه!!

- أيوه يا "ضياء" بيه هو هنا قدامي، وعايز يكلم حضرتك.

اندهش "ضياء" من حديث الدكتور "صلاح" ظانًّا أنه كاذب ليقول:

- هو عندك في المستشفى...طب إديهولي فورًا.

في توتر أعطى الدكتور "صلاح" الهاتف "حلمي مهران" الجالس أمامه في برود:

- "ضياء" باشا، أيوه أنا بخير الحمد لله.

نظر "ضياء عدلي" إلى من حوله في حرج:

- يعني محدش اتعرضلك امبارح خالص؟

- إطلاقًا يا "ضياء" بيه، ولمَّا هاقابلك هاشرحلك كل حاجه.

- خلاص يا "حلمي" أنا هاستناك في مكتبي فورًا.

- ساعه وهاكون عند حضرتك، أيوه طبعًا عارف المكتب.

أنهى "ضياء عدلي" حديثه ثم نظر إلى ثلاثتهم في إحراج قائلًا:

- أنا هاسيبكوا بس بشرط....مش عايز نشر للكلام ده خالص.

- بس ده سبق يا "ضياء" بيه.

قالتها "أمنية" متحدية، ليتدخل "تيم" ليرسم صورة البطل أمامها:

- حضرتك ما بقاش فيه حكر على الإعلام، وطالما اتأكدت إن

المقدم "حلمي مهران" بخير، يبقى نقدر نمارس حقوقنا بحريه.

غضب "ضياء عدلي"، وكاد يفقد أعصابه، ليشير له مساعده ليهدأ، ليغادر المكتب دون أي تحية، لتبتسم "أمنية" إلى البقية ابتسامة نصر، ليبدؤوا في تجهيز سبقهم الصحفي بعدما أنقذهم للتو ظهور "حلمي مهران" وهو يواصل حديثه إلى الدكتور "صلاح" من غرفته بالمستشفى:

- فين "هشام"؟

- على سريرك.

- أفندم!

- قصدي في العنايه المركزه.

بدفء وقف "حلمي مهران" ليذهب إلى صديقه قبل أن يستوقفه الدكتور "صلاح" قائلًا:

- "حلمي"....أنا مليش ذنب في اللي حصل امبارح.

نظر "حلمي مهران" داخل الدكتور "صلاح" بوضوح ليرمق كل تفاصيله قبل أن يقول:

- أنا عارف يا دكتور...عارف كل حاجه.

بأسلوب مخيف قالها وخرج، ليسير "حلمي مهران" داخل الممر الذي أصيب فيه "هشام"، ليعيد في أذهانه تخيل مشهد أمس وكأنه كان هناك، لتظهر تلك الرؤى المزعجة في عقله وهو يرى نفسه داخل مكان الجاني، وكأنه يمتلك كرامة ما، أو قدرة جديدة، تكشف له الجاني تدريجيًا، ليندهش وهو يرى نفسه داخل جسد غريب لا يعرف صاحبه، ليخرج سلاحًا ما من بذلة ارتداها الجاني، في تلك اللحظة التي هربت فيها الممرضة المزيفة من جانبه، ليطلق صاحب هذا الجسد الطلقة على الرائد "هشام" الذي أصيب ووقع أرضًا، ليجثو صاحب هذا الجسد الذي يتخيله "حلمي مهران" أرضًا ليبحث عن فارغ الرصاصة، ليلتقطه فارًا به!

لحظات مرت على "حلمي مهران" وهو يمرر المشهد وهو يجسده،

وكأنه صار داخل عالم غريب من خيال الـ Visual Reality، حيث كان هو القاتل دون أن يعرف من حقًا هو!

- أستاذ "حلمييييي".

صاحت رئيسة التمريض في "حلمي مهران" الشارد ليستفيق من خياله قائلًا:

- معلش آسف.

- قلقتنا عليك جدًا يا أستاذنا، بس بركه إنك بخير، الدكتور "صلاح" قالي أوصلك للعنايه.

- ههه... على أساس إني نسيتها!!

بتهكم قالها وتقدمها في تحدٍّ، بينما بدأت تلك القطط تلاحقه، ليندهش "حلمي مهران" مما يحدث! فكيف لتلك القطط أن تدخل هذا المكان المعقم! غير مدرك لشياطينهم:

- إزاي القطط دي تدخل المستشفى؟!!

قالها وهو يلاحقهم في جنون مريب، غير منتبه أنه يطارد أوهامًا في خيالاته!!

- قطط إيه يا فندم هي فين دي!!

تعجبت رئيسة التمريض من حديث "حلمي مهران" الذي انتبه إلى تلاشي قططه فجأة وإن ظلت خيالاتهم على الحوائط تداعبه، ليغض نظره عن الحوائط، مكتفيًا بالنظر أرضًا يتبع الممرضة، حتى وصل أخيرًا إلى جناح العناية المركزة، الذي فتحته له لتتركه وحيدًا داخل تلك الردهة التي كانت تزداد طولًا شيئًا فشيئًا، يسير خطوة تلو الأخرى في هذا الممر البغيض داخل العناية المركزة، قبل أن يظلم الممر فجأة، ليتوتر "حلمي مهران" ويظل يتبع خطواته إلى هذا الضوء الصادر من كاونتر التمريض، إلا أنه لم يصل إليه أبدًا، ليهرول ناحيته، بينما ظل الكاونتر يعانده في الابتعاد عنه، حتى بدأ يسمع صوت حفيف الأفاعي من فوق الأسقف المعلقة، لتبدأ تلك الكائنات التي يشمئز منها بنو الإنسان في حركتها الملتوية الساحرة، ليشعر

بهروب تلك القطط من بين قدميه قبل أن يتعالى صوت الزئير القادم من بعيد، لتلك اللبؤة الغاضبة، سيدة مملكة القطط، الجبارة هي، وسيدة الخطوط الحمراء، التي بدأت تقترب إليه، لتعود الأفاعي إلى جحورها داخل هذا الممر المظلم، ليندهش من صلابته التي لم يعهدها على نفسه! حيث تمالك نفسه وتقدم هو الآخر ناحيتها بفضول مريب، ناظرًا داخل حزن عينيها، لتتعجب تلك اللبؤة من جرأته، لتبدأ في الوقوف على قدميها متحولة لهيئة بشرية لأنثى غاية في الجمال. اقتربت بسحر تاريخها من أذنه لتهمس إليه بتعويذتها:

- أستااااذ "حلمي" سرحت في إيه تاني؟

قالتها رئيسة التمريض صائحة عند شرود "حلمي مهران"، الذي أدرك تلك التهيؤات التي بدأت تتمكن منه! ليعتذر منها قبل أن تحيي هي هذين الشرطيين اللذين باتا يحرسان العناية المركزة، ليحييهما هو الآخر، ويدخل لتتركه وحيدًا مبتسمة له قبل أن يلاحظ رعشة تلك الإضاءة في الردهة، ليخاف من تكرار رؤيته فيسرع إلى غرفته القديمة التي مكث فيها الآن الرائد "هشام"، ليدخل ويجده لا حول له ولا قوة، بين يدي الرحمن، ليهمس إليه بوعد واضح لحل لغز تلك القضية، بينما ظلت تلك اللبؤة تنظر له عبر النافذة في تحدٍّ.

***

- يا ساتر يا رب! وإنتي ازاي يا "وعد" تمشي من المستشفى بعد اللي سمعتيه ده؟!

قالتها صديقة "وعد" الوحيدة التي جاءتها إلى المنزل بعدما غادره "حلمي مهران" بحقيبة ملابسه، حال والديها اللذين نبذاها وحيدة بعد ظهور "فؤاد".

- كنتي عايزاني أعمل إيه يا "حنان"؟ أنا كنت لوحدي.

- طيب وهو إيه اللي زعل أنكل وطنط ومشى "حلمي"؟ ده الراجل لسه فايق!

لم تُجب "وعد" لتُحرج "حنان" قائلة:

- والله أنا عارفه إنك طول عمرك أجدع مني وكتومه في موضوع جوزك ده، بس أنا قصدي الموضوع ملحقش، والأهم إن اللي حصل حصل، ولو جوزك مش في ضهرك، لازم أهلك يبقوا معاكي، ده حقهم عليكي، وحقك عليهم، لازم يعرفوا، ولازم إنتي كمان تخلي الدكتور ياخد العينه وأكيد هايطلع خير، ربنا عمره يا "وعد" ما بيعمل حاجه وحشه.... إسأليني أنا.

قالتها مبتسمة، لتلاحظ "وعد" تغيرها؛ حيث كانت "حنان" مشرقة بطريقة واضحة، لتتساءل "وعد":

- هو إنتي مالك متغيره كده يا "حنان"؟ مش عوايدك!!

- ولا حاجه.. خلينا في صحتك لو سمحتي، ويالا بينا نروح دلوقتي المستشفى.

توقفت "وعد" رافضة في حزم.

- "حنان" ماتخلنيش أندم إني قلتلك، أنا خايفه ومحتاجه أستريح، لو سمحتي ماتكلمنيش في الموضوع ده على الأقل دلوقتي، يا إما أقسم بالله أعملكوا في نفسي حاجه.

- لأ خلاص خلاص، بلاش كلام النهارده بس توعديني بكره نتكلم فيه.

سكتت "وعد" معطية موافقة ضمنية، لتكمل "حنان" مبتسمة في محاولة لتغيير الموضوع:

- أيوه كده عشان أنا هاتعبك معايا اليومين اللي جايين كتير.

ظلت "وعد" صامتة وإن كانت قد بدأت تتفهم ما تلمِّح صديقتها إليه، قبل أن تؤكد لها قائلة:

- أيوه السناره شبكت، والواد طب أخيرًا.

- بتتكلمي جد يا "حنان"؟!

متناسية همها:

- آه يا حبيبة قلب "حنان".

- وأنا بقول وشك منور ليه!

- وشي بس؟

دون حياء قالتها، لتضحك "وعد" متسائلة:

- هو حصل؟!

- ده حصل وحصل وحصل، يا حبيب أمه الواد كان معبي.

قالتها وهي تشير بأصابعها الخنصر والبنصر ثم الوسطى، قبل أن تضحك ضحكة سافرة، لتبتسم "وعد" أخيرًا متسائلة:

- طيب مش هاتقوليلي بقى بسلامته يبقى مين؟

- مابلاش إحراج بقى.

- مش عارفه إنتي ليه مش عايزه تقوليلي.. هو أنا هاكله؟

-ههه، أصل الصراحه إنتي تعرفيه.

اندهشت "وعد".

- أعرفه؟!

- أيوه تعرفيه.

- مين؟!!

***

(23)

من هذا القبو المظلم ظللت (أنا) أفك الرموز التاريخ المدون على التقويم الموضوع أمامي، فلم يتبقَّ سوى أيام معدودة تفصلنا عن حادٍ وثلاثين جديد من تشرين أول قادم، لأعاود (أنا) الكرَّة، لاختيار ضحيتي الجديدة، لأتمكن من وضعه أمامي، هذا الرجل الذي سأرتوي من دمائه لتسكرني بعد أيام قليلة، لأبدأ (أنا) في تحضير خنجري المسموم، الذي أخطأ ضحيته في العام الماضي، لأعيد شتات عقلي، فلن أكرر ضعف قلبي!

وبينما (أنا) في هذا القبو المظلم تذكرت ما حدث لي منذ سنوات، عندما تملكتني روحه، روح الانتقام. لم أكن في البداية متحمسًا لتلك الفكرة، حتى رأيت العالم من منظوره، هذا المنظور المختلف. حاولت في البداية اللجوء للطب النفسي، وإن كان هذا هو السبب لما آلت إليه حالتي، فلقد اخترت هذا الطبيب الخمسيني العائد بعلمه من الخارج "علي"، لأبدأ أنا في التردد على عيادته، منذ سنين ثلاث، لأقص عليه حكاياتي في عيادته بمصر الجديدة.

- والله أنا مستغرب الكلام ده!

قالها لي الدكتور "علي" وهو يستمع إلى قصتي، من داخل غرفة مكتبه الصغير، حيث كنت (أنا) أجلس على هذا الشازلونج الذي يطل على نافذته، ليكمل الرجل حديثه:

- يعني مفيش أي حاجه علميه تقدر تثبت الكلام ده، عمومًا أنا عايزك تحكيلي كل اللي في ذاكرتك من الأول.

قالها طبيبي، لأبدأ (أنا) قص حكاياتي، بادئها منذ الطفولة، فلقد كنت (أنا) وحيد أبي الذي كان من ضباط جيش الأحرار في هذا الوقت، والذي كان يستثمر كل وقته للعمل، لأصبح (أنا) طفل والديَّ المدلل منذ ميلادي في الستينيات، حتى دقت طبول حرب الأيام الستة، وهُزم فيها العرب شر هزيمة على يد القوات الإسرائيلية، بعد قصفهم الأسطول الجوي المصري على الأرض، بينما كان والدي هناك! ليستشهد وأنا ابن خمس سنوات، لأبدأ (أنا) في منعطف

جديد، فبعدما أعطاني الله كل نعمه، بدأ في امتحاني بسلبي الكثير منها، ولقد كان الامتحان أصعب من قدراتي في ذلك الوقت، لأنعزل (أنا) تدريجيًّا عن الحياة، فبعد وفاة والدي بأيام قليلة، وبالتحديد في يوم العزاء، الذي كان في بيتنا، تكررت المأساة! حيث كانت مصر والوطن العربي بأسره في عزاء كبير، ليمتلئ شارع بيتنا بالصوان المليء بالمقاعد وصولًا لمنزل والدي بالطابق الأرضى؛ حيث امتلأت الدنيا ظلامًا في هذه الأيام، فلم يعد هناك عربي يبتسم، ولقد أدركت حينذاك معنى الألم، بعدما كنت أمتلك الدنيا، وجدتها فانية فجأة، تستطيع سلبك كل شيء في لحظة لتصبح فيها ضيفًا ثقيلًا، لتظلم فجأة، وأظل (أنا) أبكي بين المعزّين الذين كانوا من الجيران والمصريين الشرفاء المتعاطفين مع والدتي، رغم عدم وجود الكثير من الأقارب، لأكتشف أني لم أمتلك في الدنيا إلا أمي، تلك الشابة الصغيرة الهشة التي ظلت تبكي والدي حرقة، حتى فارقت الحياة هي الأخرى حزنًا في نفس هذا اليوم الكئيب، ليزداد امتحاني صعوبة و(أنا) أنظر إلى جثمانها من أمامي وسط المعزّين، رافضًا موتها، كما رفضت موت والدي، فلقد صرت يتيمًا وحيدًا بين ليلة وضحاها، لأعتزل العالم من حينها، خلف ستار المرض الذي اختاره عقلي الصغير؛ لأصبح (أنا) كما يدعون متوحدًا من حينها!

***

وصل "حلمي مهران" إلى العميد "ضياء عدلي" المندهش من مقابلته، فلقد كان "حلمي مهران" في حالة من الثقة والقوة ليست لمريض ظل سنة في غيبوبته وقد استفاق منذ بضعة أيام!

- أنا برضه مفهمتش منك يا "حلمي" إنت بتتهم مين بالظبط؟

استفهم العميد "ضياء عدلي"، ليكرر "حلمي مهران":

- يا فندم.. أنا كلامي واضح، حضرتك تقدر تقولي ازاي قفلتوا قضية "أدهم الجوهري" من غير ما توصلوا للي ضرب عليا أنا نار؟!

- وأنا بقولك إن ده كان عيار ناري خاطئ من سلاح واحد من الأمن، والراجل اعترف ودلوقتي بيتحاسب.

- وحضرتك مصدق الكلام ده؟

- وهو يعني في واحد هايعترف على نفسه ويودي نفسه في داهيه من غير سبب؟!

- طيب بما إني أنا فوقت أحب أقولك إن اللي ضرب عليا النار كان قاصد، وهو كمان اللي حاول يقتلني في المستشفى.

- الكلام اللي إنت بتقوله ده خطير جدًا يا "حلمي"....لازم تحكيلي كل حاجه.

- حاضر يا فندم، هاحكيلك "بس المهم تصدقني"!

في يوم الحفل كان "حلمي مهران" كعادته انطوائيًا، يتجنب الجميع، خصوصًا لعدم معرفته بالجميع، فلم يعرف لِمَ دعاه "محمود وهبة" لهذا الحفل، ولِمَ لبى هو هذه الدعوة! إلا أنه كان بالفعل قدره. وقف "حلمي مهران" في منطقة جانبية بجوار السلم الشرفي متلاشيًا الحشود، حتى جذب فضوله هرولة "أدهم" إلى السلم صعودًا، بعد تلك الرسالة التي وردته للتو، ليناديه هذا الظلام في الأعلى، ليتحرك "حلمي مهران" خلف الرجل الراكض إلى أعلى، ليتبع خوفه ورهبته، لتدفع بحسه الأمني، ليظل يتبع "أدهم" الذي وصل إلى غرفته، ليظل هو في الخارج وحيدًا بين سكان هذا الممر الثري المغطى بالزجاج من أعلى، ليشعر هو بها تتحرك كاللبؤة في المكان، حيث كنت (أنا) في الداخل أثأر لها. تحرك "حلمي مهران" في تلك الردهة التي شعر أنها تشبه ألعاب الفيديو وألغازها، حتى سمع صوت زئيرها مع صيحات "أدهم" المقتول، ليختبئ في ظلام الردهة داخل جوف أحد الأبواب، بينما خرجت (أنا) بعباءتي من غرفة "أدهم" ليراني "حلمي مهران" دون أن ألاحظ خوفه، فلقد كنت أبحث عن ضحيتي الجديدة، حتى وصلت إلى السلم، لأتحرك عليه متراقصًا ومن بعدي "حلمي مهران" الذي نزل يتبعني في الحفل الراقص الذي لهوت فيه بحرية كما يحلو لي، حتى وصلت إلى غايتي، عند رؤية ضحيتي، لأبتسم و(أنا) أخرج خنجري الأخير ليمسكني "حلمي مهران" وقد خلع قناعه من خلفي، لأستدير (أنا) رغمًا عني، ليتلقى هو تلك الرصاصة التي كانت موجهة

إليَّ، ليسقط "حلمي مهران" أرضًا بينما هربت مني ضحيتي في خسة، لأظل (أنا) في حيرة، يتوجب عليَّ الاختيار، من متابعة ثأري أو إنقاذ دمي! لأختار أخيرًا مساعدة "حلمي مهران"، لأتوقف وأضمد جرحه وسط فرار الجميع، لينظر إلى عيني الخضراء التي يعرفها جيدًا، قبل أن يغيب عن الوعي.

- يعني عايز تقنعني إن القاتل هو اللي ضمدلك جرحك؟!

تساءل العميد "ضياء عدلي" مندهشًا، ليجيب "حلمي مهران" بثقة:

- أيوه يا فندم ده اللي حصل بالظبط.

- طب ازاي دي يا سيادة المقدم؟!

- والله يا باشا أنا منكرش إني لغاية دلوقتي مش فاهم، بس صورة الراجل ده مافرقتش خيالي ولا لحظه حتى وأنا في الغيبوبه.

- طيب مواصفاته إيه؟

- معرفش...

انتفض العميد "ضياء عدلي" في حالة غضب قائلًا:

- لأ ده ماسموش كلام ده يا حضرة المقدم، منين شوفته ومنين ماتعرفش شكله؟!

- يا فندم قلت لحضرتك كان متنكر، كان لابس عبايه حمرا وقناع قط.

- قط؟!

- أيوه يا فندم ماشوفتش غير عينه.

- والله يا "حلمي" أنا مش عارف أقولك إيه، كلامك ما يطلعش من حد عاقل أبدًا.

- يا فندم بس في متهمه ممكن تاخد حكم إعدام.

- عارف يا "حلمي" ومقدرش أتجاهل ده.

سكت العميد "ضياء" لحظة ليراجع اختياراته، ثم تابع في حيرة:

- طيب قولي مين من وجهة نظرك اللي حاول يقتلك في المستشفى امبارح؟

- أكيد هو نفس الشخص.

- الراجل اللي بعبايه؟!

- لأ.

اندهش العميد "ضياء" من نفي "حلمي مهران" فاقدًا صبره:

- أمال مين؟!

- الراجل اللي ضرب عليا نار في الحفله.

وقف العميد "ضياء" واقترب من "حلمي مهران" في فضول قاتل:

- اللي هو مين يعني؟

ظل "حلمي مهران" مستمتعًا بنظرات الترقب المرسومة على ملامح العميد "ضياء".

- اللوا "محمود وهبة".

***

من مكان ما وسط الصحراء وصل اللواء "محمود وهبة" لمكان الحفر الذي أنهته جماعته بالأمس القريب، يحدق في كل تلك الكنوز الذهبية التي أخرجها رجاله في حالة من النشوة؛ حيث امتلأ المكان بالكثير من تلك الآثار الفرعونية الغاضبة من التعدي على سيادتها، وإن كانت مهملة في الشمس لا حول لها ولا قوة، فلم تُغنِ ملوكُها عنهم شيئًا ولم تحمِهم من الفناء الذي كانوا يعتقدونه. ظل "محمود وهبة" يبحث بين الكنوز عن أي برديات هامة ليسأله المشرف:

- ماقولتليش هانعمل إيه يا كبيرنا؟ الخير ياما.

تردد "محمود وهبة" الذي صارت علاقاته محدودة بعد اللغط الذي صاحبه في الآونة الأخيرة، ليظل صامتًا، ليتدخل المشرف:

- يا باشا ماتأخزنيش في الكلمه، لو سكتك مش سالكه أنا هاعرف

أسلكها.

- إنت اتجننت يا حيوان؟!

بثقة وحزم قالها، ليتوتر المشرف الذي كان يهاب "محمود وهبة" المعروف بنابه الأزرق ليقول:

- آسف يا باشا أنا افتكرت..

قاطعه "محمود وهبة" في عصبية:

- ماتفتكرش ولا تفكرش طول ما أنا هنا.

- اللي تشوفه يا كبير.

- كل الرفايع دي هاتتشال في عربيات ملاكي تبعي أنا.

- والكماين؟!

تساءل المشرف قلقًا، ليجيب "محمود وهبة" بثقة:

- محدش هايوقفك.

- طيب والباقي؟

- ترجعوه المقبره.

- بس يا باشا...

في استنكار تدخل المشرف، ليزيد من غضب "محمود وهبة".

- إنت هاتناقشني؟

- لا يا باشا العفو، طيب وبعد كده؟

- هاتروحوا المكان الجديد، دي الأوامر اللي عندي، مفهوم ولّا أقول تاني؟

***

- يا "حلمي" إنت مدرك اللي إنت بتقوله ده؟

قالها العميد "ضياء عدلي" ليظهر التردد على "حلمي مهران" ثم تابع:

- يا "ضياء" بيه أنا بقالي سنه في غيبوبه، كل اللي طالبه من حضرتك شوية وقت، عشان أنا شخصيًا محتاج أتأكد من حاجات كتير بس ناقص أيام قليله والقضيه يتحكم فيها.

تنهد الرجل من حجم المسؤولية الملقاة على كاهله، يصارع التناقض الأبدي بين تحقيق العدالة وتطبيق القانون، ليقرر التغاضي عن بعض صلاحياته من أجل الحقيقة.

- طيب أنا هاعتبر نفسي ماسمعتش حاجه وهاخليك تروح لمحامي المتهمه، وهو هايقولك ازاي ممكن توصلوا للقاضي قبل الجلسه.

انتفض "حلمي مهران" في سعادة شاكرًا العميد "ضياء" الذي اتصل بـ"فريد" الماكث في مكتب "هشام" كعادته، لينتفض مجيبًا رئيسه قبل أن يأتيه من فوره إلى مكتبه ليقتحم إياه بشكل فوضوي كعادته.

- أفندم يا معالي المعالي.

ابتسم العميد "ضياء عدلي" وأشار إلى "حلمي مهران":

- "فريد" هاتاخد المقدم "حلمي مهران" وطلعه بيانات محامي المتهمه في قضية "أدهم الجوهري".

قاطعه "حلمي مهران" في طمع قائلًا:

- طيب ممكن كمان أطلع على التحقيقات؟

لم يُجب "ضياء عدلي" واكتفى بدوران مقعده معطيًا "حلمي مهران" ظهره حاجبًا رؤيته عن طلب ليتبع هذا الرجل الغريب إلى الخارج في الممر، حتى وصلوا إلى غرفة الرائد "هشام" فأشار "فريد" إلى "حلمي مهران" ليجلس، بينما بدأ "فريد" يجثو على ركبتيه ليفتح درجًا في منسوب منخفض باحثًا فيه عن بعض البيانات قائلًا:

- حضرتك بقى المقدم "حلمي مهران"؟

- بالظبط كده.

- طيب حضرتك عرفت مين اللي عمل كده في الرائد "هشام"؟

- ماتخافش دم "هشام" في رقبتي، وأنا هاعرف مين اللي ضرب

علينا نار.

ابتسم "فريد" في تقبل إيجابي لكلماته، ويقف ممسكًا بملف كبير ليضعه من أمامه على المكتب ليقول مشيرًا إلى الملف:

- طيب إذا كان كده بقى، دي نمرة الأستاذ "غانم".

كتبها "فريد" بتلقائية، وكأنه حافظًا إياها عن ظهر قلب!

- وآدي كمان ملفات القضيه، ما أنا اللي كاتب كل كلمه في التحقيقات دي بنفسي، أصل الرائد "هشام" مكنش بيتحرك من غيري خالص.

سكت لحظة ثم تابع في دهاء:

- دلوقتي بقى هاسيب حضرتك شويه كده عشان تاخد راحتك.

- أفندم!

- عشان تقدر تكلم أستاذ "غانم" يعني.

فهم "حلمي مهران" تلك العلامة في سعادة وهو ينظر إلى ذلك الملف بينما غادر "فريد" الغرفة، فلقد كان محبًا للرائد "هشام" ومخلصًا له، وجد "حلمي مهران" نفسه وحيدًا مع هذا الملف، ليبدأ تطفله عليه، أنه الملف المليء بالتحقيقات التي أجراها الرائد "هشام" ودونها "فريد"، يومًا بعد يوم، وكانت بداية تلك التحقيقات مع "ماجي"!

***

أمسك المحققون بـ"ماجي" موجهين لها تهمة مقتل "أدهم" ليحضروها في هذا اليوم إلى الرائد "هشام" الذي رمته الأقدار إلى هذا التحقيق ليجلس هنا معززًا خلف مكتبه بعدما ارتدى أفخر ثيابه لهذا اليوم بالتحديد، زائدًا من شماتته لها، بينما كانت "ماجي" واقفة أمامه بجانب "فريد" في حالة يرثى لها، كانت مكسورة تبكي بحرقة وهي لا تزال في حالة صدمة من مقتل "أدهم" وصدمة أكبر لوجودها هاهنا في هذا المكان تقف أمام حبيبها السابق كمتهمة وقاتلة.

بكبرياء شديد أخرج الرائد "هشام" سيجارة من أمامه وأشعلها بهدوء، ليبدأ في استنشاق هذا السم المعسول، ومن ثم وقف ببرود وتحرك عبر الغرفة في اتجاه ثلاجة صغيرة كانت خلف "ماجي"، مارًا من جانبها، مهملًا وجودها، ليخرج زجاجة مياه باردة يروي ظمأ شماتته، لتقترب منه "ماجي" في استعطاف:

- يا "هشام".

اقتربت لتمسك بيده اليمنى ببراءة ليواجهها بعنف شديد وهو يدفعها إلى الأرض.

- إنتي اتجننتي؟!

وقعت "ماجي" أرضًا، ليبدأ الرائد "هشام" يدور من حولها في اشمئزاز.

- أنا كنت متأكد إن نهايتك هاتبقى كده، بس الصراحه ماتوقعتش إنها تكون بالسرعه دي.

- يا "هشام" أنا بريئه.

- إسمي الرائد "هشام".

حاول "فريد" الانصراف في حرج، بعدما شعر بسابق معرفتهما، ليشير له الرائد "هشام" بالجلوس ليتابع عمله:

- إنتي هنا متهمه بجريمة قتل، وأنا دوري إني أضمن إن حبل المشنقه يتلف حولين رقبتك قبل ما شرك يوصل لغيرك وناس تانيه تموت بسببك.

- يا "هشام" حرام عليك صدقني أنا بريئه وربنا بعتك ليا عشان تثبت براءتي، أنا "ماجي" يا "هشام".

- بريئه!

اعترض الرائد "هشام" متهكمًا.

- إنتي شيطان يا "ماجي" وكل همك الفلوس بس، وزي ما بعتي نفسك مره جريتي عشان تبيعي نفسك تاني.

بقسوة قالها "هشام"، فلقد تعرف عليها قبل هذا الحادث بعام سابق عندما كانت تدير مكتب رجل أعمال مرموق، وكانت حينها معروفة بتجاوزاتها، فلقد كانت من عائلة متوسطة، أخطأت مرة في شبابها، ليتنصل من الارتباط بها الجميع وأصبحوا يتهافتون على جسدها المثير، الذي اعتمدت أخيرًا عليه لشق طريقها، حتى وقعت في شباك "ناصف شوكت" رجل الأعمال، لم يكن يهتم بجسدها حال الجميع، بل استطاع كسب عقلها والاستفادة منه، إلا أن أغراضه لم تكن نبيلة على أية حال!! لتقع "ماجي" في حب الرائد "هشام" الذي ظهر لها في تلك الحقبة من الأحداث، قبل أن يتردد هو، لتعيد هي حساباتها وترفضه أخيرًا، مقتنعة أنهما قد تلاحما نظرًا لتعارفهما في وقت صعب، لن يدوم الحال بعدها، لتختار إنهاء تلك العلاقة التي تردد فيها "هشام" فلم يكن يتوقع أن يتقبلها كزوجة، فلقد كانا عشيقين، بهذا المفهوم الطاهر من كل خير، فالمتعة كانت غاية الحدث الخالي من أي عتاب أو مسؤولية، مادة خام من الشهوات المكبوتة لم يكن يعرف لها إطارًا آخر، مما يفقدها رضاه قبل أن يكتشف كم التعاسة التي عاشها بعدها، في فراغ قاتل لم يملأه غيرها، ليحملها تلك المسؤولية، بعدما فقد البهجة، فلقد كانت هي تعرف خبايا عقله ونزواته، وكانت مسؤولة عن إشباعها دون أي مقابل، فقط نظرة الرضا التي كان يظهرها عند وصوله لغايتها، تلك البراءة التي يظهرها وهو بين أحضانها، خاضعًا لها يرتعش داخلها قاذفًا فيها كل طاقته والعرق يسيل مستسلمًا على جبينه، لتضمه أكثر إلى صدرها، ليرتوي منه وهو لا يزال ينزف عشقًا، لتمسح هي عرقه مهدئة جسده الذي كان ينكمش بين أناملها كطفل صغير.

- أبيع نفسي يا "هشام"! هي دي نظرتك ليا؟ طبعًا ما هو إنتوا كده يا رجاله بتاخدوا كل حاجه ومابتقدروش تدوا اللي قدامكوا أي حاجه، واضح إنك نسيت لما طلبت مني أقتل عشان الفلوس.

- إخرسيي.

صرخ صافعًا إياها بقوة لتقع أرضًا ويتوقف "فريد" عن الكتابة، ليكمل الرائد "هشام" منفعلًا:

- أنا أشرف منك ومن أهلك كلهم، وديني لأدفعك التمن، ومش هايهدالي بال غير لما أحضر لحظة إعدامك بنفسي يا فاجره.

قالها الرائد "هشام" بقوة حينها لتظل كلماته القاسية مطبوعة في ذاكرته تؤرق ضميره حتى الآن وهو مستلقٍ على سرير الموت في المستشفى ينتظر لحظة الحسم من خالقه، لتسقط دمعة ندم صادقة من عينه وهو أسير هذا الفراش لا حول له ولا قوة، بعدما سجن "ماجي" في تلك الزنزانة التي تحبس أنفاسها، تنظر إلى بدر الليل في ضعف لتدعو ربها بثقة:

- حسبي الله وهو نعم الوكيل.

لتصل دعواتها إلى خالقها في طرفة عين!

***

(22)

بعد شهور من التردد على عيادة الدكتور "علي"، قرر هذا المعالج النفسي المريب أخيرًا تطبيق تجربته الغربية على بعض مرضاه، ليبدأ إقناعي أني بحاجة إلى مواجهة المجتمع ومشاركة قصتي مع الغرباء، تحت فكرة العلاج الجماعي، التي تعلمها في الخارج، دون أن يدرك أن لكل طريقة للعلاج هناك آثار جانبية، ولمثل هذه الطريقة بالتحديد كنت (أنا) تلك الآثار الجانبية، فلقد جمعني الدكتور "علي" مع مجموعة من مرضاه لكل منا شكواه، لا يجمعنا قاسم مشترك إلا النفسية المهدومة، لتصبح تلك الجلسة رقم ٤٤ هي بمثابة قنبلة موقوتة، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم! خلف قناعي الذي ظنوه لقط شيطاني؛ حيث لم أكن أستطيع مجاهرتهم بعد!

تجمعنا لنشارك بعضنا البعض الكثير من خيالاتنا المريضة، لتبدأ الضحية الأولى بقص أسرارها وأنصت إليها بقيتنا بتركيز، فلقد حددنا نحن مصيره بعد ذاك. بشجن وانكسار توجه هذا الرجل الخمسيني إلى مائدة وحيدة كانت بتلك الغرفة التي خصصها الدكتور "علي" في عيادته لجلسات السايكودراما التي جمع منها الكثير من الأموال، إذ أنه جعل لدخول تلك الغرفة مجرد تذكرة، يقطعها من يبتغي التطفل على أسرار الغير في صورة كشف، دون أن يبدي أي معلومات تخصه!

كانت الغرفة مظلمة مخيفة إلى حد كبير، ففيها يتعرى الجميع بأسوأ ما فيهم. لحظات من التردد والقلق ظهرت على الرجل الذي عرفنا بنفسه، فهو رجل الأعمال المعروف "ناصف شوكت" والذي ترشح فيما بعد لانتخابات مجلس الشعب دون أن يدرك أن تلك الجلسة قد تهدم هذا الحلم المستقبلي الذي لم يخطط له في حينه، ليكشف الرجل لنا عما تقشعر له الأبدان، ليصيبني الذهول، وأظل (أنا) أتساءل: ماذا لو أخل أحد هؤلاء المرضى بالأمانة؟ فليس منا من أقسم على ميثاق للشرف عدا هذا الطبيب المختل، أما بقيتنا فلم نقسم على حفظ السر! فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم!

***

وصل "حلمي مهران" إلى "غانم" الذي اتصل به بعدما أنهى تصوير ملف القضية بالكامل بكاميرا هاتفه، ولا يزال الأخير منتظرًا إياه في ترقب وفضول، ليستقبله بحفاوة متناهية أدهشت "حلمي مهران".

- أنا مش مصدق إن حضرتك جيتلي بنفسك، ده أنا أول ما عرفت إنك فوقت بالسلامه جيتلك المستشفى بنفسي.

اندهش "حلمي مهران" وتساءل:

- جيتلي فين وإمتى؟!

- جتلك امبارح بس حصل اللي حصل....ف..

تردد "غانم" في الحديث، ليقاطعه "حلمي مهران" متنبأً بالإجابة:

- فخفت ومشيت.

أحرج "حلمي مهران" الرجل الذي تابع وهو يجلس على مقعد مكتبه في رسمية:

- لا والله أبدًا.. بس يعني الدربكه ماسمحتليش أقابلك.

- طيب أديني يا سيدي جيتلك لغاية عندك.

- والله دي أحسن حاجه حصلتلي بس تسمحلي أعرف السبب؟

- نفس سبب مجيتك ليا.

سكت "حلمي مهران" لحظة مستمتعًا بلعبته وهو يقرأ تعبيرات ملامح "غانم" التي اختلفت عن البقية، فهو محامٍ على أية حال، يهتم بالنتائج عن الحقائق، فهو يعيش في كذبة كبيرة طوال فترة عمله، ليخيب ببروده وتعابيره الخالية من أي مشاعر ظن "حلمي مهران" الذي تابع قائلًا:

- "ماجي".

انجذب "غانم" أخيرًا لحديث "حلمي مهران" ليقترب من المكتب منصتًا في فضول وترقب، ليكمل "حلمي مهران":

- "ماجي" بريئه يا أستاذ "غانم".

- صدقني يا أستاذ "حلمي" مفيش حد متأكد من براءة "ماجي" زيي بس للأسف كل الأدله ضدها، عشان كده أنا جيتلك امبارح، كنت عشمان لو عندك معلومه، "ماجي" مش بس وكيلتي، دي كانت هاتبقى أم ولادي كمان.

اندهش "حلمي مهران"، فلقد ظنها حبيبة "هشام"، قبل أن يؤكد له:

- وهي فعلًا بريئه، وهاحكيلك إزاي.

قالها "حلمي مهران" وبدأ بقص روايته كاملة، ليضغط "غانم" على زر خفي أسفل مكتبه ليسجل كل ما حكاه "حلمي مهران" من أحداث مرت به في هذا اليوم، في الحادي والثلاثين من تشرين الأول، لتكسر جلستهم حاجز الساعة كاملة، فلقد شرح بحرفية كامل التفاصيل التي يمكن أن يتمناها محامٍ مثل "غانم" الذي ظل يدون ملاحظاته في انبهار مستمتعًا بهذا الدليل القاطع لبراءة خطيبته الذي قدمه له "حلمي مهران" على طبق فضي، ليقول له في النهاية:

- الكلام اللي إنت بتقوله ده خطير يا "حلمي" بيه، وده بيأكدلي شكوكي.

- شكوك إيه؟

تساءل "حلمي مهران" ليجيبه "غانم" الذي توقف ليجلس على المقعد المقابل لـ"حلمي مهران":

- "دنيا" مرات "أدهم"، الست دي هي اللي شهدت ضد "ماجي" ويمكن من الأسباب الرئيسيه لضعف موقف "ماجي" في القضيه.

- وهي شهدت بإيه؟!!

***

من أمام المحكمة كان "غانم" يترافع عن "ماجي" في ضعف كعادته حيث كانت الكثير من الدلائل ضدها، حتى استدعت النيابة "دنيا" أرملة "أدهم" للشهادة، لتأتي في هذا اليوم وتدخل المحكمة في توتر شديد مرتدية ملابسها السوداء الزائفة، بينما وضعت نظارة شمسية لتحجب حقيقة كذبها، ليقتلها الجميع بنظراتهم إلا "ماجي" التي

هربت بأنظارها أرضًا، فأنها تعلم جيدًا أنها بدأت الحرب منذ خطفت زوجها.

أشار القاضي إلى "دنيا" بالوقوف عند منصة الشهادة لتقترب بشيء من الرهبة حتى بدأ وكيل النيابة في أسئلته، لتستمع "دنيا" إليها في انزعاج قبل أن تجيب في تردد:

- حضرتك أنا يوم الحادثه كنت متخانقه مع "أدهم" وعشان كده نزلت الحفله متأخر.

- ليه؟

تساءل وكيل النيابة، لتجيب "دنيا" في ضعف مصطنع:

- أسباب عائليه.

في انزعاج تدخل القاضي بحدة قائلًا:

- "دنيا" هانم حضرتك في محكمه ودي جريمة قتل!

توترت "دنيا" وأكملت مطيعة القاضي:

- أصلي الصراحه مكنتش موافقه إن "أدهم" يعمل خطوبة "ماجي" و"غانم" في البيت عندي.

- طيب كملي.

همهم القاضي متفهمًا، لتكمل هي:

- يوميها مرضتش أنزل غير لما الخطوبه دي تخلص، وفعلًا نزلت متأخر.

- حد شافك؟

تساءل وكيل النيابة، لتجيب في تهكم:

- مكنتش هاتفرق.. كنت لابسه ماسك.

- شكله إيه؟

ترددت "دنيا" لحظة ثم قالت:

- ماسك قطه.

- قطه؟!

تعالت ضحكات الجلوس، بينما ضرب القاضي بمطرقته مسكتًا إياهم، فيعود الانضباط مرة أخرى، ليتهكم المحقق ويتابع أسئلته:

- ولبسك؟

- ولا حاجه كنت لابسه جلابيه فرعوني.. فيها حاجه؟!

أجابت في شيء من العصبية لتسقط حقيبة يدها، فتهوي لتجلبها، ليبتسم وكيل النيابة وهو يهاجمها:

- لا أبدًا بس حضرتك مقولتيش كده في النيابه.

- والله محدش سألني.

- لو سمحت خلينا في الموضوع عشان وقت المحكمه.

قالها القاضي بحدة، ليعتذر وكيل النيابة تاركًا المجال لـ"دنيا" التي تابعت تحت ضغط:

- يوميها خرجت من الأوضه ونزلت السلم و"أدهم" معرفنيش، كان طالع بيجري، استغربت ومشيت وراه لاقيته ماسك تليفونه بعصبيه، الصراحه خفت أخش عليه وهو متعصب....وبعدها بدقيقتين لقيت "ماجي" طالعه، طبعًا اتضايقت إنها تبقى في بيتي وكمان تدخل أوضة نومي.

- وعملتي إيه؟

- أبدًا فضلت أسمع.

- وسمعتي إيه؟

- سمعت اللي هد قدامي صورة "أدهم" اللي كانت كبيره في نظري.

قالتها وبدأت تبكي في اصطناع، حتى بدأ الجميع يهدئها، لتكمل هي بصعوبة مصطنعة:

- اكتشفت حضرتك إنهم متجوزين.

قالتها ليجلس "غانم" في حالة ذهول وسط المحكمة التي ظلت تنظر له وإلى "ماجي" التي لم تستطع إنكار ادعاءات "دنيا"، ليتساءل القاضي بنفسه في فضول:

- حضرتك متأكده؟

- والله ده اللي سمعته.

- طيب وضحي.

- "ماجي" كانت بتتخانق مع "أدهم" وهددته إنها عايزه ورقة جوازها العرفي، وهو رفض، فهددته، قالتله لو مجبتليش الورقتين العرفي هاقتلك، بس "أدهم" ماصدقهاش، وفعلًا سمعتها وهي بتقتله بس خفت أخش...خفت، وبعديها حصلت دربكه في الأوضه، كنت خايفه أخش عليها، بس فهمت إنها كانت بتدور على ورقة جوازها منه، فضلت دقايق لغاية ما الخدامه بتاعتي ما ظهرت وشافتني برا، معرفتنيش في الأول فشيلت الماسك ودخلنا سوا، ولاقت "أدهم" سايح في دمه وشفناها ماسكه الخنجر فصوتنا لغاية ما سمعنا صوت ضرب النار من تحت، فرمت "ماجي" الخنجر وجريت!

***

خرج "حلمي مهران" من عند "غانم" في حالة من الشك والريبة، ليظهر إليه خيط جديد للقضية عند "دنيا"، ليجد نفسه يتحرك بخطوات سريعة إلى سيارته التي قادها بتهور لم يعهده على نفسه حتى وصل أخيرًا إلى هذا القصر الغامض المليء بالتساؤلات، ليفتح له الأمن الباب الحديدي الخارجي عندما أخرج بطاقة تعريفه حينما أعلموا "دنيا" الجالسة في غرفتها تتحدث إلى حبيبها عبر الهاتف في قلق، تنقل له ما يحدث، لتقول له:

- بقولك.. الأمن بيقولي "حلمي مهران" وصل عندي هنا في القصر!!

- طيب أعمل إيه؟

- المفروض إنت اللي تتصرف في الحاجات دي مش أنا.

طمأنها عشيقها، ملقنًا إياها ما ستفعل، طالبًا منها أن يظل معها على الهاتف من خلال سماعتها اللاسلكية التي وضعتها في أذنيها مدارية إياها بشعرها الكثيف، بينما ولج "حلمي مهران" من باب هذا القصر لتبدأ تلك الخيالات تلاحق عقله المريض، فأخذ يرى ذاك الحفل الوهمي مرة أخرى في خياله، ليجد الكثير من الحشود الوهمية في انتظاره على الجانبين بينما من الوسط كان القتيل "أدهم" يقف مبتسمًا له من خلف قناعه، ليهرول ناحيته، فتفسح كل تلك الحشود المجال ليصل إليه في حرية، قبل أن يختفي القتيل فور وصول "حلمي مهران"، حال جميع أوهامه من حشود، ليلتف حول نفسه من داخل صالون القصر المليء بتلك التماثيل التي خرجت عن هيبة ثباتها وطفقت تتحرك ناحيته، ليجد نفسه محاطًا بكل تلك التماثيل الحية من الجرانيت الغاضب، تقترب منه في غضب، تحاصر خياله أينما ذهب، ليهرول إلى السلالم، ويصعد إياها، قبل أن تبدأ درجاته بالتساقط واحدة تلو الأخرى وهو يحاربها مسرعًا في محاولة للصعود، حتى أرهقته وسبقته ليسقط في الهاوية، قبل أن يحاول فاشلًا الإمساك بداربزين السلم، ليظل يترنح يائسًا، حتى ظهرت (أنا) بعباءتي الداكنة لأرسل له يد العون ليتمسك بها وهو ينظر داخل عيني الخضراء متسائلًا ليستطيع أخيرًا الصعود، ليقف على تلك السجادة الحمراء بالطابق الأول.

- إنت ازاي تطلع هنا! إنت اتجننت؟!

قالتها الخادمة مفزوعة عندما وجدت "حلمي مهران" أمامها في الطابق العلوي يلهث في حالة يرثى لها، ويعود من خياله أخيرًا مستمعًا لندائها، ويلتف حول نفسه ليتأكد من خلو القصر من جميع الحضور عداها، قبل أن تظهر من خلفه "دنيا" مندهشة، وهي خارجة من غرفتها لا تستوعب الموقف، حال "حلمي مهران" الذي أخذ يعتذر وهو يحاول تفسير تلك الخيالات التي كانت تطارده الآن، إلى أن تدخلت "دنيا".

- أنا آسف جدًا.

- يا فندم إزاي حضرتك تطلع هنا؟

- معلش أنا بكرر أسفي والله، أنا المقدم "حلمي مهران".

انتبهت الخادمة للاسم، لتقول في رأفة:

- هو حضرتك يا حبة عيني!

لم يفهم "حلمي مهران" في تلك اللحظة ما تصبو إليه الخادمة، لتتدخل "دنيا":

- معلش حصل خير، أنا "دنيا" إتفضل.

قالتها مشيرة له بالنزول، ليظل لحظات يتحقق منها بأسلوب تلقائي، بدءًا من تلك الرعشة في جفونها وهي تحاول الهرب من نظراته، وهذا الروب الذي ارتدته بسرعة، والمكياج الصارخ الذي لا يحتاجه جمالها، وأخيرًا عيناها الزرقاوان التي تختلف عما كان يبحث!

- "حلمي" بيه!

- ها.. آه طبعًا إتفضلي يا فندم.

قالها وهو يشير لها لتتقدمه بدهاء، ليظل هو ينظر إلى قصر قامتها وهو يتخيلني أسير من أمامه حتى وصلت "دنيا" إلى صالون قصرها لتجلس هي ومن بعدها هو، ليظل صامتًا لحظات، مزيدًا من توترها، لتخرج هي سيجارة لتدخنها في توتر قائلة:

- يا ريت تفهمني في إيه؟

- والله أنا حقيقي بعتذر عن مجيتي من غير ميعاد، بس كان لازم آجي أتأكد بنفسي.

- من إيه؟

- لا ما خلاص.. أنا اتأكدت من اللي كنت عاوزه بس كان عندي سؤال واحد.

- مش فاهمه!

- إنتي كدبتي ليه في المحكمه؟

اندهشت "دنيا" من جرأته، ليبدأ حبيبها يلقنها ما تفعل عبر سماعة

أذنها قائلًا "ماتديهوش عقاد نافع".

- إنت إزاي تكلمني كده؟!

- إنتي سمعتيني كويس، كدبتي ليه في المحكمه يا مدام "دنيا"؟ مع إني متأكد إنك مقتلتيش "أدهم" زي ما أنا متأكد إن "ماجي" مقتلتوش.

- إنت جاي تهزأني في بيتي!!

- إطلاقًا، أنا جاي بس أشرحلك إنك لو مافهمتنيش الحقيقه، كل الشكوك هاتشاور عليكي لما يتأكدوا إنك كنتي كدابه.

ترددت "دنيا" لحظة قبل أن يجبرها عشيقها على طرد "حلمي مهران" لتقول:

- إتفضل إطلع برا.

ارتعشت يدها وهي تشير إلى الباب، ليتأكد "حلمي مهران" من كذبها، مزيدًا من قوة إيمانه بالحقيقة، ليقف ويتحرك، ليلاحظ أيضًا تلك الخادمة التي كانت تتصنت عليه في ترقب، ليبتسم لها ابتسامة نصر، ليزيد من هلعها وهو يخطو ناحية الباب، قبل أن يلاحظ هذا الظل الواقف على السلم ليلتفت إليه عن يمينه، ليجده خيال القتيل "أدهم" الذي ابتسم له ابتسامة مخيفة!

***

ظل "محمود وهبة" يتحدث عبر الهاتف في حالة قلق من داخل غرفة ابنه التي كان يفتش فيها باحثًا عن شيء ما، فلقد بدأ يشك في سلوك ابنه، فكما تدين تدان! حتى بدأ ينفعل في المكالمة :

- يعني إيه؟!....فكرك يعرف حاجه؟....لو أكيد يبقى ماينفعش يوصل بشهادته دي للمحكمه.

قالها "محمود وهبة" عازمًا إيقاف "حلمي مهران" بأي شكل، قبل أن يستوقفه شيء ما وجده في غرفة ابنه، شيء ما أبعد من كل ما كان يتوقع إيجاده، فلقد كان يلهي وقته في بعض الأعمال المنزلية البوليسية؛ بحثًا عن مجلة إباحية أو سيجارة للحشيش، ولكنه حيث

وجد هذه اللفافة البيضاء التي عرفها "وهبة" من فوره، ليغلق الهاتف بعصبية، ويخرج من غرفة ابنه في حالة هياج وصياح حتى وصل إلى غرفة نومه التي كانت فيها زوجته على مقعد خشبي تصلي، فيجذبها من خمارها، لتخرج من صلاتها وتقع أرضًا في حالة دهشة، فيهوي إلى جانبها ممسكًا بهذا الكيس البلاستيكي ليقول لها:

- بتصلي إيه يا وليه وإبنك مدمن، مدمننن!!

- إنت بتقول إيه؟!

قالتها وهي تحاول محاربة عجزها لتجلس، بينما ظل هو ممسكًا إياها من شعرها صائحًا:

- بقول إني ضيعت عمري معاكي هدر، استحملت عجزك ومرضك عشان خاطر العيال اللي مقدرتيش حتى تحافظي عليهم، عارفه ليه؟ عشان إنتي فيرس، إنتي مرضك انتشر في البيت كله.

- حرام عليك بقى إتقي ربنا فيا، عجزي ده إنت السبب فيه، والعيال دول ولادك زي ما هما ولادي.

- يا ريتهم يا شيخه ما كانوا ولادك ولا كنت خلفت منك أصلًا.

- حرام عليك دول نعمه من ربنا.

- هي فين النعمه؟ دول نقمه من ربنا يا ريته كان خدكوا كلكوا.

قالها وهو لا يزال يجرها بعنف حتى تركها عند باب الغرفة عندما سمع خطوات ابنه يصعد السلم، ليتحرك ناحيته في ثورة، قبل أن يدرك أن ابنه تحت تأثير مخدره، في هذا الوقت من اليوم الذي لم يكن والده عادة يكون في المنزل، ناسيًا تواجده الجديد بعدما تحددت صلاحياته. أمسك "محمود وهبة" ابنه ذا الجسم الضعيف بعنف ليدفع به إلى حائط أمام الردهة، ليصرخ ابنه ألمًا بينما زحفت أمه ناحيته على الأرض، لتمسك بقدم زوجها الذي دفعها بقسوة بعيدًا ليكمل صفع ابنه بيمناه ويساره في جنون وثورة، حتى بدأ الابن ينزف من أنفه، لتكرر الأم إمساك قدمه، ويكرر هو دفعها بقوة أكبر لتسقط على السلم عاجزة لم يزعجه، ليقول بغضب:

- من النهارده إنت هاتتسجن في البدروم، زيك زي الفران لغاية ما تتعالج من القرف ده.

أمسك "محمود وهبة" بابنه ليجره على السلم مزيحًا زوجته التي وصلت لمنتصفه وكأنها حشرة، ليظل ابنه يتألم من قوة والده، بينما في نفس اللحظة خرجت ابنته أخيرًا من غرفتها وهي تضع سماعة ضخمة حول أذنيها حالت دون أن تسمع كل هذا الهرج، وتشاهد لتوها ما يحدث، ولكنها لم تحرك ساكنًا وكأنها لا ترى شيئًا وهي تنظر إلى أبيها يجر أخاها، بينما أمها تتألم على السلم، لتظل في عالمها وتدخل مرة أخرى إلى غرفتها دون تعليق!

***

(21)

من داخل الجلسة الـ٤٤ أنهى ثلاثتهم اعترافاتهم المشينة واحدًا تلو الآخر، في أريحية مريبة، رغم جهلهم بي! فكيف شاركوني جميع هذه الحقائق الملوثة! فلقد اعتبروني نجسًا مثلهم، لتحين لحظة الحقيقة، وأجدهم جميعًا يحدقون بي، فلقد حانت ساعتي، ليشير الدكتور "علي" إليّ لأتوجه إلى هذا المنبر المخصص للاعترافات عند تلك المائدة الوحيدة بالمكان، ليريح هذا القط الأسود جسده الممتلئ وهو يشاهدني في استمتاع، فـ(أنا) منه وهو مني! فكلانا من نفس الفصيلة والعائلة، بل وحتى الروح، لأبدأ أتحرك بحركة أخافتهم، متذكرًا لوهلة ما درسته في جميع الأديان التي قرأت عنها منذ عهد المصريين القدماء وحتى اللحظة. وصلت أخيرًا إلى تلك الطاولة، لينظر جميعهم إلى عيني من خلال قناعي الذي رفضت خلعه لهذا الحيوان من عائلة القطط؛ لأشعر بفضولهم لمعرفة قصتي؛ حيث صرت أعرفهم جميعًا ويجهلوني، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم!!

بدأت (أنا) قص تلك القصة بصوت أدهشهم جميعًا، فهو منافٍ للقصة التي أرويها وللمنطق ككل، بينما كانت عيناي تتذكر بوضوح ما حدث في الماضي لتقص على عقلي ما قصصت (أنا) عليهم في هذا الوقت من الزمان بعد استشهاد أبي ومن بعده وفاة أمي في عزائه، لأقص عليهم هربي حينها داخل هذا القبو الغامض لمنزلنا، هذا القبو الذي احتضن وحدتي، متفهمًا عزلتي، فلقد كان يخفي بالفعل الكثير، فلقد كان بداخله تلك الفوهة التي كان يملأ سكانها دائمًا، لأظل (أنا) في صغري متيمًا بها منفصلًا عن الجميع، فيفاقم فقداني كلا والديّ من عزلتي، لأمكث (أنا) داخل قبو أجدادي الذين تواصلوا معي بأرواحهم، وأبقى هناك أيامًا بل وشهورًا حتى اكتشفت هذا الاكتشاف الغريب، فلقد علمت في يوم ما أن لي أخًا! أخًا غير شقيق من أمي، من زيجتها الأولى التي كنت أجهل بها نظرًا لصغر سني، إلى أن جاء طالبًا نصيبه الشرعي في ميراث أمنا، لأجده شابًا يافعًا يكبرني بأكثر من ثمانية عشر عامًا، وقبل أن يسمح لي بأن

أرتمي في أحضانه، نهرني أخي بعنف، فلقد حملني ذنب افتقاده لأمنا ظنًّا منه أنها فضلتني عنه، لأتوغل (أنا) أكثر داخل نفسي مؤكدًا للجميع حالة "توحدي" حيث رفضت (أنا) العالم، ليستقبل أخي الأكبر "عبد المهيمن" تشخيصي بالكثير من التنمر والقهر، مستغلًا عجزي ومرضي، لينتقم من أمنا التي منعها والده من رؤيته، ليطردني أخي الذي صار وصيًّا عليَّ من بيت أبي، ويضع يده على منزل والدي، الذي صار يحتاجه بعدما أممت ثورة ١٩٥٢ أموال والده الذي مرض إثر هذا الخبر، ليزداد حقد "عبد المهيمن" ويستمتع بطردي من منزلي الذي كنت متعلقًا به وبسكانه الأصليين الذين جهلهم "عبد المهيمن"، لتظل لعنتهم تطارده بعدما أرسلني إلى تلك المدرسة الداخلية مزيدًا من وحدتي!

***

لم يعرف "حلمي مهران" إلى أين يتجه؟! فلقد صارت كل الأماكن غريبة عنه، وبينما هو يبحث عن فندق ما ناديته (أنا) متلاعبًا بعقله الذي أمتلكه منذ نشأته، ليتحرك بتلقائية إلى ملجأ "مفتاح الحياة" ليصف سيارته ويترجل ليقترب من المدخل الذي يحرسه هذان التمثالان، لتدخل في تردد بينهما تلك اللبؤتان اللتان ظلتا تنظران إليه في ترقب لتتخذ كل منهما وضعية الدفاع التي تعرفها منذ آلاف السنين، ليغلق هذا المنشأ أبوابه!

ليسمع "حلمي مهران" صوت انغلاق الباب من الخارج، فالتفت مفزوعًا ليجد باب المدخل قد تبخر ولم يعد له وجود، ليجد نفسه حبيس هذا الممر الضيق يزداد ضيقًا على أنفاسه مزيدًا من دقات قلبه، ليبدأ الإسراع بخطواته، وهو يسمع زئيرهما من الخارج، ليشعر وكأنه داخل إحدى ألعابه ثلاثية الأبعاد التي يستمتع بألغازها، ليحاول فهم تلك الأحجية الموضوع فيها، في هذا الممر المظلم للملجأ المطلية حوائطه بالدماء، بينما أصبحت الإضاءة حمراء، تحث على الانتقام، ليظل "حلمي مهران" يتقدم ببطء متماسكًا على غير عهده في السابق، فلقد صار يعي لأوهامه، يحاول اغتنام حقائقها، ليظل يتابع ممر الملجأ في صبر، حتى ظهر في آخر الممر شخص ما يتحرك

ببطء مرتديًا معطفًا أبيض مليئًا بالدماء. لم يستطع معرفته في البداية، فلقد كان الرجل في آخر الردهة يسبقه ببعض خطوات، ليتبعه في فضول، حتى صعد الرجل السلالم وهو يحمل بعض الآلات الحادة المليئة بالدماء والتي تستخدم في الجراحات، ليكمل هذا الرجل خطواته البطيئة شاعرًا به من خلفه، ليبتسم ويكمل صعوده والدماء تتقاطر من أدواته، حتى وصل للطابق الأول ومنه إلى تلك الغرفة التي نام فيها "حلمي مهران" بالأمس، ليسرع الأخير خلفه متبعًا إياه يحاول إدراك الرسالة، فيشاهد هذا المنظر المخيف، فلقد كانت الغرفة مشابهة لغرف التجارب غير الآدمية؛ حيث كانت هناك جثة مستلقية على السرير الأول بينما كان الرجل ينبش في أعضائه بعبثية، حتى اقتلع عينه في منظر مقزز، لينظر "حلمي مهران" إلى عين هذا الميت في اندهاش، قبل أن يتعرف على صاحب المعطف الأبيض الذي نظر إليه مبتسمًا ليعرفه "حلمي مهران" من فوره قبل أن يعود من خياله عندما سمع صوته:

- "حلمي"؟!

ظل "حلمي مهران" متسمرًا حتى اقترب الدكتور "إيهاب" منه مكررًا النداء:

- "حلمي" إنت كويس؟

انتبه "حلمي مهران" أخيرًا إلى الدكتور "إيهاب" الذي كان واقفًا إلى يساره من أمام تلك الغرفة التي بات فيها بالأمس والتي كانت خالية من كل أوهامه، حال الممر الذي ظهر في حالته العادية، أقترب "إيهاب" من "حلمي مهران" ملامسًا إياه فأبعد الأخير يديه برهبة!

***

تابع الدكتور "صلاح" ومساعدته حالة الرائد "هشام" بالمستشفى في إتقان وتفانٍ، حتى بدأ يستعيد عافيته تدريجيًّا، لتبتسم له في تلك الساعة رئيسة التمريض قائلة:

- حمد لله على السلامه يا سيادة الرائد.

- الله يسلمك.

قالها الرائد "هشام" محرجًا، ثم وجه كلامه إلى الدكتور "صلاح":

- شكرًا على مجهودك يا دكتور، أنا حقيقي مكسوف منك.

- ولا يهمك إنت كنت بتشوف شغلك، وأنا كمان شوفت شغلي.

- طيب هو "حلمي مهران" فين؟

انزعج الدكتور "صلاح" مجيبًا:

- إطمن.. المقدم "حلمي" كان عندك الصبح.

- طيب وهو أنا هاخرج إمتى يا دكتور؟

استاء الدكتور "صلاح" معلقًا:

- هو الظباط كلها عندها حساسيه من المستشفيات ليه؟!

ضحك الرائد "هشام" ليتركه الدكتور "صلاح" ويتحرك إلى الخارج، في عصبية، لتلاحقه مساعدته التي لاحظت شروده وتوتره لتسأله:

- مالك بس يا دكتور؟ ما هو سيادة الرائد كمان صحته بقت كويسه.

لم يجبها الدكتور "صلاح" وظل في صمته، لتعلن هي حدسها:

- يبقى أكيد المقدم "حلمي مهران"؟

ربت الدكتور "صلاح" على كتفها وتركها ليصعد إلى غرفته، فلقد كانت حالة "حلمي مهران" بالنسبة للدكتور "صلاح" بوابة! فلقد كان يعرف ماذا استأصل من مخ "حلمي مهران" ولكنه كان غير مدركٍ نتيجة هذا الاستئصال، حتى استفاق ولاحظ تغيره، ليشك في حقيقة شفائه، فهو طبيب يبحث عن العلم، كما أنه "مصري" يبحث عن البوابات! البوابات التي يتنقل فيها العلم عبر الزمان! ليظل غياب "حلمي مهران" عن أعين الدكتور "صلاح" يؤرق فضوله!

***

وصلت "أمنية" إلى الملجأ بعدما طلبها الدكتور "إيهاب" الذي كان بجانب "حلمي مهران" المستلقي على سريره في حالة مروعة، فلقد

بات يشك في قواه العقلية منذ بدأت تلك التهيؤات تغازل عقله كل فترة.

- يا دكتور أنا حاسس إني مش طبيعي.

نظر "إيهاب" إلى "أمنية" الظاهر عليها الألم قبل أن يكمل "حلمي مهران":

- أنا حاسس إني مابقتش مظبوط، حاسس إن عقلي..

- في حاجه ناقصه.

قاطعه الدكتور "إيهاب" ليتنكر "حلمي مهران" قائلًا:

- بالعكس، أنا حاسس إني بقيت أكمل!! حاسس إني بقيت بشوف حاجات مش مفروض إني أشوفها!

- مرفوع عنك الحجاب يعني؟

سخرت "أمنية" ليبتسم لها مطمئنًا لوجودها، لتكمل هي:

- الدكتور "إيهاب" كان بيقولي زمان إن في حاجه إسمها العين التالته بتقدر تشوف وتحس باللي العين العاديه مابتشفهوش، صح يا دكتور؟

- آه بس ده ملوش علاقة بالبصر.

علق "إيهاب" بوضوح، ثم نظر إلى "حلمي مهران" مخترقًا بصيرته وتابع:

- دي ليها علاقه بالبصيره.

- بس أنا مابشتكيش من عيني.

- العين التالته دي في المخ، بس هي على شكل عين حورس بترمز للحواس السته.

- السته!

علق "حلمي مهران" مندهشًا ليتدخل "إيهاب":

- إستني بس يا "أمنية" خلينا في موضوعنا، معلش يا سيادة المقدم

بس حب "أمنية" للفراعنه بينسيها كل حاجه.

انتبه "حلمي مهران" لتعليق "إيهاب" في سعادة ثم أكمل الأخير:

- طيب خلينا فيك دلوقتي يا "حلمي" إنت الخيالات دي بتشوفها إمتى؟

- من الصبح يا دكتور.

- طيب عمومًا مش لازم نسبق الأحداث، إنت لسه راجع من عمليه صعبه وغيبوبه طويله، إستريح إنت بس يومين وأنا هاروح أقابل الدكتور اللي عملك العمليه وأفهم منه حالتك.

- لأ.

اعترضت "أمنية" بحزم، ليتعجب "إيهاب" متسائلًا:

- في إيه يا "أمنية"؟!

***

فتحت "حنان" باب شقتها لتجده أمامها في خضوع خاشعًا لجسدها، لتتقبله في ذكاء:

- سبحان مغير الأحوال!

- أمشي يعني؟

- قال تمشي قال!

دفعته إلى الداخل مبتسمة، ليغلق "فؤاد" الباب خلفه ضامًا إياها إلى صدره الضيق.

- وحشتيني، وحشتيني أوي.

رددها دون وعي، فلقد كانت النشوة تملأ قلبه، لتبتسم "حنان" التي أرضعته بجسدها حنانًا كان يحتاجه.

- إنت كمان كنت فين ده كله؟

- شغل أول مرة أشتغل كده من زمان.

قالها وهو يتبعها إلى هذا المطبخ المفتوح الذي توجهت إليه، بينما كان هو يتوقع توجهًا آخر.

- طبعًا ما بالك رايق، كده بقى يبقى لازم يكون ليا نسبه من الأرباح.

- إنتي الأرباح كلها يا روحي.

- أنا مش مصدقه كلامك ده يا "فؤاد" أنا كنت بشحتك.

- عشان كنت غبي.

- إشمعنى؟!

تساءلت وهي تحضر له مشروبًا، بجانب عشاء كانت قد جهزته مقدمًا وكأنها كانت تتوقع حضوره، لتوجهه إلى مائدة السفرة المجاورة لهذا المطبخ، ليجد "فؤاد" نفسه أمام مائدة من خيرات الخالق، لم يكن يحلم بها، ليجلس قائلًا:

- هو إنتي عازمه حد؟

- آه.

- مين؟!

- إنت يا حبيبي.

في سذاجة ابتسم "فؤاد":

- أنا مش مصدق نفسي!

- لا صدق يا "فؤاد"، وخليك فاكر إنك لازم تحبها.

- هي مين دي؟

- نفسك.

اقترب منها مقبلًا إياها، بينما بدأت هي في تعزيز نفسها فجأة، بعدما تأكدت من أسره.

- أنا بدأت أحبها معاكي.

- طيب كنت فين قبل كده؟

ابتسم "فؤاد" وهي تضع له قطعة جمبري في طبقه.

- كنت حمار.

- ماتقولش على نفسك كده.. إنت عارف؟ دايمًا كنت بقول إن أي اتنين بيحبوا بعض ماينفعش يبقوا لبعض.

ذهبت ابتسامة "فؤاد" لتكمل هي حكمتها:

- الحب ألم، والألم بيجي من الجرح، والجرح بيجي من الرفض، مش من القبول يا "فؤاد".

- بس إنتي قبلتيني.

- وإنت رافضني.

- بالعكس، أنا فعلًا محتاجلك.

- محتاجلي ولا محتاج جسمي؟

- لأ يا "حنان" أنا عمري ما كنت كده، منكرش إنك صحيتي فيا حاجات مكنتش أعرف إنها موجوده، بس أنا محتاج الست اللي فيكي، الست اللي في قلبك زي الست اللي في جسمك، الست اللي احتويتني وضمتني.

- وآخرة الاحتياج ده إيه يا "فؤاد"؟ أنا تعلقي بيك زاد وده خوفني.

- لأ ماتخافيش.

قالها وهو يركع أمام جمالها لتندهش قبل أن تكمل:

- أنا حاسه إني بقيت رخيصه في نظرك.

- إوعي تقولي كده يا "حنان" أنا عارف كويس أوي معدنك.

سكت لحظة عند سماعه الأذان، ليتذكر لحظة ما نسيه لساعات!

***

- هو حضرتك دكتور إيه بالظبط؟

تساءل "حلمي مهران" ليبتسم الدكتور "إيهاب" مجيبًا في فخر:

- دكتور رمد، بس ماتخافش إطمن على نفسك.

- لا ماقصدش والله يا دكتور، قصدي حضرتك إيه يعني اللي.....

سكت "حلمي مهران" مترددًا في الاستمرار، بينما ابتسمت "أمنية" لإحراجه، حال الدكتور "إيهاب" الذي رفع عنه الحرج قائلًا:

- تقصد إيه اللي جابني هنا!

أحرج "حلمي مهران" وتابع:

- قصدي يعني إن حضرتك ماشكلكش حكومه.

- حقيقي، المؤسسه دي كانت منشأه خاصه طول عمرها، بس في الأول كان مديرنها سمعتهم مش أد كده.

قالها لتتذكر "أمنية" شهورها الأولى في الملجأ، لتدمع عيناها رغمًا عنها، قبل أن يكمل "إيهاب":

- بس من أكتر من عشرين سنه، أختي وجوزها حطوا استثماراتهم فيه، ومن ساعتها وإحنا بنديرا الملجأ وبنصرف عليه كمان، وطبعًا تحت إشراف الحكومه.

- وهما فين؟

سكت "إيهاب" متأثرًا، لتجيب "أمنية" نيابة عنه في ألم:

- إتوفوا.

***

من غرفة نومها كانت "حنان" قد أصبحت في أحضان "فؤاد" الذي ظل يرمق سقف الغرفة وكأنه ينظر إلى خالقه ليستغفره، فلقد كانت كبيرته الأولى، بينما كانت "حنان" شاردة في طبيعة تلك الأحداث المتسارعة لتقول:

- إنت متسرع يا "فؤاد".

نظر إليها "فؤاد" صاحب القلب الضعيف، ليتردد قبل أن يجرحها،

ليقبل جبينها ليقرر جبر خاطرها قائلًا:

- بالعكس، أنا متأخر أوي يا "حنان".

لم يكن يقصدها ولم يكن لينفيها، فلقد كان التردد آفته.

- كل حاجه في الدنيا ليها "ميعاد" يا "فؤاد"، وفي حاجات لما بتتأخر بيبقى ليها طعم أحلى.

قالتها وهي تقبل أسفل طابع حسنه الذي كان يغري غريزتها.

- بس الحياه قصيره يا "حنان"، قصيره أوي!

لامستها حكمته لتشرد هي الأخرى:

- سرحتي في إيه؟

- ولا حاجه بس في خبر سمعته النهارده بوظلي كل حاجه.

- خير طمنيني!

ترددت لحظة ثم قالت:

- "وعد".

توتر "فؤاد" واعتدل في جلسته لينتبه إليها جيدًا، لتكمل بتأثر:

- "وعد" عيانه أوي يا "فؤاد" وحالتها خطر.

صمت رهيب لامس جسد "فؤاد" لتكمل هي:

- والمشكله إنها مخبيه حالتها وكمان رافضه تتعالج.

هربت من عين "فؤاد" دمعة مالحة استطعمتها "حنان" مندهشة متذوقة طعمًا كانت تجهله بالفعل!

***

خرج الدكتور "إيهاب" من غرفة "حلمي مهران" بعدما اطمأن على حالته، ليمسك الأخير بيد "أمنية" قائلًا:

- آسف إني رجعت بس حقيقي ملاقيتش مكان تاني أروحه.

ابتسمت "أمنية" وهي تختلس نظرة إلى ابتعاد الدكتور "إيهاب"

لتجلس قائلة:

- حظي حلو.

ابتسم "حلمي مهران" وتساءل:

- إنتي عايشه هنا؟

- عشت كتير من عمري هنا.

تحركت "أمنية" لتلامس بيدها حوائط الغرفة لتكمل:

- هنا أهلي وهنا ناسي، ودلوقتي بدرس فيها موسيقى للأطفال الصغيرين.

- سبع صنايع؟

- لازم أرد لهم جزء من أفضالهم، وبعدين الأطفال دول مني وأنا منهم.

- وكمان بتحبي التاريخ زي ما الدكتور "إيهاب" بيقول؟

- طبعًا، التاريخ ده سحر، بالغموض اللي فيه، وجهلنا بيه، دي كل حواديتنا إتعاشت فيه.

- طيب طالما بتفهمي في التاريخ، تاريخ واحد وتلاتين عشره بيفكرك بحاجه؟!

ابتسمت "أمنية" التي كانت تجهل جزءًا من الحقيقة!!

***

اطمأنت "وعد" على ابنها الذي نام لتوه في أحضانها، شاعرة بمسؤوليتها تجاهه، لتوافق صديقتها على العلاج، فلقد تذكرت أنها لا تملك في نفسها شيئًا. قبَّلت "وعد" جبين ابنها وتركته في سريره وتوجهت إلى غرفتها، لتخرج منها إلى بلكونتها الضيقة تحاول استنشاق هواء الحياة التي تتنصل منها، لتستعرض شريط حياتها منذ كانت طفلة أبيها المدللة، يحسدها الجميع على سعادتها، حتى رفض أهلها "فؤاد" لتوافق على "حلمي مهران" الذي لم يكن أبدًا فتى أحلامها، لتستلم أعوامًا كثيرةً ليأس الحياة وهروبًا منها، حتى بدأت

أخيرًا في استردادها، لتحاول استيعاب حقوقها، أم لعل حقوقها هي شيء من الأنانية! فهل يتوجب عليها البحث عن سعادتها، أم يتوجب عليها هبة حياتها للجميع؟ أسئلة لم يجب عنها الزمان، فالكل إلى زوال، هناك من يستمتع بتضحيته، وهناك من يسعى إلى الكمال، ولكنها كانت تعلم أنها بشر؛ لذا اختارت في لحظة الحياة، التي عرفت لتوها أنها نعمة مهددة بالزوال هي الأخرى في الساعات القليلة القادمة، لترتاح هي لحظة لتلك النتيجة، فالهروب إلى الخالق قد يكون الطريق الصحيح، خاصة بعدما خسرت الدنيا، وعلمها بعلاقة "فؤاد" بـ"حنان". لحظات من اليأس كادت تفقد فيها اتزانها من ذلك التراس الذي يعتلي مدخل الفيلا، قبل أن يُسكِن الخالق في قلبها بعض الطمأنينة، فلقد كان يمتحنها لتتذكره وقد فعلت، حتى شاهدت في الشارع ما لم تكن تتخيل أن تراه أبدًا في هذا الوقت من الليل، ظانة أنها واهمة، لتمسح لوهلة عينيها، وتتأكد مما تراه لتوها، مرة تلو الأخرى مما رأته، فتدخل مسرعة، لتتجه إلى السلالم الداخلية مهرولة حافية القدمين، حتى وصلت بملابس نومها إلى صالون الطابق الأرضي، ومنه إلى باب الفيلا ففتحته قبل وصوله هو في تلك الساعة المتأخرة!

***

(20)

من جلسة السايكودراما ظللت أتابع قصتي، بينما لم تتعاطف عيونهم مع صوتي، المخالف لطبيعتي، فلقد كنت (أنا) أسمع همساتهم، فقويٌّ السمع (أنا) أسمع حتى دقات قلوبهم، وضخ الدماء في عروقهم، ولكني انشغلت عنهم في قص حكايتي، متذكرًا تلك المدرسة الداخلية التي ألقى بي فيها أخي "عبد المهيمن"، تلك المدرسة التي كنت أعيش فيها وحيدًا وسط سخرية وتنمر الجميع، فلقد زادت عقدتي من انطوائيتي، بت مستوحدًا في هذا المكان الكئيب أنتظر لحظة الإفراج كالمسجون. كانت المدرسة تعلمنا النظام، تحاول خلق منا جنودًا ما، عكس هويتنا وطبيعتنا في هذه السن، وعكس طبيعتي بالأخص، فلم يستوعب مدرسِيَّ علتي، محاولين الضغط عليَّ لاتباع نظامهم، ليطبق عليَّ يوميًّا كل أنواع العقاب الذي تفننوا فيه، فلقد كنت أقف بالساعات رافعًا يدي تحت أشعة الشمس الحارقة، حتى تغير لون بشرتي، لم أعد حتى أعرف شكلي وهويتي، نبذني الجميع وأبعدني مدرسِيَّ عن الجميع، لأزداد ألمًا و(أنا) أبحث عن مفر، ليصير مرضي مؤكدًا، كرهت العلوم جميعًا عدا التاريخ المصري الذي كان مخبأ في قبو منزل والديَّ، ليزيد باقي المعلمين من عذابي، تلاعب بجسدي الجميع، فلم يكن هناك ما يحميني، فلم أمتلك لسانًا ناطقًا، بعدما عزفتُ عن النطق حال نفسي، حتى جاءت تلك اللحظة أخيرًا التي انتظرت فيها مع زملائي خارج المدرسة أنتظر من يقلني إلى مكان آخر، أي مكان بالنسبة لي سيكون أكثر رحمة ورأفة من هذا السجن الصغير، لأجد أخي "عبد المهيمن" قد جاء لينظر إلى عجزي باستحقار، ليزج بي في بيتي مع أحد الخدم الذي خصصه لي خلال شهور الصيف، فلم يرغب أبدًا مواجهة المجتمع بحالتي التي يراها مهينة، لأظل أنا سجين هذا المنزل في الصيف، وسجين معتقل المدرسة الداخلية في الشتاء. لم أجد أبدًا لمسة عطف أو حنان، عشت وحيدًا ومت كذلك!

سنون مرت لم يهونها إلا صيف هذا القبو الذي كشف لي أعوامًا عظيمة لأجدادي لم يطلع عليها الجميع، فعند دخولي هذا المكان،

كنت أرى بعقلي كل ملوك مصر، كل الفراعنة أمامي يكشفون لي أسرارهم، بل وتاريخهم. كان القبو، كقصر مصري قديم شاسع، فيه الأنهار والحدائق من أمامها، حال المعابد والقصور، وكنت (أنا) أتنقل بينهم في سلاسة حتى بدأت أنمو ليتركوني شيئًا فشيئًا مع طفولتي وقد تركتها في هذا القبو! لتستقبل بعد سنين طويلة ومن نفس المكان هذا الطفل الذي كان يشبهني كثيرًا، فهو ابن أخي الوحيد، الطفل "حلمي مهران" فرافقته في وحدته طوال فترة طفولته كما رافقني أجدادي في وحدتي!

***

ظل "حلمي مهران" يشرح لـ"أمنية" حقيقة هذه الصفحة التي وجدها قبل الحادث، ليحاول استغلال علمها في تاريخ المصريات وقد عمّ منشورات الصفحة في حينها، ليثير فضولها الصحفي ويزداد استمتاعها بحديثه، كما استمتعت أيضًا بغموض عينيه التي صارت متعلقة بها رغم رفضها، لتهرب منها في شاشة جهازها اللوحي باحثة فيه عن تلك الصفحة.

- ملهاش أي أثر.

- طيب دوري تاني كده.

- هو دولاب بدور فيه يا "حلمي"؟ التابلت قدامك دور إنت.

خطف "حلمي مهران" منها الجهاز اللوحي في اندهاش، ليحاول البحث عن صفحة "10 31" على مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أنه لم يجدها في أي منها، لتكتشف "أمنية" احترافيته في البحث، لينظر لها بإعجاب قائلًا:

- ده كان شغلي يا "أمنية".

قالها وتذكر تلك الأيام التي عاشها في إدارة التوثيق والمعلومات تحت إدارة اللواء "محمود وهبة" خاصة هذا اليوم الذي كشف فيه "حلمي مهران" الكثير بعد أسابيع قليلة من انتقاله إلى هذه الإدارة التي أظهرت مواهبه وذكاءه عن قدراته الميدانية، ليظهر اختلافه عن

الرائد "هشام" الذي طالما كان يتنمر عليه، فلقد كان "حلمي مهران" أكبر رتبة، ولكنه لم يستطع ملء مكان "نبيل" رئيس "هشام" السابق الذي كان رمزًا وقدوة له، وإن استطاع "حلمي مهران" كسب ثقتهم في العمل عندما ساعد في حقن الكثير من الدماء وتقليل كل حركاتهم الميدانية، مسيطرًا على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها بحرفية شديدة، لينتبه "محمود وهبة" إلى مهارته، حال الرائد "هشام" فغار منه لوهلة، وما انفك يقلل من أسلوب زميله حتى وقع مصابًا، لينتبه الجميع إلى أهميته، بعدما خسرت إدارته خبرته المعترف بها من الجميع لاحقًا، دون أن يسمع هو تلك الشهادات في وجوده أبدًا، حال كل العظماء الذين يتذكرهم التاريخ فقط لحظة موتهم.

- "حلمي"!!!

كررتها "أمنية" ليعود "حلمي مهران" من ذكرياته قائلًا:

- وقعوا الصفحه.

- هما مين؟

تساءلت "أمنية" ليجيب "حلمي مهران":

- إحنا يعني.

- مش فاهمه!

ابتسم وقال بتعالٍ:

- أكيد حد في الإداره عندي.

- طيب إنت مش فاكر أي حاجه من الصفحه؟

- فاكر ألغازها كويس جدًا.

- ألغاز إيه؟

- ألغاز كانت موجوده في الصفحه، كل لغز كان بيفتح فيديو أو لينك.

- والفيديوهات دي كان فيها إيه؟

- أول فيديو كان كل اللي فيه التاريخ وماسك لقط مع مزيكا غريبه للهالوين، والأحجيه التانيه كانت أصعب، ملحقتش أحلها.

***

الأحجية الثانية

إذا كنت تبحث عن الكمال، فيجب عليك إدراك النقصان بكل حواسك الست!

***

- إنت ازاي تجيلي هنا؟!

تساءلت "وعد" متعجبة من عند باب الفيلا وهي تحاول السيطرة على صوتها حتى لا توقظ النيام، ليجيب "فؤاد" من أمامها قائلًا:

- أنا آسف، بس مكنش ينفع أستنى.

- ده بيت جوزي يا "فؤاد".

تنهد "فؤاد" مرتبكًا وقال:

- "وعد"، إنتي لازم تروحي للدكتور.

فتحت "وعد" الباب وخرجت في كبرياء لتقول:

- واضح إنك جاي من عند الست هانم بقى.

ارتبك "فؤاد" وقال محرجًا:

- لو سمحتي يا "وعد" ماتغيريش الموضوع.

- بالعكس يا "فؤاد" ده هو ده الموضوع، طب يا راجل محبكتش صاحبتي الوحيده يعني، ما الستات كتير.

- يا "وعد" ما هي....

- هي إيه يا "فؤاد"، هي إيه! حرام عليك، موت آخر حاجه حلوه بينا.

في عجز شديد حاول "فؤاد" الاعتذار ولكنها تابعت:

- إنت صعبتها أوي يا "فؤاد" أكتر ما هي صعبه، حقيقي خليتها

مستحيله.

- مفيش حاجه مستحيله.

- ماترسالك على بر بقى يا "فؤاد"، وركز قبل ما تفوق زيي وتلاقي نفسك خسرت عمرك كله.

- إنتي لسه صغيره يا "وعد".

- لا يا "فؤاد" أنا خلاص، يومي قرب، وصدقني دي حاجه كويسه.

جثا "فؤاد" على ركبتيه متوسلًا:

- أبوس إيدكي يا "وعد" إتعالجي، مش عشان خاطري، أنا ماستهلش، عشان خاطر "وليد".

- "وليد" أبوه فاق، ودي أكيد لحكمة ربنا، وأنا لسه فاهماها دلوقتي.

- "وعد" لو سمحتي.

- لو سمحت إنت يا "فؤاد" روح لـ"حنان"، "حنان" طيبه أرجوك ماتجرحهاش هي كمان، كفايه لغاية كده.

- يا "وعد"!

- لو سمحت يا "فؤاد" أنا لازم أروح لإبني، وماتنساش إن ده بيت جوزي لسه.

قالتها "وعد" وأغلقت الباب، ليظل "فؤاد" منكسرًا في الخارج، ليجلس على رخام السلالم متألمًا، بينما من الداخل أسندت "وعد" ظهرها إلى الباب، قبل أن تبدأ في الانزلاق أرضًا في قهر، قبل أن تكتشف أنها لم تكن وحيدة في الصالون، بل كانت بصحبة شخص ما!

***

ظلت "أمنية" تضحك أمام اندهاش "حلمي مهران" الذي لم يفهم ما كانت ترمي إليه "أمنية".

- بقالك كتير بتضحكي على إيه؟

سكتت "أمنية" معتذرة.

- معلش أصلها ساذجه أوي.

- هي فيها حاجه عشان تبقى ساذجه!

- فيها كتير ماتخافش.

- فهميني طيب.

- هي حاجه ليها علاقه بـ"عين حورس".

- يعني حلها "عين حورس"؟

- لأ.

- طيب ماتفهميني.

- مش مهم دلوقتي، المهم إنت بس في طريقه توصل بيها للصفحه دي؟

سكت "حلمي مهران" لحظة قبل أن يتذكر عمله ليبتسم قائلًا:

- أكيد من الشغل.

- عال يبقى بكره الصبح أول حاجه نعملها نروح شغلك، ونعرف كل حاجه، الصفحه دي ممكن تكون ورا اللي حصلك، مفيش حاجه بتحصل صدفه.

***

ظلت "وعد" متسمرة عندما اكتشفت أن خادمة زوجها كانت هناك بالداخل ترمقها منذ البداية، لتنظر لها باستحقار بعدما رأت حبيبها هنا أمام منزل زوجيتها، حيث لم يستطع حبيبها هذا الانتظار حتى الصباح. لم تعرف "وعد" ماذا تفعل؟ ففرت هاربة إلى أعلى صاعدة السلم مهرولة بينما ظلت نظرات الخادمة المبتسمة - خسة - تؤرقها، فتلجأ إلى غرفتها ويظل عقلها يعمل مرة أخرى غير مبالٍ لعلته!

***

تركت "أمنية" "حلمي مهران" وحيدًا ليستريح، وتوجهت إلى مهجع

مبيت اليتامى، لتجد "إيهاب" يتفقد الأطفال هو الآخر:

- أول مره أشوف ابتسامتك من زمان يا "أمنية".

أحرجت "أمنية" ليكمل الرجل:

- أول مره أتأكد إنك كبرتي ومابقتيش "أمنية" بنت الملجأ.

- بالعكس يا دكتور، أنا هافضل طول عمري "أمنية" بنت الملجأ، وهافضل شيلالكوا الجميل ده طول عمري.

وقف الدكتور "إيهاب" واقترب منها بحنان قائلًا:

- يا "أمنية"، أنا قبل ما آجي الملجأ ده كانت حياتي ملهاش هدف، النهارده وأنا بشوف جيل بعد جيل بيطلع منها بقيت أحس إني مش هاموت، هافضل عايش جوا كل واحد فيكوا.

- يا ريت يا دكتور كل الناس كانوا في حنيتكوا دي، مكنش هايبقى في حد وحش في الدنيا.

- بلاش بكش بقى.

- مش بكش يا دكتور، إنت عارف كويس إنتوا بالنسبه لينا إيه، وعارف إن الناس اللي قبلكوا كانوا بيعملوا فينا إيه.

كان بالفعل مديرو الملجأ القدامى يمارسون أقسى أنواع التعذيب قبل أن يظهر الدكتور "إيهاب" مع أخته التي كانت توأمه، ليرفعا عن هؤلاء الأطفال الظلم، ويبدأوا في حقبة جديدة خالية من الألم.

- يا سيتي أهم راحوا لحالهم، روحي نامي إنتي، عشان واضح إنك هتباتي هنا.

ضحكت "أمنية" محرجة وسألت:

- أيوه هاطلع أنام في أوضتي القديمه.

ابتسم الدكتور "إيهاب" بينما اقترب منهم هذا الطفل ذو الشعر الأحمر محتضنًا "أمنية" ليقول:

- "أمنية" ممكن أبات معاكي النهارده؟

ابتسمت "أمنية" ونظرت إلى "إيهاب" الذي وافقها بإيماءة رأس، ليبتسم هذا الطفل الغامض متحركًا معها إلى غرفتها القديمة التي كانت في الطابق الأخير، تشبه غرف السطح، فهي صغيرة جدًّا وإن كانت مفعمة بالحياة، أرضيتها من البلاط الذي غطته "أمنية" من مالها بالموكيت الأحمر، الحوائط كانت من الخرسانة، ولكنها غطتها بالكثير من بوستات نجوم الموسيقى، بخلاف خزانة معدنية صغيرة، وبعض الآلات الموسيقية، ومنها تلك الشخشيخة القديمة التي أمسكها الطفل بتلقائية ليلعب بها، مصدرًا تلك الأصوات التي كانت تحبها "أمنية" لتتذكر هذين الشخصين اللذين كانا يعذبانها.

من داخل هذا المكان عندما كانت تلعب بتلك الأدوات الموسيقية ليستخدماها في ضربها.

ظل الطفل ينظر إلى ملامحها الملائكية متذكرًا أمه القتيلة حتى نام، فقبلت "أمنية" جبينه ثم تحركت إلى المرآة وكشفت عن كتفها التي لا تزال تحمل بعض آثار تعذيبها، ليتملكها الغضب والحزن، قبل أن تسمع بأذنها الخارقة تلك الأصوات خارج الغرفة، لتمسك بتلك الشخشيخة كسلاح دفاعي وتخرج إلى الخارج، لترمق بغضبها المكان، الذي ظنته خاليًا، ولكني (أنا) بنفسي كنت هناك في هذا الممر الضيق متخفيًا كعادتي منذ الموت!

***

من داخل هذا المحفل الذي اعتلته "عين حورس" اجتمع صفوة معماريِّي "جون" يرتدون هذه البذلات ذوات الياقات البنفسجية، فلقد كان صفوتهم يعرفون ما يجهل الجميع، ليتساءلوا عما يبحث عنه "جون" في "مصر" ليجيب في غموض:

- المصريون القدماء هم أعظم معماريِّي التاريخ.

- بالتأكيد.

أجاب الجميع في صوت واحد:

- هم أجدادنا، نحن منهم وهم منا.

- إذن فهل سنجند لنا إخوة من المصريين؟

- أبدًا.

قالها بحزم، ثم تابع:

- منذ غلق محفلنا في "مصر" في القرن الماضي لم نضم منهم إلا القليل.

- ولكن هناك الكثيرون منهم يتمنون الانضمام إلينا.

- بالتأكيد، فهم يبحثون عن شيء ما يستطيعون الإيمان به، ولكننا من نختار من يخدم مصالحنا وليس العكس.

سكت "جون" لحظة ونظر داخل أعينهم ثم تابع:

- لن يكون بين صفوتنا عربي أبدًا.

- ولكن هناك عرب بيننا بالفعل!

قالها أحدهم مندهشًا، فلقد جندوا من العرب الكثيرين، ليجيب "جون" موضحًا بعنصرية:

- ولكنهم ليسوا من الصفوة، ولهم سقف لن يعتلوه، فنحن نستغلهم فقط لتيسير الأمور، فكما تعلم، لا زالت الدول العربية تستخدم أساليب قديمة في سجلاتها مما يصعب اختراقها من الخارج.

- إذن فسيكون المقابل ماديًّا؟

تساءل أحدهم ليوضح "جون":

- بالفعل، فكل ما نريده هو البحث في متعلقات أجدادنا عما يثبت أصولنا، بل ولنتمكن من التواصل معهم والكشف عن أسرارهم التي ستكشف ألغاز الوجود، داخل تلك الغرف!

- ولكن الجميع يعتقد أنه لا وجود لمثل تلك الغرف التي تدعي بوجودها.

- بلى هي موجودة في مكان ما هناك في أرض "مصر" كما أكد أسلافنا، ووجب علينا نحن الوصول إليها أولًا.

***

كان بيت "عبد المهيمن" مهجورًا، مليئًا بالأتربة، نوافذه محكمة الإغلاق، حابسة ساكنيه، وإن عجز الشيش الخشبي العجوز عن منع بعض أشعة الشمس المتسللة، لتغازل وجه "حلمي مهران" المطروح أرضًا كالأموات، يتوسط صالة استقبال هذا البيت الكهل الذي يحاول إيقاظه، ليسمح هذا السقف العتيق لبعض قطرات الماء بتوغله متساقطة على جبينه، طارقة إياه في هجمات متكررة، نجحت أخيرًا في جلبه إلى الحياة مرة أخرى، فيفتح عينيه غير مستوعب دعوتي (أنا) له، فظل مندهشًا يرمق المكان وهو يسعل من هجمة الأتربة التي استنشقتها رئتاه، لينهض بصعوبة محاولًا الاتزان وهو يرمق أثاث المكان الذي اتخذته العناكب أوكارًا لها، ليحاول استيعاب أين هو! حتى تعرف على شقة والده التي قضى فيها طفولته بعدي (أنا) ليشعر أنه قد فقد عقله، وقد كان!

هذا بينما كنت (أنا) لا أزال ألتف حوله عكس عقارب الساعة في انتظام متناهٍ، أسفل عباءتي الداكنة وهو لا يزال يترنح في مركزها، بعدما لبى مشكورًا دعوتي، ثم لاحظ مرآتي الخشبية المفضلة والمنتصبة بجانبه ترمقه باندهاش، لتناديه إلى داخل أعماقها، ليرمق نفسه منتبهًا لتلك الندبة الجديدة على جبهته، فتحسسها بشيء من الرهبة.

- "دي هاتبقى أحلى حاجه فيك".

قلتها (أنا) فارتبك باحثًا عني بين حبات الغبار، لينتبه إلى ظلالي خلفه بالمرآة، ليتسمر وهو يشاهد انعكاسي يتضخم حجمًا شيئًا فشيئًا و(أنا) أقترب إليه من الخلف بهدوء كعادتي بقناعي.

- إنت مين؟!

تساءل "حلمي مهران" وهو يتخبط ليقلق ساكني المكان.

- ماتخفش.

كررتها قبل أن أضيف:

- (أنا) الطيف اللي عشت معاه طفولتك.....(أنا) "عياش"!

لم يطمئن "حلمي مهران" مضيفًا:

- عايز مني إيه؟

سخرت (أنا) قائلًا:

- (أنا) مش عايز حاجه، إنت اللي جيتلي بيتي هنا، يبقى إنت اللي عايزني.

نظر "حلمي مهران" إلى عيني الخضراء وميزها بذكاء، ثم نظر إلى ندبته في المرآة مبتسمًا ابتسامة دهاء كان حقًا يملكها! فلقد تأكد أنه حالم، وأنه داخل غرفة مغلقة في عقله، ليتحرك بجرأة غريبة متفقدًا بيتي مرة أخرى، ثم نظر إلى حائطي المفضل وقد علق عليه التقويم الورقي بتاريخ اليوم وكل يوم فيتأكد من حدسه، ويمد إليَّ يده في تحدٍّ لأعجز (أنا) عن رد التحية ليرد بجهل:

- ده كابوس!

قالها بثقة فصوبت (أنا) له بصدق:

- لا مش كابوس، ده حلم....أو يمكن خواطر!

***

(19)

من غرفة السايكودراما ظل الدكتور "علي" يدون ملاحظاته بينما (أنا) أتابع القصة، متذكرًا ما رأته عيناي في تلك "الحياة"، فبعدما أنهيت دراستي المدرسية، كان أخي "عبد المهيمن" قد تزوج في شقة والدي وضع يده عليها، لأسكن (أنا) معهم في هذا القبو! حتى التحقت بكلية الآثار، تلك الكلية التي كنت أعيش من أجلها، لأظهر (أنا) للمرة الأولى إلى هذا المجتمع الذي تهربت منه منه دائمًا، وتعرضت للكثير من المضايقات والسخرية والتنمر، لأبدأ الهروب في أبحاثي التي لم يكن هناك الكثير ليشاركني إياها، حتى رأيت ذاك الملاك الطاهر، تلك المعيدة التي كانت تُدرس لي بعض المواد التي أحببتها فيها، كانت تكبرني ببضع سنين، ولم تكن تمتلك الكثير من الجمال، لذا لم يرها غيري، فهي صاحبة قلب فاتن، رغم أنها كانت تعيسة، يبدو على عينيها الألم، فلقد كانت ضحية زيجة فاشلة، إذ تزوجت هي في صغرها، بعدما تُوفي والداها، بموافقة أخيها الوحيد الذي قاسمها ميراثًا كبيرًا تركه لهما والداها، اسمها "حياة" وهي بالفعل تبعث بالـ"حياة" أينما ذهبت، كانت قمحية كالمصريين، بشعر أسود مجعد، ترتدي نظارة طبية تخفي الكثير من الجراح، فبعد زواجها ببضع سنين اكتشفت أنها لا تستطيع الإنجاب، لينهرها زوجها ويطلقها بعد أن أخذ الكثير من أموالها، لتفقد "حياة" ثقتها بنفسها والرجال، كل هذا قبل أن تراني كما رأيتها، ففي البداية كانت تعطف على عقلي المريض، ولكني استطعت إبهارها بما أمتلك من رؤية تاريخية جهلها الجميع، بل وكنت أستطيع فك طلاسم كثيرة، فرغم مرضي إلا أني كنت أحاول جذب انتباهها بكل ما أوتيت من مهارات، فقط لأكتسب نظرتها، لتتبنى "حياة" عملي وعقلي لتخرج أحسن ما فيَّ، لأجدني قد صرت شخصًا شبه طبيعي، أستطيع التحدث عن المصريين القدماء لساعات، بل وأستطيع القيام بأبحاث وشرحها للحضور، فقط في حضورها، فلقد كانت تشبه أمي، التي حُرمت منها وبت بعدها وحيدًا! أخرجتني "حياة" من نفق مظلم، لأتعلق بها بجنون، هذا التعلق كان فقط بقلبها، هذا القلب الذي عاش معي لسنين

طويلة.

فلقد وجدت "حياة" فيَّ ما لم يره أحد، وهو النقاء، فلم أكن أمتلك غيره، لم أكن خائنًا، ولم أجدها قبيحة كالجميع، بل وجدتها ملاكًا من السماء، جاء إلى الأرض لينشر السلام، ليتطور بداخلي شعور غريب، لم أكن أفهمه، بل ولم أكن أعرف بوجوده، هو حب وعشق، بل حياة وعبادة، فعندما تكون "حياة" في المجال، أصبح شخصًا شبه طبيعي يحترمني الجميع، ولكني كنت أفتقد لكل قواي عندما تتركني، لأكتشف أن الإنسان يستطيع تغيير المستحيل بالإيمان والحب، لأتفوق في سِنيِّ دراستي الأربع التي بت فيها من أهم طلبة الجامعة، بل ليبدأ العالم بأسره الاعتراف بوجود عالم مصريات فذ في البلاد، وتنهل عليَّ عروض في أهم جامعات العالم للدراسة أو التدريس، ولكني لم أكن أستطيع استكمال حياتي دونها، لأطلب منها الزواج، الطلب الذي لم يدهشها وإن قوبل بالرفض من أخيها الذي شك في طمعي بمالها في البداية، ولكني كنت طمعانًا في قلبها، فلم أهتم بأموالها ولم أبالِ بفارق السن الذي كان بيننا، أو لعدم قدرتها على الإنجاب، فلم أكن أشعر أني أستطيع الإنجاب (أنا) الآخر، بل ولم أكن أتمنى أن يأتي للدنيا من يحمل سماتي، فلن يتحمل الكثيرون هذا الذل والاستنكار الذي واجهني به مجتمعي.. شهور طويلة حاولت (أنا) و"حياة" إقناع أخيها بالزواج حتى أجبرته هي على الموافقة أخيرًا، فانتقلت (أنا) للعيش معها في شقتها وأترك بيتي لـ"عبد المهيمن" الذي اشتراه مني بثمن بخس، استطعت به أن أحفظ ماء وجهي أمام زوجتي التي أخرجتني من رحم العزلة إلى حب "الحياة"، فلقد كانت حبيبتي بل وأمي التي عوضتني عن ظلم الحياة.

***

استيقظ "حلمي مهران" من أحلامه في تلك الغرفة على أشعة الشمس المشرقة، شاعرًا بالأمل، حامدًا ربه على نعمة يوم جديد حُرم منه شهورًا، ليبدأ بغسل وجهه في الحوض الكائن في غرفته، قبل أن يسمع أصوات حركة في الخارج، لينظر إلى الساعة التي لم تصل إلى السابعة صباحًا ليندهش ويرتدي ملابسه خارجًا في فضول، ليجد هذا

الملجأ قد دبت فيه "الحياة" ليتحرك في الممر خلف خطوات أحباب الخالق إلى صالة الطعام التي اكتشفها لتوه، واجدًا هناك الكثير من الأطفال، بينما هناك مجموعة من المشرفين وعلى رأسهم الدكتور "إيهاب" بنفسه مع "أمنية" التي أشارت له للاقتراب، ليحييهم ويجلس بجانبهم:

- الفطار هنا بقى أحلى حاجه في الدنيا.

ابتسم "حلمي مهران" وهو يرمق عيون هؤلاء الأطفال اليتامى، ليشعر بشيء من القهر في قلبه، لتدمع عيناه رغمًا عنه، لتلاحظ "أمنية" دمعته لتزداد تعلقًا به قائلة:

- أنا أخدت النهارده أجازه عشان أبقى معاك.

***

- يعني إيه خدت أجازه؟ من نفسها كده؟!

قالها "تيم" بعصبية، لتجيب "سالي":

- يا فندم "أمنية" عمرها ما خدت أجازه من ساعة ما اشتغلت.

- بس ده ما يديهاش حق تاخد أجازه بدون إذن.

بحزم وكراهية تابع "تيم":

- أنا هاعملها "لفت نظر".

ظهر على "سالي" الاستياء، لتدافع عن زميلتها:

- يا أستاذ "تيم" كده حضرتك هاتضرها جامد، ولفت النظر ده هايفضل في ملفها.

- وما لو؟ عشان تفهم إنها موظفه، وإن ده مش نادي، تسيبه وقت ما هي عايزه وتروح تتسرمح مع حبيبها في أي وقت.

- يا فندم..

- مش عايز مناقشه....قوليلها لو ماجتش في خلال ساعه هاخد ضدها كل الإجراءات، أنا اتساهلت معاها كتير، وخلاص صبري نفد،

إتفضلي روحي على مكتبك وكلميها.

قالها بغضب، لتهرع "سالي" إلى مكتبها في استياء وتعاطف، لتخرج هاتفها وتتصل بـ"أمنية" التي أجابت من جانب "حلمي مهران":

- "أمنية" أستاذ "تيم" مش موافق على الأجازه وعايزك تيجي الشغل في ميعادك عادي.

ظهر على "أمنية" الغضب، فتحركت بعيدًا وإن ظل "حلمي مهران" يرمقها ثم أردفت قائلة:

- أنا مش جاريه عنده عشان يعد يهددني كل ما يحب، ولو حتى عايز يرفدني يرفدني.

- إنتي حصلك إيه يا "أمنية"؟ إنتي طول عمرك بتفكري بعقلك.

علقت "سالي" لتتنهد "أمنية" مغلقة عينيها لحظة، قبل أن تفتحها لتجد "حلمي مهران" واقفًا أمامها مباشرة، لتذعر فجأة:

- مش وقته يا "سالي" هاكلمك بعدين.

أنهت "أمنية" حديثها، ليتوجه "حلمى" إليها قائلًا:

- ليه مش عايزه تروحي شغلك؟

- إيه هو إنت مش عايزني آجي معاك عشان نشوف الصفحه؟

- بس أنا كنت فاهم إنك جايه عشان الشغل، بس لو شغلك متضايقين، يبقى إنتي جايه ليه؟

أحرجها "حلمي مهران" وإن كان يريد ذلك؛ ليرى تلك النظرة في عينيها التي حُرم منها دائمًا، حيث بدأ يشعر باهتمامها الذي يتعدى مجرد الإعجاب.

بعد حديث مطول استطاعت "أمنية" إقناعه بالتواجد معه بهدف العمل، ليصدق هو كذبها بإرادته، متغاضيًا عن أسئلته الكثيرة، لينهيا إفطارهما ويتجها سويًا إلى سيارته، ليفتح لها الباب بأرستقراطية كانت من طبعه، لتندهش هي من أسلوبه الذي أحيا ما بداخلها من أنوثة.

بدأ "حلمي مهران" القيادة وهو يختلس بعض النظرات إلى جمالها

الذي زاد مع حنانها، ليشرد دون أن يلاحظ مطبًّا صناعيًّا كان متوجهًا إليه بسرعة، ليفرد ذراعه بتلقائية ليحمي "أمنية" التي لم تربط حزام الأمان عكسه، لتحتضن هي ذراعه بتلقائية، ليشعر كلاهما بالحياة للحظة، أدركا فيها أنهما لا يعيشان وحدهما.

وصلا أخيرًا إلى مقر عمل "حلمي مهران" الذي غاب عنه لشهور طويلة، ليشعر هناك بهذا الشوق واللهفة لمكتبه ومغامراته الإلكترونية التي كان يهرب فيها من الحياة. صف سيارته وصعدا بسرعة إلى أعلى وسط نظرات التعجب من الجميع لظهوره. وصلا أخيرًا إلى مكتبه ليفتحه قبلها فإذا بمن يجلس في مكانه، وإن كان شابًّا أصغر منه سنًّا، ليعرفه الرجل من فوره محييًا إياه.

- المقدم "حلمي مهران".

- طبعًا يا فندم غني عن التعريف، ألف حمد لله على السلامه، أنا آسف إني قاعد مكان حضرتك بس كان لازم حد يكمل الشغل لغاية ما حضرتك ترجع.

لم يُجب "حلمي مهران" الذي قتل المكان بنظراته، فلقد تغيرت ديكوراته؛ حيث أصبح المكان مفعمًا بالحياة، بعدما قيده هو فيما سبق، فالإضاءة قوية لم يكن يهواها، الحوائط بيضاء بينما لم تزل تلك الشاشات التسع من أمام الرجل كما كانت، تكشف حيوات البشرية حول صفحات التواصل الاجتماعي المختلفة.

- طيب أنا هاستأذنك، كنت هاراجع حبة ملفات لقضيه كنت شغال عليها قبل ما اتصاب.

- أكيد.. إتفضل يا فندم.

قالها الرجل وحيًّا "أمنية" المنبهرة بالمكان ثم غادر، ليبدأ "حلمي مهران" عمله لبضع دقائق ظل فيها يتحرك حول هذا العالم الافتراضي منقبًا هنا وهناك ولكنه لم يجد ضالته، حتى ظهر زميله مرة أخرى طالبًا منه التوجه إلى مديره الجديد في البداية، ولكنه لم يكترث قائلًا بحدة أخافت الرجل:

- حاضر حاضر هاخلص وأروح.. بس لو سمحت خليك شويه عايزك.

- تحت أمرك يا فندم.

قالها الرجل وتوقف في انتظار طلبات "حلمي مهران"، ليكمل الأخير بحثه، متوجهًا إلى أقراصه الصلبة التي وضع عليها أرشيفًا لأعمالهم أخذ منها بعض الصور للصفحة التي لم يعد لها أي وجود:

- هي الصفحه دي إنتوا عملتوا فيها إيه؟

نظر الرجل إلى عنوان الصفحة ثم أجاب:

- والله يا فندم الصفحه دي بالذات كان اللوا "محمود وهبة" مهتم بيها.

- ووصلوا لإيه؟

- والله الموضوع ده بالذات كان غريب، الصفحه دي كان عملها ولد مصري إسمه "وحيد القط".

كان "وحيد القط" من مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي المعروف بأعماله القذرة عبر صفحات الإنترنت قبل أن يغادر هذا الرجل الغامض إلى الخارج، بعد تضييق الخناق عليه بعد أحداث "الوحي".

- آه، ده اللي كان بيساعد "الوحي" زمان قبل ما اتنقل أنا هنا.. صح؟

- بالظبط كده، وزي ما حضرتك عارف "وحيد القط" مابيبقاش أكتر من واجهه لجهه أو شخص.

كان بالفعل "وحيد القط" يعمل كاللهو الخفي، يتخذ منه محركوه ستارًا، لينفذ لهم ما يحتاجونه، وإن لم يكن هو إلا منفذًا لما يلقنونه؛ لذا لم يره الكثيرون!

- بس ده مابقاش عايش في مصر.

- ما هو ده الغريب.. والأغرب إن الصفحه دي وقعت من برا "مصر" من حد ليه صلاحيات واسعه برا.

اندهش "حلمي مهران" بينما قاطع الحديث رنين هاتف الضابط الذي

أجابه بسرعة عندما قرأ اسم مديره الذي أصر على طلبه في حضوره مع "حلمي مهران".

- ده اللوا الجديد اللي ماسك الإداره هنا، وبيكرر طلبه وعاوزنا نروحله.

- طيب خلاص مافيش مشكله...

قالها "حلمي مهران" وطلب من "أمنية" الانتظار مشيرًا لها لتعبث بالمكان، ليتحركا سويًّا تاركها وحيدة في المكان لتلهو فيه كالقطة تعبث في كل شيء!

وصل "حلمي مهران" مع زميله إلى مكتب "محمود وهبة" الجالس فيه شخص آخر أكثر جدية، ظهر عليه الانزعاج من رؤيته:

- أهلًا يا سيادة المقدم.

سكت الرجل لحظة ثم تابع بجدية:

- مش مفروض تيجي هنا الأول قبل ما تدخل في الشغل؟!

- يا فندم أنا كنت لسه...

- محدش قالك تقاطعني.

أحرج "حلمي مهران" ليكمل الرجل في حزم:

- إنت ملكش صلاحيه تيجي هنا.

- مش فاهم!

- في تقرير جايلنا إن حالتك الذهنيه مش منضبطه، ومش هاينفع نستقبلك هنا غير لما تروح القومسيون الطبي.

- يا فندم أنا اتصبت وخفيت.

- أولًا إصابتك مكنتش أثناء العمل فمتحملناش مسؤوليتك، ثانيًا والأهم ما ينفعش ظابط مصري يمسك سلاحه وفيه شك في قواه العقليه.

- قواي العقليه! ليه شايفني بشد في شعري، ولا جاي عريان؟!

قالها "حلمي مهران" بانفعال أكد للرجل شكوكه، ثم أكمل بحزم:

- واضح إن إنت اتجننت بجد، أنا هاكتب ده بنفسي في تقريرك ودلوقتي إطلع برا الإداره قبل ما أنسى إنك مريض.

بهجوم مبالغ جاوب الرجل ثم نظر إلى الضابط الآخر:

- المقدم "حلمي مهران" مايدخلش الإداره هنا يا سيادة الرائد.. مفهوم؟

تسمر "حلمي مهران" في مكانه قبل أن يشعر بهذا الدوار، حيث بدأ مكتب الرجل في الالتفاف من حوله، بينما هو ثابت في المركز لا يعي ما يحدث! حتى سمع ضحكات "محمود وهبة" من حوله، فيبحث عنه في جنون مع تصاعد ضحكات "محمود وهبة" المستفزة، التي كادت تخترق عقله المريض.

- سيااادة المقدم.

صرخ فيه الرائد لينتبه "حلمى" إلى تهيؤاته وهي تلاحقه، ليجد نفسه قعيد الأرض، ليساعده الضابط الآخر في الوقوف، ليتحرك "حلمي مهران" في صعوبة وهو قلق على حالته، حتى وصل إلى "أمنية" التي كانت قد عرفت الكثير!

- مالك يا "حلمي"؟!

لم يُجِب "حلمي مهران" وتابع خطواته حتى وصل إلى الطابق الأرضي ومنه إلى سيارته التي قادها في صمت دون أن يجيب "أمنية" بينما ظلت تتساءل:

- يا "حلمي" ما تفهمني في إيه؟!

لم يُجِب وظل يقود سيارته حتى وصل إلى القومسيون الطبي باحثًا عن إجابات، فتتعجب "أمنية" من المكان، متوقعة ما يحدث. صف سيارته ودخل ومن خلفه "أمنية" إلى صالة المدخل الواسعة التي استقبلت الكثير من المصابين، ليتجها إلى الاستقبال ليسأل عن الإجراءات، في هدوء وسكينة قبل أن يلمح طيفي الذي كان يلاحقه، حيث كنت (أنا) هناك واقفًا خلف أحد الأبواب الزجاجية متخفيًا بتلك

العباءة، ليترك "حلمي مهران" الجميع ليلاحقني، و(أنا) أسير من أمامه ببطء لم يمكنه مني! لأصعد (أنا) بعباءتي المصعد معطيًا له تلك الابتسامة المستفزة، ليتحرك المصعد قبل أن يصل هو إليَّ، ليسرع مهرولًا على السلالم طابقًا تلو الآخر حتى وصل الدور الأخير، والذي سبقته إليه بالمصعد، لأتوجه (أنا) إلى السلم البحاري وصولًا إلى السطح، ليتابعني هو في حيرة ولهفة.

من السطح تحركت بعباءتي بثقة ناحية الحافة، حتى وصلت إليها، لألتفت إلى "حلمي مهران" الذي كان يبتعد عنها ببضع خطوات، لأجد أشعة الشمس من خلف عباءتي تجرح عيونه و(أنا) معطي الشمس والشارع ظهري، لأبتسم له ابتسامة أخيرة و(أنا) أخلع قناع وجهي، ليرمقني "حلمي مهران" في فضول وإن منعت أشعة الشمس من إدراكه للحقيقة، ليقترب أكثر بلهفة للمعرفة و(أنا) أفرد ذراعي كجناحي طير، ومن ثم أكملت إيحائي بإمالة رأسي إلى الجانب لأشبه المصلوب ظلمًا، قبل أن أميل بجسدي للوراء تاركًا إياه للهواء الذي دفعه إلى الهاوية، ليصرخ مندفعًا إلى الهاوية، ليقترب من لحظته الأخيرة وهو يلاحق طيفي الوهمي، حتى وصل بسرعته إلى الحافة ليجدني قد تبخرت، ولم يتمكن من وقف اندفاعه ليعرف أنه ساقط لا محالة ضحية رؤى غريبة، فعلته كانت خياله! قبل أن تستطيع "أمنية" الإمساك بذراعه بجرأة غريبة، دون خوف أو ذعر لهذا الارتفاع الشاهق، دافعة إياه بمنتهى القوة إلى الداخل، ليقع "حلمي مهران" على أرض السطح، بجانب الأطباء الذين تجمعوا في ذعر، وهو مستلقٍ أرضًا يحاول إدراك ما حدث له من أوهام قبل أن يزداد ذعره عندما أمسك أحد الأطباء بهذا القناع الواقع أرضًا في اندهاش!!

***

حاولت "حنان" الاتصال بـ"فؤاد" كثيرًا دون أن يجيبها إطلاقًا، ليزيد من قلقها؛ حيث كان هاربًا في صومعته يرفض الحديث، قبل أن يدخل عليه مساعده في ملل وحزم:

- أنا مش فاهم لعب العيال ده إيه!

اندهش "فؤاد" من أسلوب مساعده الذي تابع:

- بتبرألي ليه؟ إيه يعني هاترفدني؟ إرفدني الأرزاق على الله، لكن أنا عندي ضمير، لما ألاقي حد من اللي بحبهم بيضيع مني، بقف زي الراجل وبديهمله، أنا مش عيل صغير، وإنت كده مُصر تضيع كل اللي بنيته في سنين، مكنتش تسوى فيها تلاته جنيه، وأول ما تقف على رجلك تعمل فيها الحركات الماسخه دي؟!

ظلت كلمات الرجل تلقي صدى قويًا على مسامع "فؤاد" الذي كررت "حنان" اتصالها به قبل أن تيأس وترمي بهاتفها على طاولة "وعد" مستضيفتها في هذا الوقت!

- برضه ما بيردش الحيوان، ده امبارح قاللي إنه عايز يتجوزني لغاية ما....

- إيه؟

تساءلت "وعد" لتنتبه "حنان" من حديثها، لتكمل ما جاءت لسببه، لتقول بشك:

- ولا حاجه، الغايب حجته معاه، إنتي بقى عامله إيه مع جوزك؟

- إشمعنى؟

- ولا حاجه عايزه أطمن عليكي.

كانت "حنان" قد بدأت بالفعل تشك في علاقة "فؤاد" بـ"وعد".

- ولا حاجه كويسين.

رمقت "حنان" المكان بعيونها ثم تساءلت:

- طب هو فين؟

- "وليد" بيقول إنه رجع بس خرج تاني.

- يعني إيه؟ طب ماتكلميه تشوفيه فين، إنتي ازاي كده؟!

بعصبية وشك واضح أجابت، لتتوتر "وعد" قائلة:

- في إيه يا "حنان"؟! كنت تعبانه زي ما إنتي شايفه.

قاطع حديثهما "وليد" خارجًا من غرفته متوجهًا إلى أمه ليهدم كذبها:

- ماما هو بابا فين؟

أحرجت "وعد" وقالت:

- أكيد في الشغل يا حبيبي.

- هو لحق يجي عشان يروح الشغل؟

- معلش يا روحي زمانه جاي.

قالتها لينصرف "وليد" بينما تابعت "حنان" في هجوم:

- إنتي اطمنتي على حالته من المستشفى؟

- لأ.

- طيب تعالي نروح نفهم.. مايصحش كده، وماتخافيش أنا اللي هاسوق.

***

من داخل القومسيون الطبي استفاق "حلمي مهران" وسط نظرات الفضول للأطباء والممرضين، الذين شاهدوا تصرفاته الجنونية في مطاردة شبح لم يره غيره، ببصيرة جهلوا حقيقتها، ليتفهم من نظراتهم قرارهم المسبق.

- حمد لله على السلامه يا أستاذ "حلمي"، ماتخافش إحنا عملنا اللازم كله.

سكت الرجل لحظة ليسأل "حلمي مهران":

- يعني هارجع الشغل إمتى؟

تردد الرجل في الإجابة قبل أن يقول:

- والله يا فندم هو التقرير هاياخد وقت، بس أعتقد إنه هايكون صعب إن حضرتك ترجع الشغل تاني.

- يعني إيه؟!

تساءل "حلمي مهران" صارخًا ليمسك به الممرضون.

- يا فندم دي أقدار، وربنا بيعمل كل حاجه لحكمه من عنده، خليك مؤمن.

بدأ "حلمي مهران" في التراخي والانكسار وهو يسمع خبر فقدانه لآخر ما يملك، فلم يعد يمتلك الأم أو الزوجة أو العمل، خسر كل شيء في أيام قليلة، ولم يصبح لديه إلا تلك الأموال التي لا يكترث إليها.

- لسه عندك "وليد".

قالتها "أمنية" وكأنها تقرأ أفكاره، فينتصب قائمًا وتحتضنه هي بأمومة يفتقدها، لتهمس له بشيء كان بالفعل لا يدركه، ويبتسم عند سماع ههذا الخبر الذي لم يكن يتوقعه أبدًا!!

***

(18)

كنت (أنا) قد عشت مع "حياة" سنوات سعيدة، مرت كلحظة، فيها عشت ما لم أعِشه في عمري كله، دون أن أحمد خالقي على تلك النعمة، لأكتشف بعد سِنين طويلة مرضها، هذا المرض الخبيث الذي يفتك بالإنسان في شهور قليلة، لأكتشف أن الخالق لا يزال يختبرني يومًا بعد يوم، وأشاهد أنا "حياة" والمرض يتملك منها، ينتصر في كل جولة، تاركًا في نفسها يأسًا عن قصد، فهو يتبارى معها، يريد هزيمة معنوياتها قبل جسدها، استسلمت "حياة" في نهاية الرحلة، رغم محاولاتي في مساندتها، ليس حبًّا لها بل أنانية مني، فلقد كنت أحتاجها، كنت أهاب الحياة من بعدها، فكنت (أنا) ضعيفًا دونها، تذكرت لحظة فقدان أمي، تلك اللحظة التي لم أعد أستطيع المرور بها مرة أخرى، لأقنع "حياة" أخيرًا بالسفر، ليوجهنا الأطباء إلى مستشفى خاص بألمانيا، كانت هي غايتنا، لنترك كل ما بنيناه في مصر مع أخيها، لأصطحبها (أنا) إلى ألمانيا التي استقبلتني استقبال الفاتحين؛ حيث باتوا يعرفونني من أبحاثي في علم المصريات، لتستوعبني هناك إحدى الجامعات التي درست فيها بالإنجليزية، ورغم نجاحي السهل هناك إلا أني حزنت، فلم أشعر للحظة بمرضي أو عجزي، وكان الجميع يعاملني بتفهم، بل وبمساندة، رغم أني لم أكن منهم، إلا أني كنت في نظرهم إنسانًا، إنسانًا يحتاج إلى معاملة خاصة قد تلقيتها، لأجدني أعيش وسطهم في تآلف لم أعِشه من قبل، حال زوجتي التي وجدت في المستشفى العناية والأمل الذي ساعدها في حربها، أيامًا وشهورًا، حيث كان مرتبي الشهري في الجامعة يغطي مصاريف علاجها، ليعلم أخوها أخيرًا أني كنت رجلًا صالحًا كما وعدته، لم ولن أخذلها، هي زوجتي وأمي، وكل "حياتي" بل كانت هي "الحياة" نفسها، ورغم ذلك مرت شهور الغربة ببرودة عليها فلم تكن "حياة" تستطيع العيش مستوحدة، عكسي أنا، فلقد كنت أعيشها منذ صغري؛ حيث كنت أنهي دوام عملي كل يوم وأتركها وحيدة حتى العصر، فلم تتحمل وتدهورت حالتها، لتنتقل إلى إقامة جبرية في المستشفى، لتزدهر وسط الناس الذين باتوا يعشقونها كما

عشقتها (أنا)، كنت أذهب إليها يوميًا بعد العصر، لأستمر إلى جانبها طوال اليوم حتى يطردوني عند منتصف الليل، لأبات (أنا) في سيارة أحد الأطباء المناوبين، فلقد صار الجميع هنا أصدقائي أيضًا، بعدما دبت في المستشفى "الحياة"، حتى جاءت تلك اللحظة التي بدأت هي تشعر فيها بالنهاية. كانت تصلي لساعات طويلة، وكأنها بدأت في تجهيز أوراقها الأخيرة، وكانت تقص عليَّ قصص أصدقائها في المستشفى، كانت تحتضنهم جميعًا، وتوصيني بالجميع، خاصة تلك الحالة الفريدة لشابة من أصل مصري تصغرها ببضع سنين، حيث كانت تلك الشابة هي صحبتها في النهار قبل أن أظهر (أنا) في الليل. في ذاك اليوم الذي وصلت فيه متأخرًا أخذوني لزيارتها في غرفة مختلفة، ليزداد توتري وأنا أهرول ناحيتها. كانت الغرفة شاسعة، ناصعة البياض في كل شيء، فالأرضية والحوائط والسقف تتماشى مع كل المفروشات، ظننت أني في الجنة، بل هي التي كانت في الجنة. قتلت المكان بنظراتي حتى وجدتها في "قلب" الغرفة مبتسمة تحارب كعادتها وقد ملأت تجاعيد المرض وجهها الذي صار ضامرًا، بعدما فقدت أغلب شعرها، ولكني كنت لا أزال أراها جميلة في كل شيء بل طاهرة، تمتلك أنقى "قلب" في الوجود، اقتربت منها ضامًّا إياها، لتطلب "حياة" مني شيئًا صعبًا، بل مستحيلًا:

- "عياش" أنا تعبت خلاص.

- لأ يا حبيبتي لأ لسه.

مسحت هي دموعي واقتربت مني قائلة:

- حبيبي أنا عشت كتير، والأهم عشت سعيده.

- طب و(أنا)؟

- إنت جيه الوقت إنك تتجوز واحده حلوه وتجيب بيبي قلبه طيب زيك.

- لأ مش عايز غيرك.

- بس (أنا) حلمت بيه.

- بمين؟

- حلمت بإبنك! كان طالعلنا، بيحب أجدادنا وكان بيفك رموز إنت نفسك ماتعرفش تفكها، أنا الملايكه قالولي إن في طفل هايجي منك.. صدقني، حتى إسمه "رمزي".

- أدفع عمري وعمره فداكي.

- العمر مش ملكنا يا "عياش"، العمر ده إيجار، وأنا عقدي خلص.

- لأ.

- هششش..

قالتها واضعة يدها على فمي لتكمل:

- أنا مش عايزه كلام أنا عايزه منك أمنيتين.

لم أستطع التعليق، لتكمل هي:

- الأمنيه الأولى، عايزه أنام في حضنك النهارده.

قالتها وقد صارت في أحضاني بعدما دلفت إلى سريرها، لأضمها كما ضمتني سنين إلى أحضانها، لأتساءل (أنا) عن الأمنية الأخيرة.

- أيوه كانت إيه الأمنيه التانيه؟

تساءل الدكتور "علي" في فضول، بينما كنت لا أزال شاردًا في ماضيَّ، لأكتشف أني الآن هنا في غرفة السايكودراما أقص عليهم ما حدث في السابق، وسط نظرات فضولهم فقد باتوا يستمتعون بحكايتي، لأرمقهم بعينيَّ (أنا) مبتسمًا وأسكت برهة عن الكلام!

***

- كل حاجه على الفلاشه دي.

قالتها "أمنية" من سيارة "حلمي مهران" الذي استطاعت "أمنية" أن تنسيه همه:

- يا بنت الجنيه! طيب يالَّا نشوف كمبيوتر عشان نفتح اللي فيها.

- ما أنا فتحتها.

- إمتى؟

- وإنت في القومسيون، هو أنا كنت هاقدر أستنى كل ده؟ ده إنت قعدت هناك فوق الأربع ساعات.

- طيب فيها إيه؟!

- إطلع على الجريده.

- مش فاهم!

- ولا هاتفهم، إطلع على الجريده عشان أنا عندي اكتشاف مش سهل.

- حالًا.

قالها وتابع القيادة، وأخرج هاتفه ليتصل بـ"غانم" ليشاركه بمخاوفه، ليجيب الأخير من داخل مكتبه، ليأمر سكرتيرته بالمغادرة، لينصت إلى "حلمي مهران" وهو يقص عليه ما حدث له للتو، ليؤكد "غانم" شكوكه، فإن خرج تقرير القومسيون بالنتيجة التي يتوقعونها، من المؤكد أن يشكك القاضي في شهادته:

- التقرير لو شكك في قدرتك العقليه يا "حلمي" شهادتك هاتبقى مجروحه وممكن مايتخدش بيها من أساسه.

- يعني إيه؟

- يعني رجعنا لنقطة الصفر.

- يبقى في حد أكيد عرف الشهاده اللي كنت هاشهد بيها، وقدر يقنع القومسيون بكده، أنا لما روحت حسيت إن التقرير كان جاهز من الأول.

- والله كل شيء جايز.. بس كده الشخص ده أكيد واصل، وأكيد من جوا الجهاز.

أنهى "حلمي مهران" الاتصال وتابع القيادة إلى الجريدة بينما لا يزال عقله مشغولًا في هذا الشخص الذي يحاول منعه من الشهادة، وإن شك هو الآخر بعض الشيء في حقيقة حالته الذهنية!

***

- يعني إيه يا دكتور؟

تساءلت "وعد" التي وصلت مع "حنان"، ليجيب الدكتور "صلاح" بشيء من التوتر:

- يا مدام "وعد" أنا ماقابلتش في حياتي مشاكل زي اللي قابلتها من معرفة جوزك، حضرتك المستشفى اتعرضت لأول مره في تاريخها لضرب نار.

- ضرب نار؟!

- أيوه يا فندم والرائد "هشام" اتصاب بس الحمد لله جت سليمه.

- يعني إيه؟

- يعني في حد لسه عايز يصفي المقدم "حلمي مهران"، والمشكله الأهم إن حالته لسه مش مستقره.

- إزاي يا دكتور؟

- يعني أنا معرفش حالته الذهنيه عامله إيه، لازم يفضل تحت الملاحظه، أنا زمايلي في القومسيون بلغوني إنه اتهجم عليهم هناك.

- يعني إيه؟!

- يعني المقدم "حلمي" زي ما حياته في خطر، هو نفسه بقى خطر على اللي حواليه.

قالها الدكتور "صلاح" بدهاء ليصيبها بالهلع.

- أنا أتمنى إن حضرتك تقنعيه إنه يجي هنا وأنا هاحط حراسه لغاية ما نطمن خالص.

- هو إنت عملت في إيه بالظبط يا دكتور؟

تساءلت "حنان" بتهكم، ليجيب الدكتور "صلاح" بثقة:

- فتحت عنيه.

تهكمت "حنان" من تعليق الدكتور "صلاح" الذي تابع في غرور:

- يا مدام "حنان" أنا عملت اللي الطب كله ممكن يعمله، وحياة المقدم "حلمي مهران" لغاية دلوقتي دي إعجاز، ولو العمليه دي إتعادت ألف مره مكنتش هاتنجح كده، أنا منكرش إني اتهزيت لما اتأخر في الغيبوبه، لكن مكنش عندي شك واحد في الميه، إنها كانت مسألة وقت، والنهارده أنا ولا فخر إتأكدت إني من أقوى جراحين مصر.

- إيه الغرور ده بس يا دكتور؟!

تعجبت "حنان" ليكمل الرجل:

- دي ثقه مش غرور، وده علم، يعني واحد زائد واحد يساوي اتنين.

- بس دي روح يا دكتور، يعني ملهاش كتالوج، ليها ربنا.

قالتها "وعد" ليجيب الدكتور "صلاح":

- بس ربنا قالنا ناخد بالأسباب، وده اللي أنا عملته.

- طيب يا دكتور طالما كده، كنت حابه أستغل وجودنا هنا، وأسألك على حالة صديقه ليا.

قالتها "حنان" بدهاء لتتوتر "وعد".

- في حالة ورم في المخ ومحتاجه تدخل جراحي.

- بسيطه يا فندم، خليها تيجي وتطمن، التدخل الجراحي دلوقتي مايخوفش، ولو اتعمل في الأول بيفادي مشاكل كتير ومضاعفات إحنا في غنى عنها.

- طيب عن إذنك يا دكتور إحنا اتأخرنا.

وقفت "وعد" فجأة في رفض للحديث، ليلاحظ الدكتور "صلاح" موقفها الغريب، لتغادر بسرعة وتعتذر منه "حنان" على توترها، بحجة قلقها على "حلمي"، لتخرج "وعد" في حالة من الشرود، حتى ركبت سيارة "حنان" التي استغلت شرود صديقتها لتطلب منها بدهاء الآتي:

- معلش ممكن تليفونك لحظه واحده؟

لم تُجِب "وعد" لتأخذ "حنان" هاتفها متصلة بـ"فؤاد" لترى إن كان سيجيبها أم لا، تفاجأت عندما رأتها قد وضعت بجانب اسمه قلوبًا حمراء قد تعني الكثير، فتصدم وتغلق الهاتف مرتبكة حتى كادت تصطدم بسيارة أخرى.

- في إيه يا "حنان"؟ خدي بالك.

- معلش آسفه.

قالتها وهي في حالة شرود بينما كان هاتف "فؤاد" كان قد رن بالفعل ليندهش من اتصال "وعد" الذي لن يستمر طويلًا، ثم أعاده إلى جيبه، حيث كان هو في انتظار ظهور شخص هام جاءه "فؤاد" في عجلة من أمره، ليصل إليه هذا الرجل الآن مستقبلًا "فؤاد" باندهاش، فلم يكن أبدًا يتوقع زيارته بعد كل ما فعله به!

***

وصلت "أمنية" إلى الجريدة ومعها "حلمي مهران" الذي رمقه "تيم" باحتقان، ليخرج إليهما عند مكتب "سالي" التي كانت تحييهما بحرارة:

- كنتي فين يا "أمنية" من الصبح؟

لم تُجبها "أمنية" وجلست على مكتبها بجانب "سالي" لتقول لـ"حلمي مهران":

- إتفضل يا "حلمي" إحنا مش هانتأخر.

- يا بني آدمه بكلمك!

قالها "تيم" بحرقة ليقف "حلمي مهران" أمامه بغضب أقلقه:

- لو سمحت يا فندم ماتدخلش، دي جريده محترمه ودي موظفه فيها وعليها واجبات، ودوري إني....

قاطعته "أمنية" التي كانت تكتب شيئًا ما ببرود:

- إتفضل.

توقف "تيم" مندهشًا وهو يمسك بتلك الورقة التي أعطتها له للتو:

- إيه دي؟

- إيه مابتعرفش تقرا؟ دي استقالتي.

شعر "تيم" فجأة بالخسارة الفادحة، ليكتشف أنه لا يملك أن يتحدث بمثل هذه الحدة، ليحاول حفظ ماء وجهه قائلًا:

- وأنا بقولك استقالتك مش مقبوله.

- خلاص إرفدها.

قالها "حلمي مهران" لتبتسم "أمنية" قبل أن تتدخل "سالي" لتهدئة الوضع:

- يا جماعه صلوا على النبي، دي المصارين في البطن بتتعارك، إحنا طول عمرنا عيله.

- قوللها.

علق "تيم" في تراجع.

- طيب ممكن يا فندم تسيبهالي؟

وافقها "تيم" وانسحب في انكسار قبل أن تلاحقه "أمنية" بصوت مرتفع:

- بس لو مش هاترفدني، إعمل حسابك إني أجازه أسبوع.

قالتها باستفزاز ليعود إليها في غضب، لتزيد هي من تحديه قائلة:

- معلش أصلي مسافره بالليل الأقصر.

اندهش "حلمي مهران" الذي لم يكن يفهم ما يحدث.

- لأ أنا مش فاهم حاجه!

ابتسمت "أمنية" مستمتعة بنظرات فضولهم لتوضح في نصر:

- بصوا.. أنا اكتشفت اكتشاف بمليون جنيه، يا تساعدوني فيه يا تسيبوني أشتغل لوحدي.

- لوحدك إيه؟ إنتوا تيجوا أوضتي طالما شغل.

علق "تيم" الذي تقدمهم وهو يقتل "حلمي مهران" بنظراته، ليفهم الأخير الموقف العاطفي الذي كان يجهله وهو يرمق المكان بميكانيكية كأنه يجهز لعملية إخلاء، ليتحرك بخطوات بطيئة وهو ينظر إلى النيل من النافذة البانورامية التي كانت ترتعش بقوة غريبة أدهشته، ليتركهم ويقترب من النافذة، ليلاحظ علو مياه النيل، في مشهد مخيف حيث عبرت المياه لتوها الطريق، ليفر جميع من بالشارع منها في حالة هيستيرية، لتغرق السيارات دون أن تحول من غضب النيل وأسياده! لتظل المياه في الارتفاع شيئًا فشيئًا حتى هددت المباني، لتغرق طابقًا تلو الآخر، حتى وصلت إلى نافذة الجريدة ليحاول الموظفون الهرب في هلع، قبل أن تنفجر النافذة من ضغط المياه مغرقة المكان بمن فيه!

***

من منزله كان اللواء "فاروق" مندهشًا من زيارة "فؤاد" المفاجئة، ليستقبله بتحفظ غريب في هذا الصالون الذي رفضه فيه منذ سنين، بينما تدخلت "إيمان" لتقلل حدة الموقف قائلة:

- أجيبلك حاجه تشربها يا "فؤاد"؟

- يا ريت قهوه.

قالها "فؤاد" لتشير "إيمان" إلى خادمتها، ليعترض قائلًا:

- بس يا ريت لو من إيد حضرتك.

تعجبت "إيمان" بينما تفهم اللواء "فاروق" قائلًا:

- معلش يا "إيمان" سيبينا لوحدنا شويه.

تحركت المرأة في تحفظ والفضول يقتلها، ليبدأ اللواء "فاروق" هجومه:

- أنا مش مصدق إنك جاي هنا برجليك!

قاطعه "فؤاد" بحدة:

- "فاروق" بيه لو سمحت تسمعني، أنا سمعتك كتير.

اندهش الرجل وتساءل:

- أسمع إيه يا بني؟

- يا "فاروق" بيه أنا في بيتك.

سكت اللواء "فاروق" متنهدًا، ليكمل "فؤاد":

- النهارده كان عندي المحاسب بتاعي اللي علمني درس مهم في حياتي.

سكت "فؤاد" لحظة وابتسم في تصالح مع نفسه ليتابع:

- قالي إن الضمير بيخلي الواحد لما يلاقي حد من اللي بيحبهم بيضيع، يقف زي الراجل ويساعده، عشان كده أنا جتلك.

- يا بني أنا مش فاهم حاجه!

- قبل ما أفهم حضرتك، هاتعب حضرتك وهاقولك درس تاني أبويا علمهولي، أبويا قاللي "خير اللقا في الفراق".

- خير ما قال أبوك.. راجل محترم.

- أنا يوميها مافهمتش الدرس وهو شرحهولي، قاللي كلنا مفارقين بعض، يا بوداع، يا بسفر، يا بموت، المهم لما نفارق نسيب خير علاقتنا، وعشان حضرتك استأمنتني يوم على "وعد" أنا جيت لحضرتك.

- بس إنت خُنت الأمانه يا "فؤاد".

- وعشان كده جيت.

- والله يا بني لو جاي تعتذر، فحقيقي أنا هاحترمك.

- أنا فعلًا جاي أعتذر، بس مش كلام، أنا جاي أقول لحضرتك إن "وعد" محتجالك.

- مش فاهم يا بني!

- "وعد" عيانه يا "فاروق" بيه عيانه بجد!

قالها "فؤاد" ليسمع صوت انكسار الصينية التي تحملها "إيمان" التي كانت تتصنت على الحوار قبل أن تقع هي أرضًا.

***

الأحجية الثالثة

تبدأ الشهور العربية مع كل هلال جديد، وإن كان يفتقد تلك المياه المقدسة!

***

(17)

فارقت "حياة" الحياة، لتتركني (أنا) أراقب أمنيتها الأخيرة تتحقق و(أنا) أموت في كل لحظة و(أنا) أشاهد ما يحدث في تلك الغرفة المعقمة، فلم يستطيعوا منعي، فأراقب قلبها الحي وهو يغادر جثمانها المفتوح لأرمقه وأتعرف عليه، قبل أن يسكن جسد تلك الفتاة الثلاثينية التي رافقت "حياة" في أيامها الأخيرة، تلك الشابة من أصول مصرية التي تعذبت في حياتها نظرًا لضعف قلبها، لينصحها الأطباء بإيجاد متبرع على وشك مفارقة الحياة وقد كانت "حياة" هي واهبة "صدفة" الحياة، لتنتهي العملية التي استغرقت ساعات طويلة حتى استقر قلب "حياة" في ضلوع "صدفة" التي أحببتها للتو، فلم تمت "حياة" بل لا يزال قلبها ينبض الحياة.

راقبت (أنا) انتقال جثمان "حياة" إلى الخارج لأرافقه حتى مصر، لأدفنه مع أخيها، لأنزل (أنا) حاملًا الجسد الخالي من القلب إلى داخل مثواه الأخير، سجين هذا القبر المخيف. تناقصت أنفاسنا ونحن نخطو إلى أسفل، لأشعر بضم أمنا الأرض تتلهف لاستردادنا إلى أحضانها. كانت رائحة المكان ميتة، نشعر بانقباض في كل لحظة، أحسست لوهلة أني قريب من السؤال، حتى بدأت الظلمة، تلك الظلمة التي جعلتني أشعر بنعمة النور، وجدت الكثير من بقايا الأموات، التي صارت بقايا أشلاء نتنة تشمئز منها الجرذان، لأتذكر كيف أن الموت كان وسيظل أكبر علامة استفهام في كل العصور، فلقد هاب الفراعنة من تلك اللحظة وقدسوها؛ لذا كانوا يضعون الكثير من الطعام والحلي في القبور، حتى أنهم كانوا يبنون بها المراحيض آملين في الخلود. لحظات مرت بي كالسنين، لأجدني أفكر للوهلة الأولى في حظ هؤلاء ممن ماتوا وتفرقت أشلاؤهم ليحول الحانوتية دون دفنهم، حال من كانوا ضحية الطيران الذي كنت أهابه قبل تلك اللحظة!

أنهيت مراسيم الدفن مع الشيوخ، ثم أمرت بالانصراف، ورغم عشقي لها لم أتحمل وحشة المكان، لأتركها وأصعد هروبًا من السؤال، إلا أني كنت سعيدًا أن "قلب" الحياة لا يزال ينبض حرًّا بعيدًا عن هذا

المصير.

من الخارج ازدادت حالتي تدهورًا، فلم أعد أستطيع الحديث، لأعود إلى عزلتي، لأشتاق إلى قبو أوهامي، الذي ترعرعت فيه في منزل أمي الذي أخذه أخي "عبد المهيمن" الذي توفي قبل أن ترثه زوجته "حكمت" وابنها، لتتملكني فكرة استرداده عندما علمت أن "حكمت" تركت هذا المنزل بعدما نجحت في مجال المقاولات لتسكن مع ابنها في فيلا في مدينة السادس من أكتوبر؛ هروبًا من ذكرى المكان وزحامه.

حاولت إرسال سمسار ليشتري لي العقار حتى أهرب من سؤالهم، لأندهش من رفض ابنها "حلمي مهران" من بيع هذا المنزل، الذي قابل فيه من قابلني قبله، فلقد عرف كلانا سره! ليزداد غضبي حتى وافق ابن أخي "حلمي مهران" أخيرًا على تأجير الشقة، دون أن يعلم من ساكنها الحقيقي، لأسكن (أنا) في قبوه منذ تلك اللحظة قبل أن أزداد انطوائية وتتعقد حالتي مع كثرة تنمر الكثيرين لي، لأجدني أفتقد آدميتي التي عشتها في الخارج، حتى أني لم أعد أستطيع مقابلة من كنت أدعمهم من قبل، بت فارغًا، وحيدًا، بل ولم يعد سكان القبو يزورونني.

في تلك اللحظة قررت العودة إلى "قلب الحياة"، متنقلًا بتلك الطائرة التي توترت من سفري فيها وحيدًا وإن ظللت متمنيًا الهرب من ظلمة القبر، محاولًا التفكير في بدائل لهذه النهاية، لأتذكر رائحة الموت التي لا يصدها إلا عزل التراب، وصلت أخيرًا إلى ألمانيا، لأستلم عملي مرة أخرى بالترحاب، وإن ازدادت حالتي صعوبة، حتى ابتسمت شفتاي مرة أخرى عندما قابلتها لألامس (أنا) حنان ونبض "قلب الحياة".

***

من داخل غرفة "تيم" ظل ثلاثتهم ينظرون إلى "حلمي مهران" بتعجب وإشفاق حيث استفاق أخيرًا من الهلاوس التي رآها:

- إنت لازم تروح للدكتور بتاعك، حالتك ماطمنش.

اعترض "حلمي مهران" بشدة على حديث "تيم" وقال:

- هو حصل إيه؟

- ولا حاجه، سيادتك حسيت إن المكان بيغرق وقعدت تصوت زي العيل.

قالتها "سالي" ساخرة بينما علقت "أمنية":

- أنا هاعرف أفوقك ازاي.

توجهت "أمنية" إلى كمبيوتر "تيم" لتفتش في تاريخ الإصدارات ليبدأ الجميع ينشغل بما تفعل، ليسأل "تيم":

- بتعمل إيه؟

- "الهلال الذي يمتلك المياه المقدسة"

قالتها بعربية أدهشتهم، ليعلق "حلمي مهران":

- الأحجيه التالته!

- أيوه ودي تبقى بحيره للإله "موت" في معبد الكرنك.

- إسمها إيه البحيره دي؟

- ما هو ده الحل، إنت عارف مش كل الناس هتعرف عشان للأسف التاريخ المصري القديم مش موثق بالعربي.

- ازاي يعني؟!

تساءلت "سالي" في تعجب.

- للأسف معلومات أجدادنا موثقه بلغات كتير أكتر من العربي.... بس مش هي دي المشكله، المشكله إن البحيره دي فيها حد اتقتل من سنه.

***

- مين اللي قالكوا يا بابا؟

قالتها "وعد" في عصبية من أمام والديها اللذين جاءاها خاشعين

بعدما علما الحقيقة.

- يا بنتي مش مهم، المهم إننا نطمن عليكي.

- وأنا بقولكوا إني كويسه.

هربت "وعد" من نظراتهما ليضمها أبوها رغمًا عنها.

- يا بنتي لو مش خايفه على نفسك خافي عليا، صحتك مش ملكك لوحدك.

بكت "وعد" في حضن أبيها قائلة:

- أنا خايفه يا بابا، خايفه أوي.

قاطع المشهد المؤلم "وليد" الذي خرج ليزيد الطين بلة ببراءته:

- ماما بتعيطي ليه؟!

***

- إتقتل إمتى بالظبط يعني؟

تساءل "حلمي مهران" لتبتسم "أمنية" قائلة:

- هو ده اللي أنا جايباكوا عشانه.

ابتسمت "أمنية" وقالت بعمق مخيف:

- إتقتل يوم "واحد وتلاتين عشره".

اندهش الجميع لتعود "أمنية" مع "سالي" و"تيم" إلى ذكرى هذا اليوم المشؤوم الذي طالما وتر "أمنية" لسبب ما كان يجهله الجميع! حيث كانت في هذا اليوم في حالة ترقب شديد بعدما استقبلت خبر مقتل "هجرس" الذي غطته "سالي"! هذا الخبر الذي ظنه الجميع حدثًا إرهابيًّا؛ الأمر الذي أدى إلى تعتيم إعلامي في ساعات الصباح الأولى حتى بدأ رفع الحظر عنه مع نفي الداخلية عن أي شبهة إرهابية؛ لذا تأخر الخبر إلى مغرب اليوم وغطته في غياب "أمنية" التي ظهرت بعدها تبحث عن خبر آخر يتعدى خبر "سالي" قوة، حتى قارب اليوم على النفاد في منتصف الليل وهي لا تزال هنا تنتظر،

بينما كان أغلب زملائها قد عادوا إلى بيوتهم، لتظهر الصالة خاوية إلى حد ما.

- إنتي كنتي فين يا بت يا "أمنية"؟

تساءلت "سالي" باندهاش، لتفزع "أمنية":

- حرام عليكي يا "سالي" سرعتيني.

- سرعتك! ده إنتي عليكي ودان يتدب فيها رصاصه.

قالتها وأنها لصادقة، فلقد تمتعت "أمنية" بسمع قوي!

- أنا؟!

- أيوه إنتي يا سوسه، ما قولتليش، كنتي فين؟

- ولا حاجه نزلت أجيب حاجه آكلها.

- طيب خلصتي ولا لسه؟

نظرت "أمنية" إلى ساعة شاشة حاسوبها التي لم تنهاز إلى منتصف الليل بعد، لتفهم "سالي" ما تنتظره صديقتها قائلة:

- يا "أمنية" كل الحوادث بتاعت النهارده دي ولسه ماستكفتيش؟

لم تُجب "أمنية" ليقاطعهما مديرهما "تيم":

- إيه اللي مسهركوا يا بنات؟

- زي ما حضرتك شايف، النهارده واحد وتلاتين عشره، وده ولا مؤاخذه اليوم المقدس بتاع "أمنية".

قالتها "سالي" بسوقية كعادتها ليسخر "تيم" معلقًا هو الآخر:

- يوم الشيطان العالمي، يوم نهاية العالم، ههههه.

لم يعجبن حديث "تيم" فلقد كان يجهل الكثير!

- يا باشا والنبي بلاش سيرة الشياطين، لاحسن فعلًا اللهم صلي على النبي جالنا كمية جرايم النهارده أد بتاعت الشهر اللي فات كلاته.

تهكم "تيم" وتابع قائلًا:

- يا جماعه مش كل سنه نتكلم في الموضوع ده، إنتوا صحفيين مثقفين مش بتوع الكلام ده!

توترت "أمنية" من الضغط، لتشعر "سالي" بتأنيب الضمير وتدافع عن صديقتها:

- خلاص بقى يا باشا، وبعدين ما تنكرش إن "أمنية" بطلعلك كل سنه في التاريخ ده بهاريز البهاريز.

- صدفه يا "سالي"، مجرد صدفه!

- خلاص يا باشا اللي تشوفه، هانعرف أكتر من الحكومه يعني؟ أصلًا واحد وتلاتين عشره ده المفروض يبقى الفلانتين، أيوه وربنا هو إحنا عندنا كام مدير ألاجا كده؟

قالتها مشاكسة رئيسها وهي تغمز بعينها له، ليبتسم رغمًا عنه قائلًا:

- ماشي يا أونطجيه، ويالا يا "أمنية" كفايه كده عايزك تروحي حالًا . . .قالك شياطين قال!

قالها ساخرًا لحظة رن هاتفه، ليحاول "تيم" استيعاب رقم المتصل قبل أن يجيب متعجبًا:

- ألو، أيوه يا فندم، حصل إمتى الكلام ده؟. . . . .

تغير وجه "تيم" قبل أن يكمل، وهو ينظر إلى "أمنية":

- حاضر حاضر، حالًا ، هايكون عندك أحسن صحفيين عندي.

أغلق "تيم" الهاتف، لتبتسم "أمنية" معلقة:

- حادثه جديده؟

مرتبكًا أجاب "تيم":

- آه. . . . . . "أدهم الجوهري" إتقتل.

- تاجر الآثار؟!

قالتها "أمنية" في سعادة، فلقد كانت تعلم أن هذا اليوم لن يمر قبل أن يعطيها دليلًا جديدًا كالذي تبحث عنه.

- أيوه.

- اللهم صلي على كامل النور.

سخرت "سالي" ليهاجمها "تيم":

- إسكتي بقى يا "سالي" وبطلي جهل.

- ويا ترى مات لوحده ولّا حد مات معاه؟

تساءلت "أمنية" بخبث، ليضيف "تيم" مندهشًا:

- لأ، في ظابط شرطه كمان!

اندهشت "أمنية" وتساءلت:

- ظابط! ومات؟

- لا ، إتلحق وفي المستشفى، تروحي دلوقتي إنتي وهي تدعبسولي على أي أخبار، وتبعتيلي كل حاجه أول بأول، مش عارف إيه اليوم النحس ده!

ضحكت "سالي" ليضيف:

- صدفه. . .مجرد صدفه يا باشا.

- أوباش وجهله.

قالها "تيم" بتعالٍ لم يعجبني، وهو يتحرك بسرعة في اتجاه الخروج، ليراقباه في انتظار ما يحدث له في كل عام، قبل أن أستوقفه (أنا) بطيفي ليقع أرضًا، لتضحك "أمنية" وتعلق "سالي" ساخرة:

- أشتاتًا أشتوت اللهم احفظنا، ماتقلقش يا باشا، دي صدفه، إنت كده متعود تقع هنا كل سنه بعد الحوار ده، صدفه برضه.

***

- أنا فاكر كويس الوقعه دي.

قالها "تيم" محرجًا، بينما تساءل "حلمي مهران" مندهشًا:

- هو إيه سر اليوم ده؟!

- لا مش موضوعنا خالص، خلينا في حكايتنا والنبي.

- ما هو ده موضوعنا.

علق "حلمي مهران" في حزم، لتهدئه "أمنية":

- هاحكيلك بعدين، المهم دلوقتي إن جريمة "هجرس" دي كانت برضه بسلاح أبيض.

- تقصدي إيه؟!

تساءلت "سالي" في فضول:

- أقصد إن الصفحه اللي "حلمي مهران" لاقاها دي ممكن يكون ليها علاقه بالأحداث لو الجرايم دي ليها علاقه ببعض.

- يعني إيه؟!

تساءل "حلمي مهران" متوترًا.

- يعني ممكن يكون اللي قتل الراجل بتاع "الكرنك" يكون ليه علاقه بـ"أدهم الجوهري"؟!!

اعترض "تيم" بمنطق لم يحد من شغفها:

- بس ازاي يا "أمنية"؟! دي في الأقصر ودي في القاهرة.

- جريمة الأقصر وصلتلنا متأخر عشان التعتيم اللي حصل عليها، بس هي حصلت الساعه واحده بعد نص الليل، وحادثة "أدهم" تعتبر حصلت تاني يوم.

- بس إيه علاقة الراجل ده بـ"أدهم"، وازاي محدش خد باله؟

تساءل "حلمي مهران" بفضول.

- زي ما إحنا مخدناش بالنا، كل يوم بتحصل جرايم قتل، والسلاح الأبيض، يعني أي سكينه، ودي في الأقصر ودي في القاهرة، يعني ماتجيش في دماغ حد إلا لو دقق أوي أو جاتله أماره زي الصفحه اللي

جتلك.

- صفحة إيه؟!

في غباء تساءل "تيم" لتختصر "أمنية":

- لا ده موضوع يطول شرحه، المهم إني أنا شخصيًا كنت عارفه حادثة الأقصر، عشان حصل عليها لغط كتير ومع ذلك مخدتش بالي.

وافقتها "سالي" متذكرة الحادث بالفعل:

- أيوه فعلًا أنا غطيت الخبر بنفسي ساعتها، بس في الآخر إتقيد سرقه، ضد مجهول!

- طيب إيه وجه الشبه بين الحادثتين يعني؟

تساءل "تيم" لتقف "أمنية" لتحلل الأمور:

- كلنا عارفين إن "أدهم الجوهري" كان بيتاجر في الآثار.

- بس مفيش حاجه تثبت ده.

- "تيييم".

هاجمت "أمنية" مديرها ليتراجع الأخير:

- حاضر يا سيتي عارفين.

- و"هجرس" اللي إتقتل عند بحيرة الموت، كان عضو في هيئة الآثار.

- أنا اشتريت.

بابتسامة قالها "حلمي مهران" ليعلق "تيم" بغباء:

- يعني إيه؟

- يعني هانسافر الليله دي للأقصر.

أجابه "حلمي مهران" وهو ينظر إلى شريكته الجديدة التي قالت لـ"تيم":

- عشان كده طلبت الأجازه.

- يا سيتي أجازه مفتوحه.

بتراجع واضح قالها "تيم" قبل أن توجه "أمنية" حديثها إلى "حلمي مهران" بابتسامة:

- حضرة المقدم "حلمي مهران" هو إنت طلعلك وقف رسمي؟

ضحك "حلمي مهران" متفهمًا ما ترمي إليه "أمنية" فأجاب نافيًا:

- لأ وكارنيهي وسلاحي لسه معايا.

- يبقى على بركة الله.

قالتها "أمنية" ليرتسم الغباء على ملامح "سالي" متسائلة:

- طب وأنا؟

- إنتي هاتخليكي هنا مع "تيم"، عشان هاحتاجلكوا في حاجه تانيه.

أجابتها "أمنية" قبل أن يلاحظ الجميع تلك المياه التي بدأت تغمر المكان، ليظل "حلمي مهران" ساكنًا يظنه واهمًا قبل أن ينظر إليه الجميع في حالة دهشة، حتى وصل أحد الموظفين من الخارج ليقول:

- معلش يا جماعه لازم نخلي المكان.. في ماسورة مياه ضربت!

- لا ده إنت اترفع عنك الحجاب بقى.

بسخرية علقت "سالي" بينما ظلت "أمنية" تنظر داخل "حلمي مهران" بإعجاب مثير.

***

(16)

- يعني "حياة" إتبرعت بقلبها لـ"صدفة"؟

تساءل "ناصف شوكت" من وسط جلسة السايكودراما، ليجيب الدكتور "علي" نيابة عني:

- دي كانت أمنية "حياة" الأخيره والحقيقه إن بالنسبه لـ"عياش" ده كان طوق نجاه ليه هو شخصيًا.

- عشان أكيد هايتعلق بيها زي ما اتعلق بـ"حياة".

قالها أحدهم ليبتسم الدكتور "علي" وهو ينظر إليَّ، لأتابع (أنا) قص حكايتي عند عودتي مرة أخرى لألمانيا، وكما توقع ثلاثتهم، فلقد ظللت عاشقًا (أنا) لـ"قلب الحياة"، فمنذ وصولي و(أنا) أنتظر اللحظة التي سأراها فيها، وقد كانت تلك هي اللحظة الأكثر غرابة لي، فلقد كانت "صدفة" تعمل في مجال الترجمة من الألمانية إلى العربية والعكس، تُوفي والدها المصري وظلت هي في ألمانيا نظرًا لحالتها الصحية، فقد كانت تمتلك قلبًا ضعيفًا؛ لذا لم تستطع أبدًا التنقل بحرية؛ الأمر الذي جعل منها وحيدة في صغرها نظرًا لمحدودية النشاطات التي تشارك فيها في بلد رياضي كألمانيا؛ لتصبح مستوحدة حالي، فذهبت إليها في هذا اليوم بحجة ترجمة أحد أبحاثي حيث كانت تمتلك مكتبًا متناهي الصغر، في أحد الشوارع الجانبية بحي بسيط في مدينة "فرانكفورت"، كان المكتب لا يتجاوز عمقه ثلاثة الأمتار وعرضه المترين، حال سقفه المنخفض، حتى أني اكتشفت لاحقًا أن عقده يُحسب بالمتر المكعب وليس بالمتر المربع نظرًا لانخفاض هذا السقف!

كانت "صدفة" تجلس تنظر إلى الشارع الضيق ذي البازلت الأسود تغازله أشعة الشمس النادرة في مثل هذا الوقت من العام، لأظهر (أنا) من أمامها ممسكًا ببحثي الذي كتبته بعربية خصيصًا لتترجمه هي لي.

وصلت ووقفت شاخصًا أمامها فقد كانت "صدفة" جميلة الملامح

شقراء، وإن كان جسدها ممتلئًا بعض الشيء، لحظات مكثت قائمًا حتى رأتني واندهشت، لترمقني أكثر قبل أن تقف وتقترب قائلة بألمانية:

- سيدي هل أعرفك؟

ابتسمت ولم أستطع التفوه بكلمة، لتتابع هي:

- أشعر وكأني بالفعل قد رأيتك من قبل، هل أنت من الأقارب؟

- لا.

قلتها بعربية لتبتسم "صدفة" قائلة:

- مصري؟ أنا كمان مصريه.

أجابت بمصرية عامية، لأعلل و(أنا) أتلعثم كسابق عهدي قبيل "حياة":

- ما هو (أنا) عار..رف فع...فعلًا وعشا...ان كده جي..تلك.

- مش فاهمه!

- قال..ولي إن حض..حضرتك متر...مترجمه.

قلتها و(أنا) أتردد، لتلاحظ هي علتي لتتساءل:

- إنت كويس؟

- آه بببس (أنا) أحيانًا بت...بتلخبط.

ابتسمت بقلب كبير كنت أعرفه، وقالت:

- أنا كمان بتكسف، إتفضل، معلش المكان ضيق.

دخلت (أنا) لأجدني بدأت التحدث بطلاقة لم أعهدها على نفسي منذ وفاة "حياة" لأبدأ من حينها في ترجمة أبحاثي بشكل يومي.

- وهي كانت تعرف إنت اخترتها ليه؟

سألتني مرة أخرى تلك السيدة من جلسة السايكودراما في تحفظ، كعادة السيدات، فرغم إنكاري طوال حياتي لتلك الحقيقة وعدم

إفصاحي عن حقيقة كوني زوج "حياة" التي منحتها قلبها، إلا أني كنت أشعر أن "حياة" كانت قد أعلمتها بي قبل العملية، ليظل هذا السؤال يؤرقني طوال حياتي وإن لم أمتلك الجرأة الكافية للإفصاح عنه، فلم أمتلك القدرة على خسارة "صدفة" بعد "حياة" ليظل السؤال حبيس عقلي! فهل حقًّا أحبتني "صدفة" أم هل كانت تنفذ وصية ما؟!

والسؤال الأصعب الذي كاد يذهب النور من عيني: هل كنت (أنا) حقًّا أحب "صدفة" أم فقط كنتُ عاشقًا لـ"قلب الحياة"؟!

***

تحرك "حلمي مهران" مع "أمنية" إلى مكتب "غانم" لإبلاغه بتلك التطورات الجديدة حيث ظهر عليه الاندهاش مما يقصانه ليقول:

- زي ما قلتلك، شهادتك مش هايتاخد بيها لو القومسيون الطبي شكك في إصابتك، لكن اللي إنتوا بتقولوه ده ممكن يشقلب القضيه وأقدر بيه أشكك في شهادة "دنيا".

لم تستطع "أمنية" كبت فضولها:

- طيب معلش يا فندم هو أنا عندي سؤال.

- إتفضلي.

أحرجت "أمنية" لحظة ثم تساءلت:

- إنت مقتنع زيِّنا ببراءة "ماجي".. صح؟

سكت "غانم" ليبحر بخياله في هذا اليوم الذي تلقى فيها إهانة من "ماجي" التي كذبت عليه كثيرًا لينفضح أمرها حين قدَّمت "دنيا" أرملة "أدهم" إلى المحكمة نسختي العقد العرفي التي أُثبتت زواج "ماجي" من "أدهم" رغم إعلان خطوبتها من "غانم" في منزل "أدهم" بشهادته؛ الأمر الذي قدم للقاضي منطقًا ودافعًا لـ"ماجي" كي تقتل "أدهم" لدفن سرها في تلك الحفلة التنكرية، وبالطبع لم يكن القاضي سيتعاطف معها نظرًا لموافقتها على زيجة عرفية، ستشينها وتضعها في موقف انتهازي ضعيف، ولكن "ماجي" كانت قد نجحت في إقناع "غانم" بشيء مختلف، حين زارها في السجن ليتحقق من تلك

الفاجعة لكرامته، ليقول لها من داخل غرفة صديقه المأمور الذي سمح له بالزيارة حينها:

- آخر حاجه كان ممكن أصدقها يا "ماجي" إنك تخدعيني كده، كنتي واخداني كوبري!

- ماتقولش كده.

قالتها "ماجي" بمسكنة، لتتابع:

- صدقني يا "غانم" جوازتي من "أدهم" كانت غصب عني.

بدأت "ماجي" تذرف الدموع:

- أنا يا "غانم" بعت نفسي مره من سنين، ومن ساعتها وأنا تمني بقى رخيص، من ساعة ما بعت أهلي، العناد خلاني أتكسف إني أرجعلهم، سنين كتير وأنا بغرز في الطين أكتر، كل اللي قربوا مني إتوسخوا.

سكتت لحظة ثم تابعت بصدق:

- أنا مش بدافع عن نفسي يا سيادة المحامي، أنا غلطت كتير، وممكن أكون أستحق اللي بيحصلي دلوقتي، وحقيقي مش هاعتبك لو مشيت دلوقتي، أصلًا أنا حاولت أمنعك كتير إنك تقرب مني، كنت عارفه إن في بينا فروقات كتير، مش فلوس، أنا مسكت فلوس كتير في حياتي، بس أنا بشوفك علطول محامي نضيف، مفيش سبب يخليك تنزل أوي كده.

حاول "غانم" التعقيب إلا أنها عارضته وأكملت:

- أيوه أنا غلطت بس مقتلتش "أدهم".. عارف ليه؟ عشان أنا أضعف من كده، بس صدقني لو كان بإيدي كنت قتلته بدل المره ألف عشان أنا كان ممكن أعمل كل حاجه عشان ماقفش قدامك الوقفه دي، اللي زي "أدهم" مايستهلوش يعيشوا، اللي زي "أدهم" هما اللي وصلوني أنا واللي زيي لكده، اللي زي "أدهم" دول شياطين، أيوه أنا اتجوزت "أدهم" غصب عني، أيوه كنت عايزه أطلق ومعرفتش، أيوه مكنتش أحب إنك تربط إسمك بواحده زيي، أيوه لو كنت أقدر أقتل

كنت قتلته، بس للأسف أنا مقتلتوش!

قالتها بقوة غلبت دهاءه، ليعلق "غانم" مستسلمًا:

- إنتي قلتي أكتر من اللي أنا كنت عايز أقوله يا "ماجي" بس خليكي فاهمه حاجه، أنا ماتولدتش وفي بوقي معلقه دهب، وكل اللي وصلت ليه ده دفعت تمنه دم، يمكن لو عرفتي أنا عملت إيه في حياتي تعرفي إنك مش شيطان، ورغم كده في حاجه جوايا مخلياني مصدقك، ومخلياني متمسك بالدفاع عنك.

سكت "غانم" وهو يحاول إبعاد نظره وتابع:

- بس مش أكتر من كده يا "ماجي"، إنتي من النهارده وكيلتي وأنا المحامي بتاعك مش أكتر.

قالها وخلع دبلته غير مكترث لدموعها ثم وقف وقال أخيرًا:

- وماتخفيش، تقدري تعتبري أتعابي مدفوعه، عشان حقيقي إنتي إديتيني درس عمري.

ظل "غانم" شاردًا في هذا الحديث القديم أمام "أمنية" و"حلمي مهران" حتى تمكن أخيرًا من التماسك، ليقف مقابلها ويقول:

- أيوه يا آنسه "أمنية"، أنا متأكد من براءتها، يمكن "ماجي" تكون خدعتني مره لكن مش هاتقدر تخدعني مرتين، "ماجي" رغم كل اللي عملته في حياتها مستحيل تقتل، لكن للأسف المحكمه مش هاتفكر كده، خصوصًا إن كان ليها سابقه في تحقيقات قديمه وإسمها مكنش نضيف فيها.

- تقصد قضية "الوحي"؟

تدخل "حلمي مهران" ليؤكد "غانم" معلوماته:

- بالظبط كده، وعشان كده لو في حد عايز يلبِّس القضيه لحد مش هايلاقي أحسن من "ماجي"، ولو مقدرتوش تلاقوا أي دليل جديد، القاضي هايحكم بأقصى العقوبه.....إعدام يعني!

- لأ.

صرخت "أمنية".

- مفيش حد هايتعدم ظلم تاني.. إحنا حاجزين في قطر بيات للأقصر والصبح هانبلغك بالجديد.

- وأنا خطي مفتوح معاكوا أربعه وعشرين ساعه، يمكن نقدر نعملها حاجه، أنا في حياتي خسرت قضيه واحده، وهاعمل المستحيل عشان مايبقوش اتنين!

***

من مرسمه كان "فؤاد" جالسًا أمام تمثالها في حزن حتى سمع صوت طرق الباب، فتحرك ببطء وذهب ليفتحه، ليجدها أمامه ثائرة غضبًا، لتتعداه وتدخل دون استئذان، حتى وصلت إلى مرسمه التي توسطها تمثال "وعد" لتقول "حنان" باستخفاف وهي تنظر إليه:

- واضح إن كل حاجه كانت باينه زي الشمس، طيب طالما غرقانين في العسل إنتوا الاتنين، نمت معايا ليه؟!

ظل "فؤاد" متوقفًا عاجزًا عن الدفاع عن نفسه، لتكمل هي إهانته لهما:

- ولَّا أنا ممكن أكون في السرير أحسن منها؟

- إخرسي.

قالها "فؤاد" وهو يمسك بيدها بغضب.

- آه أنا نسيت.. ست الهانم طاهره وأنا اللي وسخه، مع إن سبحان الله هي اللي على ذمة راجل مش أنا.

أفلت "فؤاد" يدها مستسلمًا، لتكمل هي:

- أنا اللي قاهرني إنها عارفه إني بحبك، وإنت عارف إنها صاحبة عمري.

- "حنان" إنتي مش في وعيك.. إنتي سكرانه؟!

- أيوه سكرانه، إيه هاتقيم عليا الحد يا سيادة الشيخ؟ ما خلاص فهمتك.

- يا "حنان" "وعد" ست محترمه.

- هو ده اللي همك؟ يعني أنا اللي مومس!

بقوة قالتها لتعيده إلى صوابه لحظة:

- يا "حنان" لو سمحتي أنا مقلتش كده، إنتي أعظم ست أنا شوفتها، والله العظيم أنا مكدبتش عليكي.

- ههههه، والتمثال ده بتاع الست هانم، والقلوب اللي جنب إسمك عندها، واختفاءك من ساعة ما عرفت إنها عيانه.

- أيوه زعلت لما عرفت إنها عيانه، إنتي عارفه إن "وعد" زميلتي من أيام الجامعه، وكمان أبوها من أصدقاء والدي، وهو موصيني عليها من زمان، اللي بينا زي اللي بين أي اتنين إخوات.

- إخوات!!!!

تهكمت "حنان" مشمئزة من كذبه ليكمل:

- يا "حنان" أقسملك بشرفي إن مفيش حاجه حصلت بيني وبين "وعد".

لم تُجِبه "حنان" في رفض ليتابع:

- طيب لو إنتي مش مصدقاني، تصدقي كده على "وعد" صاحبة عمرك؟

- أنا مابقتش فاهمه حاجه ولا عارفه حاجه.

مرتبكة علقت وهي تجلس على كرسيه:

- "حنان" أنا منكرش إن مرض "وعد" أثر فيا، وخلاني أراجع حساباتي في حاجات كتير.

- مش فاهمه!

- يعني زي ما قلتي، أنا ماينفعش أعمل حاجه تغضب ربنا، ولا ديني ولا أخلاقي تسمحلي بكده.

- يعني بتخلع بس بشياكه.

- بالعكس، أنا بقول إننا لازم نتجوز.

***

من غرفته بالمستشفى ظل الرائد "هشام" يتعارك مع الدكتور "صلاح" ورئيسة التمريض التي قالت:

- هو كل الظباط كده.

- أيوه كلنا مخنا كده، ومابنحبش الرقده.

- طيب يا "هشام" بيه، أنا مش هامنعك.

علق الدكتور "صلاح" دون أن يهدأ الرائد "هشام".

- أنت ماتقدرش تمنعني أصلًا.

- بس أنا اللي عملتلك العمليه.

أحرج الرائد "هشام" وقال بهدوء:

- آه صحيح، في دي عندك حق، إنت بقيت صاحب فضل عليا.. طلباتك.

ابتسم الدكتور "صلاح" ونظر لمساعدته لتتركهما، ليقول له الدكتور "صلاح" منفردًا:

- هما طلبين، الأول إنك تمشي على العلاج وتطمني عليك.

وافقه الرائد "هشام" ليتابع الدكتور "صلاح" طلبه الأهم:

- وثانيًا لازم تقنع المقدم "حلمي مهران" إنه يرجع المستشفى، هو مش هايسمعلي، بس ممكن يسمعلك إنت، صدقني حياته في خطر.

***

دخلت "وعد" غرفة "وليد" ابنها لتبحث عنه وتضمه إليها في حنان، ليشعر بها الأخير ليبكي قائلًا:

- خارجه تاني يا ماما وهاتسبيني لوحدي؟

- يا حبيبي ما إنت معاك خالو.

لم يتجاوب "وليد" ليسألها في شك قاتل:

- ماما إنتي كويسه؟

شعر بها الطفل الذي امتحنه قدره كثيرًا في هذه السن، ضامًّا إياها، رافضًا تركها، فلقد كان الطفل يتبع حدسه الذي لم يَخِب، ولقد كان يشعر في تلك اللحظة نفس شعور خروج والده في هذا اليوم المشؤوم، ليظل متعلقًا بأمه التي حاولت التنصل منه بصعوبة، لتذهب هي ويبكي هو، حتى لاحظت الخادمة بكاءه من الخارج لتدخل إليه لتهدئه ولكن دون جدوى، حتى أعطته هاتفها ليتصل بوالده "حلمي مهران" الذي أجابه فور خروجه من عند "غانم":

- "وليد" خير في حاجه.. إنت كويس؟

جاوبه الطفل باكيًا ليقص عليه ما يحدث لأمه، إلا أن "حلمي مهران" لم يشعر بأهمية للحدث ليقول:

- يا حبيبي ماتخافش "ماما" هاتبقى كويسه تلاقيها بس لسه تعبانه من الوقعه اللي قلتلي عليها، عمومًا أنا مسافر النهارده وراجع بكره هاجيلك أعد معاك.

حاول "حلمي مهران" طمأنة ابنه وأنهى المكالمة، لتظهر نظرة غيرة على ملامح "أمنية" قبل أن يرن هاتفه مرة أخرى.

- ده الرائد "هشام".

قالها "حلمي مهران" لـ"أمنية" التي أجابته مندهشة:

- طب رد بسرعه مستني إيه؟

- أيوه يا "هشام"، طمني عليك.

أجاب "حلمي مهران" بسعادة ليرد عليه "هشام":

- أنا كويس يا "حلمي" الحمد لله قمت خلاص، إنت اللي فين؟

- أنا رايح الأقصر.

- الأقصر؟!

تعجب الرائد "هشام" ليوضح "حلمي مهران":

- اكتشفنا جريمة قتل حصلت السنه اللي فاتت هناك في نفس التاريخ، يوم واحد وتلاتين عشره، وبنفس الطريقه، وتقريبًا ليها علاقه بالصفحه اللي كنت قايلك عليها.

- إنت بتقول إيه يا "حلمي"؟ إنت متأكد؟!

- أنا مسافر دلوقتي أتأكد.

وقف الرائد "هشام" تاركًا سريره ليقول في شغف:

- طب استنى آجي معاك.

انزعج "حلمي مهران" ليقول رافضًا:

- مفيش داعي أنا معايا "أمنية" خليك إنت هنا.

- وهو ده وقت تظبيط يا "حلمي"؟!

قالها الرائد "هشام" ليضحك "حلمي مهران" رغمًا عنه لتتساءل "أمنية":

- بيقولك إيه؟

توقف "حلمي مهران" عن الضحك وقال بسخرية:

- بيسلم عليكي وبيقولك خدي بالك مني.

ابتسمت "أمنية" ليكمل "حلمي مهران":

- مش وقت الكلام ده يا "هشام"، خلي بالك أنا شبه موقوف من الشغل وهاحتاجك معايا.

- ليه؟!

تساءل الرائد "هشام" الذي شعر وكأنه غائب عن الوعي منذ وقت طويل، حال "حلمي مهران" الذي أجابه:

- في حد مش عايزني أوصل المحكمه للشهاده.

توقف الرائد "هشام" عن الحديث لحظات ثم قال:

- طيب ماتخافش يا "حلمي" أنا في ضهرك.

- عارف يا صاحبي.

قالها صادقًا وأغلق الهاتف واتجه بالحديث إلى "أمنية":

- "هشام" كان عايز يجي.

- بيحبك "هشام".

تهكم "حلمي مهران" وقال متأثرًا:

- صدقيني، أنا مفيش حد بيحبني.

- ماتقولش كده.

لاحظ "حلمي مهران" نظرات إعجاب لـ"أمنية":

- المهم، أنا حاجتي جاهزه معايا في العربيه، مش محتاج أروح.

- طيب خلاص يبقى اسبقني على المحطه وأنا هاجيب حاجتي من البيت وآجي وراكي.

- طيب ما آجي معاكي.

- لأ مايصحش أنا عايشه لوحدي.

اعترضت "أمنية" بحزم بينما أصر "حلمي مهران":

- طيب هاوصلك وأستناكي في العربيه.

- معلش يا "حلمي" المنطقه مش أد كده وكلهم عارفني، أنا ساعه وهاجيلك في المحطه، ماتخفش مش هاتأخر.

لم يستطع "حلمي مهران" إجبارها، لتترجل "أمنية" وتشير إلى ذلك التاكسي المتطفل، في حين بدأ "حلمي مهران" يشعر بتعلقه بتلك الصحفية الغامضة!

***

(15)

فجأة صار جميع من في الغرفة قضاة، يُطلقون الأحكام ضدي، وكأن الخالق منحهم سلطة عليَّ، لمجرد أنهم استمعوا جزءًا من قصتي، فأتذكر أن هذا من أسباب انطوائيتي وانعزالي، فالكل يُنصِّب نفسه حاكمًا بأمر ربه دون أن يحمده على عدم مروره بمثل ما مر به الآخرون؛ لذا استحقرت نظراتهم، وشعرت لوهلة بالغضب، فقد تناسوا أن من عاب ابتلي، كما تناسوا لوهلة ما اعترف به كل منهم للتو في هذه الجلسة، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم.

- يعني "صدفة" إتحكم عليها تعيش مع واحد مابيحبهاش، بس عشان خدت قلب مراته؟ ده ظلم.

قالتها المرأة الغاضبة، ليعلق آخر:

- أو يمكن وفاء.

اختلفوا، ولكن كما ذكرت، لم يكن أي منهم يعرف معنى الوحدة، فلقد كان التوحد دائي، وكان "قلب الحياة" دوائي؛ لذا لم أهتم لهم وتابعت و(أنا) أراقب هذا القط الأسود الذي لم يكن من فصيلتي وإن جمعتنا عائلة واحدة!

بدأت أكمل (أنا) قصتي، فلمدة شهور طويلة كنت أزور "صدفة" التي تشبه "حياة" كثيرًا ولعله قلبها! أو ربما كنت واهمًا، ولكني كنت متيمًا بها، رغم عدم وجود سبب مقنع يربطها بي، فهي شابة جميلة، يتمناها الكثير من الشباب، حتى جاء اليوم الذي فهمت فيه حقيقة ضعفها وسبب قلة ثقتها بجمالها حينما كنت في مكتبها أترجم أحد أبحاثي المصرية القديمة، ظهر شاب ألماني غاضب وصل لديها قائلًا بألمانية ساخطة:

- كيف لي أن أنتظر كل تأخرك هذا؟ فقط لترجمة بحث صغير من صفحات أربع؟!

اعتذرت "صدفة" بأدب قائلة:

- اعذرني سيدي، لقد أنهيت بحثك للتو.

- ولكن، كان يجب حصولي عليه منذ أكثر من ساعة حسب الاتفاق.

نظرت "صدفة" إلى ساعة يدها لتعتذر.

- أعتذر جدًّا، هذا بالفعل خطئي.

- وبمَ سيفيدني اعتذاركِ؟ ولمَ لا تجيبين عبر الهاتف؟ لقد اضطررتِني إلى القدوم لتضيعي من وقتي الكثير، بالطبع إنك عربية لا تعرفين للوقت قيمة.

نهرها بتنمر واضح أهان كرامتها.

- سيدي لا داعي لكل هذا، سأرد لك ما دفعته كله.

- هل تمنين عليَّ؟ حقًّا إنكم عالة على مجتمعنا وفيرس يجب القضاء عليه.

قالها الرجل بتنمر وكره ثم رحل؛ لتجهش "صدفة" بالبكاء، لأكتشف (أنا) للتو ضعفها، تلك المصرية المغتربة التي تملك قلبًا ضعيفًا يمنعها من العودة، لتضطر إلى مثل هكذا إذلال وتعصب في كل وجبة تأكلها، فرغم تحضر المجتمع الألماني إلا أنهم بشر لا يتقبلون الآخر، حالنا جميعًا، فكل منا يرتاح عندما يجد الجميع مشابهًا له، في الدين واللغة وحتى اللون، هذا حال البشر، خلاف الحيوانات التي تعيش بسلام متقبلة دور كل منها في الهرم الغذائي وإن كان البقاء للأقوى. مفهوم منطقي إلا أن تطبيقه بين البشر صار أكثر منطقية.

في تلك الأيام كنت قد بدأت التقرب من "صدفة" التي تقبلتني كزوج لها بسهولة لم أتوقعها، فبالرغم من نجاحي في ألمانيا، إلا أني كنت لا أزال أفتقد ثقتي بنفسي، ولكني كنت قد تجاوزت كل هذا بتلك الزيجة التي أكملتني، لأكتشف درسًا جديدًا، فلقد بت (أنا) عائل الأسرة، ولكنها باتت سندي ووقودي، لأتمكن من تقلد مناصب لم يصل إليها عربي في تلك البلاد، لأستطيع معها في جمع ثروة مالية حافظت على ماء وجهنا، تلك الثروة التي استطعت بها مساعدة الكثير من الضعفاء هنا وهناك، وإقامة الكثير من المشاريع الخيرية حتى كافأنا الله بطفل صغير، فتى صالح، كان أكمل مني وأفقه، ورث

ذكائي وجمالها، بات هو كل ما نمتلك في هذه الدنيا، لأعيش مرة أخرى "حياة" رغدة، وليحقق هذا الطفل تلك الرؤيا التي رأتها "حياة" من قبل، فلقد كان هذا الطفل عاشقًا للمصريات هو الآخر، يحب فك الرموز التي باتت لعبتي، لنسميه "رمزي" كما تمنت "حياة".

فلقد أصبحت (أنا) أشهر وأقوى محلل لرموز المصريات عرفته أوروبا وربما العالم.

قلتها بثقة صارت من طباعي منذ امتلكت (أنا) "صدفة قلب الحياة".

- يعني عشتوا في تبات ونبات وخلفتوا صبيان وبنات.

قالها أحدهم ساخرًا، ليشير الدكتور "علي" لي لأكمل، فلم تكن قصتي قد انتهت بعد، ولكنها كانت (فقط) البداية.

***

من غرفة "محمود وهبة" كان الرجل يتحدث إلى الرائد "هشام" عبر الهاتف غاضبًا من تباطؤ "هشام" معه.

- يعني إيه مش عايزك تسافر معاه يا سيادة الرائد؟

قالها "محمود وهبة" بعصبية عبر الهاتف ليجيب الرائد "هشام":

- يا فندم أنا لسه متصاب.

- بس قمت وخلصنا، وقالولي إنك عايز تخرج من المستشفى، يبقى مابتشفش شغلك ليه يا "هشام"؟

بقوة وحزم رد "محمود وهبة".

- يا فندم والله حاولت وهو مرضيش، وبعدين يا فندم هما زمانهم اتحركوا.

لم يستمع "محمود وهبة" وتابع:

- "هشام" ماينفعش "حلمي" يوصل للأقصر.

- مش فاهم.. ليه يا فندم؟!

انتبه "محمود وهبة" لانفعاله ليقول:

- قصدي إن حالته ماتستحملش.

سكت لحظة ليحاول خلق حجة جديدة، ليقول بضعف واضح:

- وبعدين أنا القضيه دي إسمي فيها ولازم أفهم كل اللي بيحصل أول بأول.

- حاضر يا فندم هاحاول أتصرف.

- مفيش حاجه إسمها هاحاول يا "هشام".

قالها "محمود وهبة" وأغلق الهاتف، لتلاحقه أنظار ابنته الشامتة المارة من أمام غرفته لتقول:

- ماتخافش.

- مخافش من إيه إنتي كمان؟!

- ربنا ما بيسبش حق حد.

- بتدعي على أبوكي يا بنت الكلب؟! إطلعي برااا.

صرخ وأغلق الباب، ليجد زوجته تنظر له بنفس النظرات، ليهرب منها هي الأخرى متجهًا إلى الدور الأرضي، ليسمع صوت ابنه يستغيث من قبو المنزل، لينزل إليه، في هذا القبو المميت الذي صممه بشكل دفاعي ومحصن منذ أحداث الثورة؛ نظرًا للكثير من العداوات، فالمكان محصن ضد الحرائق وبه الكثير من الأسلحة، لتحمي كل من في الداخل من أي تدخل خارجي، وإن كان يجهل أنه قد يحتاج العكس!

كان القبو مجهزًا كشقة سكنية صغيرة ولكن هذا لم يمنع من رائحة الموت التي تفوح منه. كان ابنه مستلقيًا وقد قضى حاجته على سريره نظرًا لضعفه؛ ليقشعر "محمود وهبة" ويصعد دون أي إحساس بشفقة، وهو لا يزال مستشعرًا خطورة ما يحدث ليتصل اتصالًا هامًّا!

***

لم يصدق الدكتور "صلاح" هذه الزيارة في مكتبه بالمستشفى

ليتساءل:

- طب هو حضرتك اخترتني أنا بالذات ليه؟

ابتسم اللواء "فاروق" مجيبًا:

- والله يا دكتور إنت عالجت إبننا "حلمي" بأعجوبه، ومش هانلاقي حد أحسن منك نستأمنه على مراته.

- طيب وهو أستاذ "حلمي" عارف إنكوا هنا؟

- لأ.

قالتها "وعد" بحزم وتابعت:

- وياريت مايعرفش أصلًا.

- لأ ما هو أنا هاحتاج موافقته.

- ليه هو حضرتك شايفني قاصر؟!

بعصبية ردت "وعد" لتتدخل والدتها "إيمان" مستفهمة:

- موافقه على إيه بالظبط كفا الله الشر؟ مش حضرتك بتقول دي حاجه بسيطه؟

- يا فندم بسيطه جدًا، أنا بتكلم على الموافقه الأدبيه.

- حاضر يا دكتور، تقدر تبدأ بالإجراءات، وقبل العمليه هايكون "حلمي" موجود إن شاء الله.

أجاب "فاروق" ليتساءل الدكتور "صلاح" بفضول لم يستطع منعه:

- طب هو فين؟

- يا دكتور لو سمحت خلينا في موضوعنا.

تدخلت "إيمان" في غضب.

- حاضر إحنا هانحتاج مدام "وعد" تعد معانا كام يوم نبدأ فحوصتنا لغاية ميعاد العمليه.

قالها الدكتور "صلاح" ليظهر الخوف على "وعد" وتساءلت:

- ليه.. هي هاتبقى إمتى؟

- في خلال تلات أيام إن شاء الله.

- لأ....لأاااا.

صرخت "وعد" التي لم تكن جاهزة لمقابلة الرحمن!

***

ظلت "دنيا" تتحدث مع عشيقها عبر الهاتف لتظهر له قلقها:

- وإزاي مامنعتوش من السفر؟ وفين الراجل بتاعك اللي متابعه...... يعني إيه مش عارف يعمل إيه....كده كلنا هانقع، وأنا مش هاسكت.

أغلقت "دنيا" الهاتف مع حبيبها واتجهت إلى خادمتها بالنداء لتسرع الأخيرة بالقدوم، لتقول لها بخوف:

- يالا بسرعة جهزيلي الشنط.

اندهشت الخادمة قائلة:

- ليه ياست هانم خير؟!

- ولا حاجه مسافره يومين.

- إمتى؟

قالتها بفضول وتعجب أثار سخط "دنيا".

- دلوقتي حالًا، ويالا إنجزي مفيش وقت.

- طب والبيه الصغير؟

- ماتشيليش همه أنا عارفه هايعد مع مين!!

قالتها دون حذر، فلقد كان هناك من يتمنى صحبة الابن! ثم تحركت لتقوم "دنيا" باتصال أخير بـ"جون" الذي ظلت تشكو له ما يحدث، ليهدئها الرجل ويطلب منها القدوم إليه بسرعة.

- لا تقلقي صديقتنا العزيزة، سيكون رجالي في انتظارك فور

وصولك، نحن لا نخذل أصدقاءنا أبدًا.

قالها "جون" وأنهى الاتصال، ثم نظر إلى أحد مساعديه قائلًا:

- "حلمي مهران" هذا هو الرجل الذكي الذي كنا نحتاجه، لقد بدأت أحبه بالفعل.

- إذن فسنتركه يعيش.

- بالطبع، فنحن لا نقتل الأذكياء.

قالها "جون" بدهاء ليستعلم أحد رجاله:

- ولكنه قد يكون ضررًا.

- بل وقد نستطيع الاستفادة منه.

- سيدي، لقد حذرتنا من العرب.

- ولكن "حلمي مهران" هذا يبدو مختلفًا، وقد يساعدنا في الوصول إلى ما عجزنا عن الوصول إليه.

- إذن فهل ستضمه إلينا؟!

***

من محطة القطار ظل "حلمي مهران" ينتظر "أمنية" وسط الكثير من الحشود، و قد تأخرت كثيرًا فلم تعد هناك إلا دقائق معدودة قبل أن يصل القطار. كان المكان تفوح منه رائحة العجلة الممزوجة بالعرق، الكل متوتر، أغلبهم منهمك في التدخين، حال كل المجتمعات المتأخرة، السيدات ينظرن إلى الجميع بشك وريبة، ينتظرن ذلك المتحرش الذي سيظهر لهن بالتأكيد ليبدين استعدادهن بسوء الظن للجميع متخذات وضعًا دفاعيًا بترقب، الكثير من البائعين يحاولون بيع تلك السلع المغشوشة رغمًا عنهم، فقط لكسب قوت يومهم، ليصبح المكان كالغابة، البقاء فيه للأذكى ممن يستطيع تغييب البقية، بينما كانت القطارات تمر كل دقائق بدون توقف يقودها السائقون الذين يعملون لأكثر من ست عشرة ساعة يوميًا ليضطر بعضهم إلى الهروب للمخدرات التي تساعدهم على المواصلة، خاصة

هذا السائق الذي يقترب بالقطار من بعيد، من على بُعد كيلومترات عديدة، ورغم بعده استطاع "حلمي مهران" بطريقة ما أن يراه وهو يخترق الهواء بسرعة، ناظرًا في أعين "حلمي مهران"، وهو لا ينفك يرتجف وكأن السائق يطلب منه المساعدة، فلم يستطع السائق تمييز الإضاءات. تسمر "حلمي مهران" في مكانه ونظره يعبر كل تلك المسافة التي سيقطعها القطار المسرع في ثوانٍ معدودة، لتتصاعد ضوضاء القطار وعجلات عرباته تلتحم مع حديد القضبان مخرجة هذا القدر من الشرارات الكافية لإشعال المنطقة؛ من شدة سرعته التي لم يعد السائق يسيطر عليها، لتبدأ تلك القضبان المرهقة في استسلامها لتطرد المعادن التي شلتها عن الحركة، ليبدأ هذا القطار العجوز في الترنح قليلًا محافظًا على سرعته القصوى رافضًا التهدئة، بينما كان السائق قد غاب تمامًا عن الوعي، ظل "حلمي مهران" يشير له من بعيد، ولكن السائق عجز عن رؤيته، ويشرع أخيرًا في استعمال قدرته في مخاطبة عقل الرجل! ليستفيق الرجل فجأة ويهرع إلى تهدئة سرعته بصعوبة متناهية، لتبدأ العربات في الانكماش مقتربة من بعضها البعض شيئًا فشيئًا حتى رضخت لتلك الأوامر، لتهدأ القضبان المرهقة، ويظل "حلمي مهران" ينظر داخل هذا السائق القادم من بعيد في ترقب، حتى باتت المسافة بينهما بضع مئات من الأمتار، ليستعيد السائق سيطرته أخيرًا ويقترب بهدوء من المحطة وهو مندهش مما حدث، حتى وصل إلى المحطة، ليتوقف القطار وسط جهل الجميع لما كاد يحدث، ليبدأ الركاب في صعوده بينما خرج السائق في اندهاش من عربته باحثًا عنه، حتى وصل أمام "حلمي مهران" الذي كان يجهل هو الآخر ما حدث للتو، ليقترب الرجل مرتعشًا منه في صمت بينما تحمل نظراته الكثير، ليربت على كتف "حلمي مهران" شاكرًا قبل أن يتخطاه رافضًا استكمال رحلة جديدة، ويظل "حلمي مهران" يرمقه مندهشًا حتى وجدها تركض من جانب الرجل مهرولة وصولًا إليه قائلة:

- يالًا بسرعه مستني إيه؟

بهدوء ربت "حلمي مهران" على كتفها:

- ماتقلقيش القطر هايتأخر.

بثقة قالها متناسيًا أوهامه، لتعلق "أمنية":

- إشمعنى؟!

- السواق تعب وهايتغير.

قالها "حلمي مهران" وقد كان!

***

(14)

كانت تلك المرأة في جلسة السايكودراما تنظر إلى مرضي بغضب، فلقد كان الكبت داءها، لأتردد لحظة في استكمال قصتي، حتى أصر الدكتور "علي" لأكمل (أنا) حكايتي، لأوافقه و(أنا) أشعر بضيقهم، فلقد كانوا قد اقتربوا بمقاعدهم عند طاولتي، يحاولون فهم حقيقتي التي لا يزالون يجهلونها، رغم معرفتي بأهم خباياهم، كما أني حرمتهم من تعبيراتي المتخفية أسفل قناعي، حال صوتي الغريب عن حدوتتي التي أقصها، من داخل تلك الغرفة ذات الإضاءة المتوترة، التي زادت من قلقهم، لأشتم (أنا) رائحة خوف عرقهم مبتسمًا قبل أن أشاهد هذا القط الأسود المستلقي عند النافذة يراقب انتقامي، أمعنت (أنا) النظر في حركاته الغريبة، قبل أن أجده يقلد حركاتي، فكلما تحركت تحرك، لحظات طويلة حتى اكتشفت أنها مجرد انعكاس لصورتي داخل زجاج النافذة، فهذا هو شري (أنا)!

ظل الدكتور "علي" يناديني، لأترك (أنا) صورتي وأتذكر تلك المحاضرة التي كنت أحاضر فيها طلابي من كل وجهات العالم والتي كانت في عام ٢٠١٢ بالتحديد، وقد كانت المحاضرة عن الآلهة المصرية القديمة، والأساطير التي يعشقها الطلاب، فتاريخ المصريين القدماء يحتوي على قصص كثيرة هي أصل الأدب وفنون الحكايات، ففيها الحب والرعب والخيال، لأقص عليهم (أنا) تلك القصة التي تضم كل هذا.

- المصريون القدماء هم أول من جسدوا آلهة للانتقام، فبعد أن مل الإله "رع" من ظلم البشر، أرسل إليهم من يبطش بهم جميعًا حتى يثأر لكرامته، ويعيد القوة لملكه عن طريق "ثالوث منف" "بتاح" و"نفرتم" وأخيرًا "سخمت" سيدة الخطوط الحمراء!

قبل أن أكمل قاطع محاضرتي رئيس القسم، وهو رجل ألماني يهودي الديانة يُدعى "جون"، طلبني على عجل، لأترك (أنا) محاضرتي وأتحرك معه متوجهًا إلى مكتبه، ولقد كان هذا اليوم من الأيام الهامة في حياتي، فلقد كشف "جون" أمامي اكتشافًا قد يغير وجه الأرض،

ويكشف للجميع أسرار قارة أطلانتس:

- "عياش" لقد أصبحت من أعظم علمائنا، بل ومن أهم عباقرة الرموز المصرية القديمة.

شكرت الرجل و(أنا) متحفظ، فلم أكن أستريح لمعاملتهم، فكما ذكرت، كل المخلوقات البشرية عنصرية و(أنا) منهم بالطبع، ليكمل "جون":

- إذن فلتعلم أني أمام بحث واكتشاف هام، قد يثير فضولك ويتطلب منك الولاء.

غضبت (أنا) متسائلًا:

- الولاء لمن؟

- للعلم.

لم أرتح لحديثه، ولكنه كان قد اكتسب فضولي العلمي ببراعة.

- فإذا كان ولاؤك للعلم فستأتي معي في الغد لاكتشاف قد يهمك، و(قد) يُكتب باسمك أنت.

قالها وتركني لفضولي، لم أكن أفهم الكثير، كل ما علمت أن هناك برديات قد تمت سرقتها من مصر في تلك الفترة التي مرت بها البلاد من التهاوي، فلم يبالِ مسئولو الدولة حينها لمثل تلك الآثار التي اعتبروها أصنامًا وأوثانًا، ليفتحوا الباب على مصراعيه لسرقة ونهب البلاد، بأبخس الأثمان، ولقد كان لـ"جون" رجال كثيرون يساعدونه في تهريب مثل هذه الكنوز، ولقد كانت تلك البرديات من وسط تلك الصفقة التي دفع فيها بضعة آلاف من الدولارات، فلم يعرف مهربها قيمتها، واهتم بالتماثيل الذهبية، أما تلك البرديات فكانت أرخصهم، فلم يكن أحد يظن أنها تحتوي رموزًا هامة، حيث لم يستطع الكثير فك طلاسمها؛ لذا فقد اضطر "جون" على مضض التواصل معي، وشرعت فعلًا في التواصل يومًا بعد يوم، معه ومع بعض أصدقائه الذين بت أتقرب منهم شيئًا فشيئًا حتى صرت أثق فيهم، في حين لم أشعر بثقتهم أبدًا، ولكني وجدتهم جميعًا مؤمنين بوجودي بينهم؛ نظرًا

لتمكنني دون غيري من الإبحار في التاريخ المصري القديم ورموزه، شاعرًا بأهميتي وسطهم، و(أنا) أفك لهم تلك الشفرات والرموز، لأكتشف معهم تلك الآثار هنا وهناك، ليزداد احترامي لهم، عند تأكدي من حسن نواياهم حينذاك، فلم يسرقوا أو ينهبوا شيئًا أبدًا، بل كانوا يرجعون كل شيء إلى الحكومة المصرية، ولم أجد ضررًا باحتفاظهم ببعض البرديات بحجة البحث العلمي. كما كانوا جميعًا يحترمونني، ولم يسخروا مني أبدًا، لقد كانوا بالفعل عزوة، كانوا إخوة، بل عائلة لم أمتلك مثلها أبدًا، حتى جاء اليوم الذي صارحني فيه "جون" بحقيقتهم، التي لم تفزعني حينها، فلقد بت أعشق هذا الإحساس بالاحتواء، لأوافق أخيرًا على الذهاب معهم في هذا اليوم المعلوم إلى المحفل!

***

داخل قطار النوم المتجه إلى الأقصر كان "حلمي مهران" يحاول النوم في هذه الغرفة الضيقة التي تحوي كرسيين يتم تحويلهما إلى سرير بميكانيكية عقيمة، بينما هناك فوق هذين المقعدين سرير آخر علوي وضع فيه أمتعته، ومن أمام هذين السريرين المميتين كان هناك حوض بالٍ توجه إليه في محاولة لغسل أفكاره. ساعة استغرقها يائسًا حتى نام أخيرًا، لأبدأ (أنا) في الاقتراب من ممر غرفته، ليعلو من الخارج صوت أقدامي و(أنا) أتحرك ببطء شديد ولكني كنت أقترب، ليتماشى صوت أقدامي مع ضجيج القطار، كنت قادمًا بهدوء وتروٍّ، حتى وصلت إلى غرفة "حلمي مهران" لأفتح (أنا) هذا الباب، بينما ظل هو في عالم آخر، لأدخل (أنا) لتملأ ظلال عباءتي المكان، ليشعر هو بصوت أنفاسي من خلف قناع اللبؤة الذي اتخذته رمزًا لهويتي! لحظات انتبه فيها "حلمي مهران" لوجودي عندما سمع صوت زئيري داخل عقله أحذره من القادم، ليصرخ مستيقظًا قبل أن أختفي (أنا) من المكان!

لينهض "حلمي مهران" مفزوعًا ويجد باب غرفته مفتوحًا، فوقف متوترًا وظل يبحث عني في كل مكان حتى بدأ أخيرًا يتتبع حدسه ليرتدي حذاءه ويخرج متبعًا إياي إلى الممر الضيق المؤدي للغرف

والذي ارتعشت إضاءته خوفًا مني، ليخرج هاتفه ويحاول فتح كشافه، إلا أني كنت رب هذا الظلام، لتتخاذل بطارية هاتفه وتتركه معي وحيدًا لا حول له ولا قوة. تحلى "حلمي مهران" بشجاعة لم يكن يملكها من قبل، ليتحرك في هذا الممر الضيق، بينما كانت شياطيني تتحرك خلفه في المكان لتجبره على التقدم، ليقترب مني و(أنا) أبتسم، فهذا الشبل من ذاك الأسد! لحظات مرت كالساعات والقطار يتراقص، ليعلو صوت زئيري ويبدأ "حلمي مهران" شم رائحة أنفاسي، حتى وجد نفسه أخيرًا عند غرفة "أمنية" وكنت (أنا) قد فتحتها منذ لحظات! ليجبره فضوله على التطفل فيدخل ويجدها خاوية، ليزداد توتره بينما من خلفه كنت قد أضأت الممر فجأة، ليلتف "حلمي مهران" ويخرج إلى الممر ليجدني أمامه أقف شامخًا ومن حولي عبيدي يسجدون لي عن اليمين وعن اليسار، بينما كنت (أنا) ممسكًا بمفتاح الحياة وتلك الكوبرا تتوج رأسي، ليتجمد الدم في عروقه قبل أن يدرك أنها كانت مجرد لوحة مرسومة لي، كانت موضوعة أمامه على جدار الممر المعدني، ليتنهد لحظة ويقترب من لوحتي قبل أن يشعر بسخونة أنفاسي تتصاعد من اللوحة التي جسدت صورة غضبي، فلم أكن مجرد إله، بل كنت إلهًا غاضبًا يعشق الدماء! ليشعر "حلمي مهران" بسخطي، ليهرب عني مبتعدًا، وإن ظلت عيون لوحاتي كلها تتابعه وهو يمر بكل منهم حتى وصل أخيرًا إلى غرفة الطعام، لتتلاشى كل تلك اللوحات بعدما أدت دورها!

رمق "حلمي مهران" غرفة الطعام بتأنٍ قبل دخولها، كانت الصالة عبارة عن عربة مستقلة، عن اليمين، هناك موائد ثلاثية ورباعية، بينما عن اليسار مناضد زوجية، الكراسي مثبتة في الأرض تتحرك حركة دائرية محدودة. كانت العربة مظلمة، لينزعج سكانها مع سماع خطواته الأولى، ليعتذر "حلمي مهران" للنيام، قبل أن ينتبه أن سكانها قد غادروا المكان فجأة، عداها هي، حيث كانت هناك تجلس في شرود، فاقترب منها وهو يرمق شعرها الكستنائي، حتى وصل إليها لتبتسم "أمنية" قائلة:

- "حلمي" إنت مانمتش إنت كمان؟

قالتها "أمنية" لتستعيد "حلمي مهران" الذي جلس بجانبها وسط الزحام!!

- آه.. معرفش في إيه!

- أنا كمان عماله تجيلي كوابيس.

- يظهر إني عاديتك.

ساخرًا علق قبل أن يظهر هذا النادل من العدم.

- تشرب حاجه تانيه يا "حلمي" بيه؟

- آه يا ريت قهوه فرنساوي بلبن على الريحه.

- حالًا.

قالها النادل وتبخر، بينما ظن "حلمي مهران" أن الرجل قد ناداه باسمه لتوه!

- هو الراجل عرف إسمى ازاي؟!

- عادي.. هو سر؟ ما أنا لسه نادهاك بإسمك قدامه.... ما لك يا "حلمي" فيك إيه؟!

حاولت خداعه بصورة شيطانية ولم ينتبه "حلمي مهران" حينها أنها لم تكن "أمنية" من تحدثه!!

- ولا حاجه، بس يظهر فعلًا كان لازم أرتاح زي ما الدكتور "صلاح" طلب.

ظهر ضعفه بالفعل، لأعيدها إليه لتقول في حنان:

- ماتخافش إحنا هانرجع بكره في الميعاد.

ربتت "أمنية" على يده ليشعر بدفء غريب، ليجد نفسه في تلقائية يمسك بها، لتتوتر "أمنية" وإن لم تسحب يدها ليظلا متشابكين، ليشعر "حلمي مهران" باطمئنان غريب افتقده منذ الكثير من الوقت، حال "أمنية" التي وجدت للتو رجلًا يتوجه ليدها قبل أي شيء آخر!

لم يشأ أي منهما إنهاء تلك اللحظة، ليظل كل منهما يستمد طاقة

من يد الآخر. ساعات طويلة مرت امتنعا فيها عن الحديث، صاما عن كل شيء إلا تلاحم أياديهما، لينام كل منهما في تلك العربة، حتى مر بجانبهما هذا القطار الآخر، ليترنح كلا القطارين في هيبة للآخر مرتعشين كالحبيبين اللذين وصلا سويًا للنشوة، تلك النشوة المصحوبة برعشة يعشقها البشر، لينتبه كل منهما إلى الآخر ويتمسك به، إلا أن زجاج عربة القطار لم يتحمل تلك اللذة لينفجر في وجه سكان العربة، ليستيقظ "حلمي مهران" على كل تلك الوجوه المشوهة مع تعالي الصراخ، ليبحث عن "أمنية" التي كانت قد تبخرت ليهلع وسط صراخ المشوهين، حتى توجه إلى باب العربة، ليفتحه قبل أن يتوقف عند اللحظة الأخيرة، فلقد فُصلت تلك العربة عن باقي القطار لتصبح شريدة في وسط الطريق، فتوقف وركض إلى الناحية الأخرى ليجد نفس الحال، إلا أنه كان هناك قطار آخر يقترب من عربتهم البطيئة بسرعة أكبر، ليفهم أن تلك العربة ستفتك بهم لا محالة، ليعود بالنظر إلى الركاب، لتعذبه صورتهم المشوهة يتألمون وهم يحاولون إخراج الزجاج من أجسادهم، ليظل "حلمي مهران" يبحث من بينهم عن "أمنية" إلا أنه تأكد من عدم وجودها، ليعيد نظره إلى تلك العربة المسرعة التي باتت أقرب بكثير، ليفهم أنه مضطر إلى القفز من تلك العربة المتحركة قبل الاصطدام!!

- أستاذ "حلمي" أجيبلك حاجه تانيه؟

قالها النادل متعجبًا من شرود "حلمى مهران" الذي كان مفتوح العينين يراقب حركة القطار الآخر وهو يمر بجانبه للتو، ليصدر كلاهما بعض الضجيج، لتبتسم "أمنية" التي لا يزال يمسك بيدها قائلة:

- إنت أول مره تركب قطر ولّا إيه؟!

- ها.. معلش سرحت أنا آسف.

اعتذر "حلمي مهران" ليزداد قلقه حيال تلك الخيالات التي بدأت تمتزج بالواقع، ليكرر النادل:

- طيب حضرتك محتاج حاجه تانيه؟

- لأ شكرًا.

قالها "حلمي مهران" مصوبًا بصره لهذا القطار المتحرك ليقول:

- شايفه القطرين بيحسوا بإيه لما بيعدوا جنب بعض، شايفه الرجه دي كلها؟

- إشمعنى؟!

- ده نفس اللي حسيته لما عديتي إنتي من جنبي أول مره.

- بس إنت مكنتش في وعيك أول مره!

- ولا حتى دلوقتي.

ابتسمت "أمنية" وقالت:

- دي معاكسه؟

- أنا مابعرفش أعاكس.

- بس القطرين دول يا "حلمي" بيحسوا بالرجه دي لثواني وبعد كده كل واحد فيهم بيكمل في اتجاه، ودايمًا الاتجاهين بيبقوا عكس بعض.

قالتها وهي تسحب يدها من يد "حلمي مهران" التي تحمل خاتم زواجه، ليعلق الأخير:

- بس أحيانًا بيكون واحد منهم ماشي في طريق غلط يا "أمنية".

- مش عايزه أندم.

- مش هاتندمي.

قالها وهو يعاود إمساك يدها لتستسلم له قائلة:

- أنا عمري ما فكرت غير بعقلي عشان كده طول عمري مرتاحه، وعارفه إني المره دي ممكن أدفع التمن عمري لو اتوجعت.

- وأنا ممكن أفديكي بعمري ولا إنك تتوجعي، ماتنسيش إنك أنقذتيني من على سطح القومسيون، كان زماني ميت من غيرك.

- يعني بترد الجميل.

في تهكم قالتها "أمنية" ليسوغ قوله:

- أبدًا يا "أمنية" بالعكس، خلي بالك إنا مت قبل كده مره.

ابتسمت "أمنية" وعلقت:

- طيب يبقى ما توعدش وعد ماتقدرش تحافظ عليه.

- أنا اتعلمت ماخدش قرار وأنا زعلان ولا أوعد وعود وأنا مبسوط.

- يعني مش هاتوعدني؟

- بالعكس.. المره دي أنا كمان مش هافكر بعقلي، وهاوعدك إني عمري ما هاكون مصدر لأذيه ليكي.

كانت تتمنى أن تصدقه، فلقد باتت بشرية للمرة الأولى منذ مدة طويلة، وامتلك "حلمي مهران" ما تتفهمه هي من غرابة.

- بس اللي بتطلبه مستحيل.

- أنا مابطلبش حاجه خالص كل اللي طالبه منك إنك ماتفكريش.

- إنت كده بتغيبني.

- وفري عقلك للقضيه اللي إحنا جاينلها.

- حاضر يا "حلمي" بس إنت شكلك تعبان، تعالى نروح الأوض بتاعتنا.

ابتسم "حلمي مهران" واقترب منها هامسًا:

- خايفه عليا؟

- يالا بقى يا "حلمي".

قالتها مبتسمة ومن ثم يحاسب "حلمي مهران" ويتحركا متشابكي الأيدي كمتحابين، حتى خرجا من العربة وصولًا إلى عربة النوم، لينتبه "حلمي مهران" إلى خلوها من أي لوحات:

- مالك يا "حلمي"؟

- هو مش كان في هنا لوح؟!

- تقريبًا أنا لمحت فعلًا لوحه وأنا خارجه من أوضتي.

- يعني أنا لسه ماتجننتش؟

- لأ بص هو باللي إحنا فيه ده إحنا إتجننا رسمي، ولازم ننام عشان نحافظ على حبة العقل اللي فاضلين.

قالتها ساخرة حتى وصلا إلى غرفتها لتفتحها "أمنية" وتدخل قبل أن تلتفت له مودعة، ليحاول هو اختلاس قبلة من شفتيها، لتضع إصبعيها على شفتيه قائلة:

- إنت ماتعرفش عني حاجه يا "حلمي".

- ومش عايز أعرف يا "أمنية".

قالها وقد استطاع بجرأة خطف تلك القبلة التي كانت الأولى لـ"أمنية" فلم تسلم نفسها لأي بشري من قبل، ولكنه بات يشبهني كثيرًا، فهذا الشبل من ذاك الأسد! دقائق طويلة مرت والقطار يترنح بهما مغازلًا كلًّا منهما، حتى سمع "حلمي مهران" سعال هذا النادل المبتسم، من آخر الممر ينتظر العبور منذ الكثير، ليترك شفاه مليكته التي كادت تفترسه هي الأخرى، ليتنازلا عن تلك المتعة مؤقتًا، ليودعها "حلمي مهران" ويتحرك إلى غرفته قبل أن يرسل ابتسامة شكر إلى هذا النادل الصبور الذي شهد لتوه ميلاد حب قد يتحدى كل العالم!

***

- أنا مش عارف "حلمي" ازاي سايب "وعد" كده!

قالتها "إيمان" مندهشة إلى زوجها، بعدما ظلا ساهرين يناقشان حال "وعد" التي باتت ليلتها الأولى في المستشفى.

- والله يا "إيمان" يمكن يكون بسبب القومسيون الطبي.

- مش فاهمه!

- أصل القومسيون الطبي بلغني النهارده إن حالة "حلمي" ماتسمحش برجوعه الشغل.

- يعني إيه يا "فاروق".. هاتطردوه؟

باحتقان تساءلت "إيمان" مهاجمة زوجها؛ نظرًا لرتبته الرفيعة في الداخلية.

- مش طرد يا "إيمان" هايطلع معاش.

- معاش! ده الواد في عز شبابه، يمكن عشان كده خد بعضه وقال عدولي، الواد خسر أمه، ودخل غيبوبه، يصحى تقولوله بالسلامه؟!

سكت اللواء "فاروق" مقتنعًا بحديث زوجته ليتعمق في حل للمسألة:

- طيب وإنت ماتقدرش تغير موضوع القومسيون ده بعلاقاتك؟

- مش دي المشكله يا "إيمان" المشكله إنهم بيشككوا في قواه العقليه بعد إصابته في المخ.

- يعني بقى مجنون؟!

***

(13)

- ازاي حد يرضى يروح مكان زي ده!!!

قالها "ناصف شوكت" مدعيًا الفضيلة ثم واصل:

- ده محفل ماسوني، عارفين يعني إيه ماسونيين؟!!!

ظل ثلاثتهم مندهشين في جهل، ليتدخل الدكتور "علي" مدير جلسة السايكودراما قائلًا:

- لو سمحت يا "ناصف" بيه إحنا مش جايين هنا نحكم على بعض، هنا كلنا لينا أخطاء.

لم أفهم منهم (أنا) ما خطئي! فلقد كنت عالمًا ولست شيخًا، ولكني احترمت قوانين تلك الجلسة إلى آخرها وتابعت (أنا) قصتي عندما ذهبت إلى "جون" عند هذا المحفل دون تردد أو قلق، فلقد كانت لي دنياي وللجميع دنياهم. في البداية دخلت معصوب العينين، بعدما وافقتهم على الفكرة رغم جهلي بالطقوس، لأدخل (أنا) وأقسم على كتابي على حفظ سرهم، فهم يخدمون البشرية على حد فهمي، ففيهم أغلب العلماء وأهم فناني العالم منذ مئات السنين فلمَ لا أنضم (أنا) إليهم؟ لِمَ أقلل مني عندهم علتي؟ لأتحد مع قوتهم ونكتشف معًا كل أسرار العالم وتاريخه، لأبدأ معهم طريقًا جديدًا من الولاء والطاعة لم يضر بي في البداية. شهور و(أنا(أنصاع لقوانينهم الغريبة، حتى بت أبتعد عن زوجتي وآمنت فترة بكلامهم المعسول، بل استطاعوا محو الكثير من معتقداتي، ففيهم إخوتي الذين لم يتخلوا عني، كأخي "عبد المهيمن" الذي نهرني وسرقني؛ انتقامًا من أمنا. أما هم فكانوا دائمًا عند حسن ظني، سخروا لي الكثير، بل ولم يسخروا مني أبدًا، لأبدأ (أنا) في مساعدتهم مرة تلو الأخرى في فك طلاسم جهلوا معانيها ليتأكدوا أخيرًا من ولائي، حتى كان هذا اليوم الذي اجتمع فيه صفوتهم ليناقشوا شيئًا كنت أجهله، ليدعونني إلى المحفل وحيدًا في غياب أغلبنا، (فقط) كان صفوتهم هنا، ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم، يرمقونني بشيء من الحذر، شعرت برهبة وقلق، فلقد ساد التوتر وازداد العرق، ليخرج لي كبيرهم توراته لأقسم (أنا) عليها رغمًا عني لحفظ سر

الأسرار الذي وجدوه أخيرًا. رغم سخطي، إلا أن فضولي العلمي ظل يصبرني، لأدخل تلك الغرفة المقدسة، المكان دائري شاسع، الأرضية كانت من الرخام الذي رسم الشمس، توسطتها عين ربهم، بينما كان هناك هرم صغير يتوسط المكان، مصنوع من الزجاج يحمل فوق قمته لوحًا من الزجاج لم يترنح أبدًا لأتساءل (أنا) في نفسي عن طريقة تثبيته! بينما من السقف كانت هناك فتحة صغيرة تسلل منها خيط رفيع للشمس ليكشف عما هو موضوع أعلى تلك المنضدة الزجاجية. دخلت وهم من جانبي، لأتبع التفاتهم حول هذا الهرم بضع مرات كالحجيج و(أنا) أرمق تلك الأعمدة القديمة في الإطار الخارجي للمكان الذي يظهر عمره أقدم من الحروب العالمية، بينما كان على الحوائط لوحات معلقة أجزمت بأصليتها، ولكني لم أصدق عينيَّ، فهي لوحات لمايكل أنجلو وأخرى لأعظم فناني العالم، لأتساءل (أنا) كيف حصلوا عليها، بل وماذا عن تلك اللوحات المعروضة في اللوفر، هل هي مزيفة؟!

أخيرًا اقترب ثلاثتهم إلى المائدة، لأكتشف (أنا) تلك البردية وهي ترافقني حتى النهاية، إنها البردية ذات الرموز الأصعب على الإطلاق وظنوا أنها مستحيلة الحل، ليخاطروا هم بتقديمها لي، رغم عدم أقدميتي في عائلتهم، ولأكتشف (أنا) أني أمام أهم بردية قد تعرفها البشرية حيث تمتلك الرموز التي (قد) تشير إلى إحداثيات تاريخية لأهم غرفة في التاريخ، أنها الغرفة التي راح ضحيتها الكثير من البشر ليعلموا مكانها، والتي فشل من بعدهم في الوصول إليها منذ "سترابو" و"هيرودت" الذي سجل زيارته الأسطورية لتلك الغرفة السرية عند زيارته لبلادنا ليقول بالنص:

"لقد رأيت في الواقع عملًا، لا يمكن وصفه بالكلمات، لأن جميع مباني الإغريق وأعمالهم مجتمعة أقل بكثير من كل هذا الجهد المبذول والنفقات الكبيرة لصنع تلك المتاهة، حتى إن هذه المتاهة تفوق الأهرامات".

***

وصل القطار إلى الأقصر أخيرًا، ليخرج "حلمي مهران" ومحبوبته

الجديدة إلى هذا المكان الساحر، فتزعج أشعة الشمس عيني "حلمي مهران" وقد أراد الذهاب إلى مكتب المباحث، إلا أن "أمنية" كانت تريد أن تذهب مسرعة إلى معبد الكرنك حيث كانت تغازلها هذه البحيرة المكتوبة داخل قصاصات الأحجية، ليطيعها في انصياع لحبها ودلالها، ليشير إلى سائق تاكسي، لتعترض "أمنية" مبتسمة وهي تشير إلى ذاك الحنطور المبتسمة أحصنته وهي تركض إليها في ترحاب، لتركب "أمنية" ويظل "حلمي مهران" مندهشًا!

- معبد الكرنك ياسطى.

- ولو عاوزين تروحوا مصر.

قالها هذا السائق ساخرًا! وبدأت رحلتهما في الأقصر، تلك المدينة الغامضة التي تحتوي ثلث آثار العالم. كانت الشوارع دافئة، تشعر فيها بمودة المصريين القدماء من حولك في كل مكان، فهم من أمامك وخلفك وأسفل الأرض تحتك، بينما مع حركة هذه الأحصنة بدأ "حلمي مهران" يشعر بالغثيان، فلقد كانت الأحصنة تدك الأرض غضبًا وكأنها تريد إيقاظ قاطنيها، فلقد بات سكانها ساكنين، ليلاحظ السائق إرهاق "حلمي مهران" ليقول:

- عايز ميه يا باشا؟

- لأ، تسلم ياسطى، اسم الكريم إيه؟

- محسوبك "عاطف".

- من هنا يا "عاطف"؟

تساءل "حلمي مهران" وهو يحارب تلك الضجة؛ حيث بدأت الأحصنة تزداد من حوله شيئًا فشيئًا.

- لا من إسكندرية، بس جدودي من هنا، ماتخافش، عارف تاريخ الأقصر كله، وأساطيره كمان.

تملك "أمنية" الفضول لتسأل:

- أساطير كمان؟!

- يا فندم الأقصر دي اللي ظاهر فيها فوق الأرض أقل كتير من اللي مخبياه.

قالها الرجل بعمق غريب وهو يمر بجانب منطقة صحراوية ليشير إليها في فخر، ليبدأ في قص أسطورته.

- يعني شايفه يا فندم حتة الأرض دي؟

- مالها؟

- هنا إتولدت أسطورة "مليكا".

- "مليكا" مين؟! أنا عمري ما سمعت عنها.

- مش بقولك التاريخ مخبي ياما!!

استمتعت "أمنية" بالحدوتة، وشعر "حلمي مهران" ببراءتها، ليمسك يدها دون أن تمتنع ليبحرا بخيالهما سويًا، ويكمل الرجل أسطورته دون أن يسمع أي منهما شيئًا عن تلك الأسطورة.

- زمان كان في نبوءه من كاهن عجوز بعبايه غامقه، كان بيكشف الغيب، وفي يوم من الأيام راح لفرعون وقاله إن اللي هاينصر مصر طفل من ذريته، بس لما الفرعون يخلف توأم.

ابتسم "حلمي مهران" عند سماعه التوأم قبل ثم واصل الرجل:

- بس التوأم ده كان في منهم اللي هايحرر البلاد، ومنهم اللي هايقتل التاني!

قالها الرجل بينما بدأت أصوات الأحصنة تتعالى في المكان، لتتمسك "أمنية" بيد "حلمي مهران" قبل أن تبدأ تلك الأحصنة بالاقتراب ويسرع "عاطف" ناظرًا خلفه ليجد ما لا يُحمد عقباه.

***

وصل الرائد "هشام" إدارته في حالة من الراحة، كالسمكة التي عادت لتوها للمياه، ليستقبله زملاؤه بالترحاب، بينما حرص على ذراعه خوفًا من أن يلمسها أحد، فلقد كان الألم لا يزال قاتلًا. وصل الرائد "هشام" إلى مكتبه فوجد "فريد" نائمًا على مقعده قد ثنى ظهره

واضعًا قدميه على المكتب، ليصرخ قائلًا:

- إنت يا حيوان.. إنت فاكر نفسك عند أمك!!

استيقظ "فريد" مروعًا، ليقف أمام "هشام" في توتر معتذرًا:

- "هشام" بيه!! ألف حمد لله على السلامه.

قالها وهو يمسك بذراع الرائد "هشام" فصرخ من هول الألم، واعتذر "فريد":

- معلش آسف يا باشا.. ده إنت حالتك متأخره أوي.

- إنت بتفول في وشي يا بني آدم!

- يا باشا ده إنت باشتنا بعد الشر عنك وألف حمد لله على السلامه، نورت "مصر".

تنهد الرائد "هشام" وهو يطيح بالرجل ليجلس متألمًا:

- نورت مصر! يا بني آدم أنا راجع من حادثه.

- ومالو يا باشتنا ترجع بالسلامه براحتك والله مصر نورت.

بهدوء يسبق العاصفة تنهد الرائد "هشام" وقال:

- يا "فريد" هو إنت كنت فين قبل ما تتنقل المباحث؟

شرد "فريد" وهو يدخن سيجارة غريبة الأحشاء ليقول:

- يا باشا دي كانت أحلى أيام، كنت في إدارة مكافحة لامؤاخذه المخدرات.

- ولامؤاخذه ليه؟ ما المكافحه واضحه عليك أهيه.

- يا باشا إنت دايمًا كده بتقطمني؟

- هو أنا هاصاحبك؟ ركز معايا الله يحرقك.

أنهى "فريد" سيجارته وانتبه إلى طلب رئيسه:

- عايز تقرير بكل الحوادث اللي حصلت يوم واحد وتلاتين عشره اللي فات.

لم يحرك "فريد" ساكنًا وظل صامتًا يرمق الرائد "هشام" الذي كرر:

- فاهم يا "فريد"؟

- فاهم إيه سعادتك؟

- التقرير.

ظل "فريد" في حالة سكون قبل أن يتساءل في غباء:

- نهون؟

- يابني بقولك عايز تقرير عن الحوادث اللي حصلت يوم واحد وتلاتين عشره اللي فات.

- آمين.

قالها مطمئنًا الرائد "هشام".

- تغطس وتجيبلي كل الحوادث من شرق مصر لغربها.. فاهم؟

- آمين حضرتك.

- ساعتين تلاته والتقرير يكون على مكتبي.

شرد "فريد" لحظة وأعاد تساؤله:

- تقرير إيه سعادتك؟!

***

توتر السائق حال أحصنته التي أخذت تتقاعس تلبية لمليكها وهو على رأس هذا الموكب الذي يلاحقهم، ليقف "حلمي مهران" ويستدير إلى الخلف فيشاهد ذاك المنظر الغريب!! فلقد كان الفرعون على رأس عرباته الحربية يعدو في الطريق حاملًا نجليه "مالك" و"مليكا" على رأس هذا الموكب المكون من عشرات العربات الخشبية تجرها الأحصنة الملكية، لتخضع أحصنة "عاطف" لأجدادها، وتتقدم تلك الأحصنة الملكية بمليكها على رأس تلك العربة الذهبية، ليرمق "حلمي مهران" هذه الملكة الفاتنة بجوار زوجها، التي تشبه إحدى ممرضات المستشفى!

ظلت أصوات أقدام الأحصنة تهز المكان، بينما كانت عجلات المركبات الحربية تدهس الجميع، حال تلك العربة المقتربة إليهم لتحطمهم، لينظر "حلمي مهران" إليها بخوف قبل أن يلاحظه قائدها ذو العباءة الداكنة، ليفاديه ويقترب هذا الكاهن الأعظم من مليكه بينما ظل "حلمي مهران" يحاول تمييز ملامحه، إلا أن غطاء رأسه حال دون ذلك ولكنه كان متيقنًا من لون عينيه وقدمه اليمنى!

***

دخل الدكتور "صلاح" يعرج بقدمه اليمنى إلى غرفة "وعد" بجانب والدتها وليشرع في تجهيزها نفسيًا لتلك الأيام القادمة:

- صباح الخير مدام "وعد" ها.. جاهزه؟

- لأ.

قالتها "وعد" رافضة، لتحاول أمها دعمها حال الدكتور "صلاح":

- عمومًا إحنا النهارده هانبدأ نعمل حبة فحوصات روتينيه مفيهاش أي قلق، ورئيسة التمريض نفسها هاتبقى مع حضرتك.

قالها قبل أن تدخل أميرتهم مبتسمة لتتابع عملها! لتبدأ "وعد" مرحلتها الأولى في هذا الطريق الشاق لمعالجة عقلها، بينما كان قلبها لا يزال حائرًا بين زوج لا تعرف إن كانت ظلمته أم ظلمها، بل وحبيبًا كذلك! فلقد كان "فؤاد" الآن ينهار لا يستطيع تعمد كسر "حنان" التي أعطته كل ما تملك، إلا أنه يمكن أن يجزم أنه لن يستطيع تقبل نسيان "وعد" إلا في حالة واحدة لم يكن يتمناها! فطالما هي حية ترزق سيرفض "فؤاد" التضحية بها، نعم فكر "فؤاد" بأنانية، بل بقلب لا يستطيع نسيان الحبيب، وإن تقبل نسيانه كميت، ليزيد مرض "وعد" من صعوبة أفعاله، فهو مشفق عليها، قلق، مفطور قلبه على مرضها، يحارب لحياته، ولكنه سيستسلم في لحظة حال موتها، ليتقبل حينها "حنان" كمسكن لنسيان صديقتها. لم يكن هذا قلب "فؤاد" الطاهر، فلم يكن (هو) "قديسًا" قط، بل كان بشريًّا خالصًا، يحتاج الخطأ ليعلم طريق الصواب، ولكن في هذا الطريق بات يهدم كل ما بناه السنين الماضية، فلنشفق عليه فإنه بات يدفع الثمن غاليًا.

***

وصل "حلمي مهران" مع "أمنية" إلى طريق الكباش عند مدخل معبد "الكرنك" لتُظهر هي علامات الشفقة عما يحدث له، ليكره "حلمي مهران" تلك النظرات:

- أنا مش مجنون يا "أمنية" أنا شفته بعيني.

قالها بعصبية، لتقف "أمنية" في احتواء لتقول:

- "حلمي" أنا مقلتش حاجه، أنا بس خايفه عليك.

- لا يا ستي، خافي إنتي على نفسك.

- "حلمي" إنت وعدتني.

قالتها بعتاب أحرجه، ليتذكر هو ما وعد به منذ ساعات ليعتذر قائلًا:

- آسف.

- بدايه كويسه، كده تقدر تعتبر نفسك مع مرشده سياحيه، وده يا سيدي طريق الكباش.

ابتسم مستمتعًا، لينظر بشيء من الرهبة إلى كل تلك التماثيل الصغيرة التي تماثل أبا الهول، بجسم أسد ورأس كبش ، فلقد كان هناك عشرات من التماثيل على جانبي الطريق الترابي كلها ترمقه في غضب، فلقد بُنيت لتحمي المعبد من المتطفلين على "آمون رع"، وكأن "حلمي مهران" جاء ليدنس قدسيته! تمثال تلو آخر ونظرة تلو الأخرى والغضب حي يرزق بين ضلوعها الصخرية، حتى كاد "حلمى" يستشعر نبض قلوبها الغاضبة، وهي تعتلي قواعد مرتفعة التي نُحت عليها اسم "رمسيس الثاني" قبل أن يسجل أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين اسمه على بعضها. هرب بأنظاره إلى هذا الصرح الضخم من بعد تلك الكباش والذي يبلغ ارتفاعه أكثر من أربعين مترًا ولم يكتمل بناؤه بعد!!

دخل "حلمي مهران" من الفناء الكبير الذي يرجع للأسرة الثانية

والعشرين ويتجاوز طوله الثمانين مترًا ويُقاوم على جانبيه صف من الأساطين البردية الضخمة ذات التيجان المبرعمة، بجانب مجموعة من الكباش التي تعكس بقايا الطريق القديم، ليجدا على اليسار ثلاث مقاصير شيدها الملك سيتي الثاني لثالوث طيبة المقدس للإله "آمون رع" والإله "موت" والإله "خنسو" وسماه "المعبد العظيم لملايين السنين"!

تحركا سويًا هنا وهناك، ووجد "حلمي مهران" تمثالًا كان يعرفه، فهو يشبه ما كان يعبر بجانبه وهو في طريق العمل.

- ده رمسيس؟!

ضحكت "أمنية" وقالت:

- مش بالظبط، ده رمسيس التالت.

- طبق الأصل رمسيس بتاعنا والله.

بسخرية قالها، بينما مرا بجانب هذا المعبد الذي بدا أقل شأنًا وسط تلك المنظومة، والذي بناه رمسيس الثالث بعدما ظن أن العمل في هذه المنطقة قد انتهى ليدمج معبده مع إضافات متوالية للمعبد الكبير ويؤلف معها وحدة معمارية واضحة.

من بعدها تحركا سويًا إلى الفناء المكشوف ذي الستة عشر عمودًا التي شُوهت، ليتابعا متناسيين كل ما كان يحدث، ويتابع تلك الآثار عن اليمين وعن الشمال. ساعات طويلة من الاستمتاع والبحث مرت كلحظات حتى توقف كلاهما عند تلك الغرفة المظلمة ذات الباب الحديدي الذي كان يحبس غضبي، حيث كانت روحي (أنا) بالداخل تنتظر لحظة الخروج في الميعاد المكتوب. شعر "حلمي مهران" بما تحمل الغرفة من قوى، ليتساءل:

- هي الأوضه دي إيه؟!

- لأ بلاش!

- مش فاهم!

- صدقني بلاش.

قالتها وشرحت "أمنية" لـ"حلمي مهران" أسطورة نهاية العالم وما سيخرج منها في غضب، ليلمح "حلمي مهران" تابعيَّ ممن كانوا هنا يتبركون بي داخل تلك الغرفة المظلمة، يغتابوني في صمت، يهابون غضبي ورياح أنفاسي الساخنة، قبل أن ألاحظ (أنا) هذا الرجل بالخارج الذي يتحرك في رهبة وهو ينظر يمنة ويسرة في حرص شديد، لأترك (أنا) عبيدي المخلصين وأخرج (أنا) من سجني متسترًا أسفل عباءتي الحمراء، لأتبع هذا الرجل في حالة نشوة، ليلاحظ "حلمي مهران" حركة هذا الرجل الخائف، ليتبعه في فضول، فلقد كان الخوف مسيطرًا على عقله، يستشعر الخطر! إلا أن "أمنية" لم تَرَه، ولكنها تتبعت "حلمي مهران" الذي كان يقطر الرجل وهو يشعر بنداء غريب له. كان الرجل أربعينيًّا، سمين الجسم، يرتدي بنطالًا قماشيًّا كاكيًّا مقيدًا بحمالات قديمة الطراز، مع قميص أبيض وضع عليه اسكارف غربي، حال القبعة البنية الشبيهة بالقبعات التي كان يرتديها مستكشفو غابات أفريقيا. بدا الرجل مريبًا وغريب الهيئة والأطوار. تحرك بين أسطوانتين و"حلمي مهران" يطارده، في حين أن الرجل لا يبالي له، فلقد كان يخشى ما هو أكثر جرأة، فلقد كنت (أنا) هنا أرمق الرجل يهرب مني مستمتعًا، فلقد استمتعت برائحة عرق خوفه كعادتي، لذا ظللت أتحرك في هذا الظلام الذي طفق يسود المعابد بخطوات متأنية، فما سيحدث الآن مقدس. ظن "حلمي مهران" أنه واهم، ولكنها كانت حقيقة بالفعل! فلقد كان الرجل يفر مني و(أنا) أتحرك بهدوء بحذائي الجلدي من جانب تلك البحيرة المقدسة التي لم ينقص ماؤها أبدًا حتى ذلك اليوم الذي ستحين فيه نهاية العالم، فهكذا تنبأ الأجداد، فلن ينقص ماء تلك البحيرة الصناعية من مائها المقدس إلا عندما تشير إلى النهاية؛ لذا ظللت أتأملها مستمتعًا بظلمة المكان، وقد خلا من السائحين في تلك الساعة المتأخرة وإن كان الرجل لا يزال يهرع مهرولًا مني وإليَّ؛ حيث يركض إليَّ هربًا مني، فأبتسم و(أنا) أرمقه يحاول التصرف بذكاء، وهو يتخفى من الجميع عداي.

تناسى "حلمي مهران" البشر وظل يتابع الرجل كالنداهة في شغف

قاتل، حتى أنه فقد "أمنية" وظلت تبحث عنه في الجوار. ظل الرجل يركض ومن خلفه "حلمي مهران" بينما أخرجت (أنا) من حزامي هذا الخنجر القديم منتشيًا برائحة سم تلك الكوبرا المقدسة التي تطهر الجميع من ذنوبهم، و(أنا) أتحرك بخطى ثابتة أسبق الرجل إلى قدره، لأصل إلى معبد أمي، وهو أفضل مكان لمعبد يحتفل بالميلاد الإلهي؛ حيث كان الفرعون يتوجه شرقًا من معبده إلى معبد "موت" في موكبه الخاص ليستمتع بهذا المنظر الخلاب من أمامي، حتى أني كدت أرى الفرعون هنا يجلس فوق عرشه مسرورًا وهو يزور زوجته التي فضل معبدها على المعابد جميعًا! لأظل (أنا) أتخيله يأتي محمولًا على أكتاف عبيده على هذا المقعد الذهبي يتقدم شوقًا إلى أمي وهي تنتظره على عرش نُصب لمثل هذا اليوم من أمام هذا الهلال المقدس، حتى يصل الفرعون ويقف لحظة ليستنشق هواء ملكه، تاركًا توأمه الذي أنجبته له الأم مؤخرًا، ليترجل من الموكب على ظهور هؤلاء العبيد الذين تراصوا أمام سيدهم الأكبر، وقامت له "موت" في شموخ، فـ"رشيقة هي رغم قصرها"! فهي ملكة نساء المصريين، ليدنو منها فرعون في ود وتقدير ليشاطرها هذا العرش الذهبي المطرز بذلك النسيج البنفسجي من الحرير، بينما كانت تلك التماثيل للبؤات في كل مكان تحرسهم من شر العدو، وهم يشاطران التأمل لهذا الهلال المقدس، تلك البحيرة الطاهرة التي أرمق ليلها (أنا) الآن!

بينما كان "حلمي مهران" هناك متسمرًا، فلقد شاركته للتو رؤياي، ليظل يرتعش من هول ما رآه، فلقد أيقن أنه قد فقد عقله، حتى رآني هناك بعباءتي الداكنة، فلم يمتلك إلا الاقتراب، ليدنو من مكاني في مركز الهلال، حتى انتبه إلى هذا الرجل الذي ظل يهرب مني خوفًا، وإن كان يركض تجاهي، تعجب من جهل الرجل الذي ما فتئ ينظر خلفه وهو يقترب مني، ماسحًا عرق جبينه، فلقد خارت قواه، من كثرة الهرولة من الصرح الأول إلى هنا، لأستقبله (أنا) بخنجري الذي أودعته في قلبه بيساري، ثم أرفع (أنا) يدي رافعًا جسده الثقيل معها، ويظل "هجرس" يتألم وروحه أصبحت تستعد للرحيل، لينظر "هجرس" في عينيَّ من خلف قناع اللبؤة الذي اخترته دون غيره،

ليعرفني من فوره قائلًا:

- "عياش"!!!!

بصعوبة رددها، قبل أن أريحه (أنا) بحركة خنجري داخل صدره ليلفظ أنفاسه الأخيرة، بينما ظلت روحه تقاوم، فلم تكن تريد مغادرة هذا الجسد النجس، فهي تعرف مستقبلها، وإن كنت قد حاولت بيدي أن أطهر منها الدنس، لتتألم فأستمتع بثأري و(أنا) أقر عيني برعشة قدمه الأخيرة قبل مغادرة تلك الروح المكان، ولم يبرح "حلمي مهران" من مكانه أمامي عاجزًا عن النطق، ظانًا أنه واهم، ولكني بالفعل كنت حقيقة!

فأنا الراوي العليم الذي يسرد كل الوقائع والأحداث منذ لحظة مغادرتي عالمكم، ولا زالت عيناي هاهنا تبصر ما تعمهون!

***

(12)

نظرات الاحتقار سادت المكان بعدما دافعت (أنا) عن تلك العائلة التي احتضنتني في الغربة، لم يفهم أي منهم هذا الألم الذي كان يحاصرني طوال العمر، مكثت أرمقهم وهم يعاتبونني متناسين ما قصوه عليَّ طوال الساعات الماضية، فلقد كشف كل منهم سره وفُجره وفضيحته، ولم أعلق (أنا) على أي منهم، بل ولم أبالِ لحكاياتهم النجسة، لتزداد كراهيتي لهم، ليطلب مني الدكتور "علي" إكمال ما لم أبدأه اليوم، لأتردد (أنا) قليلًا قبل أن أتخذ قراري، فلن تفيدهم إفادتي شيئًا، فلن أترك ثأري أبدًا ممن يسخر من علتي! لأكمل (أنا) قصتي المشوقة، فبعدما كشف "جون" وجماعته لي هذه البردية لم أستطع النوم لأيام وأسابيع، بل وشهور، فلقد كانت معقدة، بل وخارقة الغموض، إلا أني استطعت أخيرًا الوصول لبعض المعادلات التي (قد) تؤدي إلى نتائج إيجابية، ولكنني كنت بحاجة إلى النزوح لمصر، لأبدأ التنقيب في تلك الإحداثيات التي (قد) تؤدي إلى حلول صحيحة، توجهت بطلبي إلى "جون" الذي فاجأني:

- فلتسافر إلى مصر إذن.

- ولكنني سأحتاج إلى التنقيب والحفر في أماكن عديدة.

- لا تقلق أخي، سأدبر لك كل ما تحتاج من دعم، هكذا عهدك بنا، وهكذا يستحق ذكاؤك وولاؤك.

تعجبت لموافقته السريعة لأضيف:

- "جون"، سأحتاج المكوث هناك لمدة طويلة قد تصل إلى شهور عديدة.

- للأسف سأفتقدك، فلن أستطيع التواجد معك، دون ذلك لا داعي لقلقك.

- وعملي هنا؟

- صديقي.. فلتصنع التاريخ، ولا تكترث لتلك الساعات البالية التي تنزفها دون فائدة، فوقتك أثمن لدينا من الذهب.

شعرت بفخر شديد، وإن كنت لا أدري ما منع "جون" من القدوم؟! لأنتظر (أنا) ما سيقوم به أخي لتلك المهمة، وإن علمت بعد ذلك، أنه اتصل بهذا التاجر المسؤول عن تهريب كل تلك الآثار التي وصلتنا في ٢٠١٢، فلقد كانت سنة هامة لنا؛ حيث استطاع هذا الرجل الذي يدعى "أدهم الجوهري" من بيع الكثير من تاريخ بلاده مقابل حفنة من النقود، ليصبح من رجالنا المخلصين منذ ضمته لصفوفنا زوجته الجميلة "دنيا"!!

- أهلًا "أدهم".

قالها "جون" عبر الهاتف عن طريق "الفيس تايم"! ليبتسم "أدهم" عند سماع صوته يجلجل في مكبر صوت سيارته المرسيدس وهو يقودها بجانب "ماجي" .

- إزيك يا خواجه "جون"؟

- هل أستطيع أن أطلب المزيد من الخدمات؟

- بالطبع تقدر.. ههه، هو أنا عندي أغلى منك؟

مبتسمًا لـ"ماجي" أجاب "أدهم" ليكمل الرجل:

- أريد التواصل مع هيئة الآثار المصرية.

- هاتراجع على شغلي ولّا إيه يا خواجه؟

ساخرًا علق "أدهم" ليكمل "جون" بجدية مطلقة:

- سأبلغك بالمزيد من المعلومات فور تحديد رجلك هناك، فسنرسل بحملة عظيمة إلى مصر.

- حمله؟!

- (فقط) جد لي هذا الرجل الأمين.

كانت تلك هي كلمات "جون" الأخيرة قبل أن يغلق "أدهم" مشتمًا تلك الرائحة لأكبر صفقة في تاريخه، لينظر إلى "ماجي" في حالة دهشة وشغف ليقول:

- ونجيب حد في هيئة الآثار ازاي؟ دول لو شافوا إسمي بس هايبلغوا عني.

ابتسمت "ماجي" بدلال لتعقب قائلة:

- طيب وهو أنا لازمتي إيه بقى؟!

- مش فاهم!

- يعني كلم الخواجه قوله راجلك جاهز.

قالتها "ماجي" حينذاك بثقة، حفرت بها هذا المشهد في ذاكرتها، لتعيده إلى عقلها الآن من داخل زنزانتها الموصدة وهي بجانب زميلتها تقص عليها الأحداث لتقول مندهشة:

- وإنتي تاجرتي في الآثار يا هبله؟!

- أنا تاجرت في كل حاجه.

صمتت لحظة، ثم تحركت ناحية باب سجنها الصدئ لتتابع:

- مش هاتبقى أغلى مني، اللي يبيع نفسه ممكن يبيع أي حاجه.

شعرت زميلتها بمصداقيتها وإن لم تكن تتخيل أن يكون دفاعها مشينًا إلى هذه الدرجة، لتنظر لها "ماجي" قائلة:

- بس برضه مقتلتش، لو كنت عايزه أقتل كنت قتلت من زمان.

متذكرة أحداث "الوحي" قالتها، ثم تابعت:

- لو كنت قتلت، صدقيني مكنتش هاحتاج أبيع نفسي.

- طيب وإنتي عرفتيهم بمين في هيئة الآثار يا أروبه انتي؟

ضحكت "ماجي" قائلة:

- عرفتهم بشيطان زيي، موظف مستعد يبيع أي حاجه عشان يقبض التمن، دكتور أد أبويا، كان بيشتغل معانا من زمان، وكان عامل تسعيره لكل حاجه عنده.

بالفعل كان هو كذلك، فلقد كان ماديًّا جشعًا، متطلعًا للمزيد في كل خطوة، يمتلك هذا النهم الذي يمتع ضعفاء النفوس، فلقد كان

الرجل مزورًا محترفًا، ينسب التاريخ إلى من يدفع ثمنه، وبالطبع كان هذا الرجل من رجال "ماجي" الأساسيين في تزوير الكثير من التحف التي كانت تبيعها من ظهر "أدهم"، ولقد كان الرجل يتخذ من علمه ووظيفته ساترًا لعمله.

- طيب وده كان في هيئة الآثار؟

تساءلت زميلتها في فضول لسبب ما جهلته "ماجي"!! التي أجابت بالإيجاب قبل أن تضيف اسمه:

- وكان إسمه "هجرس الزيات"!

***

من المستشفى ظل الدكتور "صلاح" يتحدث مع "وعد" التي أنهت للتو تحاليلها الأولية لتسأله:

- أنا مش فاهمه إزاي حضرتك مستسهل العمليه، دي في المخ!

- إطمني يا "وعد" وخليكي مؤمنه.

علقت "إيمان" والدتها، ليتدخل الدكتور "صلاح" مجيبًا:

- ماتخافيش، كل حاجه بالعلم ليها علاج، الدنيا إتطورت خالص.

- يا دكتور دي العربيه اللي من صنع البني آدم، بتعطل أحيانًا وبنبقى عاجزين عن تصليحها، فما بالك بجسم الإنسان!

بيأس قالتها "وعد"، ليتابع الرجل:

- يا فندم زي ما ربنا أعجز في خلق البني آدم، وصلنا كتير من العلم اللي يساعدنا في فهمه، واللي كان مستحيل امبارح بقى ممكن النهارده، إسأليني أنا، ده أنا عمري سبع تلاف سنه.

ظنوه ساخرًا فابتسما في جهل:

- يا رب يابني يسمع من بوقك ربنا.

علقت "إيمان" ممسكة بابنتها المتسألة:

- طيب لو الورم ده اتشال هابقى طبيعيه ولّا هاينقصني حاجه؟

- أولًا إحنا بنتدخل بسرعه عشان كده، عشان نلحق بدري نشيل الورم من غير أي ضرر، ثانيًا بقى أنا هاقولك حاجه غريبه جدًا عن مخ الإنسان.

تناست "وعد" لوهلة مرضها لتستمتع بفضول:

- الإنسان مابيستخدمش من مخه غير نسبه ضئيله جدًا، ولو الواحد قدر يستخدم سعه أكبر من مخه ممكن يعمل المستحيل.

- ويعمل إيه عشان يقدر؟

- دي حاجه مايعرفهاش غير ربنا، ممكن بتيجي في صورة هبه من ربنا، وساعات في صورة تشوه جيني.

- سبحان الله!

متعجبة علقت "وعد" ثم أرسلت خيالها في مرضها وحالتها، لتحمل هم "وليد"، لتبدأ "وعد" تتساءل عن حالة والده "حلمي مهران":

- طيب وحالة "حلمي مهران" يا دكتور؟

- والله أنا قلتلكوا لازم يكون تحت الملاحظه.

- إنت يا دكتور استأصلت جزء في المخ، مش ورم!

- بلاش نسبق الأحداث لما تجيبوه أنا هاطمنك، بس طالما ماظهرتش أي أعراض سلبيه يبقى غالبًا خير، إهتمي بصحتك إنتي دلوقتي بس وماتخافيش على أستاذ "حلمي".

- زي ما الدكتور قالك يا "وعد" خليكي في نفسك دلوقتي، واطمني على جوزك، وإن شاء الله العمليه تخليه يستخدم مخه كله ومايحتاجش حاجه.

قالتها الأم ساخرة، بينما ظلت كلماتها تثير فضول الدكتور "صلاح" الذي شرد كثيرًا في حالة "حلمي مهران" الغامضة والذي كان الآن في عالم آخر بالفعل!

حيث كان "حلمي مهران" لا يزال منقبضًا لا يستطرد في الحديث، منذ وقع مغشيًا عليه في المعبد! ظن أنه واهم وإن كانت الرؤية

صحيحة، فلقد كان يجهل أن العقل البشري يستخدم فقط تلك النسبة الضئيلة التي ذكرها الدكتور "صلاح" للتو، وإن استطاع الإنسان توسيع مداركه قليلًا لربما وصل إلى الكمال؛ لذا حجب الخالق عن الجميع ما خلق من إعجاز ليحد من ذكاء الجميع، إلا أن هناك من تسعفه الأقدار للوصول إلى المزيد من خلايا عقله!

- ماتخافش يا "حلمي" أنا معاك.

قالتها "أمنية" وهو يستند عليها مشيًا إلى الخارج، ليذهبا إلى مكتب مباحث الأقصر ويستقبلهما مأمور المباحث الثلاثيني بالترحاب بعد توصية زميله الرائد "هشام".

- يا سيادة المقدم أنا تحت أمرك من غير حاجه، والرائد "هشام" أفضاله علينا.

ابتسم "حلمي مهران" دون أن يجيب ليتعجب الرجل من صمته، لتتدخل "أمنية":

- معلش يا فندم ده من عشمنا في حضرتك والله.

استطاع "حلمي مهران" استغلال منصبه الحالي قبل إيقافه عن العمل، ليضغط على الرجل ليأخذ ما عنده من معلومات، وإن ظل يرمق مكتب المأمور الدافئ الذي يعكس حضارة مختلفة، فتشعر وكأنه متمسك بالأرض بطريقة ما يتحدى الطبيعة، فالأرضية خشبية قديمة، ظل "حلمي مهران" ينظر إليها وهو يرى أشجارها الميتة في أوروبا حين ذُبحت لتُعالج وتصدر إلى هذا المكان الذي رفض تدخلها وتعديها على أحجاره لتجدها تحاول الفرار معلنة استسلامها وعجزها لينخر فيها السوس وتتآكل في صمت.

- حضرتك كويس يا أستاذ "حلمي"؟!

تساءل الرجل ليظل "حلمي مهران" شاردًا، لتتدخل "أمنية" مرة أخرى:

- معلش أصل جتله ضربة شمس خفيفه في الكرنك.

ضحك الرجل متقبلًا حجتها، بينما لمح "حلمي مهران" كذبها في

رفض، قبل أن يدخل أحد مساعدي المأمور بهذا الملف الذي ما انفك "حلمي مهران" ينظر إلى ما في داخله في قلق، فلقد كتب عليه اسم هذا القتيل الذي قتل عند الهلال المقدس وهو "هجرس الزيات"!

***

دخل "فريد" مكتب الرائد "هشام" في حالة من السعادة وهو يحمل تلك الملفات التسعة، ليستقبله "هشام" في فضول:

- لاقيت إيه يا بني آدم؟

- بسم الله ما شاء الله يا فندم، الحمد لله تسع جرايم يا فندم، اللهم يزيد ويبارك، والله إنت إبن حلال وتستاهل كل خير.

ابتسم الرائد "هشام" لخفة ظل مساعده وقال:

- طيب تعالى إترزع ووريني.

بدأ "هشام" يبحث في تلك الجرائم التسع في حالة من الفضول؛ حيث تجمعت في إدارته معلومات مختصرة عن كل الجرائم التي وقعت في كل ربوع مصر، ليميز من بينها بسهولة القضية الأولى التي كُتب عليها "هجرس الزيات – الأقصر"، ليبدأ الرائد "هشام" قراءة ملخص القضية التي لم تضم الكثير من المعلومات التفصيلية، ولكنها كانت تؤكد ما رآه "حلمي مهران" في خياله المريض، إلا أن هذا الملف الذي بيد الرائد "هشام" كان ينقصه الكثير مما عرفه "حلمي مهران" الآن، إذ لم يكن تقرير الطب الشرعي مرفقًا به. تابع الرائد "هشام" القضية الثانية والتي كانت لهذا الزوج الذي تمكنت زوجته قتله ببطء عن طريق هذا السم الموضوع في طعامه بصفة يومية، وأخذ يموت يومًا بعد الآخر، حتى انتهى عمره في هذا اليوم المشؤوم، ومن ثم تابع "هشام" تلك القضية الثالثة، لامرأة قُتلت على يد بعض اللصوص بعيار ناري عند منتصف الليل، ومن ثم وصل أخيرًا لملف "أدهم الجوهري" الذي عرفه من فوره ليضع الملف إلى جانبه وتابع القضية التي تليها وكانت لمقاول ما قُتل على يد عاهرة قبل أن تسرق منزله باسم "هاشم السباعي"!

***

رمق "حلمي مهران" هذا التقرير بترقب وليزداد هلعه، فلقد كانت وفاة "هجرس الزيات" هي في الرؤيا التي تخيلها في المعبد بكل تفاصيلها، ليدرك أنه شهد للتو ما حدث بالفعل مما يقارب العام، ليتساءل كيف يرى تلك الرؤى، أو من الذي يرسم في عقله تلك الخيالات؟! تابع قراءة صفحة تلو الأخرى، حتى وصل إلى سبب القتل، ليطفح به الكيل ليقول في حدة:

- يعني إيه سرقه؟!!

أحرجت "أمنية" من انفعال "حلمي مهران" الذي زاد متابعًا:

- مين هايسرق عضو هيئة آثار في معبد أثري بعد نص الليل، وهايمشي وراه بدل الكيلو عشره؟! وبعدين هو اتسرق منه كام يعني؟

مدافعًا قال مأمور المباحث:

- خمس تلاف جنيه.

- وهو راجل زي ده هايمشي بالمبلغ ده ليه؟ ده موظف!

- والله دي شهادة زمايله في الشغل.

- طيب وفين الحرامي ده؟ اختفى؟

- والله زي ما حضرتك شايف جاري البحث عنه.

- يعني القضيه إتقيدت ضد مجهول! بذمتك إنت مصدق نفسك؟!!

قالها "حلمي مهران" متهكمًا.

- حضرتك بتعلي صوتك ليه؟ أصلًا إنت داخل هنا مجامله.

بتوتر قالها الرجل خاطفًا التقرير، لتهدئ "أمنية" من روعه متمسكة بالتقرير:

- معلش يا فندم حضرتك نسيت ضربة الشمس ولّا إيه!

- آه صحيح، معلش.

اعتذر الرجل وترك لها الملف لتفتره، بينما تابع "حلمي مهران"

رفضه لما يقرأ من تزوير.

- طب وفين أداة الجريمه؟ ازاي مش موجوده؟ دي كانت موجوده، أنا متأكد.

كان "حلمي مهران" قد صار متأكدًا من رؤياه، ليزيد من قلق المأمور:

- يا سيدي وإنت إشعرفك؟ أنا مش فاهم في إيه!

قالها بتعجب، بينما كانت "أمنية" تمسك بهذا التقرير القادم من الطب الشرعي.

- أنا شفت بعيني كل حاجه، شفته وهو بيتقتل.

صمت "حلمي مهران" بعدما استطاع جذب انتباه "أمنية" فتركت تقريرها ونظرت له حال الرجل، ليكمل:

- وشفت الخنجر اللي في قلبه وشفته وهو بيقتله، وشفت عينه!

توتر الرجل الذي أخذ ملف القضية من يد "أمنية":

- واضح إنكوا هاتورطوني في مصيبه، أعتقد كده أنا جاملت الرائد "هشام" بما فيه الكفايه يا ريت تبلغوه تحياتي.

اضطرت "أمنية" للانصراف مع "حلمي مهران" فمكث شاردًا وهما يتحركان في تلك الردهة الخارجية، بينما كنت (أنا) معه أراقبه بصمت وهو يتحرك بخطوات مرهقة في الردهة من أمامي حتى انتبه إلى تلك اللوحة الموضوعة في نهاية الممر لأبي! الذي كان يلحظني من خلفه بفخر، لتبدأ أشعة الشمس الحارقة تخرج من هذا الإطار في غضب لتجبر "حلمي مهران" على السجود، ليلمح انعكاس عينيَّ من خلفه على زجاج اللوحة قبل أن ينفجر هذا الزجاج من سخونة تاج أبي! هذا التاج الذي زينته الشمس، ليظل "رع" ينظر إلى "حلمي مهران" الساجد أمامه دون حول ولا قوة، ينزف الدماء من وجهه وأسفل العيون المزيفة!

***

وصل الرائد "هشام" إلى هذا الاستنتاج في شك وريبة وهو يقرأ التقرير المختصر، عن تلك الجريمة لهذا الرجل الذي قُتل في شركته بسلاح أبيض، اخترق قلبه بحرفية غريبة، ليتصل بـ"حلمي مهران" وقد حملته "أمنية" إلى خارج مبنى المباحث بمساعدة بعض العساكر، فأجابت هي نيابة عن "حلمي مهران" المستلقي أرضًا:

- أهلًا أستاذ "هشام".

- "أمنية"؟!

اندهش الرائد "هشام".

- معلش يا فندم "حلمي" تعبان شويه.

تذكر الرائد "هشام" ذراعه ليمسكها في قلق قائلًا:

- تعبان ازاي يا "أمنية"؟

خطف "حلمي مهران" الهاتف فجأة بعدما توقف في لحظة متناسيًا علته ليقول:

- ولا حاجه بيقولوا عليا اتجننت.

ضحك الرائد "هشام" وقال:

- "حلمي"! والله يا صاحبي أنا شايفك عقلت، إنت كويس؟

- عمري ما هاكون أحسن من كده.

اندهشت "أمنية" حين أشار "حلمي مهران" إلى تاكسي، لتتحرك "أمنية" بعده في تعجب، بينما تابع الرائد "هشام":

- طيب الحمد لله، إسمع بقى دي، مقتل صاحب شركة مقاولات في بيته بسلاح أبيض.

- إسمه إيه ده كمان؟

- "هاشم السباعي".

- وطبعًا السلاح مش موجود.

علق "حلمي مهران" بثقة، ليتوقف الرائد "هشام" مندهشًا ليقول:

- عرفت ازاي؟!

- مش مهم، المهم مين لبس القضيه؟!

- واحده مومس.

ابتسم "حلمي مهران" وشعر أنه قد وجد طرف الخيط:

- واتمسكت؟

- ما هي دي المشكله، القضيه متقيده ضد مجهول.

قالها الرائد "هشام" ليعود "حلمي مهران" إلى نقطة الصفر قبل أن يتساءل هذا السائق المألوف:

- على فين؟

ظل "حلمي مهران" يرمق الرجل في اندهاش لتقول "أمنية":

- المحطه يا اسطى.

ابتسم الرجل إلى "حلمي مهران" الشارد وهو ينظر إليه عبر مرآة الزمن ليقول "عاطف" أخيرًا:

- ولو عايزين تروحوا مصر!

***

(11)

لم أكن أعلم أن الجميع يعلم من هو "أدهم الجوهري" و(أنا) أقص تلك القصة، لأكتشف للتو أني قد فضحت شخصًا معلومًا لهؤلاء الحضور، فلقد كانو ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم في تلك الجلسة المشؤومة للسايكودراما من داخل عيادة هذا الطبيب النفسي "علي" تعامل مع كل تلك الفضائح ببرود متناسيًا طبيعة مجتمعنا الشرقي، ولأبدأ (أنا) أفكر في كل تلك المعلومات التي كشفها الشيطان في تلك الغرفة المظلمة، ويعترض عقلي على هذا العلاج، عندما أحطت علمًا لتوي بأعراضه الجانبية التي قد تهدم المجتمع كله.

- وبعدين حصل إيه؟

تساءل الدكتور "علي" بعدما قصصت عليه قصتي مسبقًا وكأنه يستمتع بكشف المستور، لأبدأ (أنا) في متابعة حكايتي، فلقد استطاع رجال "جون" في "مصر" تعريفنا بـ"هجرس الزيات" عضو هيئة الآثار الذي تواصلت جماعتنا معه من خلال جامعتنا لإرسال بعثة استكشافية لأكون (أنا) على رأسها باعتباري مصري الجنسية ومن أهم رجال هذا العلم الذي يجهله الجميع، ليستطيع "هجرس" تمرير كل الموافقات لبعثتي بشرط رخيص، هو أن تدفع تلك البعثة مقابل كل أبحاثها وخدماتها وألا تتحمل هيئة الآثار أي ماديات، وبالطبع كان هذا ثمنًا بخسًا مقابل ما كنا بصدد اكتشافه لأبشر (أنا) "صدفة" بهذا الخبر، لتغضب مني كثيرًا فلم تكن تريد المكوث وحيدة بألمانيا، فلقد أدركت أني قد أستمر في مصر لشهور طويلة، لتشترط هي مرافقتي مع ابننا الذي نظر لي قائلًا:

- ماتمشيش يا بابا.

لم أستطع تركه وهو ممسك بهذا الدب الصغير الموضوع فيه كاميرا صغيرة ترسل بمحتواها إلى حسابي الرقمي، حتى أطمئن على عدم تكرار علتي معه، لأظل أراقبه طوال ساعات اليوم حتى وهو نائم في غرفته وحيدًا.

قررت أن أصطحب ابني "رمزي" وزوجتي "صدفة" معي إلى مصر،

بلد الأجداد، لأودع (أنا) "جون" صديقي وأصل مع "صدفة" وابني إلى القاهرة ليستقبلني "هجرس الزيات" بالترحاب (أنا) ومن معي من الألمان في تلك البعثة التي استمرت شهورًا، استطعنا فيها الكشف عن الكثير، وإن لم نصل إلى غايتنا في البداية.

ولكني كنت قد شعرت باقترابي، حين وصلنا أخيرًا إلى تلك المنطقة الساحرة التي كشفتها (أنا) لهم، لنبدأ التنقيب يومًا بعد يوم مستكشفين أغرب نتائج، فلقد كنا في منطقة ملعونة، حرستها تلك اللبؤة الغاضبة، ففي كل يوم نجد تمثالًا للإلهة "سخمت" ابنة "رع" سيدة الخطوط الحمراء وعيونها التي تجسد آلهة الانتقام. كنا في بعض الأحيان نعثر لها على عشرات التماثيل من الجرانيت الأسود، ليفهم صفوتنا أن تلك اللبؤات تحرس شيئًا ما خطيرًا، وكنا نتمنى أن يكون ما تحرسه هو ما نبحث نحن عنه! حتى جاء هذا اليوم الذي زاد حفرنا فيه عمقًا، ليتصاعد غضبها ويتعالى زئيرها الذي سمعه الجميع، حيث بدأت مواقع الحفر تتهاوى، وتساقط من رجالنا الكثير داخل تلك الفوهات العميقة التي كنا نحفرها، وسط هلع الجميع، لأخرج (أنا) من خيمتي، لأجد الجميع يهرب وسط الصحراء، عائدين لمدنهم بينما هرع الألمان إلى سياراتهم عائدين إلى بيت الألمان الذي كانوا يستقرون فيه، لأجد نفسي وحيدًا لا أزال أسمع صوت الزئير الذي أرهب الجميع، بينما أضاءت الحرائق عتمة الليل، لأشعر بها في المكان، ولكنها لم تَهَبْني، فلقد كنت (أنا) ربها، (أنا) منها وإليها، مكثت قائمًا وحيدًا أراقب المشهد، كما كنت أفعل أثناء طفولتي، أشاهد جمعهم في ذلك القبو، حين وزن هو قلبي الذي كان أخف من ريشتها، لتدخلني جنتها، وتكشف لي أسرارهم، كما حدث الآن عندما وجدت هذا الطريق الممهد بينهما، تمثالان للبؤتين تحملان مفاتيح الحياة، عبرت بينهما في ثقة مرضية، حتى وجدت تلك الغرفة الصغيرة قد أغلقت أبوابها على المنقبين، لأمشي (أنا) بين جثثهم في تماسك أذهلهم، لأجد هذا الجدار كُتب عليه الكثير من الرموز المؤقتة التي كتبت من أجلي (أنا) لأدونها في خيالي قبل أن تختفي عندما أغلقت تلك الفتحة أبوابها! بعدما سقطت أغلب مواقع

الحفر متحولة إلى مقابر جماعية لبعض العمالة اليدوية، وإن لم تثبت وفياتهم، فلم تكن عمالة رسمية، أم لعلهم لم يأتوا من البداية!

- يعني إيه ده؟! كان حلم ولّا حقيقه؟!

استمتعت (أنا) بفضولهم داخل جلسة السايكودراما وهم يتساءلون عن قصتي التي أحكيها لأجيب:

- لو حد منكوا متابع أو دخل على الإنترنت هايعرف إن الألمان وصلوا مصر من فتره ونقبوا ولقوا أكتر من ١٥٧ تمثال لسخمت فعلًا.

- يعني دي حقيقه؟!

ابتسمت (أنا) وقلت:

- يمكن!

- يعني إيه يمكن؟!

تساءلت المرأة في استياء، والفضول يقتلها:

- كل تاريخ مصر مخيف، محتاج حد بيفكر بسعه كبيره من مخه عشان يدرك الحقايق اللي قدامنا كلنا، بس قليلين جدًا اللي يقدروا يشوفوها.

قلتها (أنا) لأمتص فضولهم بشدة، فلقد باتوا يستمتعون بقصتي، ليشير إلي الدكتور "علي" لأكمل قصتي، بينما تساءل "ناصف":

- وكملتوا حفر؟

- العماله كلها مكنتش راضيه.

- ليه؟!

- كانوا خايفين من "سخمت".

توتر البعض.

- ازاي؟!

شردت وتذكرت ردود الأفعال تلك التي واجهتها بعثتنا، والتي مات منها الكثير، لتزداد الإشاعات عن لعنة "سخمت" التي اكتشفت أن

حولها الكثير من الأساطير، فلقد كان المصريون البسطاء يلقبونها بـ"أمنا الغولة" التي تخطف أطفالهم، لأسمع (أنا) مئات القصص حول هؤلاء الفلاحين الذين ابتلعتهم الأرض بأمر من أمنا الغولة "سخمت"، حتى بدأت أشعر بتلك اللعنة بالفعل وهم يسخرون من اليوم المشؤوم مطلقين عليه "يسخمت يومك" حتى بدأت أتناسى تلك المعلومات التي دونها عقلي لأكتبها برموز معقدة في إحدى أوراقي قبل أن أصل إلى "هجرس" طالبًا منه المساعدة:

- "هجرس" العماله هنا بقت مستحيله.

- يا باشا ما هو حضرتك شفت بعينك إتخطف منهم ياما.

بالفعل كان هناك إثبات عن مقتل بعض العمالة في تلك المواقع المحفورة، وزاد من رهبة البقية اختفاء جثثهم، وكانت الحجة هي غرقهم في بحور من الرمال!

- حادثه يا "هجرس".

- يا باشا البلد هنا بتخاف من أمنا الغوله، فما بالك لما نلاقيها كل التماثيل دي، وكمان الأرض تبلع عمالتنا؟!

- إنت مصدق التخاريف دي؟!

- لأ بس قصدي إن مفيش عامل من هنا هايجلنا.

- يبقى هاتلي مقاول حفر من حته تانيه.

ابتسم "هجرس" ورد بهدوء:

- جاهز يا كبيرنا.

اندهشت من جاهزية "هجرس" لأسأل:

- مين؟!

بنظرة جشع أجاب "هجرس":

- "هاشم"......"هاشم السباعي".

***

الحادي والثلاثون من تشرين الأول ٢٠١٦

السابعة مساء.

من داخل غرفة "هاشم" بتلك الجارسونيره التي خصصها لملذاته بالشيخ زايد، الغرفة ذات الديكورات الكلاسيكية، حيث كان "هاشم" رجلًا أربعينيًّا متصابيًا، محدثًا للنعمة، وقد حاول كسر هذا الحاجز النفسي بالبذخ الذي عاشه سرًّا، ينفق بترفٍ على كل ما يمتلك، ليظهر وهو مستلقٍ على السرير شبه عارٍ ينتظر فتاة الليل التي جاء بها في تلك الجرسونيره بالشيخ زايد هروبًا من الدنيا، وبينما هو في سعادته رن جرس هاتفه بورود رسالة عبر الفيسبوك جاءت من حساب كان يعلمه بكل تأكيد، فهي قادمة من حساب "عياش" الشخصي! ويتوتر ويقف فجأة يقرأ الرسالة الواردة من حسابي:

"حانت الساعة........وجاء وقت الحساب"

توتر "هاشم" وأجاب كتابةً:

"إنت مين وعايز إيه؟!"

كتبها وهو يتصبب عرقًا، لتزيد من توتره الإجابة:

"شقتك حلوه"

قبل أن يجيب "هاشم" ورده من نفس الحساب مكالمة فيديو، لم يستطع رفضها، ليجد المتصل داخل شقته بالفعل!!

ظل "هاشم" ينظر إلى الفيديو الذي يصور صالون شقته دون كشف هوية المتصل، ليزداد هلعه مع اقتراب خطوات المتصل لردهة الغرف، ليغلق "هاشم" الهاتف ومن ثم الباب بسرعة مستخدمًا القفل ويتجه عاريًا إلى نافذة الغرفة، حيث كان بطابق أرضي علوي، ليقفز بهلع إلى أرضية الحديقة، حيث حاول الهرب مني وإليَّ، قبل أن أعاود الاتصال به مرسلًا تحياتي، حيث أرسلت له فيديو كان يعلمه جيدًا عن مقتل من أحب! وإن كان يجهل أنه قد صُور من قبل! لينفعل ويحاول الاتصال ببقية عصابته، قبل أن يسمع زئيري، لينظر أمامه ليجدني متوقفًا مبتسمًا له من خلف قناعي، وإن تعرف هو على عينيَّ من فوره،

ليسقط هاتفه، قبل أن يدنو مني متوسلًا في مهانة، لأرفعه (أنا) ليقف ويعتذر مني.

- والله أنا مكنتش عايز الموضوع يوصل لكده، صدقني أنا مليش دعوه ده كان "محمووووو....

كنت أعرف (أنا) من هو رابعهم، فلم أكترث لنطقه الحقيقة ووضعت خنجري الثاني في قلب الرجل فصرخ متألمًا كما تألمت (أنا) على فراق "قلب الحياة" ليظل هو يصارع سم خنجري يتوغل عروقه، لأترك (أنا) خنجري القديم في قلبه في رسالة مني إلى من يهمه الأمر! حتى جاء ملك الموت محييًا إياي ليستقبل هذا الزائر الجديد فرحًا قبل أن أنظر (أنا) لصورة تلك المرأة على زجاج الغرفة مبتسمًا لمساعدتها قبل أن أغادر (أنا) لتبقى هي!

هذا ما شاهده "حلمي مهران" للتو عند زيارته مكان الحادث، الذي أصر على زيارته رغم اعتراض الرائد "هشام" الذي استطاع الولوج إلى المكان مستغلًّا سلطته وإن كان الأخير يرغب في التوجه مباشرة إلى مكتب المباحث المسؤول عن الحادث، فلقد مرت شهور على الحادثة ولم يكن الرائد "هشام" يعرف ما يستطيع "حلمي مهران" إدراكه، حتى أمسك الأخير رأسه ووقع أرضًا في تلك الحديقة، لينتبه إليه الرائد "هشام" و"أمنية" قائلين:

- "حلمي" إنت كويس؟

ظل "حلمي مهران" مندهشًا وهو ينظر إلى انعكاسه في هذا الزجاج بالمرآة وكأنه قد رأى شبحًا، فلقد شاهد لتوه ما حدث في هذا المكان العام الماضي، حتى أنه شاهد انعكاس القاتل على الزجاج، بعباءته الحمراء وهو يطبق العدالة، ليظل يرتعش خوفًا من رؤيتي، فلقد كان يعرفني، فكنت (أنا) عمه وهو ابن أخي، كان مني و(أنا) منه، لأتركه لحاله حتى هدأ بعد دقائق، ليعلق الرائد "هشام":

- مش عارف ليه جبتنا هنا يا أخي، ما كنا رحنا مكتب المباحث علطول، ما رئيس المباحث نفسه مستنينا هناك!

في هدوء غريب أجاب "حلمي مهران":

- عندك حق.

اندهش كلاهما، فلقد عرفا عناد "حلمي مهران" إلا أنهما قد توقعا أنه قد رأى هناك ما تركه لنفسه، فلم يكترثا، فثلاثتهم في نفس الفريق، ليقف "حلمي مهران" قائلًا:

- يالا بينا.

تحرك "حلمي مهران" وهو يحاول نسيان ما رآه للتو في زجاج حديقة "هاشم"، لأبتسم (أنا) له مرة أخرى من انعكاسي بالزجاج، في تحدٍّ ليقع أرضًا، حال جميع الفانين، لتتوتر "أمنية" وتمسك به في قلق شديد، فلم يكن "حلمي مهران" طبيعيًّا بالفعل!

- لا إحنا لازم نروح المستشفى الأول.

- وده وقته يا "أمنية"؟

علق الرائد "هشام" ليتفق معه "حلمي مهران" قائلًا:

- فعلًا مفيش وقت يا "أمنية".

- لأ في، أنا مش هاستنى لما تروح مني.

قالتها بأنوثة لاحظها الرائد "هشام" ليتذكر ما وعد به الدكتور "صلاح" ليقول مبتسمًا:

- طيب خلاص أنا برضه محتاج أطمن على دراعي، بلاش ناخدها عافيه، مفيش حاجه لو رحنا متأخر شويه بس مركزين.

حاول "حلمي مهران" الاعتراض ولكنه كان بالفعل متعبًا من تلك الخيالات التي تلاحقه، ليتحركوا معًا بعدما أصبحوا فريقًا واحدًا، منذ أن انضم إليهما الرائد "هشام" عند وصولهما صباحًا إلى القاهرة في هذا القطار الذي استراح فيه "حلمي مهران" و"أمنية" برحلة عودتهما، فلقد كان كلاهما يحتاج للراحة، والآن جاء يوم جديد وقصة جديدة لاكتشاف مقتل ضحية جديدة تدعى "هاشم السباعي" وقد انتبه إليه الرائد "هشام" في تقارير حوادث هذا اليوم، ليتحرك ثلاثتهم وإن كانوا يجهلون أني كنت معهم، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) بالفعل رابعهم

أتابعهم من داخل انعكاس الزجاج!

لم يكن الرائد "هشام" يتمكن من القيادة بعد، فأشار إلى تاكسي قديم كان مارًا بالخارج، ليركب ثلاثتهم مع هذا السائق الذي رمقهم بابتسامة، لينتبه "حلمي مهران" إليه مندهشًا! بينما وجه الرائد "هشام" السائق إلى مكان المستشفى قبل أن يخرج سيجارة يشعلها ليبحث عن قداحة:

- معلش.. ألاقي معاك ولاعه؟

- طبعًا يا بيه، إتفضل.

- إسم الكريم إيه؟

- محسوبك "عاطف" من اسكندريه!

***

- أنا مش مصدقه نفسي يا "فؤاد"!

قالتها "حنان" من داخل شركة "فؤاد"، الذي ظهر عليه الإرهاق وهو يرتدي تلك النظارة الشمسية من داخل الشركة وكأنه يخفي شيئًا ما!

- المهم تكوني مبسوطه.

- يا حبيبي أنا مبسوطه طول ما أنا معاك، وعلى فكره يا "فؤاد" أنا مايفرقش معايا الجواز، اللي يفرق معايا إنت، أي حاجه تخليك جنبي تبسطني، أنا دوري في الدنيا إني أحتويك وأكون جنبك بأي طريقه وبأي إسم، أنا اتخلقت عشان أكون سند ليك مش عشان أكون عبء عليك.

قالتها "حنان" بحرفية قاتلة، فهي تعلم كيف يتهرب الرجال من المسؤولية، فالرجل عادة يكون كالطفل الصغير، يظل يبحث عن أمه التي تساعده في الحياة حتى يجدها من بين النساء وقد كانت "حنان" هي من تولته للتو، ليقول "فؤاد" بتلقائية:

- ده مش عبء يا "حنان" ده الصح والأصول.

- إنت الأصول يا "فؤاد".

- طيب خلاص، يبقى زي ما اتفقنا، الأسبوع اللي جاي نعمل حاجه على الضيق كده، لما بابا يجي، هو هايعد في القاهرة يوم واحد بس.

- اللي تشوفه يا حبيبي وأنا هاروح لـ"وعد" أطمن عليها وأعزمها، واضح إني ظلمتها معايا.

ظهر على "فؤاد" الضيق قبل أن يقاطع حديثهما مساعد "فؤاد" سمع تلك الجملة رغمًا عنه.

- أنا آسف يا باشمهندس، والله مكنتش أعرف إن في حد معاك.

- تعالى يا حاج ماتتكسفش مفيش حد غريب، زي ما إنت سمعت كده دي "حنان" خطيبتي.

ابتسم الرجل مستبشرًا وقال:

- يا ألف نهار أبيض يا ولاد، أهي دي الأخبار اللي تفرح ولّا بلاش.

- خلاص فرَّح الشباب كلهم، وإن شاء الله هانعمل حاجه على الضيق يوم التلات إن شاء الله.

- ربنا يفرحكوا ببعض ياولاد، بس خلوا بالكوا الجواز ده أهم قرار بيتاخد في حياة البني آدم، حتى الإنجليز دايمًا بيقولوا إن أهم تلات تواريخ في حياة البني آدم: يوم ميلاده، ويوم جوازه، ويوم موته.

- طيب خلاص يا حاج دوِّن عندك التلات الجاي هايبقى أهم يوم في حياتنا.

- وده هايبقى يوم إيه إن شاء الله؟

- يوم واحد وتلاتين عشره.

***

وصل ثلاثتهم إلى المستشفى في ترقب، ليشعر "حلمي مهران" بوجودي من حوله في المكان حيث كنت (أنا) هناك بالفعل أراقبه عن كثب حتى أعرف خطوته التالية، متوجهين إلى غرفة الدكتور "صلاح" في ثقة ليدخلوها سويًا قبل أن تلاحظ رئيسة التمريض وجودهم فانكبت إليهم قائلة:

- إيه المفاجأه دي!.. أستاذ "حلمي مهران" والأستاذ "هشام" مع بعض! لا ده أنا أبخر المكان بقى.

ابتسموا بينما ظهر على "حلمي مهران" التعب ليقول:

- فيكي الخير.. أمال فين دكتور "صلاح"؟

- هنا عند......

كادت تقولها قبل أن تدرك الحقيقة لتسكت، ليلاحظ "حلمي مهران" صمتها، ليتبع هو حدسه، تاركًا إياهم في حركة تلقائية يبحث عن آثار شيء ما، تلك الرائحة التي يحفظها عن ظهر قلب، ليتحرك وحيدًا في هذا الممر مقلقًا ساكنيه، يتبع رائحتها الزكية وهو يسمع ضحكاته تتعالى، تلك الضحكات التي لم ترافقه طوال شهور غيبوبته، فهي ضحكات "وليد" ابنه، ليلمح "حلمي مهران" ظلاله تتجول في خفة، ليبدأ يلاحق هذا الطيف الساحر الذي ظل يسرع حتى تبخر من داخل عتب تلك الغرفة التي وصلها متسمرًا يحاول التمسك بعقله، إلا أن رائحتها الزكية نادته ليفتح الباب ليجدها هناك!

***

استغلت ابنة "محمود وهبة" خروج أبيها من المنزل لتتوجه إلى القبو الذي سجن فيه أخاها وهي مترددة، فلقد كانت تهاب هذا المكان بشدة. خطوة تلو الأخرى وهي مترقبة ما ستشاهده، فلقد كانت تتوقع أخاها وقد صار وحشًا كاسرًا، ولكنه كان هناك متقوقعًا في سريره لا حول له ولا قوة، وقد ظهر عليه الإعياء، لتقترب "أمل" منه في شفقة لتفك وثاقه فرفض قائلًا:

- أبوكي هايموتك لو عرف، خليني، أنا كده كده ميت.

ابتسمت الأخت لأخيها مهدئة إياه:

- أنا كده كده ميته.

قالتها وفكت قيوده، ليجلس قائلًا:

- هو اللي لازم يموت!

***

وقف "حلمي مهران" في حالة ذهول وهو يرمق "وعد" مستلقية على سريرها في تلك الحالة، ليتناسى فورًا كل ما كان بينهما، ليتوجه إليها بحنان صادق، أسعد جميع الحضور، فلقد كان "وليد" ابنه هناك في أحضان "إيمان" بينما كان اللواء "فاروق" بجانب الدكتور "صلاح" الذي ابتسم لنجاح خطته ليقول "حلمي مهران":

- إيه اللي جابك هنا؟ ومال راسك في إيه؟

ابتسمت "وعد" رغمًا عنها قبل أن يتدخل "وليد" مقتربًا إلى أبيه قائلًا:

- بابي.. مامي عيانه أوي، زي ما إنت كنت عيان وهاتعمل عمليه في راسها زيك.

نزلت الكلمات على "حلمي مهران" كالصاعقة، ليمسك يدها في تلقائية قبل أن يدخل الرائد "هشام" إلى الغرفة وبجانبه "أمنية" التي تذكرت ما كانت تحاول أن تتناساه، نظرت إليها "وعد" في ضعف قاتل قبل أن ينتبه "حلمي مهران" لوجود "أمنية" ومن ثم يبصر يده المتلاحمة مع "وعد" ليفكر في تركها إلا أن مروءته منعته إلا من الضغط عليها في حنان وتواجد وكأنه يقول:

"كل شيء سيصبح على ما يرام"!

***

(10)

لم يكن باستطاعة "هاشم السباعي" إرسال كم هذه العمالة إلى الأماكن التي طلبتها (أنا) دون تأمين، ليتطلب الأمر تدخل "أدهم الجوهري" المسؤول عن تهريب كل خيرات الأرض، ليستغل الأخير هذا التراخي الذي وقعت فيه مصر في هذه الحقبة، ليتواصل مع أحد أصدقائه وقد سيطر عليه مسبقًا، حيث أن هذا الضابط المسؤول الأول آنذاك في مساعدة "أدهم الجوهري" في تهريب كل تلك البرديات الثمينة من البلاد، فلقد عُين لهذا السبب في شرطة الآثار حينها، قبل أن يتم نقله من هناك بعد العديد من الشكاوى إلى إدارة التوثيق والمعلومات، إلا أن فساده لم يتوقف ليُفصل من الداخلية أخيرًا ولكن بعد فوات الأوان، فلقد كان "محمود وهبة" بالفعل داهية بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، ولذا فهو رجل الساعة، ومساعد "أدهم الجوهري" قبل أن يطيح به ويصبح هو مساعد "جون" وعينه في البلاد، ومن هنا صار للبعثة منعطف جديد، فلقد كانت الأعمال تدور على مدار الساعة في سرية تامة، وصار أربعتهم في نفس المركب، لكل منهم دوره، فكان "أدهم الجوهري" هو رجلنا في مصر الذي يستغل شركته المسؤولة عن تصدير البطاطس كغطاء لنا، فمعلوم أن زراعة البطاطس تكون في أماكن بعيدة وسط الصحراء مما يحتم على عربات النقل نقلها من مكان لمكان آخر بغرض تصديرها، وهنا جاء دور "محمود وهبة" الذي كان يسهل مرور تلك السيارات، بينما كنت أنا أشرف على رجال "هاشم السباعي" ومعداته في الحفر، فهو من أكبر الشركات المسؤولة عن حفر الآبار، بينما ظل "هجرس الزيات" مع باقي زملائي يصدر بيانات مغلوطة عن البعثة التي طال أمدها في مصر، معطيًا ساترًا لنا، حتى جاء هذا اليوم المريب الذي استيقظت فيه فجرًا وحيدًا في خيمتي، لأخرج (أنا) وسط عتمة الصحراء، ليتأملني أجدادي الذين طالما كنت أحلم بهم في طفولتي داخل ذلك القبو، لأرمقهم جميعًا متوقفين أمامي في غضب وكأني قد خيبت ظنهم! كان بينهم هذا الكاهن الأعظم الذي طالما بحثت عن حقيقته، يرتدي تلك القلادة ذات السائل الأحمر داخل "مفتاح الحياة"، يخفي

وجهه خلف غطاء رأسه، فهو يرتدي عباءة داكنة، ظهر على فرس سريع، نظر لي لأتبعه، قبل أن يتحرك كالطيف كعادته، لأركب (أنا) أحد تلك الخيول الأصيلة التي كانت هناك لأتبعه في صمت، ساعات طويلة و(أنا) أهرول خلفه حتى وصلت إلى هذا المكان الغريب، لينزل هو من على جواده، ومن بعده (أنا). حاولت التحدث إليه إلا أنه كان صامتًا كعادته، فمنذ طفولتي وهو يصاحبني، لعله وهم أو خيال!

تحرك الكاهن الأعظم بصعوبة نظرًا لهذا الطرف الصناعي المتطور الذي وضعه بدلًا من قدمه اليمنى، والتي كنت دائمًا أتساءل عن مصدرها! حفر الكاهن في الأرض بضع مرات بيده حتى وجدتني وحيدًا عند تلك البوابة التي فتحها الزمن!

لأجد (أنا) ضالتي أخيرًا فلقد وقعت لتوي داخل تلك الفوهة لأمتار سحيقة، لأصل لتوي إلى تلك الغرفة الأسطورية التي لم تكن بالفعل غرفة! فالمكان يشبه قصرًا مدفونًا ولكن تغلبه الممرات، لتشبه مغارة أو متاهة هندسية معقدة، الممرات ليست ضيقة، يزيد عرضها على الثلاثة أمتار، الحوائط حجرية ولكنها ملونة بشكل يبدو أندلسيًا، وإن كان اللون الأحمر غالبًا. كان المكان مضاءً بمصابيح تبدو كالمصابيح الكهربائية لا أعلم هوية مصدر طاقتها، وإن كانت خالدة، تتجدد عبر العصور! لم يكن الكاهن الأعظم هناك فكنت وحيدًا، لأتحرك (أنا) برشاقة داخل تلك الغرف العذراء التي لم يمسها الإنسان منذ قرون!

بدأت (أنا) بتلك الغرفة الدائرية التي توسطت المكان لتكشف لي عن الكثير من الأسرار، وأكتشف (أنا) جهلي. كان لكل غرفة هوية ومعنى، بها كتيبات ساحرة تكشف الماضي، بل وتتنبأ بالمستقبل، هناك اكتشفت سر الوجود، بل وتعرفت على جهل الإنسان وكذب ادعاءات رجال التاريخ، عرفت لمَ بُنيت الأهرام، بل وكيف.

فهمتُ لمَ تدور الأرض حول نفسها، بل وإلى متى، تأكدتُ من هذا اليوم الذي ستشرق الشمس من مغربها، بل ولمَ، علمتُ حقيقة أسطورة التوأم "مالك" و"مليكا"!

اكتشفت أن تلك التربة الخصبة كانت مهدًا للحضارات وستكون

فيها نهايتها، ففيها بداية الخلق ونهايته، لأكتشف (أنا) ما يجب حجبه عن الجميع، فإن اكتشف الإنسان تلك الكنوز، سيتبارى في دفن نفسه، فإن الإنسان كان لنفسه ظلومًا، يهرول دائمًا نحو نهايته في فضول، وكلما زاد علمه اقترب لقبره، لأكتشف أني كنت خاطئًا حتى في جماعتي، فهم ليسوا مني كما كانوا يدعون، لم يكونوا إخوتي ولم يكونوا آنذاك عبيدًا، لم يبنوا تلك الصروح، بل كانوا مشردين في الأرض، فلطالما أغضبوا الخالق بكبريائهم، جيلًا بعد جيل، ولا يزالون مسرعين نحو النهاية مهرولين في كبرياء كاذب، يحاولون تزييف الحقائق إلى يوم الدين!

ساعات طويلة بل أيام و(أنا) في رحلة بهذا العالم الوهمي، لا أعرف إذا ما كانت هي الحقيقة أم مجرد وهم وخيال! فلا زلت حتى الساعة أعاني مع تلك الأعراض، التي يظنها البعض مرضية وإن كانت ما يميزني عن البقية!

***

- خلي بالك من "وليد" يا "حلمي".

قالتها "وعد" بعدما تركهما الجميع وحدهما ليجيب "حلمي مهران" وهو يضمها:

- إنتي اللي هاتخلي بالك منه يا "وعد".

ابتسمت "وعد" وقالت:

- أكيد ربنا رجعك بالسلامه لحكمه وأكيد أنا عشت السنه دي لنفس الحكمه.

تنهد "حلمي مهران" وأوقف حديثها في نضج أدهشها ليقول:

- "وعد" أنا هاحكيلك حاجه.

قالها تاركًا يديها، ليتوقف ويتحرك بحرية.

- أنا قبل الحادثه دي كنت محبوس، محبوس في قمقم، عمري ما خرجت منه، طول عمري وأنا بعاتب أبويا.

نظر إلى خاتمه مبتسمًا ثم تابع:

- بس سبحان الله الحادثه دي أو يمكن العمليه فهمتني درس عمري.

- أول مره أشوفك بتتكلم كده!

علقت "وعد" مندهشة بإعجاب.

- بالظبط كده، أنا مكنتش كده والدرس اللي اتعلمته إن كل حاجه في الدنيا دي يا "وعد" بـ"ميعاد"، وده كان "ميعاد" خروجي من القمقم بتاعي.

كان محقًا "فلكل أجل كتاب وكل وعد ميعاد"!

- خرجت من السجن اللي سجنت فيه نفسي من صغري، سجن أمي أو سجن أبويا، أو حتى سجن شغلي، بس من النهارده خلاص حريه، حريه وبس.

ظلت "وعد" ترمق "حلمي مهران" بإعجاب شديد ويلاحظ نظرتها المختلفة ليكمل هو:

- وعشان كده أنا عايزك تقومي بالسلامه عشان تاخدي حريتك!

***

من الغرفة المجاورة ظل الدكتور "صلاح" يفحص ذراع الرائد "هشام" في أوتوماتيكية غريبة وهو يرمق "أمنية" بفضول شديد، لتشعر هي بالتوتر وتتركهما وتخرج إلى هذا الممر المفضل لي، حيث أتحرك فيه (أنا) بحرية لأكشفهم جميعًا. تلقت "أمنية" اتصالًا آخر من "تيم" وقد رفضت اتصالاته في الساعات الأخيرة كلها، ولكنها قبلت هذا الاتصال على غير عادتها، بعدما شعرت بالضعف لوهلة، فلقد لاحظت علاقة "حلمي مهران" و"وعد". فلن تهدم هي هذه العائلة:

- أخيرًا.. لا ده أنا هادبح عجل.

قالها "تيم" من داخل مكتبه الزجاجي في سعادة، لتعلق هي مبتسمة:

- إزيك يا "تيم"؟

توقف "تيم" فرحًا وقال:

- إنتي عيانه يا "أمنية"؟!

ضحكت "أمنية" وتابعت وهي تحاول أن تتناسى همها:

- حرام عليك، الحق عليا إني رديت.

- لا يا حبيبتي أنا ما صدقت، إنتي فين؟

- لسه مع "حلمي".

شعر "تيم" بكوب من الثلج قد صُب عليه قبل أن تضيف:

- أصل مراته تعبانه في المستشفى وهو قلقان عليها أوي.

ابتسم "تيم" فرحًا قبل أن يكمل:

- لا إن شاء الله ربنا يقومهاله بالسلامه.

- إن شاء الله هما فعلًا لايقين أوي على بعض.

- لايقين على بعض؟!!

علق "تيم" مندهشًا ولكن بسعادة مبالغة ليضيف:

- المهم يكون ده رأيك الأخير.

- ماتخفش هو ده رأيي الأخير.

- طب حيث كده خدي راحتك خالص.

أنهت "أمنية" الاتصال وهي تدمع، حيث كانت بالفعل مجروحة، فتلك هي المرة الوحيدة التي تركت لقلبها هذه المساحة لتتعرض لهذا الجرح العميق في نفسها، لتشعر هي بتلك الحرقة بين ضلوعها، الحرقة التي تزيدها الأنفاس ألمًا حتى تمنت أن تتوقف أنفاسها ونبضها عن الحياة، في لحظة واحدة كرهت "أمنية" تلك الحياة التي طالما تمسكت بها محاربة كل الظروف، فلقد تحدت اليتم، وتحدت ذل الملجأ، وتحدت فقدان والديها بالتبني، فقدت الجميع، وظلت تتحمل إلا أن هذا الجرح الذي نتج عن حب في قطار لساعات قليلة

كان قد استطاع الإجهاز على حياتها، بل والأهم القضاء على تمسكها بها!

بينما في عالم آخر كان "تيم" فرحًا سعيد القلب على كلماتها المتواضعة، ليغلق الهاتف لحظة دخول "سالي" ليقبلها مبتسمًا، لتبتسم هي الأخرى وتقول ساخرة:

- كلكوا كده رجاله وستات طمعانين فيا!

***

ظلت "وعد" في حالة ذهول لا تستطيع أن تخفي إعجابها بهذا الرجل الذي تراه للمرة الأولى وإن كان زوجها، قبل أن يكمل "حلمي مهران":

- عارفه يا "أمنية"؟

- إسمي "وعد"!!

قالتها "وعد" بابتسامة دون كبرياء، فلقد تصالحت مع نفسها منذ هدم كبرياءها المرضُ، ولعل هذا هو "الميعاد" الذي كُتب لها لتكفر به عمن تكبرت!

- آسف معلش، واضح إني لسه زي ما أنا.

محاولًا تخفيف وطأة خطئه:

- كمل يا "حلمي" أنا مش متضايقه.

- الحمد لله، ههه، طيب عارفه يا "وعد"، أنا أمي الله يرحمها كانت دايمًا تقولي إن سبب خشونة أبويا معايا هي أمه.

- ليه؟!

- عشان سابته واتجوزت حد غير جدي.

- إنت أول مره تقولي الكلام ده.

- ده حقيقي، جدتي الله يرحمها رفضت تعيش مع جدي، ومن هنا جدي كرهها، كرهها عشان كان حقيقي بيحبها، مكنش عايزها

تبعد عنه، رفض بعادها، رفض يعترف إنه مكنش كفايه ليها، أو إنه مقدرش يتغير عشانها، والأهم إنه مكنش لازم يتغير عشانها، الواحد ممكن يتغير عشان شغله، لكن إن الواحد يتغير عشان يخلي حد يحبه؟ لأ.

- "حلمي" أنا ماقولتش...

حاولت "وعد" مقاطعة "حلمي مهران" وهي تعتدل في جلستها، ليساعدها ويكمل:

- إسمعيني يا "وعد"....لو سمحتي...أنا سمعتك كتير.

استسلمت "وعد" لتسمعه:

- أنا أستاهل أتحب يا "وعد" وكلنا نستاهل نتحب، نتحب من غير مجهود، نوفر المجهود ده لمحاربة الدنيا، نوفره عشان نقدر نواجه حتى صعوبات الحب نفسه، لكن حرام الواحد يبذل مجهود عشان يتحب، قومي يا "وعد" عشان تعيشي حياتك من الأول، وأوعدك إني لسه عند وعدي.....

دمعت عينا "وعد" بينما تنهد "حلمي مهران" وأكمل مبتسمًا:

- أوعدك أول ما تقومي بالسلامه إنتي كمان تاخدي حريتك، أنا مش هاكرر غلطة جدي، قومي يا "وعد" وافتكري إن كل شيء بـ"ميعاد".

قالها ومدت له ذراعيها ليحتضنها حضنًا حقيقيًا لم يحتضنه لها من قبل، لتفهم أن هناك سرًا وراء موافقته على الانفصال، لتضيف هي وهو بين ذراعيها:

- "أمنية"؟

ابتسم لها "حلمي مهران" وقبّل جبينها ومن ثم خرج وهي لا تزال تنظر إليه شاكرة بعدما وعدها بتلك الحرية التي تستطيع هي أن تصارع من أجلها المرض تمسكًا بهذه الحياة!

خرج من الغرفة إلى الممر الخارجي ليجد "أمنية" دامعة العينين، اقترب منها فصدته بقوه، ليندهش حيث كان ينقصه الخبرة اللازمة لفهم المرأة، تلك الخبرة التي يحتاج الرجل لآلاف السنين لاكتساب

بعضها، قبل أن يهرع إليه "وليد" يسبق جديه اللذين جاءا بعده:

- رايح فين يا بابي؟

رمق "حلمي مهران" نظرات "أمنية" التي ابتعدت عنهما وهو يقول:

- بابي عنده شغل.

- يعني هاتتأخر؟

- لا ماتخفش خليك بس مع جدو وجدتو.

قالها مشيرًا إلى اللواء "فاروق" الذي ابتسم إليه قائلًا:

- حمد لله على السلامه يا "حلمي"، جيت في وقتك.

ربت "حلمي مهران" على كتف حميه "فاروق" وابتسم لـ"إيمان" قائلًا:

- معلش البركه فيكوا.

- هاتسيب مراتك في وقت زي ده يا "حلمي"؟!

تعجبت "إيمان" قبل أن يقاطعهم الدكتور "صلاح" الذي أنهى فحصه على الرائد "هشام" للتو، ليرفع الحرج عن "حلمي مهران" الذي فضل اتباعه على الوقوف معهما، ليدخل غرفة الكشف ليرمق كل شيء فيها بتلك الميكانيكية التي صار يتمتع بها، في شك وريبة مرضية، ليلاحظ الدكتور "صلاح" تلك النظرات المميتة، ليعلق وهو يغلق باب الغرفة:

- خايف من إيه؟!

- أنا مابخفش.

رد "حلمي مهران" بعصبية، ليبدأ الدكتور "صلاح" استكشافه النفسي وهو يحضره لتلك الحقنة المخدرة سرًا.

- عارف بس نظراتك قلقانه.

- مجرد حرص.

قالها وهو ينظر إلى كل أركان المكان، بينما يخفي الدكتور "صلاح"

تلك الحقنة في جيبه قائلًا:

- طيب تعالى استريح وطمني عليك.

استلقى "حلمي مهران" على السرير وشرد جهة السقف وقال:

- والله يا دكتور أنا المره دي محتاجلك تفهمني الأول حالة "وعد".

جلس الدكتور "صلاح" مستمتعًا:

- ماتخافش، عمليتها بسيطه المهم نطمن إن الورم مش خبيث.

- وهاتعملوها إمتى؟

- الصبح، بس المهم إنك تكون جنبها.

كان يعنيها؛ ليقف من حيث لا يستطيع "حلمي مهران" أن يراه، مكملًا:

- المهم طمني إنت في أي أعراض جتلك؟

تساءل بفضول بعدما أعد الحقنة بالكم الكافي الذي يستطيع أن يذهب عقل "حلمي مهران" حيث يريد، بينما استغرق الأخير شاردًا في هذا السقف مجددًا ليشرح:

- والله يا دكتور أن بشوف رؤى غريبه.

- رؤى!

تعجب الدكتور "صلاح" ليغلق "حلمي مهران" عينيه ليتأمل الموقف.

- آه يا دكتور بشوف أوهام....خيالات....أحداث حصلت من زمان أو يمكن محصلتش خالص....بشوف الغيب أو الماضي، مش عارف كإني عايش في دنيا تانيه....كإني جوا لعبة فيديو، شايف نفسي من برا، وبدوس على الزراير عشان أحرك الجسم اللي أنا شايفه!

- يعني اترفع عنك الحجاب؟!

ساخرًا قالها وهو ينظر إليه مغمض العينين قبل أن يرفع يده ليغرزها في رقبته فيمنعه الأخير بتلقائية غريبة وإن كان لا يزال مغمض

العينين، بشكل مخيف، حيث أمسك "حلمي مهران" بيد الدكتور "صلاح" الحاملة للحقنة بقوة أوجعته، وأكمل حديثه:

- بالظبط.. وبقيت بشوف الخاين، وأفهم الحقايق.

وقف "حلمي مهران" ولا يزال مغمض العينين، بينما لم يستطع الدكتور "صلاح" الرد من هول الصدمة! فلقد كان "حلمي مهران" مخيفًا، يراه بعينه الثالثة دون الحاجة لتفسير، حيث أجبر الدكتور "صلاح" على الركوع، ليلوي ذراعه مرغمًا إياه على حقن نفسه في رقبته وسط ذهول الأخير، الذي ظلت عينه مذهولة من هول ما اكتشف داخل هذا "العائد" من الموت!

ظل "حلمي مهران" مستمتعًا بعمله ثم فتح عينيه وتحرك بأسلوب مرضي لا يخلو من ثقة في اتجاه المرآة لينظر فيها عميقًا باحثًا عن نفسه، قبل أن يلاحظ تكرار صورته آلاف المرات، ليفر من ظلاله إلى الخارج، حيث استقبلته رئيسة التمريض بفضول:

- هو الدكتور لحق يخلص الكشف؟!

- الحمد لله، بس هو الدكتور جوا بيختبر العينه.

- عينة إيه؟!

تساءلت في تعجب، في حين نظر لها "حلمي مهران" نظرة عتاب أمام "أمنية" لتظنه جديًا وتقول:

- طيب هاخش أساعده.

- لا ، هو الدكتور جوا مستمتع بالعينه ومحتاج خلوه.

- خلوه!

تعجبت رئيسة التمريض، ليوجه "حلمي مهران" حديثه إلى الرائد "هشام":

- يالا يا "هشام" إنت مش الدكتور طمنك؟ يالا يا "أمنية" الدكتور عايزني أرجعله بعد نص ساعه مش عايز أتأخر.

ساخرًا قالها وهو يلمح ابنه من بعيد دون أن يستطيع توديعه، ليسرع

ثلاثتهم إلى الخارج و(أنا) في صحبتهم، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم!

***

(09)

لم يصدق الجميع حديثي، فخيالهم محدود كسائر البشر، لا يقدرون على التحليق بعقولهم بعيدًا، لا يتقبلون ما هو أبعد من حدود عقولهم الضعيفة، بينما كنت (أنا) وسأظل دائمًا أستطيع التلاعب داخل حدود عقلي منذ زارني هذا الكاهن الأعظم داخل قبو منزل والدي عند سفح الهرم.

- يعني هو في بني آدم يصدق الكلام ده؟!

علق أحدهم متعجبًا، قبل أن تتدخل المرأة مدافعة عني:

- لأ في..أنا قريت إن هيرودت فعلًا زار أوض سريه كده في مصر، وإن فيها حقيقة كل الأساطير، وحل كل الألغاز.

- يعني المفروض نصدق إن اللي معانا هنا دلوقتي فاهم سر التحنيط!

سكت الجميع، ليعلق الدكتور "علي":

- وسر الأهرامات، ويمكن حقيقة "أطلانتس".

نظر الجميع إلى الدكتور "علي" في حالة تساؤل:

- هو حضرتك مصدق اللي بيتقال ده يا دكتور؟ دي تخاريف، طيب هي فين؟

- آه صحيح هي فين؟

كان هذا طلب الجميع، فقط ليهدئ تلك الفوهة الفارغة من الفضول، دون النظر إلى ما قد يترتب عليه العالم بأسره بعد اكتشاف تلك الحقائق، فقد تكون نهاية البشرية نتيجة هذا القرار الخاطئ الذي لا طاقة لي بتحمل وزره، ففيه محفوظة خيرات الأرض، بل والبحار، هناك سر الوجود، بل والدمار الذي سيطال كل الأرض، أي نهاية العالم في هذا اليوم الذي تنبأ به الفراعنة فقط حين اكتشاف السر في الحادي والثلاثين من تشرين الأول، حين تتراقص الشياطين على أنغام النهاية، وأبث (أنا) غضبي!

***

من داخل مكتب بارد الجدران، كان ثلاثتهم مع هذا المأمور داخل مكتبه على منضدة الاجتماعات يناقشون جميعًا قضية مقتل "هاشم السباعي" داخل حديقة منزله على يد مومس مجهولة! بينما تهكم "حلمي مهران" قائلًا:

- بس ازاي مالقيتوش سلاح الجريمه؟!

- يعني وهو في قاتل برضه هايسيب سلاح جريمته في مسرح الجريمه؟!

علق الرجل بسخرية، لينفعل "حلمي مهران" قائلًا:

- بس أنا شفت الخنجر بنفسي، شفته وهو بيحطه في قلبه.

- شفت مين يا سيادة المقدم؟! سلامة عقلك!

قالها الرجل بريبة، فلقد صارت سمعة "حلمي مهران" تسبقه، وبالطبع كان هذا بفعل فاعل!

- معلش يا فندم "حلمي" يقصد الملف اللي جالنا كان مختلف.

حاول الرائد "هشام" تغطية صديقه، بينما تدخلت "أمنية" هي الأخرى في محاولة لوصولها لهذا الرابط الخفي الذي يربط تلك الجرائم بعضها ببعض لتقول:

- طيب ممكن بس أشوف تقرير الطب الشرعي؟

- آه طبعًا إتفضلي.

أجاب الرجل متجاوبًا مع جمال "أمنية" متناسيًا "حلمي مهران" الذي ظل شاردًا، شاعرًا بهذا الصداع المؤلم، ليهرب بين ضلوع قهوته المرَّة يحتسيها شاعرًا بشيء غريب في طعمها، فقد بدأ السم لتوه مفعوله، ليشعر ببرودة الدماء في عروقه، ويتجمد جسده شيئًا فشيئًا، ليظل "حلمي مهران" يراقب حديثهم الخالي من الضجيج، فلم تعد أذناه تراسل عقله بتناسق، ليعم الصمت حوله إلا من صوتي (أنا) فكنت أغازل عقله المريض، أراقب تشنجات ضعفه وسط لا مبالاة

من الجميع بينما تتعالى ضحكاتهم، غير مدركين بافتقادهم لأحدهم. لحظات مرت على "حلمي مهران" كعمر كامل، راجع فيها كل لحظات حياته منذ نشأته وقسوة والده وحتى هذه اللحظة التي يختنق فيها بعدما استهلك السم الأكسجين في دمائه لتشكو إليه رئتاه، ليحاول هو لفت أنظارهم لحالته إلا أنهم لم يبالوا، ليشعر "حلمي مهران" بوحدتي التي ورث بعضها، ليلفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن أنهض (أنا) باعثًا فيه أمل الحياة، فلقد أرسلت إليه لتوي برسالتي!! معتمدًا فيها على ذكائه لكشف طلاسمها.

سعل "حلمي مهران" بقوة بعدما عاد مرة أخرى إلى "الحياة" ليلاحظ الجميع إعياءه ليظلوا يرمقونه في اندهاش غير مدركين لما حدث للتو، ثم انتبه "حلمي مهران" لتقرير الطب الشرعي في يد "أمنية" ليخطفه بسرعة ليكتشف ما جهلوه لتوه، بعدما نجحت رسالتي التي دنسها البشر أخيرًا!

- نسب الدم!

بعدم احترافية قالها، فلم يفهم الجميع ما يرمي إليه "حلمي مهران" الذي وضح:

- مش بس كلهم اتقتلوا بسلاح أبيض، كلهم جري في دمهم نفس السم!

قالها بقوة لينتبه الرائد "هشام" بشغف وهو يشارك "حلمي مهران" التقرير قائلًا:

- فعلًا الكلام ده متكرر في تقرير "أدهم الجوهري".

أضافت "أمنية" مبتسمة:

- وأنا حقيقي كمان قريت حاجه زي كده في تقرير "هجرس الزيات".

- يعني إيه؟

تساءل الرجل، ليجيب "حلمي مهران" مشيرًا إليَّ قائلًا:

- قاتل متسلسل.

حزنت (أنا) من حديثه، فلست كما يزعمون، وإن كانوا صادقين، فلا زالوا يجهلون الكثير!!

***

- لأ يا "وعد" إنتي لازم تفوقي من العمليه دي بسرعه.

تعجبت "وعد" من حوار "حنان" الساخر وهي على سرير مرضها بالمستشفى، في ليلتها الأخيرة قبل تلك العملية الحرجة، لتعلق والدتها التي كانت تشاركهما الجلسة بالغرفة:

- هو إنتي هاتستعجليها في دي كمان يا "حنان"؟!

ضحكت "حنان" وقالت:

- الصراحه آه يا طنط.. المره دي آه.

- إشمعنى يعني؟ شكلك وراكي حاجه كبيره.

- أمال أنا جايه ليه؟ إنتي فاكراني جايه أزورك، أنا مطمنه ومش خايفه عليكي، أنا خايفه على نفسي أنا.

ابتسمت "حنان" وتابعت:

- أنا هاتجوز الأسبوع اللي جاي، ومحتاجاكي تقومي بالسلامه.

توقفت "وعد" عن التنفس، لتلاحظ الأم صمت ابنتها، لتسأل في فضول وترقب:

- ما شاء الله! بس هو مين العريس؟

- "فؤاد" يا طنط، زميل "وعد" من أيام الجامعه.

قالتها ليحوم السكون في المكان بعدما شاركت الأم صمتها، وإن لم تستطع مشاركتها الألم!

***

لم يستطع ثلاثتهم كبت السر، وتوجهوا إلى مكتب العميد "ضياء عدلي" رئيس الرائد "هشام" الذي كان في انتظارهم بالفعل:

- أخيرًا فكرت فيا؟

تدخل "حلمي مهران" قائلًا:

- معلش يا فندم الرائد "هشام" ماتأخرش في حاجه، إحنا اللي عطلناه كتير.

- حقيقي بس مارجعناش بإيدينا فاضيه.

علقت "أمنية" بخبث، وأشار لهم العميد "ضياء عدلي" بالجلوس ويدخل في لب الموضوع:

- طيب وصلتوا لإيه؟

بفخر أجاب الرائد "هشام":

- قاتل متسلسل.

- لا إنتوا كده جايين من السينما.

متهكمًا علق العميد "ضياء عدلي" لتخرج "أمنية" صور تقارير الطب الشرعي قائلة:

- يوم الإتنين واحد وتلاتين عشره ٢٠١٦ الساعه واحده بعد نص الليل في الأقصر، جوا معبد الكرنك، يتقتل "هجرس الزيات" عضو هيئة الآثار بسلاح أبيض توصيفه نادر، وفي نفس اليوم الساعة ٧ المغرب في "الشيخ زايد" يتقتل "هاشم السباعي" مقاول حفر بسلاح أبيض بنفس المواصفات، وبعدها بساعتين في القاهرة هنا يتقتل "أدهم الجوهري" تاجر الآثار المعروف بنفس السلاح.

- وإيه اللي عرفك إنه نفس السلاح؟ ده سلاح أبيض!

علق العميد "ضياء عدلي" ليشرح "حلمي مهران" حجته:

- تقرير الطب الشرعي في التلات حالات مبين في الدم تغييرات بتأكد إن التلاته كان عليهم نفس السم اللي كان موجود على السلاح اللي مسكوه مع "ماجي".

- يعني إيه! قاتل راح الأقصر وبعدين نزل الشيخ زايد ومنها على أدهم، عشان يقتل التلاته دول بالذات!.......

تحرك الرجل حولهم وتابع:

- طيب وإشمعنى ساب السلاح في الحفله عند "أدهم"، وإزاي ماظهرش في التقرير سم على خنجر "ماجي"؟

- وليه مايكنش ساب خنجر في كل جثه من الجثث، وفي حد تلاعب في مسرح الجريمه، والسم يكون اتشال من على سلاح "ماجي" بنفس الطريقه؟

قالتها "أمنية" بشك أرهب الجميع، ليتساءل "ضياء عدلي":

- وهو مين مصلحته يعمل كده؟!

- مش مهم.....مش ده السؤال المهم.

قالها "حلمي مهران" بعمق أرهبهم قبل أن يكمل في شرود:

- السؤال الأهم...هو ليه قاتل يحاول يسيب كل العلامات دي أصلًا؟!

- مش فاهم!

علق الرائد "هشام" مستفهمًا، ليوضح "حلمي مهران" فكرته:

- يعني يقتل تلاته في نفس اليوم، وبنفس طريقة السلاح، وبنفس السم، يبقى ممكن يكون فعلًا سايب أسلحة الجريمه في مكان الحوادث.

- بصرف النظر سابهم ولّا لأ، اللي يعمل كده كان بيسيب دلائل عشان توصلنا لحاجه.

قالتها "أمنية" ليبدأ الرائد "هشام" استرجاع الأمور:

- يعني قاتل يتحرك من جنوب مصر لشمالها في يوم واحد عشان يقتل مجموعه من الناس، ويسيبلنا أدله عشان نوصله؟ يعني إيه؟!

- جنون عظمه، في كتير من المجرمين دي بتبقى كده.

قالها العميد "ضياء عدلي" قبل أن يتدخل "حلمي مهران":

- يبقى عشان نحاول نفهم لازم نوصل لعلاقة "هجرس" و"هاشم"

و"أدهم".

- صحيح المقدم "حلمي" عنده حق، كل النظريات اللي إنتوا بتتكلموا فيها دي فرضيه، لكن لو طلع في أي عامل مشترك بين التلاته دول، هانقدر نوصل للي يساعدنا.

علق "ضياء عدلي" الذي أصبح يوافقهم الرأي، وأجابت "أمنية":

- الآثار.

قاطع الرائد "هشام" "أمنية":

- وهو إحنا هانستنى لغاية ما نوصل لحاجه تجمع التلاته ببعض؟ قضية "ماجي" هايتحكم فيها بعد كام يوم!!

هدَّأ العميد "ضياء عدلي" من روع الرائد "هشام" قائلًا:

- ماتخافش يا "هشام" خد المعلومات دي وإوصل لمحامي "ماجي" وهو هايعرف يوصلها لهيئة المحكمه قبل النطق بالحكم، وده ممكن نكسب بيه شوية وقت.

سكت العميد "ضياء عدلي" لحظة ليضيف بنبرة صوت إيجابية:

- أنا واثق فيك يا "هشام" وفيكوا كلكوا يا ولاد، ربنا يوفقكوا، ولغاية ما نعرف الحقيقه، أو لو في شك إن في جهه بتتلاعب في القضيه، يبقى لازم تخلوا بالكوا من نفسكوا.

كان الحق كله معه، فلقد كان هناك من لا يزال يعبث في الظلام!

***

دخل "محمود وهبة" بيته والإرهاق يتغلبه، فلم يهنأ منذ أيام براحة بال، وكأن هناك لعنة ما تلاحقه! وقبل أن يصعد السلم وجد باب قبوه المصفح مفتوحًا، فاندهش وهرع إليه قلقًا، ليدخل ويجد الأنوار مضاءة، لينزل السلم بترقب وعدم تصديق! حتى وجدها هناك مستلقية على السرير في تحدٍّ وقوة تستمتع بوضع طلاء أظافرها الأسود الذي زاد من بياضها شيطانية، حيث كانت تنتظره لتشاهد تلك النظرة التي ارتسمت على وجهه، فقد صار لديها نفسية معقدة، من الصعب

فهمها! ابتسمت الفتاة لأبيها ابتسامة مرضية استفزته فتقدم صارخًا:

- هو فين"؟!!!

بمنتهى البرود تركت ابنته طلاء أظافرها وظلت تنظر إليه في تحدٍّ جرح كبرياءه، فأمسك بيدها وهو يكمل صراخه:

- بقولك هو فين؟!

ابتسمت الفتاة وهي تحرر يديه بقوة أذهلته لتقول:

- هربته.

- إنتي اتجننتي ولّا بتتحديني؟!

- الاتنين.

قوتها أخافته بعض الشيء، فلم يعد يستطيع التنبؤ بتصرفاتها، ليحتار "محمود وهبة" في رد فعله قليلًا ليشعر ببرودة هذا الضعف قد أخذ يتحرك في شرايينه.

- إنتي كده بتكتبي عليه الموت.. أخوكي مدمن!

تحركت حول والدها من داخل هذا القبو قائلة:

- يا بخته.

- إنتي نسيتي نفسك يا بنت!

- يا ريت....ياريتني عارفه أنساها.

- يا بنتي أخوكي لازم يتعالج.

نظرت الفتاة حولها بتهكم ثم قالت:

- فعلًا بيئه صحيه للعلاج.....أكيد لأ، عشان إنت عمرك ما هاتتعلم.

شعر "محمود وهبة" بتوعك؛ وعجز عن الرد عليها، ليجلس هو على السرير، وتكمل هي حربها.

- إنت مش شايف ولّا اتعميت!

حاول "محمود وهبة" الرد، لكن ضعفه حال دون ذلك، لتكمل:

- الحيطان اللي حواليك ماتت، الحقد بقى بيتسرب من الشبابيك، إنت مش واخد بالك ولًّا مش شايف ولًّا نسيت؟ نسيت اللي عملته مع كل اللي قابلك؟ مفيش حد قابلك إلا ودفع التمن، مارحمتش الناس، ولا رحمتنا، ولا رحمتني أنا يا أبويا.. .لو ناسي أنا هنا عشان أفكرك.

***

- أنا موافق.

قالها "محمود وهبة" في هذا الوقت الذي فاتحته فيه زوجته في ذلك النقاش منذ بضع سنين، لتندهش هي من موافقته.

- بجد يا "محمود"!

ظهرت الفرحة على الزوجة التي لم تستطع حجب فرحتها وهي على مقعد المرض من داخل غرفتهما، بينما كان "محمود وهبة" يرتدي ملابسه ليخرج قبل أن يكمل:

- هي دي سنة الحياه، البنت كبرت وطبيعي البنت يجلها عرسان، دي بنت اللوا "محمود وهبة".

- يعني أخلي الولد يجي؟

- طبعًا، بس الأول هاتيلي إسمه، وخليه يجيلي المكتب.

- إشمعنى؟

- أنا لازم أشوف الراجل اللي هاياخد بنتي، راجل لراجل، لازم أقتنع بيه، لازم أطمن قبل ما يجيب أهله.

ابتهجت الزوجة من رد فعل "محمود" الغريب ودلفت بكرسيها المتحرك إلى غرفة ابنتهما الجالسة في حالة ترقب ترتدي بيجامة طفولية للنوم تعكس براءتها، بل وتحجب أنوثتها، لتقص عليها أمها حديث الأب لتندهش الفتاة قائلة:

- متأكده يا ماما؟!

- أيوه يا حبيبة ماما، مش قولتلك إن دي اللحظه اللي بيستناها أي

أب في الدنيا.

- أنا مش مصدقه.. ده مستحيل يكون بابا!!

- يا بنتي بلاش نكد وتعالي كلمي أبوكي.

قالتها الأم ورافقت ابنتها إلى والدها الذي خرج لتوه من غرفته ليبتسم لها في حنان بعدما لاحظ إحراجها.

- تعالي يا عروسه هنا.

اقتربت الفتاة من والدها الذي تابع:

- أطلبيلي العريس.

ظلت الابنة متسمرة؛ ليلح الأب بجدية أجبرتها على الاتصال بحبيبها "راضي" هذا الشاب العشريني المتفتح وزميلها بكلية الصيدلة، الكلية التي شعارها هذه الحية تلتف حول كأس الترياق المعروفة، فهم يدرسون السموم وعلاجها!

تحدث "محمود وهبة" مع "راضي" بتهذب كان يفتقده، ليدعوه إلى مكتبه في نفس هذا اليوم، بعد بضع ساعات، ليصل الشاب في الميعاد بالفعل إلى مكتب "محمود وهبة". ولقد كان "راضي" رشيق الجسد، طويل القامة، أبيض البشرة، من طبقة فوق المتوسطة، حيث كان يسكن بمنطقة راقية بمصر الجديدة، تلك الشقة التي وعده بها والده ليكمل فيها حياته بعدما فقد زوجته، ليكتفي والد "راضي" بتأجير شقة لنفسه في نفس العقار فور زواج ابنه، وكان "محمود وهبة" بالفعل يعرف ذلك، كما علم هو كل ما يحتاج إليه في تلك المقابلة في الساعات الماضية، ليدخل سريعًا إلى ضالته.

- واضح إن أهلك عملوا اللي عليهم كله.

- والله يا فندم زي ما حضرتك أكيد عارف إني وحيد، ومن ساعة ما والدتي توفت ووالدي مكرس لي كل حياته.

- بس ده مش كفايه يا "راضي".

بوضوح قالها "محمود وهبة" وهو ينفث دخان سيجارته، ليكمل:

- "راضي" لازم تعرف حاجه في الدنيا دي، الجواز ده يابني مشروع، مشروع كل واحد بيحط فيه كل ما يمتلك تحت رجليه وبيقف، عشان يشوف مكانه وسط الناس، وعشان تقدر تاخد شريك يناسبك لازم تشب، تقف على مشط رجلك، تحاول تبان وسط الناس، تحاول تظهر، كل حاجه في حياتك بتسخرها عشان اللحظه دي بالذات، المشروع ده لازم تحط فيه كل إنجازات أهلك، وبنتي أنا استثمرت فيها سنين، وحطيت تحت رجليها كتير والنهارده وإنت واقف قدامها شكلك صغير أوي..

- يا فندم..

حاول "راضي" مقاطعته، ولكن "محمود وهبة" لم يعطِ له المجال مكملًا:

- يا "راضي" ده مش ذنبك، ده ذنب أبوك، أبوك اللي عاش العمر ده ومعرفش يعمل لإبنه الوحيد أي حاجه عليها القيمه.

- يا "محمود" بيه مايصحش كده.

- لأ يصح، واللي مايصحش أبدًا إنك تفكر إنك ممكن تاخد مني بنتي بعد كل اللي وصلتله، وزي ما إنت زكي ولعبتها صح، خليك زكي وخاف على أبوك....

توقف "محمود وهبة" لحظة ليقول بتهديد واضح:

- أبوك اللي معندوش غيرك.

***

- أنا مغلطش، أنا حذرته.

قالها "محمود وهبة" أمام ابنته داخل هذا القبو وهي تتحداه فيه بعدما عادت للتو من ذكرياتها، لتجيب الأب:

- حذرته من إيه يا سيادة اللوا؟ حذرته مني ولّا من ظلمك؟!

- أنا مظلمتوش، أنا قلتله يبعد عنك.

- وهو اتمسك بيا، "راضي" هو الوحيد اللي اتمسك بيا في حياتي،

أنا ماشوفتكش أنا معرفكش.

ظهر عليها الهوان، لتجلس على السرير، ليستعيد "محمود وهبة" طاقته التي استمدها من ضعفها، ليقف هو قائلًا:

- بس هو شافني وده كفايه وتحذيري ليه كان واضح.

- تقوم تسجنه!!!

قالتها صارخة بعدما خارت قواها، ليبتسم "محمود وهبة" وهي تكمل:

- وتحسَّر عليه أبوه اللي مات من زعله عليه؟!!

- الأعمار بيد الله.

بسخرية علق "محمود وهبة" قبل أن يضيف:

- إنتي بنت "محمود وهبة" يعني بتاعتي أنا، ملكي أنا، واللي عملته في سنين مش هاياخده مني في ثواني واحد جربوع وعمومًا لو كان يهمك فلازم تفتكري إنه في السجن، تحت إيديا، أقدر أحسرك عليه بدل المره ألف، ولو ما تربتيش وعرفتي حدودك هاخليه يعيش أصعب أيام حياته.

- كفايه بقى، حرام عليك، هو إنت شايفنا عبيد عندك؟!

- إنتوا فعلًا عبيد، ولو مش عايزه "راضي" يبقى عروسة السجن وكل الرجاله تنهش في لحمه يبقى تتعلمي توطي وتبوسي إيد أبوكي.

قالها مادًا يده اليسرى استذلالًا، لتركع الابنة في انكسار أمامه لتقبل يده دامعة العين، بدموع سامة بسم تلك الحية الملتفة حول هذه الكأس المرة التي تذوقت فيها مر العذاب!

***

خرج ثلاثتهم و(أنا) معهم ذهابًا إلى "غانم" المحامي ليكشفوا له عن الاكتشاف الذي سيغير مجرى القضية، على حد تعبير العميد "ضياء عدلي"، من أمام مبنى المباحث العامة ليقفوا قليلًا في انتظار سيارة أجرة، بينما تساءل الرائد "هشام" عما سيحدث لاحقًا:

- طيب هانحتاج نوصل لطريقه تربط التلاته ببعض.

- خلينا بس ماشين خطوه بخطوه والطريق هايبان لوحده.

- حقيقي، "حلمي" عنده حق، وأعتقد ممكن الأحجيه الرابعه توصلنا لحاجه.

قالتها "أمنية"، ليبتسم "حلمي مهران".

- هي معاكي؟

- طبعًا.. أمال إنت فاكرني إيه؟

- يا جماعه بلاش الكلام الفاضي ده.

أجاب الرائد "هشام" ليقول "حلمي مهران" في ثقة:

- ده مش كلام فارغ، دي كانت بداية الخيط وأكيد فيها نهايته.

ظل الرائد "هشام" معترضًا، ليشير إلى هذا التاكسي الذي اقترب بسرعة، ليدخل ثلاثتهم، ويندهش "حلمي مهران" عند رؤية السائق حال "هشام"!

***

الأحجية الرابعة

تلك البذور الطيبة "هي" دائمًا مفتاح الحياة، بداية من زراعة اللب الأبيض في القارة السوداء!

***

(08)

عدت (أنا) إلى تلك الفيلا التي استأجرتها لي جامعتي الألمانية في حالة يرثى لها، البرد يجتاح جسدي الضعيف، لا أستطيع التفوه بكلمة أو بشرح لتلك الأسئلة التي كانت في عيني "صدفة"، فزملوني بسرعة حتى بدأت أهدأ وكأن وحيًا ما قد تلبس خيالي المريض! ساعات و(أنا) بين أحضان "صدفة" أنظر لنفسي داخل عيني ابني "رمزي" الذي ربت هو الآخر على كتفي وهو يحمل تلك الدمية ذات الكاميرا التي لم تفارقه أبدًا، لأتذكر (أنا) طفولتي داخل هذا القبو.

كان حنان "صدفة" كافيًا لأبدأ في استعادة رباطة جأشي، لأشعر (أنا) بقلب "حياة" ينبض بين ضلوعها، ساعدتني "صدفة" في التوجه إلى غرفة مكتبي، لأتلقى (أنا) هذا الاتصال من "جون" الذي تأكد من حديثي بعلمي عما يبحث! رغم عدم إفصاحي لما رأيت، ولكنه عرف، لأشعر (أنا) بالخطر، فلـ"جون" نفوذ خارق في جميع دول العالم، خاصة المتقدم منها، ولقد طلب مني الرجل الحضور إلى ألمانيا لمناقشة ما توصلت إليه، ولكنني كنت قد قررت سلوك طريقًا آخر، فأخذت قلمي وأوراقي وبدأت أضع تلك الرموز المحددة لهذا الموقع الذي يجب أن يظل بين أيادي أصحابه بعدما شعرت لتوي بأني منهم، فهم أجدادي و(أنا) من ذريتهم، فمنذ رأيت (أنا) هذا الكاهن الأعظم ذا العباءة الحمراء في قبو منزلي و(أنا) أشعر بصلة الدم وإن لم أتمكن من فهمها إلا بعد حجب الغشاوة عن عيني.

ساعات و(أنا) أركب تلك الأحجية الأصعب على مدى التاريخ من أمام عيني "صدفة" التي لم تستطع فهم الكثير، عكس "رمزي" الذي رأيت في عينه الخضراء ما رأيت في أعين التاريخ، لأضمه (أنا) إلى صدري بعدما انتهيت متمنيًا أن لو بات يستطيع فك تلك الرموز التي سأدفنها (أنا) في مكان سيجهله الجميع، لأعدَّ (أنا) عدتي وأتركهم لأسافر في تلك الرحلة الخطرة تاركًا إياهم في وطني الذي اكتشفت حقيقته وتاريخه لتوي، كي يظلوا بعيدًا عن تلك المنظمة المشبوهة التي يترأسها "جون" الذي خططت (أنا) لمحاربته.

***

ما انفك "محمود وهبة" مستاءً مما يحدث حوله، فلقد أمست حياته مهددة، وصار محاصرًا، وبدأت معارفه تتقلص، وتتخلى عنه، ليخرج من هذا القبو ويصعد إلى معيشة فيلته في الطابق الأرضي، شاعرًا أنه بحاجة لأن يتصل بمن يدعمه ويعطيه المزيد من المعلومات، ليقوم بهذا الاتصال الهاتفي!

***

من مكان آخر في العالم، من أرض ألمانيا، كانت "دنيا" قد وصلت إلى "جون" الذي لاحظ تغير ملامحها عند رنين هاتفها، لتضطر إلى رفض المكالمة الواردة من عشيقها، لتكمل حديثها إلى "جون" وهو يصطحبها إلى فندق من فئة الخمسة نجوم، ليصعد معها إلى غرفتها المطلة على أحد مراكز التسويق "فرانكفورت" الفارهة، لتكمل "دنيا" عرضها:

- أعتقد إني على مدار سنين كتير كنت وفيه لحضراتكم وعمري ما اتأخرت في حاجه.

- حقًّا لم نعهد عليكِ إلا الوفاء.

علق "جون" لتتابع "دنيا" في صراحة:

- طيب خلاص أنا عايزاك تعتبرني واحده منكوا.

ضحك "جون" ضحكة مخيفة، ثم تابع:

- لا أستطيع إنكار مجهوداتك سيدتي الجميلة، ولكن هل عليَّ تذكيركِ أنه كان مقابل مبلغ مالي ضخم؟

- بس اللي بعتهولك ما يتقدرش بتمن.

- عفوًا سيدتي، لكل شيء ثمن في هذا الوجود بما فيه الإنسان!

توترت "دنيا" وأخرجت سيجارة لتدخنها في رفض، ليهدئها "جون" قائلًا:

- لقد جندنا من بلادكم الكثيرين، ولكنهم لم يكونوا على العهد

حافظين، فدائمًا يرجعون إلى التمسك بهوية زائفة أو عقائد واهية.

- بس أنا غيرهم، أنا دارسه وفاهمه.

- دعيني أسألكِ أولًا، لمَ تلك المبادرة؟ فلقد تعاهدنا منذ سنين على تبادل المصالح في هدوء مقابل ما تحتاجون من أموال.

- أنا محتاجه دعمكم، عايزه أحس إن في ضهري سند.

- هذا السند الذي تحتاجينه ستجدينه من جماعتنا هنا في بلاد العالم المتقدم، أما في بلادكم فلا زالت في الجهل بعيدة.

كان بالفعل عائقهم هو عدم استخدام بلاد العالم الثالث للتكنولوجيا المتطورة؛ مما يبطئ توغل حواسيبهم إليها!

- يبقى عشان كده إنت محتاجلي.

- ولكن مؤسساتنا لم تحتج أبدًا إلى أية شخوص.

- بس البني آدم هو اللي بيعمل المؤسسات مش العكس.

ابتسم لها "جون" قائلًا:

- إجابة صحيحة...

***

وصل ثلاثتهم إلى مكتب "غانم" الذي اندهش من وجود الرائد "هشام"، حيث كان يعلم أنه من رجال المباحث المشاركين في اتهام "ماجي" بينما رمقه الآخر في غيرة، فلقد اعتبره غريمه، فهذا الرجل هو الذي فضلته "ماجي" عليه، بعدما قررت ترك "أدهم الجوهري" ليندهش الرائد "هشام" فإذا كان قد تفهم سببًا لزواج "ماجي" من "أدهم الجوهري" فلم يستطع تفهم السبب خطبتها لـ"غانم"، فلم يكن الرجل مقتدرًا حال "أدهم" بل كان شابًا، يمتلك فقط هذا المكتب الصغير الذي يقوم فيه بالدفاع عن الأبرياء، التي وكانت "ماجي" منهم. لاحظ "حلمي مهران" تمسك الرائد "هشام" بقوة مؤلمة بيد "غانم" ليتدخل:

- أقدملك الرائد "هشام".

- غني عن التعريف... بس...

- مفيش بس، ماتقلقش الرائد "هشام" اقتنع ببراءة "ماجي"، بعد اللي اكتشفناه.

ابتسم "غانم" وهو يستعيد يده انتزاعًا صعوبة ليقول:

- أنا من ساعة ماكلمتوني بالتليفون وأنا مش على بعضي، أرجوكوا اقعدوا وفهموني.

مشيرًا لهم بالجلوس، جلس الجميع، ليبدأ "حلمي مهران" قص ما توصل إليه ثلاثتهم في استمتاع لوقت طويل خلا من أي ملل، فلقد استطاعوا إقناعه بكل خطواتهم، ليقف "غانم" غير مصدق:

- يعني إيه؟!

تساءل "غانم" مندهشًا، ليستمتع ثلاثتهم بنظرات فضوله، لتبدأ "أمنية" في استكمال شرحها:

- يعني تلات جرايم بنفس السلاح ونفس السم ونفس اليوم؟! يعني لو قدرنا نثبت ده، ونثبت عدم وجود "ماجي" في الأقصر في نفس اليوم هاتطلع براءه.

- إلا إذا حد شك إنه ممكن يكون تكوين عصابي.

أضافها الرائد "هشام"، ليبتسم "غانم" قائلًا:

- حتى لو تنظيم عصابي، هايبقى سهل إثبات عدم تورط "ماجي" في حاجه، لإن الدافع اللي المحكمه مستنده عليه، هو الانتقام بعد ما "دنيا" قدمت للمحكمه عقود جواز "أدهم" من "ماجي" وطلعت سليمه، يعني لو الدافع ده مابقاش هو دافع الجريمه، مش هايبقى في غير أداة الجريمه.

- وهايفضل هناك نقطة ضعف وحيده في السيناريو ده، فين أدوات الجريمه في باقي الجرايم؟!

***

دخل "محمود وهبة" مرة أخرى إلى ذلك القبو، فهو لا يستطيع

تحمل مرارة الانتظار، ليتوجه إلى هذه الخزانة الخاصة ليفتحه، ومن داخله فتح هذه الضلفة السحرية التي تكشف مكانًا خفيًّا لخزينة رقمية، فتحها "محمود وهبة" لتوه، ليتفقد هذين الخنجرين النحاسيين الملتويين كالأفعى، واللذين خُرطت قبضتهما على شكل مفتاح الحياة!

***

- إنتوا ليه مقتنعين إنهم تلات أسلحه؟!

تساءل "غانم" الذي تحرك ليشعل بعض الشموع التي تبث رائحة مريحة بدأوا يستنشقونها قبل أن يضيف:

- لو قدرنا نثبت إن الجروح اللي اتسبب فيها جرح "هجرس الزيات" و"هاشم السباعي" نفسها مطابقة لسلاح مقتل "أدهم" هانوصل لنتيجه أحسن، إن فعلًا القاتل المتسلسل ده قتل بنفس السلاح.

اعترض "حلمي مهران" بغضب ووقف وتحرك ناحية الجدران معطيًا الجميع ظهره من أمام تلك النتيجة المعلقة وقال:

- بس كده هانوصل لنفس النتيجه، ليه المجرم ساب السلاح في جسم "أدهم" بالذات مع بصمات "ماجي"؟! وبعدين الأهم من ده كله أنا شفت الأسلحه، شفت الخناجر كلها، وشفت كمان خنجر رابع.

ظهر الخوف على "غانم" ليبتلع الرجل ريقه ليقول مهدئًا:

- يا فندم إهدى، إحنا بنتناقش مش أكتر، وبعدين شفت الخناجر دي فين؟!

أحرجت "أمنية" واعتذرت لـ"غانم" وحاولت تهدئة "حلمي مهران" الذي ظل متسمرًا أمام ذاك التقويم الرقمي٢٣٤ التي كانت مهداة للرجل من شركة ما، حيث كان معلقًا بها مجموعة من الأوراق كُتب عليها التاريخان: العربي والإفرنجي في ورقة واحدة، نلقي بها كل يوم لنشير إلى يوم جديد، إلا أن التقويم كان متوقفًا عند تاريخ ما، فاقتربت منه "أمنية" ناظرة إلى ما يرمقه ويتفحصه!

حيث كان التقويم يشير إلى الحادي والثلاثين من تشرين الأول

٢٠١٦ التاسع والعشرين من المحرم ١٤٣٨، بينما كانت هناك بضع قطرات من الدموع الدامية تتسرب من النتيجة، ليقترب "حلمي مهران" منها ويقطع تلك الورقة، إلا أن ذاك التقويم كان يحمل نفس التاريخ الإفرنجي في كل مرة، ولكن مع تغيير العام والتاريخ العربي، فلقد كانت الورقة التي تليها تحمل تاريخ ٢٠١٧ مع العاشر من صفر لعام ١٤٣٩ والتي تليها تاريخ الثاني والعشرين من صفر للعام الذي يليه، ليظل "حلمي مهران" يقطع ورقة تلو الأخرى دون أن يتغير هذا التاريخ المعلوم، ليزداد غضبه وهو يقطع الورق الذي ملأ المكان من حوله، حتى بدأت الأوراق في تكوين هرم ثلاثي بطريقة هندسية غريبة، وهنا يشعر "حلمي مهران" بأصواتهم وضحكاتهم تتعالى، فلقد بات عقله مريبًا، ليظل يبحث عن مصدرها خارج تلك الجدران الخشبية التي سجنته في مكتب "غانم" تلك الحوائط التي تمنع انتقال الصوت إلا لمن يملك المفتاح، ليصرخ دون أن يسمعه النيام، لتهمس تلك الحوائط إلى أسيادها بالحقائق ناقلة الأخبار التي أنصتت لها لتوها، لينظر "حلمي مهران" إلى تلك العين الساحرة التي تطل عليه من خلال قمة الهرم المعلق على الحائط بشكل لوحة ثلاثية غريبة، ليمسك بهذا المقعد الخشبي حاملًا إياه دون أي إحساس بثقله ليلقي به على هذه اللوحة المزيفة لينكسر حاجزها الزمني ويتبعثر زجاجها في المكان، ليجد هناك "محمود وهبة" في قبوه ينظر إليه ممسكًا بهذين الخنجرين النحاسيين في تحدٍّ قبل أن يمسك بأحدهما ويلقيه بقوة واحترافية في الهواء في اتجاه قلب "حلمي مهران" مخترقًا أحاسيسه المريضة، ليستفيق هذا الأخير على نزيفه النفسي من جديد ليقع أرضًا، ممسكًا بتلك الشموع التي أشعلت المكان، ليهرب الجميع ويظل هو وحيدًا يرمق تلك النيران المشتعلة حوله وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة من هذا الدخان طيب الرائحة!

***

كانت "وعد" تشعر أنها ليلتها الأخيرة فودعت ابنها الذي اصطحبه والدها إلى منزله، وتركه مع خاله وخادمته، وتبدأ "وعد" طقوسها الأخيرة التي تناستها، فتتوضأ وتأخذ إسدال والدتها لتبدأ في صلاة

المودع، صلاة استطاعت فيها الخشوع، صدق جارف اجتاز قلبها الذي هو بين يدي خالقه، كانت تعلم أنها ستقابله، واستطاعت بصدقها الوصول إلى ما لم يستطع الكثيرون من المصلين، أصطفت حولها الملائكة يرددون من بعدها دعاءها، فشعرت هي بهم، حال أمها التي لاحظت رائحة المسك في المكان، ووقفت هي الأخرى خلف ابنتها في دعاء مخلص طلبت فيه من ربها أن يعطي لابنتها العمر الكافي حتى تستطيع "وعد" دفنها بعد وفاتها حتى لا تُحرم من دعاء ابنتها بعد موتها، وليس العكس، طلبت من ربها بإيمان صادق استبدال سنين عمرها مقابل حياة ابنتها الشابة، وتدرك في قبرها دعاءها، فكل أب وأم يتمنى أن يُدفن على يد أبنائه الصالحين، مستمتعين بدعواتهم، ويظل كل منهما ساجدًا، حال "فؤاد" الذي سجد لله داعيًا لها هو الآخر بعدما ثقل قلبه في الآونة الأخيرة، ليدمع كل منهم باكيًا على ليلاه.

***

- "حلمي" إنت كويس يا "حلمي"؟ رد عليااا.

رددها الرائد "هشام" من جانبه الذي كان لا يزال ينظر إلى تاريخ اليوم من أمام النتيجة المعلقة في غرفة "غانم" الذي بدأ يشك في حالته الذهنية بالفعل، ليطلب من سكرتيرته الشخصية بعض الماء، ليشربه "حلمي مهران" ويهدأ وهو ينظر إلى تاريخ اليوم في النتيجة ليقترب منها ويقطع ورقة اليوم ليجد يوم غد مكتوبًا بطريقة عادية... ليعلق:

- أنا آسف.

- مش مهم آسف، المهم إن حالتك دي ماينفعش تظهر بيها في المحكمه خالص.

لحظات صمت فيها الجميع حتى استعاد "حلمي مهران" عقله في حرج، ليستكمل النقاش:

- مش مهم أنا أحضر، المهم إنك إنت تحضر.

- ماتخافش، أنا هاروح الصبح أطلب من القاضي تأجيل الحكم وهاوصله كل المعلومات دي، وإن شاء الله يبقى عندنا وقت نجهز فيه ونعرف علاقة التلاته دول ببعض.

قالها "غانم" مبادلهم روح التعاون، لتعلق "أمنية":

- وأنا ليا علاقات في شركات الاتصال، ممكن أحاول أجيب أي صله بينهم.

- لازم الكلام ده يجي بصفه رسميه عشان المحكمه تاخد بيه، المهم دلوقتي إنتوا لازم تداروا في أي حته لغاية ما نعرف مين الجهه اللي ليها مصلحه في القضيه، واضح إن الموضوع أكبر مما كنت أتخيل.

قالها "غانم" قبل أن تعلق "أمنية":

- ماتخافش محدش هايعرفلنا طريق جره.

- ليه يعني هانروح فين؟!

تساءل الرائد "هشام" بفضول، ليبتسم "حلمي مهران" قائلًا:

- زي ما قالتلك "أمنية" محدش هايعرف لنا طريق جره.

- عظيم وأنا هابقى معاكوا على التليفون لغاية ما نوصل للحقيقه.

حيا "حلمي مهران" المحامي مصافحًا إياه، ليسأله سؤالًا أخيرًا:

- إنت خسرت قضايا زي دي قبل كده؟

سكت "غانم" لحظة ليتذكرني! قبل أن يجيب على مضض:

- خسرت قضيه واحده، بس صدقني مش هاتتكرر تاني.

بثقة قالها، فلقد كان يعرف بالفعل كفاءته، لينصرف ثلاثتهم من هناك مترجلين، حتى أشار الرائد "هشام" لإحدى سيارات الأجرة، ليركب ثلاثتهم، ليبتسم لهم هذا السائق المريب "عاطف"!

***

بعد مغادرة "جون" توجهت "دنيا" إلى هاتفها لتتصل بعشيقها وهي تقف عند تلك النافذة الساحرة ليجيبها من أرض مصر ليعلم كل منهما

الآخر بما يجهل، ليتخذ بعدها "محمود وهبة" قراره، فلم يمتلك إلا القوة أبدًا في حلوله.

***

وصل ثلاثتهم إلى الملجأ، ليبتسم إليهم سائق التاكسي هذا تاركًا إياهم عند هذين التمثالين الغاضبين أسفل "مفتاح الحياة" ليدخلوا هذا الممر الخانق، ليستقبلهم الدكتور "إيهاب" الذي طلبت منه "أمنية" انتظارهم، فوافق على مضض، ليصعدوا إلى أعلى سائرين بجانب صالة الطعام ليلاحظهم الأطفال، ليرمقهم الرائد "هشام" في عطف ليكتشف لتوه أنه كان في حياته بالفعل محظوظًا. من بين الأطفال تحرك هذا الطفل أحمر الشعر ليحتضن "أمنية" لتتأخر لحظات عن الجميع، ليلاحظ "حلمي مهران" أمومتها ويتوقف متخلفًا هو الآخر عن البقية، حتى تركها الطفل وصارت وحيدة أمامه، ليقترب منها محاولًا لمس يديها لتسحبها فجأة:

- مالك يا "أمنية" من الصبح؟!

أحرجت "أمنية" من صوته العالي لتقول:

- وطي صوتك.

- معلش، إنتي مش شايفه إنتي بتعامليني ازاى من ساعة ما روحنا المستشفى؟

- ولا حاجه يا "حلمي"، بس إنت مراتك محتاجاك، وأظن من الرجوله، إنك تكون جنبها دلوقتي، مش هنا.

بقسوة قالتها وسبقته إلى الدور الثالث، بينما ظل هو وحيدًا هناك يهضم كلامها، حتى بدأ الأطفال بالحركة بطريقة مريبة، ليشاهدهم "حلمي مهران" بقلق من خلف زجاج غرفة الطعام التي تفصلهم عن الممر. كانوا يحاولون نداءه بوضوح ولكنه لم يستطع سماعهم، ليفتحوا أفواههم، ويكتشف هو أنهم جميعًا مفتقدون لألسنتهم، فكوكهم مكسرة، ليزداد صراخهم قسوة حتى كادت أحبالهم الصوتية تتآكل، بينما امح "حلمي مهران" من وسطهم هذا الطفل أحمر الشعر

يشير بطريقة مخيفة إليَّ حيث كنت (أنا) هناك في آخر الغرفة. تحلى "حلمي مهران" بالجرأة وتابع خطواتي دون اكتراث لهذا الفصيل من الأطفال الذي يشبه الذئاب، أم لعله متيقن أنه واهم، ولكن هل (أنا) بالفعل مجرد تيهؤات؟ أم أني واقع لا يدركه الكثيرون حتى الممات!

هرع "حلمي مهران" خلفي حيث خرجت (أنا) من صالة الطعام ومن ثم الممر لأخطو بخطى هادئة وبطيئة على ذلك السلم، ليحاول "حلمي مهران" اللحاق بي دون جدوى، حتى دخلت (أنا) الغرفة المظلمة، ليتبعني مقتحمًا حرمة الغرفة المعقمة، ليحرج عندما لاحظ هذين السريرين المستلقي على أولهما "حياة" مبتسمة بعدما تبرعت لتوها بهذا القلب الأبيض الذي أمسكه (أنا) الآن من وسط السريرين، ليرمق هذا القلب النابض بين يدي مندهشًا قبل أن يلاحظ "صدفة" عن يساري تنتظر "الحياة". حاول "حلمي مهران" الاقتراب نحوي، لأتحرك (أنا) إلى الخلف ويرتجف بين يديَّ قلب مفتاح "الحياة".

- "حلميييي".

كررها الدكتور "إيهاب" وقد لاحظ افتقاد "حلمي مهران" لواقعه، لينتبه الأخير الذي أصبح يعرف علته، بل وبدأ يحاول تسخيرها، ليقول:

- معلش آسف ماتخافش أنا كويس.

- طيب يالا تعالى مستني إيه؟!

قالها "إيهاب" وهو ينظر عبر زجاج غرفة الطعام الخاوية في اندهاش، قبل أن يتحرك إلى أعلى ويتبعه "حلمي مهران" وصولًا إلى الغرفة المعروفة!

- لازم تعرفوا إنكم لازم تخلصوا من مشاكلكوا دي بسرعه، دي دار أيتام وليها سمعتها.

اكتفى "إيهاب" بكلماته الواضحة قبل أن يتدخل "حلمي مهران" قائلًا:

- أنا عايز كمبيوتر.

- أفندم؟!

- بقولك عايز كمبيوتر!

بثقة كررها، لتتفهم "أمنية" غايته.

- أنا عندي هنا "لاب توب".

قالتها وهرعت خارج تلك الغرفة مزدوجة الأسرة، ليظل ثلاثتهم في انتظارها، ليستلقي الرائد "هشام" متألمًا، ليباشر الدكتور "إيهاب" دوره كطبيب بجانبه. لحظات ورن هاتف "حلمي مهران" وإذ به "غانم" يصرخ مستغيثًا وهو يقود سيارته مسرعًا في الطريق:

- إلحقني يا "حلمي" حرقوا مكتبي!!

وقف "حلمي مهران" مندهشًا في لحظة عودة "أمنية" التي انتبهت لما يحدث، ليتذكر "حلمي مهران" الحريق الذي شاهده منذ ساعات في مكتب "غانم" ليقول:

- مين؟!

- معرفش بس أكيد إنتوا السبب.

- طيب تعالى هنا بسرعه ماتروحش البيت.

قالها "حلمي مهران" وأعطى الهاتف لـ"أمنية" كي تدل"غانم" على المكان بسرعة ثم أنهت المكالمة، ليزداد "إيهاب" توترًا:

- لأ كده ده مابقاش ملجأ!!

- أنا آسفه يا دكتور، أوعدك بكره الصبح نكون ماشيين كلنا.

هدأ "إيهاب" للحظة، بينما خطف "حلمي مهران" من "أمنية" جهاز "الكمبيوتر" ووضعه على السرير الآخر، وجلست هي إلى جواره في فضول، ليقول:

- فاكره الأحجيه الرابعه؟

- آه معايا.

أبرزت "أمنية" ما في جعبتها من معلومات، وقد كانت الأحجية

تحتوي على رابط لأحد المواقع العالمية المشتمل على مقطع فيديو يتطلب كلمة السر المتعلقة بتلك الأحجية التي لم يستطع أي منهم إجابتها، وإن كان "حلمي مهران" قد شك في رؤيته للتو!

***

وصل "غانم" إلى هذا الملجأ في ترقب وخوف وقد ظهر على ملابسه آثار الحريق الذي طاله، بينما كانت هناك سيارة أخرى تتبعه من بعيد، والتي كان فيها كبيرهم غاضبًا، وإن أشار لمساعديه بعدم الاقتراب، ليراقبوا "غانم" وهو يدلف بسرعة بين هذين التمثالين اللذين استمتعا بوصوله، لتستقبله "أمنية" من الخارج ليستند عليها ليصعدا سويًا مرورًا بطيفي وحتى وصولهما إلى تلك الغرفة التي قد تحولت إلى غرفة عمليات مخابراتية، ليبدأ الجميع في الترحيب بصديقهم "غانم" لتجلسه "أمنية" على أحد السريرين الذي تركه له الرائد "هشام" وكأنهم في مستوصف ما قائلًا:

- تعالى جنب أخوك.

ضحك "غانم" متألمًا بينما ظل "حلمي مهران" في تركيزه لتسأله "أمنية":

- إنت بتدور على إيه بس؟

- أول عملية زرع قلب كانت فين؟!

- كاب تاون في جنوب أفريقيا.

قالها الدكتور "إيهاب".

- هايل، طيب مين الدكتور؟

تساءل "حلمي مهران" ليجيب الدكتور "إيهاب":

- "كريستين برنارد" على ما أعتقد.

جربها "حلمي مهران" ولم يصل لضالته، ولكنه أثار فضول "أمنية" وذكاءها، لتتذكر تلك الأحجية وتمسك بالجهاز دون اكتراث لـ"غانم" هي الأخرى قائلة:

- مش المهم الدكتور.

- أمال مين المهم؟

- المتبرع.

- البذور...مفتاح الحياة....صح.

قالها "حلمي مهران" مبتسمًا، لتبدأ "أمنية" بحثها بالعربية ولكنها لم تصل إلى غايتها، ليخطف منها الجهاز ويكمل البحث ليجدوا ضالتهم أخيرًا، هذا الاسم الأنثوي الذي فتح لهم الرابط، ليُعرض على خمستهم ذلك الفيديو الذي صورته تلك الكاميرا الموضوعة في دمية ابني "رمزي" منذ شهور طويلة! ليشاهدوا ما جهلت للتو غير منتبهين لتلك الخطى التي تصعد إليهم عبر السلالم!

***

(07)

عيناي لم تفارقا صورتها في هاتفي طوال رحلتي على متن هذه الطائرة "الإيرباص ٣٣٠" منذ لحظة مغادرتي، فلولا نظراتي لها ما تحملت فكرة وجودي على متن هذه الخردة الحديدية التي تحلق في السماء منافية لكل حدود المنطق الذي يفهمه عالم مصريات مثلي، فكارهٌ (أنا) لتلك الأماكن الضيقة التي تحبس الأنفاس، حال هذا السجن الأسطواني المحلق في الهواء؛ لذا أهرب دائمًا داخل صورة "صدفة" فهي تخلق لي دنيا مليئة بـ"الحياة" بقلبها وليس جمالها، فقلب "صدفة" هو قلب "الحياة"، أنها ليست فقط زوجتي بل هي حقًّا توأم روحي ومغازلتها تحييني، خاصة مع هذه المطبات الهوائية التي تجرني لأغطس أعمق داخل ملامحها منعزلًا عن هذه الصدمات الجوية، حتى لامست أخيرًا إطارات الطائرة أراضي مطار القاهرة، لأجد نفسي أخترق الصفوف متلهفًا للنزول ورؤيتها، لأنجح في بلوغ عالمي الأرضي، منهيًا كل إجراءات الوصول في دقائق معدودة، لتتابع عيناي البحث عنها بين كل الوجوه المصطفة تلهفًا لأحبابهم، ولكني عجزت عن إيجاد "صدفة"، فتوترت وأخرجت هاتفي لتصبرني صورتها مرة أخرى و(أنا) أطلب رقمها المدون في ذهني، لتظل الشاشة تعكس تعذر الاتصال، لأشعر بتلك الحرقة مصدرها توتر القلب الخائف من شيء ما، حرقة يحاول العقل دائمًا نفيها بكل منطق متاح، لأجد نفسي داخل هذا التاكسي المتوجه إلى منزلي بالقاهرة الجديدة، بينما السماء تغرق الليل بأمطار غزيرة غير معهودة مُطيلة من رحلتي، لأنغمس منعزلًا داخل صورتها مرة أخيرة متجاهلًا كل تدريباتي الذهنية التي تعلمتها لأتقبل العالم، ويتقبلني كشخص عادي غير مضطرب أو مميز كما يسموننا.

وصلت أخيرًا، لأجدني أفتح باب السيارة باحثًا في يأس عن هواء بارد يثلج صدري بين رياح الشتاء، لأترجل وأقف للحظات بعد مغادرة السيارة مبللًا ببكاء السماء، حتى امتلأت رئتاي وتشجعت، لتغلب خطواتي على خوفي وتهرع بي إلى الداخل في ثوانٍ قليلة، لأفتح باب منزلي للمرة الأخيرة. كنت أخاف إلا تراها عيناي، ولكني للأسف

رأيتها، فلقد كانت "صدفة" هناك أمامي مباشرة تجلس مرتعشة خائفة على أحد مقاعد مائدة سفرتنا الزجاجية، ورغم قيودها حاولت جاهدة أن تهدئني بابتسامة كاذبة، قبل أن تفضحها دموع ألمها، لم أرَ في البداية سواها مقيدة وعارية إلا من ملابس قليلة تكاد تستر جسدها الأبيض، لأنتبه إلى وجودهم، بدوا لي أربعة!! وكنت أعرفهم جيدًا! كما سأحرص على أن يتذكروني جيدًا جدًّا! ولكن بعد تلك اللحظة التي كنت قد فقدت فيها ثباتي، وعدت إلى سابق عهدي مريضًا بأعراض التوحد أعجز عن التجاوب مع الجميع.

- حمد لله على السلامه، نورت مصر.

قالها زعيمهم "محمود وهبة" وهو يقترب ليجلس بجانب زوجتي المرتعشة، قبل أن يجلسني "هجرس الزيات" على مقعد بجانبهما، وإن لم يمنعوا روحي من التحليق أعلى المشهد، فلم أعد هناك بينهم، وحتى نظرات "صدفة" لي كانت قد باءت بالفشل.

- الجماعه برا بتشكرك على الهديه اللي بعتها، بس واضح إنك كنت حابب تهرج.

قالها "محمود وهبة" واقترب من زوجتي مكملًا:

- فقلنا نيجي النهارده عشان تعرف إن إحنا مابنحبش التهريج.

قالها وجلس مقتربًا بأنفاسه من زوجتي ليبتسم لي بوحشية قبل أن يلعق رقبتها، لتتعالى صيحاتها الواهية في الاستغاثة بي، فلم أساعدها إلا بصمتي ونظراتي المريضة التائهة.

- ناوي بقى تدينا اللي إحنا عاوزينه ولا هاتخليني أستطعم القطه مراتك دي كلها؟

تحسس "محمود وهبة" فخذي زوجتي بشراهة حتى بدأت كفه في التوغل بينهما لتصرخ "صدفة" بينما ضحك "هاشم السباعي" بوحشية! أما (أنا) فكنت لا أزال في عالم ما موازٍ، أراقب الأحداث ولا أستطيع التفاعل معها.

- أنا شخصيًّا مبسوط وماواريش حاجه.

وددت لو أعطيت له ما ابتغى، فلم أكن أبدًا قويًا مثل البقية بل العكس، فمنعني ضعفي كعادة طفولتي من التواصل.

- واضح إن شرفك ما يفرقش معاك في حاجه.. طيب.

أخرج "محمود وهبة" يده مشيرًا إلى "أدهم الجوهري" فاقترب منه حاملًا خنجرًا قديمًا، ثم توقف "محمود وهبة" والتف حولي ليجبرني على إمساك خنجري بيميني تحت قبضته، لتعجز يدي المرتجفة عن المقاومة، بعدما عزلت نفسي عن العالم داخل عيني "صدفة" الدامعتين، ثم أرغمني "محمود وهبة" على توجيه سلاحي إلى "صدفة" قلب "الحياة"، ليبدأ قتلي ببطء قائلًا:

- إنتي عارفه يا مدام "صدفة"، إن جوزك المخلص الوفي ده، عمره في حياته ما حبك إنتي؟

رغم آلامها إلا أني وجدت لمعة في عينيها قد تغيرت راسمة نظرة امرأة فضولية منصتة للحديث، ليكمل "محمود وهبة" كشف سري، مستغلًا عجزي عن النطق.

- أيوه يا هانم، عمره ما حبك إنتي، لكن حب قلبك.

قالها وهو يحرك يدي ناحية قلبها.

- أو بمعنى أصح قلب مراته الأولانيه "حياة" مش ده كان إسمها برضه؟ أنا الخواجه "جون" حكالي كل حاجه.

ساخرًا قالها متلذذًا بانكساري، بينما (أنا) أحاول نفي كلامه بنظراتي الضعيفة، إلا أن "صدفة" كانت تعلمني أكثر من نفسي، فدخلت إلى أعماقي لتتأكد مما حاولت (أنا) إنكاره.

- شايف عينيكي مصدقه، عشان دي الحقيقه يا هانم، الست العيانه اللي ماتت قبل ما تديكي قلبها تعيشي بيه كانت مراته.

سكت "محمود وهبة" لحظة ليراقب نصره قبل أن يتابع:

- وده السبب اللي خلاه يجري وراكي عشان يتجوزك...بس.

ناغزًا قلبها بالسلاح أكد.

- عشان قلب "حياة" يا هانم مش عشانك، الراجل ده عمره ما حب ولا هايحب حد غير "حياة"، إنتي كنت مجرد ظل ليها.

تلذذ "محمود وهبة" بسادية بدموع "صدفة" وهي تنهمر، فلم يكن ألم جسدها كوجع كرامتها الذي تملكها مع صدق صمتي.

- بس عمومًا أنا النهارده جاي أخلصك من الإحساس ده.

أطبق "محمود وهبة" على يدي الموجهة بسلاحي إلى قلب "حياة" بينما "صدفة" تقتلني بنظراتها المتسائلة، ليكمل لعبته مجبرني على الضغط على صدر "صدفة" وأخذت الدماء السطحية في النزيف!

- ساعدني يا بابا أمال، هو (أنا) هاعمل كل حاجه بنفسي؟

بكيتُ (أنا) وتابع هو:

- ها...مش عايز تقولي حاجه بدل ما قلب "حياة" يموت؟

صمتُّ (أنا) وتابع هو:

- يا بابا أنا حنية قلبي دي مابتدمش كتير.

عجزتُ (أنا) وتابع هو:

- براحتك.

متُّ (أنا) وضغط هو...لينغمس الخنجر مخترقًا قلب "صدفة" و"الحياة" لأغرق (أنا) في دمائها وهي تقع بأحضاني، أعجز حتى عن الصراخ، فلقد قتلت بيدي حبيبتي، بل بضعفي وقلة حيلتي، لأبكي عجزي ذلًا إلى خالقي، هذا العجز الذي منعني من إنقاذها كما منعني كثيرًا من مواجهتها بالحقيقة التي وددت لو أخبرتها بها، ولكني في تلك اللحظة أدركت كامل الحقيقة، فلم أكن بحاجة لمواجهة "صدفة" بحبي لـ"حياة" بل كنت بحاجة لمواجهة "حياة"، فبالفعل أحببت (أنا) تلك المرأة الغارقة بدمائها في أحضاني، نعم أحببتها هي...."صدفة" وكانت بالفعل صدفة ولم تكن أبدًا فقط..."قلب الحياة".

دخل المشهد هذا الطفل المختبئ في خزانته كعادته وعادتي! فلم يتحمل سماع صراخ "صدفة" ليدخل ممسكًا بهذه الدمية التي كانت

تحمل هذه الكاميرا التي صورت الحدث، وإن لم يرحم الطفل طفولته، ليخرج "محمود وهبة" الخنجر من قلب "حياة" لينهي حياة هذا الطفل المسكين، ليخفي سره لأزداد وحدة في هذا العالم الذي بت فيه ضيفًا أنتظر لحظة مفارقتي له لأجتمع بأحبائي، فلم يصبح للـ"حياة" معنى، وصرت (أنا) هذا المسخ البغيض!

***

شاهد "حلمي مهران" مع الجميع هذا المقطع المصور للحدث الأكبر في حياتي، عندما قتل الطفل وزوجتي من أمام "عيني" (أنا). توقف الجميع لحظات عن الحديث، حتى قال الرائد "هشام" مندهشًا:

- "محمود وهبة"؟!!!

- ماتستغربش يا "هشام"، قلتلك ما تثقش في حد خالص.

ظل الرائد "هشام" يربط الأحداث ببعضها، ليجد أن تورط "محمود وهبة" صار منطقيًا، فهو من أرسل "حلمي مهران" لهذا الحفل، وهو من منع التحقيق في هذه الصفحة، وبالطبع هو من نقل الرائد "هشام" إلى المباحث للتحقيق في تلك القضية. لحظات من الشرود قبل أن يرد متماسكًا:

- طيب خلاص كده التلاته إتربطوا ببعض، ومعاهم "محمود وهبة" فوق البيعه.

- ويا عالم.. كان معاهم حد تاني والفيديو ماجابوش ولّا لأ!!

علق الدكتور "إيهاب" ليقاطعه "حلمي مهران" في حزم:

- مش مهم، المهم دلوقتي، إن الأستاذ "غانم" يعرفلنا مين الراجل ده اللي قتل مراته وإبنه ده، ودي أكيد سهله وبكده يقدر الصبح يقفل القضيه، صح يا أستاذ "غانم"؟

لم يُجِب "غانم"، بل ولم يتطرق إلى الحديث منذ رأى الفيديو، فأعاد "حلمي مهران":

- "غانم"!!

بعد لحظات من الندم أجاب "غانم" بصوت منخفض:

- ده "عياش".

- "عياش" مين؟!

تساءل أغلبهم، ليجيب "غانم" دامع العين:

- دي القضيه الوحيده اللي خسرتها في حياتي!

***

من الخارج اقتربت السيارات وهي تلاحق "غانم" بينما كان كبيرهم بالداخل بالفعل يتحرك على السلم، حتى انتبه "إيهاب" إلى الصوت ليقول:

- هششششش إستنوا.. في صوت حد طالع.

- أكيد حد قطرك يا "غانم" الله يحرقك.

قالها الرائد "هشام" ليدافع "غانم" عن نفسه:

- يا عم ما أنا محروق قدامك أهو.

قاطعهم "إيهاب" بحزم وصوت منخفض:

- اسكتوا إنتوا الاتنين خالص، أنا هانزل أشوف مين، وإنتي إطلعي يا "أمنية" بيهم فوق إنتي عارفه هاتعملي إيه.

- لأ مش هاسيبك لوحدك.

- إسمعي الكلام.

بحزم قالها الدكتور "إيهاب" وخرج، ومن خلفه الجميع، ليتفرقا عند السلم لتصعد "أمنية" بالبقية بينما نزل هو السلم وحيدًا حتى وجده من أمامه!

***

من أعلى وصلت "أمنية" إلى غرفة الموسيقى التي كانت تدرس فيها ثم اصطحبتهم إلى هذا السلم المعدني الخارجي الذي يمر من هنا وإلي أسفل مرورًا بكل الأدوار، ليبدأ كل منهم في الهروب، حتى

وصلوا جميعهم عند الطابق الأرضي، ليصبحوا خلف مكتب الدكتور "إيهاب"، ليتحرك الرائد "هشام" بخفة إلى الشارع الخلفي ومن بعده "حلمي مهران" بينما انتظرت "أمنية" حركة "غانم" ملاحظًا ترددها، ليتبعها وهو يراقبها حتى وجدها عادت إلى الداخل، فمنعته النخوة من الفرار، ليعود إليها دون أن يدرك الرائد "هشام" و"حلمي مهران"!

لتحاول "أمنية" التلصص لمعرفة ما يدور في مكتب الدكتور "إيهاب"، قبل أن تتعثر قدمها وتصطدم بالجدار الفاصل بينهم، ليشعر بها سكان المكان الذين سمعوا خطواتها، لتشعر هي بقربهم، قبل أن يخطو "غانم" في مروءة من أمامها ويخرج من مخبئه ليغطيها، ليشير إليها بالفرار، فلم تجد بُدًّا هي من الهرب، لتستفيد من تضحية الرجل ولتنبه البقية، هارعة إلى الخارج بخفة، لتلحق بـ"حلمي مهران" والرائد "هشام" اللذين كانا هناك ينتظران:

- في إيه؟ ومين دول؟ وفين "غانم" و"إيهاب"؟

- معرفش بس لازم نبلغ البوليس.

- أفندم!

علق "هشام" بتهكم ليخرج سلاحه قبل أن يمسك به "حلمي مهران" مهدئًا من روعه.

- مش قبل ما نفهم في إيه!

قاطع حديثهم أتصال ورد ل"أمنية" من الدكتور "إيهاب" بالداخل، يطمئنها:

- أيوه يا "أمنية" مفيش حاجه دي المشرفه اللي كانت جايه تبات.

قالها الدكتور "إيهاب" أمام تلك المشرفة التي وقفت أمامه معتذرة عن دخولها متسللة بتلك الطريقة نظرًا لتأخرها.

اطمأنت "أمنية" وتنهدت قبل أن يضيف "إيهاب":

- بس ده مش معناه إني أجاريكوا في اللي بتعملوه هنا، ده ملجأ، وفي أطفال بريئه ماينفعش يتعرضوا لأي خطر.

قالها بقسوة لتوافقه "أمنية" وتتحرك في انكسار بعدما أحرجها، ليتبعها "حلمي مهران" متسائلًا:

- في إيه يا "أمنية"؟ طب رايحه فين؟ طيب مش هانستنى "غانم"؟

لم تُجِبه "أمنية" وظلت تتحرك ليتبعاها مبتعدين جاهلين حقيقة ما يحدث في الداخل للتو؛ حيث أنهى الدكتور "إيهاب" الهاتف والتفت إلى الفتاة معتذرًا:

- خلاص حصل خير، ممكن تطلعي إنتي على أوضتك، وياريت ماتتأخريش تاني.

لم تُجِب الفتاة المتوقفة من أمامه، ليكرر "إيهاب" حديثه:

- بقولك روحي على أوضتك!!

لم تُجب الفتاة التي بدأت الدماء تسيل من فمها، لحظة رأى "إيهاب" تلك البقعة الحمراء على خصرها التي اخترقها سلاح أبيض عميق؛ قبل أن تتحرك القتيلة بضع خطوات إليه!!

ليسقط هاتف "إيهاب" أرضًا من هول ما رآه قبل أن يدرك هذا الظل الذي يحرك الفتاة المقتولة، التي أسقطها قاتلها أرضًا للتو، ليرى "إيهاب" أخيرًا قاتلها، حيث ابتسم له "محمود وهبة" في تحدٍّ ليقول:

- فاكرني يا دكتور؟!

من الجانب الآخر، كان رجال "محمود وهبة" قد استطاعوا إيجاد "غانم" في الممر الخلفي، ليأتوا به إلى مكتب "إيهاب" الذي صار مقيدًا في وسطه من أمام "محمود وهبة" الجالس على مقعد المكتب الرئيسي، لينتبه إلى "غانم" الذي أمسكه رجاله، ليشير لهم ليجلسوه على الأريكة الجلدية من خلف الدكتور "إيهاب"، ليتابع حديثه:

- لو مافتكرتنيش فأنا افتكرتك كويس، رغم السنين دي كلها وفاكر كويس شفتك فين، وأكيد وجودهم هنا مش مجرد صدفه.

شعر الدكتور "إيهاب" بنهايته، ولكنه أقسم على حفظ السر فلم يجب، ليبدأ الحفل.

- أنا الصراحه مابفهمش إيه الحاجه اللي تستاهل إن الواحد يموت عشانها، عشان كده هاسألك إيه اللي حصل لـ"عياش الراوي"؟ عملتوا في إيه؟

ضحك الدكتور "إيهاب" ساخرًا بطريقة غريبة ثم قال:

- أنا معملتش حاجه، إنت اللي عملت، إنت اللي خلقت من ملاك شيطان، والشيطان ده مش هايحرقك النهارده، هايحرقك في الميعاد...

قالها وقد كان محقًّا، فلكل أجل كتاب، ولكل وعد "ميعاد"، ليخرج "محمود وهبة" سكينة ويقترب من الدكتور "إيهاب" بينما أغلق "غانم" عينه، ليقول "محمود وهبة":

- عمومًا لو "عياش" بقى شيطان فأنا بقى "إبليس" نفسه، وبقولك إنطق.

لم يتفاعل "إيهاب" مع تهديد "محمود وهبة" ليقول الأخير مبتسمًا:

- لو مش خايف على حياتك، خاف على العيال اليتامى اللي هنا.

سكت "محمود وهبة" وقال مشيرًا إلى رجاله:

- جيبولي العيال اللي فوق أقتل واحد واحد لغاية ما تنطق.

- لأ.

قالها "إيهاب" صارخًا، لينهار قائلًا:

- "عياش" مات والله مات.

- لسه هاتكدب تاني؟ إطلعوا هاتولي العيال اللي فوق.

تحرك الرجال متجهين إلى أعلى قبل أن يتدخل "غانم" بجرأة غير معهودة عليه ليقول:

- مش هاتلحق عشان زمانهم بلغوا عنك، بعد ما شافوا الفيديو اللي قتلت فيه مرات "عياش" فأحسنلك تسيب المكان وتمشي حالًا قبل ما يبلغوا عنك.

- فيديو!!

تعجب "محمود وهبة" الذي صدق حديث "غانم" بطريقة غريبة!

- أيوه فيديو إنت اتصورت وإنت بتقتل "صدفة" وإبنها، فأحسنلك تمشي بسرعه.

قالها "غانم" مهددًا "محمود وهبة" الذي استقبل هذا التهديد بغضب مبالغ ليقول:

- أنا محدش يهددني، إنت ما تعرفش أنا ممكن أعمل إيه فيكوا كلكوا!

استطاع "غانم" تشتيت إدراك "محمود وهبة" وإنقاذ أطفال الملجأ، إلا أنه لم يستطع إنقاذ "إيهاب" الذي توجه إليه "محمود وهبة" بالسؤال مرة أخيرة:

- طيب أديك سمعت يا دكتور، وعرفت إني معنديش وقت، يا ترى بقى هاتقولي اللي أنا عاوز أعرفه، ولّا تحب تحصل "صدفة"؟

قالها "محمود وهبة" من خلف "إيهاب" المقيد على كرسيه والذي أصر على كتمان "سر الأمنية الأخيرة" الذي عرفه جيدًا، ليبتسم "محمود وهبة" قائلًا في استمتاع مرضي:

- كنت عارف إنك هاتسكت.

بفخر قالها وهو يمسك سكينة حول رقبة الدكتور "إيهاب" ليذبحه كالماعز بدم بارد ليتلوى الأخير ألمًا قبل أن يدفع "محمود وهبة" بكرسيه أرضًا لتدمع عيني في الدنيا، و(أنا) أستقبل صديقي إلى عالم آخر أفضل من عالم البشر!

ارتعش "غانم" خوفًا من هول المشهد الدموي ليتوجه إليه "محمود وهبة" قائلًا:

- ماتخافش خلاص، أنا عايزك!

***

- هانعمل إيه دلوقتي؟

تساءل "حلمي مهران" من داخل هذا المطعم الذي توقفوا عنده ليحددوا مصيرهم، لتجيبه "أمنية":

- أنا ممكن أروح البيت، العنوان مش موجود ولا في البطاقه ولا الشغل، بس طبعًا مش هاقدر أستقبلكوا هناك، أنا عايشه لوحدي.

تفهم الرجال ما تقصده، ليتدخل "هشام":

- خلاص أنا عندي مكان نروحه.

- فين؟

- ماتخافش يا "حلمي" المهم إنتي يا "أمنية" لازم على الأقل نوصلك.

ترددت "أمنية" ثم وقفت قائلة:

- معلش خلوني براحتي، هبقى معاكوا على التليفون.

- براحتك.. طيب استني أنا هانزل معاكي أوقفلك تاكسي.

وقف "حلمي مهران" ونزل معها السلالم ليخرجا من المطعم، ليستغل وجوده معها دون البقية ليقول:

- أنا وعدت "وعد" بالطلاق.

ابتسمت "أمنية" رغمًا عنها وقالت:

- إحنا في إيه ولَّا في إيه يا "حلمي"! أنا عمري ما....

قاطعها "حلمي مهران" واضعًا يده على شفتيها، ليبتسم "هشام" من أعلى المطعم، ليكمل المحب قائلًا:

- أنا شفتك من أيام بس عرفتك من سنه، ولازم تعرفي إن "وعد" طلبت مني الطلاق من قبل الحادثه، وأنا كنت أضعف من إني أحققلها طلبها، بس النهارده أنا كنت قادر إني أوعدها إني أحقق حلمها، لما تقوم بالسلامه.

تنهدت "أمنية" وقالت:

- عارف يا "حلمي"، إحنا شبه بعض أوي، بس عمرنا ما مشينا في

نفس الاتجاه.

لم يتفهم "حلمي مهران" ما تصبو هي إليه، وإن كانا بالفعل وجهين لعملة واحدة، ليمسك بيدها قبل أن يشير إلى سيارة أجرة كانت قريبة، ليتوقف الرجل مبتسمًا، ليعرفوه جميعًا من فورهم!

***

من داخل جريدة ٢٤ ساعة كان اللواء "محمود وهبة" في مكتب "تيم" في هذا الوقت المتأخر من الليل، يتحدث بطريقة حازمة:

- أمال فين الموظفين كلهم يا "تيم" بيه؟

- حضرتك عارف الوقت متأخر ومفيش حد بيستنى لدلوقتي غير الإداريين.

قالها "تيم" وهو ينظر إلى "حنان" من خلف زجاج غرفته، لتفهم هي نظرته وتذهب بعيدًا ليحميها من شرهم، قبل أن يكرر "محمود وهبة" سؤاله:

- طيب يا ريت بقى تساعدنا عشان الشغل وتقولنا فين مكان بيت آنسه "أمنية"؟

- يا فندم بس أنا عايز أفهم الأول إيه الموضوع؟

- لو سمحت يا أستاذ "تيم" تساعدني عشان أنا جاي هنا بصفتي لواء شرطه مش صديق!

تردد "تيم" كثيرًا قبل أن تقتحم "سالي" الغرفة في غباء غير مكترثة بإشارة "تيم"، فلقد كان فضولها الصحفي أقوى، ليبتسم "محمود وهبة" مرحبًا بها:

- أهلًا أهلًا.

- أهلًا يا فندم.

- أنا اللواء "محمود وهبة" من إدارة التوثيق والمعلومات وكنت محتاج حضرتك توصلينا لبيت الآنسه "أمنية" عشان محتاجينها في شغل.

- حاضر يا باشا، هي سايبه عنوانها هنا معايا، أنا ثواني أكتبه لحضرتك.

قالتها بتلقائية بينما يقتلها "تيم" بنظراته معاتبًا.

***

- برضه مش هاتقولي إحنا رايحين فين؟

تساءل "حلمي مهران" ليجيبه الرائد "هشام" مبتسمًا:

- "فريد" الفريد.

قالها وهو يشير إلى سيارة أجرة عبرت لتوها، ليتوقف السائق ويندهش "حلمي مهران" كيف استطاع الرجل إنهاء رحلته السابقة لتوه! أم لعلهم فقط واهمين، وفي أحلامهم لا يزالون ماكثين!

***

(06)

لاحظت بعض التعاطف من الحضور في تلك الجلسة المشؤومة للسايكو دراما من بعد ما قصصت حادثة مقتل "صدفة" والطفل، وكأنهم تقبلوني فجأة بعد سنوات من رفض الجميع لي. أحببت (أنا) نظرات عطفهم فلقد كنت أحتاجها، ليبدأ بعضهم في النهوض ظانًا أن حكايتي قد انتهت ليتدخل الدكتور "علي" قائلًا:

- أنا آسف بس أعتقد إن المهم في الحكايه لسه ماتحكاش، لسه السطور اللي جايه هي اللي فيها حقيقة القصه ومعاها أصل المرض، وأكيد مع بعض هاكتشف العلاج.

صدق "علي" فكما ذكرت "لكل أجل كتاب ولكل وعد ميعاد".

لأكمل (أنا) تلك القصة المحزنة، فبعدما قتل "محمود وهبة" زوجتي "صدفة" والطفل، وصل رجال الداخلية، ولم يجدوا عداي (أنا) مغطى بالدماء، وبالطبع مع تقرير لحالتي الذهنية، بالإضافة لشهادة من جامعتي بألمانيا تدل أني قد طُردت لنفس السبب الذهني. زُج بي أخيرًا في السجن بتهمة قتل زوجتي وابني، ولكني لم أدافع أبدًا عن نفسي، ولمَ عساي قد أفعل! فلقد فقدت لتوي كل ما يربطني بالحياة، ولقد بت في انتظار أن ألاقي كليهما "صدفة" و"حياة" في هذا الخلود الأبدي الذي وعدني به الخالق، لتعين لي الجماعة هذا المحامي "غانم" الذي حاول التحدث معي مرارًا ولكني تمسكت بصمتي، فلم يستعطف المحكمة، لأظل هنا في السجن، تحت رحمة رجال "محمود وهبة" في كل مكان، ليحاول الأخير ابتزازي للتحدث عن هذا الموقع وقد عاهدت الكاهن الأعظم على حفظه.

في السجن تعرفت على هذا الشاب البريء "راضي" الذي زج به "محمود وهبة" في السجن هو الآخر في قضية مخدرات، ليصبح "راضي" صديقي الوحيد، فلقد كان كلانا يتعرض لنفس النمط من التعذيب، بصورة شبه يومية، أخذوا منا عزتنا ولكني لم أتنازل رغم كل تلك الظروف عن سري، بل أصررت على انعزالي حتى يئس الجميع مني وظنوني بالفعل قد فقدت الذاكرة أو تدهورت حالتي

الذهنية، وقد كان، ففي آخر أيام سجني كنت قد امتنعت عن الحياة ولم يعد التعذيب يجدي، فلم أعد أتناول الطعام أو الشراب، حتى يئس "محمود وهبة" في الداخل ورجال "جون" في الخارج، ليتركوني إلى مصيري في السجن!

***

ترك "محمود وهبة" رجاله ليذهبوا إلى منزل "أمنية" واختار هدفًا أكثر أهمية ليتوجه إليه، وبالفعل وصل رجاله إلى منطقة منزل "أمنية" ليرمقوا الأهرام من بعيد غير منتبهين لقدسية المكان، فلم يبالوا بلعنة الفراعنة!

كانت "أمنية" في الداخل بالفعل تجهل ما هو على وشك الحدوث، إلا أني (أنا) كنت قد تنبهت لهم، فلقد باتت "أمنية" تهمني، فهي تبحث دائمًا وأبدًا عن الحقيقة، لا تستحق تلك الفتاة الموت بهذه الطريقة، لأتوقف (أنا) عند مدخل عمارتها أراقب وصول تلك السيارة الفارهة، التي صُفت عند المدخل ليخرج منها اثنان من الرجال الأشداء، لأراهما وهما يتسللان إلى العقار، لأخرج (أنا) خنجرين من حزامي الجلدي، منتظرًا اللحظة المناسبة، حيث كنت متوقفًا أسفل السلم في الظلام، بينما صعدا كلاهما تلك الدرجات الست ليقفا عند الباب، ليبدأ الأول في الطرق، بينما الآخر ظل يضغط على زر الجرس. كنت قلقًا من استيقاظ "أمنية"، ولكني كنت أعلم أنها في حاجة ماسة إلى الراحة، لحظات والقلق يغمر الجميع، حتى أخذت (أنا) المبادرة وبدأت بخفة أصعد تلك السلالم الستة، حتى صرت خلفهم، قبل أن يقول أحدهما للآخر:

- إظاهر هربانه من البيت زي ما توقعنا.

- طيب خلاص نرجع للكبير زي ما بلغنا.

قالها الآخر وهو يلتفت لي، لأنظر (أنا) داخل عينيه لحظة بادرني الآخر بسلاحه إليّ.

***

فتح "فريد" باب شقته المتواضعة في ذهول لا يخلو من فرح وهو يرتدي جلبابًا فضفاضًا أعلى بنطال لبيجامة من الكستور واضعًا على رأسه قبعة أفريقية تمتلك الكثير من الألوان، وهو يدخن شيئًا ما لا يخلو من الحشيش الفاخر الذي يسر المدمنين ليقول:

- والله أنا مش مصدق نفسي، سيادة الرائد "هشام" وكمان معاه المقدم "حلمي مهران"! لا ده أنا لازم أمي دعيالي.

قالها "فريد" ثم أغلق باب الشقة في وجههما ودخل، ليعيد "هشام" الطرق بغضب، ليفتح "فريد" الباب مرة أخرى:

- إنت غبي ولّا حيوان؟!

- إيه ده سيادة الرائد "هشام" تاني وبرضه معاه المقدم "حلمي مهران" لا.. ده أنا لازم أمي دعيالي وهي لا مؤاخذه محششه.

قالها "فريد" قبل أن يغلق الباب في وجههما مرة أخرى.

***

لحظات من الذهول مرت عليَّ كسنين و(أنا) أرمق نظرات الرجلين إليَّ، لم يكن هناك خوف، وليس في عيناهما شفقة، بل فقط التجاهل، فلم يجد كلاهما ما يريانه، ليعبر كلاهما من خلالي وكأني مجرد سراب! لأنتبه (أنا) أخيرًا لتلك الحقيقة، فبالفعل (أنا) مجرد سراب، شبح لقتيل، أتجول بين الممرات كالطيف، أنتظر الساعة هنا منذ آلاف السنين!

خرج الرجلان، لأظل (أنا) متوقفًا عند هذا الباب الذي لا يحجبني ولا يمنع مروري، لأتجاوزه بالفعل في خفة، لأصبح داخل شقة "أمنية" في هذه الصالة الواسعة قبل أن أتوجه إلى اليسار لأمر بهذه الردهة القديمة لأتذكر ما حاولت نسيانه، لتخونني خُطاي وأحاول الاتكاء على الحوض عن يساري، إلا أنه لم يستطع مساعدة روحي، لأسقط (أنا) وأظل على الأرض للحظات، حتى تذكرت أني بت الراوي العليم منذ صرت هذا الشبح الذي (أنا) عليه! لأتوقف وأعبر إلى غرفة "أمنية" وهي نائمة كالملاك، ليعبر طيفي من جانبها وأتجه إلى هذه المعيشة،

ومنها إلى قبوي لأستريح (أنا) من ثأري قبل أن تستيقظ "أمنية" من نومها العميق لتتبعني!

***

كانت "ماجي" في هذه الساعة المتأخرة من الليل، تنظر إلى السماء، لا تزال تشكو همها للكريم، تدعو أن يسخر لها الخالق من يسعى لبراءتها وقد كانت تجهل أن دعوتها قد استُجيبت منذ أيام، وأن هذا الفريق يخاطر من أجل الحقيقة، بينما من خلفها كانت زميلتها قد وصلتها الإشارة للتو من الهاتف المخبأ أسفل وسادتها، فلم تكن تلك السجينة معها صدفة، بل كانت مجرد عين لسيدها وقد أعطاها الإشارة لإنهاء حياة "ماجي" بعدما تأكد من خطورة براءتها، فحينها سيُسدل الستار عن الكثير، لتبدأ في تجهيز تلك الملاءة البيضاء منتظرة اللحظة المناسبة لتنفيذ خطتها.

***

من داخل شقة "فريد" كان "هشام" و"حلمي مهران" قد احتلا الغرفة الأساسية، التي كانت واسعة عالية السقف وإن لم تكن هناك إلا لمبة وحيدة تضيئها بإضاءة خافتة، وقد استلقى كل منهما على أحد سريرين، بينما على الأرض كان "فريد" يدخن تلك الشيشة المخدرة.

ذهب الرائد "هشام" في نوم عميق، عكس "حلمي مهران" الذي اختنق من رائحة الدخان واتجه إلى النافذة ليفتح جزءًا منها، لينظر إلى تلك الطائرة التي تجوب سماء مصر، ليشرد داخلها قبل أن يلاحظ اقترابها من تلك المنطقة القديمة. ظل "حلمي مهران" يرمق الطائرة المقتربة في السماء ليتلجم لسانه عن الحديث أو حتى الصراخ، وأمست الطائرة تهوي، ليتأكد من مصيرهم، فلقد حانت الساعة وجاء وقت الحساب بعدما فقدت الطائرة ضالتها وبدأت تتجه بهم إلى مصير محتوم! ليصرخ أخيرًا وسط الغرفة، ليستيقظ الرائد "هشام" ويفزع "فريد" تاركًا مخدراته قائلًا:

- إيه بوليس؟!!!

نهض الرائد "هشام" وتحرك ناحية "حلمي مهران" عابرًا بـ"فريد"

فصفعه قائلًا:

- يابني فوق بقى الله يحرقك، هو انت شغال في المطافي!

ثم توجه إلى "حلمي مهران" قائلًا:

- يا "حلمي" إنت لازم تنام!

رفض "حلمي مهران" نصيحة صديقه وتوجه إلى كمبيوتر بدائي كان في الغرفة ليشغله، ليتعجب الرائد "هشام":

- يا "حلمي" الوقت اتأخر وعندنا حاجات كتير بكره، في إيه تاني؟!

- ليه واحد وتلاتين عشره؟!

جلس "هشام" بجانب "حلمي مهران" متعجبًا.

- مش فاهم!

- بقولك ليه واحد وتلاتين عشره؟!

كان بالفعل "حلمي مهران" ذكيًّا وبدأ لتوه إدراك الحقائق!

- عادي يعني أهو يوم والسلام.

- بعد كل اللي إحنا فيه ده، والصفحه الغريبه دي، وتقولي يوم والسلام!

- أمال تقصد إيه؟ الهالوين يعني!

- الهالوين ده عيد إيه؟

- معرفش أنا تعليم مجاني.

علق الرائد "هشام" ساخرًا، ليكمل "حلمي مهران":

- أنا بقى عارف، عيد الشيطان.

- "حلمي" إحنا وصلنا لطرف خيط كويس، والصبح هاعرفلك تفاصيل قضية "عياش" ده، واللي إنت مش فاهمه النهارده هاتفهمه بكره.

لم يستمع "حلمي مهران" إلى الرائد "هشام" وظل يبحث على

الإنترنت عن شيء ما، بينما كان "فريد" قد نام أرضًا وصار مزعجًا إياهم بصوت شخيره!

- شايف؟

قالها "حلمي مهران" وهو يشير إلى الرائد "هشام" وهو يقرأ حادث الطيران الذي حدث في ١٩٩٩ للطائرة المصرية التي تحمل اسم "تحتمس الثالث" والتي سقطت في الحادي والثلاثين من أكتوبر، وإن لم يهتم الرائد "هشام" قائلًا:

- عادي يعني.. صدفه.

لم يعلق "حلمي مهران" وأخذ يكمل بحثه حتى لمح شيئًا آخر، فلقد كان هذا التاريخ يحمل على عاتقه حادثة الطائرة الروسية التي سقطت في شرم الشيخ عام ٢٠١٥ ليندهش الرائد "هشام" ثم أخذ يشعر بالقلق:

- وإيه يا "حلمي" علاقة الطيارات بحكايتنا بس؟!

- ملهاش علاقه، أنا بتكلم على التاريخ، واضح إن التاريخ ده ملعون واللي اختاره ماختاروش صدفه.

- يعني إيه؟!

- يعني زي ما هانشوف موضوع "عياش" عايز أعرف كل الجرايم اللي حصلت في نفس اليوم كل السنين اللي فاتت.

- إشمعنى!!

تساءل الرائد "هشام" ولم يُجِبه "حلمي مهران" بل ظل شاردًا في هذا التاريخ الظاهر أمامه على الحاسوب، ذاك العيد الذي اكتشفه (فقط) عند البحث بالإنجليزية وإن كان هذا التاريخ يعكس حضارتنا نحن!

***

- هذا خطأ فادح أيها الغبي المتعجرف.

قالها "جون" صارخًا عبر الهاتف من جانب "دنيا" التي كانت

مبتسمة، ليجيب "محمود وهبة" قائلًا:

- يا فندم أنا عايز أقفل المواضيع.

- ما تفعله الآن سيفتح علينا نارًا لا يمكننا إخمادها، لا يجب استخدام الدم، لقد دفعنا لك الكثير من الأموال فقط لعدم إثارة الانتباه، والآن تريد هدم كل ذلك! فلتتوقف فورًا وإلا ستقابل نفس المصير عند هذا اليوم المحتوم.

قالها "جون" وأغلق الهاتف، لتستغل "دنيا" الوضع وتبدأ في حقن سمها.

- صدقتني؟

قالتها واقتربت من "جون" جاثية على ركبتيها لتكمل:

- "محمود" استغل ثقتك ليه واستفزك عشان يسحب منك فلوس كتير.

- لا أظن أنه بهذا القدر من الذكاء!

- بالعكس ده داهيه، ومش بعيد يكون "محمود"....

صمتت "دنيا" لحظة لتثير فضول "جون" الذي تساءل:

- ماذا!!!

- ممكن يكون "محمود وهبة" هو اللي قتل "هجرس" و"هاشم" و"أدهم".

- ماذا تقولين أيتها المجنونة؟!

- مش مجنونه، فكر فيها كده، هاتلاقي إن ده عقل، "محمود" كان موجود في الحفله، وهو كان يعرفهم كلهم.

- ولمَ؟

- أولًا هما شافوه وهو بيقتل "صدفة" و"رمزي"، و"أدهم" قبل ما يموت، كان بيضيق عليه بسبب الموضوع ده، فكده يبقى خلص منهم، وبعدين والأهم إنه كده بقى راجلك الوحيد في مصر، ده غير الرعب

اللي سببهولك والفيلم اللي عمله عشان يوهمك إن في قاتل متسلسل وراهم.

جلس "جون" في حالة شديدة من الغضب، لتتابع "دنيا" دس سمومها كالحية المصرية الأصيلة:

- وقدر يستنزف منك في السنه دي ملايين كتيره، حقيقي "محمود" قدر يلعب بيك يا "جون"، ولَّا إنت صدقت إن "عياش" لسه عايش، ولَّا يمكن تكون روحه هي اللي رجعت تنتقم..!

قالتها "دنيا" بسخرية، لتتلاعب بذكاء "جون" الذي كسر هذه الكأس التي بيده، ثم يقسم "جون" بتوراته على الثأر قائلًا:

- إن كنتِ صادقة كما تدعين، فسوف يذوق الرجل مر العذاب، وسيتجرع من نفس الكأس، وبنفس الطريقة، بل وفي نفس هذا اليوم الذي خدعنا به.

ابتسمت "دنيا" بعدما نجحت في زرع ثمار الشك القاتل في تربة خصبة.

بينما أعاد "محمود وهبة" الاتصال بفتاته بالسجن، ليستوقفها عن مقتل "ماجي" إلا أنها كانت قد بدأت بالفعل في كتم أنفاسها.

ليكرر "محمود وهبة " اتصاله بهذا الهاتف الذي مرره لها، لمثل هذا الموقف، ليظل في حالة قلق مما سيحدث لـ"ماجي" وسيثير "جون"، قبل أن يوصله شيطانه إلى فكرة جديدة كان يحاول تطبيقها بالفعل فانتظر حتى عاد رجاله ليبدأ حركة جديدة من الخسة التي صار فيها محترفًا، ليتوجه رجاله إلى منزل "حلمي مهران" عابرين هذا الحاجز المعدني الصغير، ومن بعده نجحوا في فتح هذه النافذة المعدنية ليتسللوا إلى الداخل، بينما ظل "محمود وهبة" يكرر اتصاله بالمرأة لتنتبه أخيرًا إلى صوت اهتزاز الهاتف وهي تحكم قبضتها على أنفاس "ماجي" ليُكتب لها عمر جديد، لتصرخ مستيقظة:

- في إيه؟

ضمتها زميلتها في خبث قائلة:

- ولا حاجه تلاقيه كابوس، أنا عارفه إنك متوتره عشان....

ببراءة أجابت "ماجي" قائلة:

- الحكم.

- بالظبط كده.

هدأت "ماجي" نسبيًا لتكمل:

- بس أنا خلاص فوضت أمري لربنا، واللي يريده هايكون، لو عايزني مش هاقدر اتأخر عليه.

- صدقيني يا "ماجي" واضح إن ربنا لسه كاتبلك عمر طويل.

قالتها المرأة، فرغم امتلاكها قلبًا حجريًا، إلا أنها شعرت لتوها بمشاعر لم تكن تمتلكها، فلم يخلق الخالق بيننا شيطانًا أو ملاكًا، بل بشرًا، بين هذا وذاك، لتجيب "محمود وهبة" خلسة، مطمئنة إياه بأنها توقفت في اللحظة المناسبة، وأن "ماجي" لا تزال حية تُرزق، ليهدأ "محمود وهبة" نسبيًا وهو لا يزال الآن خارج فيلا "حلمي مهران" يستخدم أسلوبًا أكثر دناءة في معضلته، ينتظر رجاله الذين صعدوا لتوهم سلم فيلا "حلمي مهران" في حرص شديد.

حتى وصلوا إلى الطرقة العلوية، ومن ثم وقف أولهم عند غرفة "وليد" ليفتحوا بابها، ليظهر من الداخل هذا الطفل الملائكي النائم في براءة!

***

(05)

زاد فضول الجميع داخل جلسة السايكودراما، بل وزادت تخميناتهم بينما لم ينجح أي منهم اكتشاف "سر الأمنية الأخيرة"! لأبدأ (أنا) متابعة ما حدث، فبعد شهور طويلة من حبسي، زفوا لي الخبر الذي طالما انتظرته، "فلكل أجل كتاب ولكل وعد ميعاد"، ولقد جاء وعدي وميعاد أجلي الذي حددته المحكمة، ليحكم القاضي عليَّ بالإعدام شنقًا ليريح البشرية مني، بل ليريحني من هذا التنمر الذي رافقني طوال سنين عمري، لأفرح (أنا) ويحزن البعض، ليحاول "غانم" الاستئناف مرة أخرى، فقط ليستطيع "محمود وهبة" وجماعته ابتزازي مقابل إطلاق سراحي، إلا أني كنت أنتظر تلك اللحظة، فلقد حانت الساعة وجاء وقت الحساب! لأطلب من "راضي" أمنيتي الأخيرة، ولم أجد غيره ليحفظها، حتى ارتديت (أنا) تلك البذلة الحمراء البغيضة التي تغمرها رائحة الموت، لأقف عند تلك البذلة كثيرًا وأتخيل صانعها، هذا العامل الذي نسج خيوطها، لأتساءل إن كان يعلم غايتها! فهل يدري أنه قد ساهم في جريمة معنوية أقسى من الموت ذاته! كانت هذه خواطري و(أنا) أرتدي البذلة التي لم تستر أبدًا عورتي، فلقد كانت تبشر الجميع بنهايتي! لتغمرني الرهبة للمرة الأولى منذ لحظة سجني، فلقد كان لتلك البذلة الجديدة طابع مخيف، لا يضاهيه شعور، لذا كنت أرفض غسلها، فكنت أحب تلك البقع التي تغطيها بين الحين والآخر، ليزداد انعزالي يومًا بعد يوم، ليقتلني الانتظار مُزيدًا من همي، فللانتظار وجه قبيح لا يماثله قبح، تعاظم ضعفي يومًا بعد يوم، ليشمت فيَّ "محمود وهبة" الذي جاء لي في هذا اليوم إلى زنزانتي مع أحد الجنود، ليقوم بمهمة نفسية ظالمة، لم يتحدث كثيرًا، فلقد جاء (فقط) ليزن جسدي، لأندهش (أنا) من الطلب الذي جاء بصورة رسمية ثم يجيب "محمود وهبة" على فضولي قائلًا:

- معلش لازم نعرف وزنك عشان نحدد طول حبل المشنقة.

بقسوة قالها قبل أن يكمل متلذذًا بضعفي:

- أصل لو طول الحبل كان غلط، ممكن تتعلق وقت كتير من غير ما تموت، فلازم نضمن إن رقبتك تنكسر في لحظة الإعدام عشان ماتحسش بعذاب أكتر!

أذلني هو بذكائه لحظة بللت (أنا) بذلتي الحمراء، لأضطر أخيرًا إلى غسلها لتعود إلى سابق عهدها لتزيد حمرتها من عذابي الذي انتهى في هذا اليوم، عندما حان أجلي وجاءت ساعتي، ليكتبوا بالفعل نهايتي، في ساعات هذا الصباح الأولى، من يوم إعدامي، ولكني كنت قد أعددت بالفعل الخطة جيدًا، فكما ذكرت سلفًا وأكرر:

"لقد حانت الساعة، وجاء وقت الحساب، فلقد جهل الجميع سر الأمنية الأخيرة"

والتي سأنفذها بعد ساعات قليلة من إعدامي اليوم! لذا كنت في انتظار تنفيذ الحكم، حتى بدأت أسمع خطواتهم قادمة من الخارج يمشون ببطء شديد فوقفت لاستقبالهم، وأنا أسمع صوت فتح كالون زنزانتي الصدئ، لأجد كتيبتهم قد وصلت، هذا الشيخ الذي سبَّح مستغفرًا ربه، وشرطيين وعلى رأسهم هذا المأمور الذي نادى اسمي:

- "عياش"!!

سكت المأمور لحظة ثم اقترب مني في تحفظ قائلًا:

- نفسك في إيه قبل ما تموت؟

فابتسمت وأجبت وسط اندهاش الجميع الذين لم يدركوا سكوني هذا، ولعلهم في السنين القادمة سيتفهمون:

"سر الأمنية الأخيرة"

***

استيقظ الرائد "هشام" مع أول خيط للنور، فلم يعد يحتاج جسده الكثير من الراحة، ليجد "حلمي مهران" هناك عند شاشة الحاسوب، لم يُنهِ بحثه بعد، ليندهش ويقترب من صديقه قائلًا:

- إنت لسه صاحي يا "حلمي"؟!!

- كويس إنك صحيت، يالا بينا على مكتبك.

اندهش الرائد "هشام" من قوة تحمله، ثم خطا بعض خطوات واصطدم بـ"فريد" المستلقي أرضًا، لينتبه الأخير ويعتدل في جلسته في حالة ذهول من تواجد مديره وصديقه داخل غرفة نومه، ليفرك عينيه قائلًا:

- يخرب بيت الحشيش... أنا لو أعرف إن الصنف ده هايجيب حضراتكوا عندي في البيت والله ماكنتش شربت.

ارتدى ثلاثتهم ملابسهم، وتحركوا قبل طلوع النهار، ليصلوا أخيرًا إلى مكتب الرائد "هشام" الذي اندهش زملاؤه من قدومه في تلك الساعة المبكرة من اليوم، ليستوقفه أحدهم قائلًا:

- خير يا "هشام" باشا، إنت كمان عندك مأمورية بدري؟

- لا أبدًا.. اشمعنى؟!

- لا أصل العميد "ضياء" نزل من بدري على مأموريه وافتكرته بعتلك.

- طيب تمام أوي إنك قولتلي، أنا مش عايز أتدبس في مأموريات النهارده واعتبروني مجتش.

ابتسم له صديقه، ودخل الرائد "هشام" إلى غرفته مع "حلمي مهران" و"فريد"، ليؤكد للأخير احتياجه للخصوصية بعدما طلب منه ملف قضية "عياش الراوي" ليدرساها جيدًا في تلك الساعات القادمة.

هذا بينما كان العميد "ضياء عدلي" قد تم استدعاؤه بالفعل ليغطي تلك الجريمة الشنعاء على إحدى المؤسسات الهامة حتى وصل إلى مسرح الجريمة في ساعات الصباح الأولى، ليصف سيارته بجانب سيارات الشرطة، التي ملأت المكان مضيئة فجر السماء، ليترجل منها في حالة من الإشفاق لينظر إلى هذا الملجأ في حسرة، ليقرأ اسم "مفتاح الحياة"، ويعبر من بين تلك اللبؤتين اللتين عجزتا عن حماية الدكتور "إيهاب" ليزداد غضبي، وسخطي وأدرك قيمة عملي.

من الداخل علت صيحات المشرفات بالبكاء، بينما منعهن

الشرطيان من الاقتراب، ليدخل العميد "ضياء عدلي" إلى المكان، ليرى جثة الفتاة البريئة، ملقاة أرضًا على وجهها وهي لا تزال فتاة عشرينية في ريعان شبابها، ليعبر من جانبها في تأثر، ليرى "إيهاب" مذبوحًا على الأرض، ينزف الدماء الطاهر من رقبته مغرقًا السجاد. ظل العميد "ضياء" يتحرك بشكل بوليسي، حتى استطاع هذا الطفل ذو الشعر الأحمر خداع الجميع بذكائه، ليتسلل من بين المشرفات والشرطيين، وصولًا إلى غرفة "إيهاب" ليندفع إلى جسده حاضنًا إياه وسط اندهاش الجميع الذين بادروا بمحاولة إفلاته لجثة "إيهاب" إلا أن هذا الطفل ظل متمسكًا بهذا الخال الذي حماه في ضعفه، ليتعجب الجميع من قوة الطفل، الذي ظهر الغضب على عينيه وهو يتلقى المشهد في سخط، لترتسم على عينيه علامات الانتقام، ليزداد استيائي هنا في قبوي و(أنا) أسمع تلك الأخبار، لأتعهد على إنهاء ثأري من هذا البرزخ الذي يفصل عالمكم عن العالم الآخر والذي استقبلت (أنا) الدكتور "إيهاب" بعدما دفع عمره لحفظ سري، وإن لم يكن السر فقط ما يهمني، بل استطاع الحفاظ على الذرية التي ستذكر العالم بها!!

لم يكن الدكتور "إيهاب" يتوقع أبدًا أن أكون (أنا) له أخًا أو صديقًا، فلقد رفضني هو في البداية عندما تقدمت للزواج من أخته التوأم "حياة"، حيث ظن أني مجرد طامع في أموالها، فلقد كانت "حياة" تكبرني سنًا كما لم تكن فاتنة الجمال في أعين الجميع عداي، ليشك في نيتي، وكان كل الحق معه فهي توأمه، وكل ما له في الدنيا، وكانت هي قد خرجت لتوها من تجربة فاشلة، بعدما اكتشف زوجها عقمها، ليتقوقع "إيهاب" داخل حياة اجتماعية محدودة كانت "حياة" هي سقفها بحنانها له، وغزارة مشاعرها، ليصبح الدكتور "إيهاب" هو حاميها في الدنيا، وإن كانت هي بقلبها من ترسم الطريق. لم يستطع الدكتور "إيهاب" الزواج، رغم محاولات "حياة" واكتفى بالعلم عَالَمًا له، حتى جئته (أنا) طالبًا الزواج من "حياة" ليسخر مني "إيهاب" في البداية مثله مثل الجميع قبل أن تنهره أخته، معلمة إياه ألا يصبح ممن يستبقون الأحكام، مُذكِّرة إياه أن من عاب ابتلي، ليتقبلني "إيهاب"

أخيرًا على مضض، لأثبت (أنا) له مدى صدقي، حتى بت مشهورًا في مجالي، غنيًا نسبيًا، لأعوض"حياة" كل مساعدتها لي في البداية، دون أن أشكو من عقمها، حتى أني أقنعتها بتبني طفل لنا، قبل أن تفاجئني بسخائها حين قالت:

- ليه نكفل طفل واحد، طالما ممكن نكفل يتامى كتير؟

كانت صادقة بطلبها، لنتوجه إلى إنشاء ملجأ للأيتام قبل أن نقرر أخيرًا مساعدة إحدى الدور الموجودة بالفعل، لنرفع الظلم عن الأطفال، ونساهم في تطويره ليصبح ملجأ "مفتاح الحياة" من اسمها وشغفها في آن واحد، لنعطي هؤلاء الأطفال من الحنان الكثير، حتى مرضت "حياة" وغادرنا مصر، لنترك هذا الصرح لـ"إيهاب" أخيها التوأم فأكمل الرسالة من حينها وحتى الساعة، حين غادر عالمكم، لأستقبله هنا قبل مقابلة رب كريم، علَّ ربنا يغفر لنا بما كفلنا من أيتام!

***

لوقت طويل ظل "حلمي مهران" مع الرائد "هشام" يقرآن في ملفات "عياش الراوي" التي استطاع الرائد "هشام" الولوج إليها، ليظل هذا الثنائي في مكتب الأخير متعجبين من هول ما يقرآنه!

- يعني اتعدم؟!

- لأ، في حاجه مش منطقيه، أكيد "عياش" مامتش.

- يا عم اتعدم اتعدم.

كررها الرائد "هشام" بينما دخل عليهما "فريد" دون طرق الباب كعادته، ليتوجه إليه الرائد "هشام" بالتوبيخ كعادته:

- يا بني ماتخبط الباب.. هي نقصاك؟

- يا باشا هو انتوا غرب؟ إتفضلوا إتفضلوا.

قالها وهو يدخل قبل أن يوجه "حلمي مهران" الحديث إليه:

- "فريد" جبت الحوادث اللي طلبتها منك بتاعت التواريخ دي

السنين اللي فاتت؟

كان "حلمي مهران" يريد التأكد إن كان القاتل قد اتخذ من هذا التاريخ بالتحديد يومًا مقدسًا للقتل أم أنها مجرد صدفة وإنها تهيأت عقله ولم يكن على صواب!

- يا باشا عيب دا أنا "فريد" الفريد.

- يعني جبتها؟

- لأ....

فقد "حلمي مهران" صوابه قبل أن يهدئه "فريد":

- بس هاجيبها.

- طيب إطلع برا يا بني آدم.

- لأ.

تعجب الرائد "هشام" من جرأة الرجل، ليمسك بقميصه، ليعتذر "فريد" قائلًا:

- يا باشا العميد "ضياء" عايزكوا أنا مالي يا لمبي.

تركه الرائد "هشام" عند سماع اسم مديره قبل أن يكمل:

- أنا مش قلتلك ياض مش لازم تسيح إني جيت بدري؟

- ما هو هايقولك حاجه إنت لازم تعرفها.

توقف الرائد "هشام" قلقًا، فلقد كان يعرف صدق "فريد".

***

من داخل الجريدة ظلت "أمنية" مذهولة من هذا الخبر الذي حمله "تيم"، قبل أن تربت "سالي" على كتفها قائلة:

- أنا هاروح أغطي الخبر ده مكانك يا "أمنية".

- لأ.

اعترضت "أمنية" دامعة قبل أن يتدخل "تيم":

- وأنا بقولك بصوره رسميه ده مش تحقيقك يا "أمنية".

وقفت "أمنية" وقالت في تحدٍّ:

- "إيهاب" ده كان في مقام خالي بالظبط، وأنا مش محتاجه صوره رسميه عشان أودعه.

عرف "تيم" أنه لن يستطيع منعها فقال يائسًا:

- خلاص يبقى هانيجي معاكي، وبرضه مش هانحتاج صوره رسميه عشان توافقي.

***

نزلت كلمات العميد "ضياء عدلي" على مسامع الرائد "هشام" و"حلمي مهران" كالصاعقه، ليشعر الأخير بالذنب والتقصير لعدم تأكده من صحة الدكتور "إيهاب" وسلامته مكتفيًا بتصديقه، ويسرح في خياله ويجول بخاطره في حال "أمنية" التي خذلها لتوه دون قصد، بينما قص الرائد "هشام" على رئيسه ما حدث في الملجأ واكتشافهم لإدانة "محمود وهبة" متوقعين تورطه في الجريمة:

- إنتوا عارفين معنى اللي بتقولوه ده إيه؟!! ده ظابط شرطه!

- موقوف.

علق الرائد "هشام" مذكرًا رئيسه ليكمل:

- وأظن حضرتك عارف تاريخه كويس، وعارف إن الداخليه كلها بتشتكي من تصرفاته، ومابنحسبوش علينا، وعمومًا هانروح بعيد ليه، هانوريك الفيديو.

أشار الرائد "هشام" إلى صديقه الذي عاد من شروده، ليمسك هاتفه ليخرج مقطع الفيديو المصور، ليتفاعل العميد "ضياء" مع الحادث:

- أنا مش مصدق إن في قسوه بالشكل ده!...

سكت لحظة ثم تابع في محاولة لترتيب أفكاره:

- ركزوا بقى معايا إنتو الاتنين، القضيه دي ماتقبلش أي ثغرات، واضح إن "محمود وهبة" شيطان فعلًا، وأكيد محضر مفاجآت كتير،

والفيديو ده، زي ما إنتوا شايفين مش واضح، أو بمعنى أصح مش هايكون واضح للمحكمه.

- والعمل؟!

تساءل الرائد "هشام" ليجيبه "حلمي مهران" في دهاء:

- يبقى لازم الفيديو ده يفضل مخفي لغاية ما نلاقي دليل أوضح.

- طب و"ماجي"؟

علق الرائد "هشام" مستفهمًا، فلقد زاده شوقه حنينًا، مستذكرًا ما كان يعاقره من خمد الهوى واللهو إلى درجة الثمالة، وما تقاسماه سويًا من حلاوة الوصال، فيه يرتشفان من كأس النشوة واللذة ما يشفي العليل ويروي الغليل، ليتدخل العميد "ضياء عدلي" قائلًا:

- أنا هاكلم محاميها بنفسي أقوله يعمل إيه.

قالها العميد "ضياء عدلي" ليسود الصمت لوهلة، قبل أن ينطق "حلمي مهران" منتبهًا:

- هو حضرتك ملاقيتش "غانم" في الملجأ؟!

- "غانم" مين؟!

تساءل العميد "ضياء عدلي" مندهشًا، ليجيبه الرائد "هشام" من فوره:

- يا "ضياء" بيه إحنا سيبنا ورانا "غانم" المحامي هناك، هو كان معانا في الملجأ قبل الحادثه، حتى عربيته كانت هناك.

توتر العميد "ضياء عدلي" ووقف تاركًا مكتبه ليجلس بجانبهما:

- لأ مكنش في عربيات خالص.

- يبقى خلص عليه هو كمان عشان ما يوصلش للمحكمه.

قالها الرائد "هشام" غاضبًا، ليتدخل "حلمي مهران" بشكل مخيف ليقول:

- أو يمكن خطفه!!!

***

من مكتب اللواء "فاروق" بالداخلية، كان الرجل في عمله يؤدي واجبه بينما قلبه مع ابنته التي ستدخل إلى العمليات في غضون دقائق، ليعلق أحد مساعديه:

- يا "فاروق" بيه، حضرتك لازم تروح لبنتك.

- والقضيه اللي إحنا شغالين فيها يا حضرة المقدم مين يتابعها؟

- بس دي بنتك يا فندم.

- ودي بلدي برضه.

قالها "فاروق" بقوة وفخر قبل أن يرن هاتفه، ليرد على ابنه الذي أجاب والده صارخًا:

- بابا "وليد" مش موجود.

وقف "فاروق" فَزِعًا:

- يعني إيه مش موجود؟!!

- صحيت ملاقيتهوش، "وليد" اتخطف.

***

(04)

من وسط هذا القصر الفرعوني القديم، ظهر الفرعون على عرشه مهمومًا، بعدما أعلمته زوجته بأهمية ما يفعل من أجل مستقبل أحفاده، ليصدقها الفرعون، فلقد بحث عنها عبر العصور، ليبني معها إمبراطورية تصمد إلى آخر الزمان. كان البلاط الملكي شاسعًا حيث نحت المصريون القدماء تلك الصخور لتجسد لوحات فنية رشيقة، لتتحرك الزوجة بين بهو ضخم من العمدان المنحوتة بشكل هندسي دقيق، أجبر أشعة الشمس على رسم تكوينات جمالية تبهر العين. وصلت الزوجة إلى زوجها الحبيب الذي نزل من على عرشه بضعة سلالم، لتقف أمامه، لتحتضن إياه كالطفل، ليقول:

- لِمَ حملتِني كل تلك المسؤولية على عاتقي؟!

- لأنك أوفى الرجال وأعظمهم.

قالتها وهي تقبل جبينه أسفل تاجه الملكي، ليرفع رأسه هامسًا إليها:

- بتُّ أخافُ مستقبلًا لن أحياه.

- بل أنت ربٌّ خالدٌ لشعبك.

عظمته ليحيا، فلقد كاد يموت حزنًا:

- ولكني شعرت بالضعف عندما رأيت المستقبل.

- المستقبل من صنع الحاضر يا مولاي، فلا تَهَبْه.

قاطع حديثهما ظهور الكاهن الأعظم من عند الحراس، ليفسحوا له الطريق في رهبة، ليدخل الرجل بقدمه الصناعية ببطء وهو يتكئ على عصاه الخشبية، ليبتسم الفرعون ويحييه في احترام متبادل، ليقف الكاهن الأعظم على بُعد بضع خطوات، ليبدأ برسم بعض الرموز على أرضية القصر، لم يفهمها الفرعون في البداية ليتساءل:

- لا تظهر إلا بسر عظيم أيها الكاهن العظيم؟

- نعم يا مولاي، لقد تم إخفاء الغرفة كما أمرت.

تحرك الفرعون نحو رموزه قائلًا:

- ولكني لا أزال قلقًا من الزمان.

- مولاي إن الآلهة تحرس الغرفة.

- وهل ستصمد الآلهة كل تلك العصور؟

سكت الكاهن الأعظم لحظة لتخترق الرياح الساخنة المكان، لتتطاير المعلقات من حولهم، ليقول الكاهن الأعظم وهو يركع لها:

- إنها الجبارة، سيدة الخطوط الحمراء، لهيب أنفاسها يذيب جلود أعدائها، فالإلهة "سخمت" هي من تحرس الغرفة، تلك اللبؤة العظيمة، ستمنع أي متطفل من الاقتراب، حتى نهاية العالم، الذي سيأتي لا محالة في يوم عيدها الذي نعلمه جميعًا.

توقف غضبها ووقفت الرياح، ليحترم الفرعون وجودها ليقول:

- نعم نعلمه ونحفظه عن ظهر قلب أيها الكاهن المخلص، فحينها سنعرف لمَ خُلقنا وأين سنُبعث؟!

- وحتى ذلك الحين يا مولاي، سأظل عبر بوابات الأزمنة أورث علمي لهم عبر العصور، فلن يتمكن الدهر مني أبدًا.

- وأنا لن أتخلى عنك أبدًا أيها الكاهن الأمين.

قالتها زوجة الفرعون التي وهبت نفسها للبلاد، لينحني الكاهن الأعظم قائلًا:

- وأنا سأحافظ على العهد.

ربت الفرعون على كتف مستشاره واستدار قائلًا:

- أعلم أيها الكاهن العظيم، فعلى هذا عاهدك أجدادي وسيعاهدك أحفادي.

بهذا اختتم الفرعون الحديث قبل أن يتبخر الكاهن الأعظم من خلفه، ذاهبًا إلى تلك البوابات وقد فُتحت إحداها ليكمل الرجل ما بُعث من أجله!

***

فتح الدكتور "صلاح" غرفة قبوه في توتر ليدخل من بابها الخلفي وهو يعرج بقدمه الصناعية، وقد غلب عليه القلق، ليتحرك في الغرفة هنا وهناك في توتر ليس من عادته، حتى سمع صوت طرق الباب ليندهش ويذهب ليفتحه في ترقب، ليجدها مساعدته، رئيسة التمريض التي ما انفكت تبحث عنه في أرجاء المستشفى كلها:

- يا دكتورنا العظيم! مستخبي ليه؟

- لا أبدًا أنا جاهز.

اقتربت رئيسة التمريض من الدكتور "صلاح" بوفاء لتقول:

- يا دكتور أنا زي ما وعدتك دايمًا معاك، وإن شاء الله تفضل كل عملياتك ناجحه.

- العلم بيتطور أوي، وكل يوم في جديد، وأنا لأول مرة أحس إن في حاجات أنا معرفهاش.

- يا دكتور مفيش حد فينا يقدر يعرف جسم الإنسان ويفهمه، حتى لو عاش سبع تلاف سنه، عشان مش إحنا اللي خالقينه، بس على الأقل مفيش حد في مصر بشطارة حضرتك.

ابتسم الدكتور "صلاح" مستعيدًا ثقته ثم أردفت تتساءل:

- ممكن بقى تقولي إيه اللي موترك؟

سكت الدكتور "صلاح" لحظة ثم اعترف لها:

- الصراحه عملية "وعد" مش سهله خالص، بس أنا مكنش ينفع أرفضها، عشان عارف إن لو دكتور تاني تدخل حياتها هاتبقى في خطر، يمكن حاسس إني شيلت نفسي مسؤوليه كبيره، وفي نفس الوقت عايز أكسب ثقة "حلمي مهران" عشان عارف أد إيه إنه هايفيدني وهايفيد العلم، وعارف إن كل اللي بيحصل ده مش صدفه، وأكيد في ترتيبات أنا معرفهاش.

- طب ما أديك قلتها أهو يا دكتور، مفيش حد في مصر يقدر

يساعدها زيك، يبقى قلقان من إيه؟

- صدقيني أنا لو مقلقتش، إنتي لازم تقلقي.

- وأنا مطمنه عشان إنت قلقان، وزي ما وعدتك من زمان، أنا دوري إني أفكرك بأهمية اللي بتعمله.

ابتسم الدكتور الأعظم في مجاله، ليتبعها إلى أعلى ليبدأ في ارتداء ملابس العمليات، بينما بدأت رئيسة التمريض في إنهاء كل إجراءات العملية، حيث كانت "وعد" مستلقية على السرير بجانب "إيمان" والدتها التي كانت تمسك بيدها، ليدخل الدكتور "صلاح" من بعدها محييًا الجميع في إيجابية:

- جاهزه يا فندم؟

- لأ يا دكتور.

بتوتر أجابت "وعد" ليطمئنها الدكتور "صلاح" كاذبًا:

- ماتخافيش من أول ما البنج يشتغل مش هاتحسي بحاجه لغاية ما تفوقي بليل بالسلامه وإحنا بنطمنك.

- المهم يا دكتور ما فوقش ألاقي نفسي بتحاسب.

قالتها مُزيدة من همه، لتربت رئيسة التمريض على كتف الدكتور "صلاح" الذي قال:

- إتكلي على الله، وماتخافيش.

- أنا متكله عليه يا دكتور بس برضه خايفه منه أوي.

***

وصلت "أمنية" إلى بيت نشأتها الذي تحول إلى مسرح جريمة شديد الحراسة، ليصف "تيم" سيارته بعيدًا، ويعبر ثلاثتهم إلى جراج الملجأ قبل أن يستوقفهم الشرطيان، ليبرزوا تحقيق هوياتهم، ليعبروا من بين هذين التمثالين اللذين عجزا عن حماية الدكتور "إيهاب"، لتنظر لهما "أمنية" نظرة عتاب قبل أن تدخل بعدما كانت النيابة قد نقلت الجثث إلى الطب الشرعي، ليصبح المكان خاليًا من الحياة الذي سمي

على اسمه، لتصل "أمنية" إلى مكتب "إيهاب" ليزداد غضبي مما رأت، فلقد كان السجاد قد شرب دماء ضحاياه. تأثرت "سالي" وإن تماسكت "أمنية" و"تيم"، أما (أنا) فلم أعد أستطيع كبت سخطي، لأصرخ غاضبًا، موصدًا كل النوافذ والأبواب وترتعش الإضاءة توترًا قبل أن تنسحب لتسود العتمة فجأة وتهتز الحوائط خوفًا وتسقط المعلقات متحطمة، ليصرخ الجميع هلعًا من هول ما يحدث، فلا يستطيع بشري صد شر ثأري، ليعيش كل من هم في الملجأ كابوسًا أسود، صممته (أنا) من باطن الأرض، حتى سمعت بكاء الصغار من أعلى، فتوقفت عن الصراخ من فوري، لتنفتح النوافذ ويعود النور على استحياء!!

***

- في إيه؟!!!

تساءل الرائد "هشام" قلقًا ليجيبه "حلمي مهران":

- تقريبًا زلزال.

- آه فعلًا بس جامد، سبحان الله! المهم خلينا في موضوعنا، مفيش أي أثر لـ"غانم" لا في البيت ولا في المكتب.

قالها العميد "ضياء عدلي" وهو يفكر فيما يحدث، قبل أن يعلق "حلمي مهران":

- هو مش مكتبه اتحرق؟

- والله الرجاله بتقولي إن الحريقه كانت صغيره خالص، ماتستهلش كل الفيلم اللي عملهلكوا ده!!

جاوب "ضياء عدلي" ليعلق الرائد "هشام" ساخرًا:

- معلش أصله طري شويه.

- طب ما الراجل اتخطف أهو.

لم يُستدرج "حلمي مهران" للحديث واكتفى بموضوعيته ليسأل:

- وعربيته؟!

- ملهاش أي أثر برضه.

- يعني خطفوه بعربيته؟!!

***

أنهى "محمود وهبة" حديثه مع رجاله، ثم نظر إلى الذين عرف كل منهم دوره، في تلك المؤامرة، من داخل هذا المخبأ الصحراوي المخيف، الذي كان يحفر فيه رجال "محمود وهبة" سابقًا بحثًا عن الآثار، في تلك المساحة التي تتوسط المجهول، حيث لا يستطيع إدراكه الكثيرون، فهو موحش، بل ولم يكن آدميًا حال "محمود وهبة"، ولكنه كان آمنًا.

نظر "محمود وهبة" إلى الطفل "وليد" باندهاش، فلقد كان متماسكًا بشكل مبالغ، وكأنه رجل عتي لينظر إلى خاطفيه بثقة قائلًا:

- أنا مش خايف، عشان بابي عارفكوا وهايجي ياخدني.

زادت كلماته وكرامته حفيظة "محمود وهبة" الذي لم يعتد معرفة أصحاب الكرامة، ليأمر رجاله بحبس الطفل في هذه المقبرة المخيفة!

قبل أن يتحرك إلى "غانم" الذي بدأ يشعر بنهايته، ليهاب ما يفعل "محمود وهبة" للمرة الأولى، شاعرًا أنه يدخل منعطفًا جديدًا، وأنه سيؤذيه الآن!!

***

من داخل فيلا "حلمي مهران" كان اللواء "فاروق" هناك مع بعض جنوده ليتأكد من الخبر، ليظهر من جانبه ابنه منهارًا حال الخادمة التي غابت عن الوعي، ليدرك أنه في أسوأ أيام حياته، ليشعر بصعوبة تحمله المسؤولية، فلقد تلقى الخبر من ابنه، وطلب منه السكوت، حتى تظل زوجته "إيمان" مع ابنته في المستشفى، ليتلقى الخبر وحيدًا، ولكنه تأكد أنه انكسر للتو، فرغم قوته وشدته، إلا أن حفيده كسر ظهره ألمًا، ليبكي هذا الرجل للمرة الأولى منذ لحظة فراق أمه، ليختفي لحظة عن الأنظار ليحفظ ماء وجهه، قبل أن يشعر بالضعف ويطلب المساعدة، ليقوم بالاتصال بـ"حلمي مهران" الذي أجابه من

مكتب العميد "ضياء عدلي"، ليتلقى هذا الخبر القاسي من أمام صديقه الرائد "هشام" الذي سانده قائلًا:

- في إيه يا "حلمي"؟!!

- إبني يا "هشام"، الحيوان خطف إبني، أنا هاقتله.....

قالها "حلمي مهران" بينما أمر العميد "ضياء" الرائد "هشام" ليتبع زميله:

- معاه يا "هشام" ماتسيبهوش المجنون ده....

ليهرع الرائد "هشام" خلف "حلمي مهران" الذي وصل إلى الشارع في لحظة:

- رايح فين بس؟

- إنت عارف.

قالها بذكاء، فلقد صار كل شيء مكشوفًا لديه، وعلى الفور أشار "هشام" إلى سائق الأجرة الذي هرع إليهما مبتسمًا كعادته، ليقول له "حلمي مهران":

- المعادي يا "عاطف".

***

من مكتب "فؤاد" دخل إليه مساعده المحاسب مبتسمًا، بينما كان لا يزال شاردًا:

- مساء الخير يا "فؤاد" يابني.

- أهلًا يا حاج إتفضل.

- لا مؤاخذه يا بني بس أنا شايفك مش على بعضك.

- أصل في حد عزيز عليا بيعمل عمليه خطر النهارده.

- طيب وإنت إيه يا بني اللي مقعدك هنا؟

سكت "فؤاد" محرجًا ليكمل الرجل:

- آه، طيب خلي بالك يا بني إن دايمًا واجب الأحزان بيبقى أهم من بكتير من واجب الأفراح.

قالها قبل أن تظهر "حنان" عند الباب مبتسمة وإن لم يبادلها "فؤاد" تلك الابتسامة!

***

من داخل الملجأ صعدت "أمنية" مع "تيم" و"سالي" ليهدئوا الأطفال الذين هلعوا من الزلزال الذي حدث، ليشعر "تيم" لوهلة برحمة وسكينة في نفسه بين الأطفال، ليقول أحدهم:

- هو إنتوا ليه مابقتوش تاخدونا برا يا أبله "أمنية"؟

لم تفهم "أمنية" ليوضح الطفل:

- أيام بابا "عياش" كنتوا بتخلونا نروحله كتير.

- عشان ده كان بابا "عياش".

دمعت (أنا) متذكرًا:

- طيب ليه ماحدش بقى بياخدنا بعده؟ دايمًا كان بيبقى فينا واحد ولّا اتنين عنده، وكان بيسيب إبنه معانا، بس من ساعة ما مشي، ومحدش بقى بيفسحنا.

- أنا هافسحك.

قالها "تيم" بمروءة وحنان، ليحتضنه الطفل قائلًا:

- إنت مين؟

- أنا "تيم".

- أنا بحبك أوي يا بابا "تيم".

ابتسم "تيم" رغمًا عنه قبل أن تدمع عيناه، بينما ربتت "سالي" على كتفه، وتركتهم "أمنية" بحثًا عن طفل ما، لتصعد أخيرًا إلى غرفة الموسيقى، لتجده هناك بشعره الأحمر يمسك بالشخشيخة يعزف لحنًا حزينًا وإن كان متماسكًا، ليلاحظ وجودها، فيقف لحظة متأملًا إياها

لتجثو هي على ركبتها فاردة ذراعيها، ويتجة الطفل إليها ببطء حتى وصل إلى أحضانها، لينهار للمرة الأولى ذارفًا الدموعَ ألمًا.

***

من داخل غرفة العمليات كان "صلاح" متوترًا، فلقد اكتشف لتوه أن هذا الورم لم يكن أبدًا حميدًا، ليحاول إنهاء ما بدأه متحديًا كل الظروف، لتمسح رئيسة التمريض عن جبينه هذا العرق الذي غمره، لتشعر للوهلة الأولى بالقلق، ولذا حضرت معه تلك العملية وإن لم تكن تحضر أي جراحة في العادة، وقد كان الحق معها، فلقد ازداد الموقف سوءًا للتو، حين توقف قلب "وعد" عن النبض، وتوقفت رئتاها عن التنفس، لتصعد تلك الروح الضعيفة إلى السماء!

***

(03)

زاد التوتر بين ضلوع المستشفى ليهرع بعض الممرضين إلى أعلى فيدركوا الفاجعة التي حدثت في جناح العمليات، وشعر الجميع بخطوات القلق، وسمعها هذا الرجل صاحب القناع الذي كان في غرفته يحاول أن يأكل ولكن دون جدوى، فلقد حالت إصابة فكه من أبسط حقوقه في مضغ الطعام، ليتوجب عليه وضع الطعام في خلاط كهربائي ليجعله سائلًا ليستطيع هو ابتلاعه، ليزيد عجزه من سخطه، ويلقي بالطعام أرضًا في غضب عارم، ويتوقف في ملل، لينظر إلى المرآة وهي تعكس قبح إصابته، ليمسك بقناعه الذي يرافقه ليرتديه قبل ملابسه، ليتأنق ببذلة كلاسيكية، ثم يتوجه إلى باب غرفته ليخرج منها ليستكشف تلك الجلبة، إلا أنه وجد الممرات هادئة، فوضع المقنع سماعات هاتفه في أذنيه، ليستمع إلى تلك المقطوعات الكلاسيكية القديمة قبل أن يبدأ في التراقص، بطريقة مخيفة وخفة مريبة، حتى وجد تلك الممرضة خارجة من إحدى الغرف ليخطفها ليراقصها بطريقة مثيرة لا يستطيع رقصها إلا أذكى الرجال، لتنسى المرأة قناعه وتستمتع برقصته، حتى تركها وخرج إلى قسم آخر، دون أن يستطيع الممرضون منعه، فلقد تلاشاه الجميع، حتى وصل إلى منطقة خاصة بالأطباء الذين كانوا مجتمعين يتحدثون عما يحدث بالعمليات، ليجد المقنع مشهدًا مألوفًا، حيث كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم! ليتذكر المقنع تلك الجلسة المشؤومة رقم ٤٤ والتي كانت هي السبب في إصابته، ليقتحم المقنع جلستهم في جنون، ليمسك بأحد المقاعد، ليلقي بها على وحدة الإضاءة المعلقة، قبل أن يتكاثروا عليه ليوقعوه أرضًا، مزيحين عنه هذا القناع الذي أرعبهم في البداية!

***

من حديقة فيلته ابتسم "محمود وهبة" الذي استقبل ضيفيه بالترحاب قائلًا:

- والله كنت عارف إنكوا هاتيجوا بس الصراحه مش بالسرعه دي.

كانت الحديقة ممتلئة برجال "محمود وهبة" المدججين بالسلاح،

حالهم حال الكلاب المسعورة التي انتشرت بالحديقة التي توسطها جالسًا على مقعده الهزاز أسفل برجولة قماشية، من أمام الرائد "هشام" و"حلمي مهران" الذي قال:

- فين "وليد" يا "محمود"؟

وقف "محمود وهبة" ضاحكًا:

- "محمود" حاف كده؟ إسمي اللوا "محمود وهبة".

- مع وقف التنفيذ.....ولًا نسيت!

قالها الرائد "هشام" بجرأة، ليلتف إليه "محمود وهبة" متحديًا:

- واضح إن إنت اللي نسيت اللي أنا ماسكه عليك.

اندهش "حلمي مهران" ليتابع "محمود وهبة" ضاحكًا:

- ماتستغربش يا "حلمي"، أصل الرائد "هشام" كان مشترك في موت مديره القديم في الشغل، فمش لازم يعني تديله الأمان أوي.

لم يُجب الرائد "هشام" بل ونظر أرضًا، ليتقدم "حلمي مهران" بقوة مكررًا سؤاله:

- أنا سؤالي واضح.. فين "وليد"؟

- واو.. لا أنا كده خفت، إيه يابني الثقه اللي جتلك من بعد العمليه دي؟ الله يرحم، إنت كنت ماسخ أوي.

حاول "حلمي مهران" الانقضاض على الرجل قبل أن يمنعه مساعدوه، ليكمل "محمود وهبة":

- لا أنا عاوزك توفر تعبك ده، عشان إبنك.

- إنت عايز إيه؟

- أهو كده بقى بدأت تفهم، سلمني "عياش الراوي" أسلمك "وليد"، بخ "عياش" بخ "وليد".

- بس "عياش الراوي" ده اتعدم!!

- ده حقيقي، لأ وأنا كمان حضرت إعدامه بنفسي.

- مش فاهم!

قالها "محمود وهبة" وتذكر ما حدث منذ شهور عندما بدأت كل تلك الحوادث، حتى شك في حقيقة موت "عياش الراوي" فلقد كان يجهل "سر الأمنية الأخيرة"، وتتعاظم شكوكه، حتى أن شيطانه دفعه ليذهب منقبًا عن جثته في مدافن الصدقة التي دُفن فيها بعد إعدامه!

ليعتدي "محمود وهبة" على حرمة تلك المدافن، في إحدى الليالي المخيفة، بحثًا عما يهدئ من روعه، فلقد بات حبيس بيته يخاف الخروج، يشك في عيون الجميع، منذ رأى عيني في الحفل المشؤوم، الذي أطلق هو فيه الرصاص عليَّ عندما رأى عينيَّ، بعدما وصلته تلك الأخبار بمقتل "هجرس" و"هاشم" من داخل الحفل، لينتبه إلى ما يحدث ويدافع عن نفسه مطلقًا النار عليَّ، أم لعله كان يقصد قتل "حلمي مهران" فلقد كان الرجل مشوشًا يشعر بآخرته، إلا أنه قضى شهورًا طويلة من حياته يبحث عن السر بمساعدة "جون" الذي سخر له الكثير من الأموال، ليخفي "محمود وهبة" الدلائل التي تثبت حياة "عياش الراوي" حتى لا ينكشف سر "جون"، لكي يصل هو إليه ليرشده إلى السر، لذا ظل "جون" يأمل ألا يجد "محمود وهبة" جثة "عياش الراوي" الآن في قبره، ليظل معه عبر الهاتف:

- أتعلم معنى وجود "عياش" حيًّا؟

قالها "جون" ليعقب "وهبة" قائلًا:

- يا خواجه عايش إزاي! أنا حضرت إعدامه بنفسي.

- لا داعي للقلق، فإن كان "عياش" حيًّا فهذا سيكون في مصلحتنا للوصول إلى غايتنا أسرع، فمعنى هروبه أنه يعي ما ظننا أنه يجهله، ولكن فقط إن عثرنا عليه!

من جانب "محمود وهبة" بدأ أحد المنقبين الصياح علنًا قائلًا:

- يا باشا مفيش جثه!!!

ارتسمت علامات الاندهاش على "محمود وهبة" حينذاك، حال "حلمي مهران" والرائد "هشام" في الوقت الحاضر الذي علق من أمام

"محمود وهبة":

- يعني إيه؟!

- يعني تعرفولي فين "عياش الراوي" أقولكوا فين "وليد" بس بسرعه عشان الأكل والشرب اللي محطوطين له قربو يخلصو وأنا مش ناوي أغيرهم له.

- آه يا ابن الـ...

تهجم "حلمي مهران" على الرجل، ليمسك به الرائد "هشام" قائلًا:

- مفيش داعي يا "حلمي"..

هدأ "حلمي مهران" لحظة، ليوجه "هشام" حديثه إلى "محمود وهبة":

- و"غانم" فين؟

- ماتخافش ده حبيبي.

قالها "محمود وهبة" ضاحكًا، ثم تابع:

- آه صحيح.. إنت مش خايف عليه، خايف على السنيوره "ماجي"، معلش بقى تعيش وتفتكر مقدمًا.

بسخرية مرضية قالها "محمود وهبة" وظل يضحك قبل أن ينسحبا هما تاركين إياه ليركبا في سيارة الأجرة هذه التي عرف سائقها إلى أين هما ذاهبان!

***

سمعت "أمنية" خبر خطف "وليد" برهبة شديدة، فلقد كانت تنتظر رؤية "حلمي مهران" لتوبخه على مقتل "إيهاب" وقد حملت سلبيته ذنبها، إلا أنها اكتشفت للتو فاجعته، لتكمل حديثها إلى الرائد "هشام" بشيء من الأسى:

- طيب وهو "حلمي" فين يا "هشام"؟

أجابها الرائد "هشام" من مكتبه في تألم قائلًا:

- سابني وراح بيته.

غضبت "أمنية" قائلة:

- وإنت إزاي تسيبه لوحده كده يا "هشام"؟!!

- هو اللي طلب يا "أمنية"، "حلمي" كان محتاج يعد لوحده.

تنهدت "أمنية" وقالت في موافقة:

- عندك حق، واضح إن كلنا محتاجين نعد لوحدنا شويه.

قالتها وأنهت المكالمة، وظلت كلماتها عالقة في ذهن الرائد "هشام" بينما توجهت هي بالحديث إلى "تيم" الذي كان يلاعب الأطفال مع "سالي":

- أنا هامشي يا "تيم".

- طيب هانوصلك.

- مقصدش.

انتبهت "سالي" إلى الحوار فقامت، ووجهت "أمنية" لها الحديث:

- كان عندك حق يا "سالي"، كملي إنتي التقرير، ده مش ليا.

توترت "سالي" حال "تيم" لتوضح "أمنية":

- أنا متخلقتش عشان أكون صحفيه يا "تيم"، أنا اتخلقت عشان أعزف مزيكا.

قالتها وهي تشير إلى الشخشيخة التي أخذتها من غرفتها، ثم توجهت إلى "سالي" بالحديث:

- إنتي صحفيه عظيمه يا "سالي" ماتخليش طيبتك توقفك، أما أنا كنت مجرد ضيفه.

- بتقولي إيه يا "أمنية"؟!

علق "تيم" متوترًا، وردت له "أمنية":

- إنت شاطر أوي يا "تيم"، وخساره تعد تجري في الدنيا وتنسى

نفسك.

توقفت "أمنية" كي تنظر حول الأطفال الملتفين حوله لتكمل:

- إنت هاتبقى أب عظيم يا "تيم"، بس لو اخترت صح.

قالتها ثم ابتسمت لتضيف:

- أنا دلوقتي هاروح البيت، عشان محتاجه أعد لوحدي، ليا حسابات كتيره محتاجه تتعاد، وأرجوك يا "تيم" تقبل استقالتي.

***

وصل "حلمي مهران" منزله في حالة يرثى لها، لا يعلم لمَ جاءت به قدماه إلى هنا! فزوجته في المستشفى وابنه صار مخطوفًا، ليشعر بتلك الوخذة المؤلمة في قلبه عندما فتحت له الخادمة الباب باكية، ليدخل وهو يقتل المكان بحثًا عن دليل ما، وإن كان يعلم أن رجال حميه اللواء "فاروق" لن يتركوا شيئًا للصدفة.

صرف "حلمي مهران" الخادمة، فلم يكن يريد أي صحبة، ثم أوصد كل النوافذ وأغلق كل الإضاءات، فما عاد يريد استقبال أي أنوار، فقط كان يريد إشعال نور بصيرته، ليسود المكان ظلمة ويظل جالسًا في الصالون لساعات طويلة حتى غربت الشمس وسمع هذا الصوت الغريب، المتسلل عبر سور منزله الحديدي، لينتبه ويقف مقتربًا من الباب، وبعدها أولجا إلى حديقة منزله ثم يبدأوا بفتح إحدى النوافذ بحرفية شديدة، ليدخل هذان الملثمان، ويتوجها إلى سلم الفيلا، دون أن ينتبها إلى "حلمي مهران" فلم يكن هو هناك على أية حال!

من غرفته انتبه الطفل "وليد" لأصوات القادمين حالًا، ليعرف بحسه البوليسي الذي ورثه من جده، أن هناك خطبًا ما، ليحاول الاتصال بوالده، ويرن هاتف "حلمي مهران"، وإن لم تكن الساعة المدونة على الهاتف مضبوطة، ليتذكر "حلمي مهران" تلك المكالمة التي لم يُجِبها أمس.

من داخل غرفته توجه الطفل "وليد" ليفتح جهاز ألعابه مديرًا اللعبة التي كان يلعبها مع والده، ثم فتح الكاميرا وأغلق التلفاز، في هذه

اللحظة وصل خاطفوه إلى باب غرفته، ليفتح "وليد" إضاءة الغرفة، قبل أن يختبئ، ليفتحا الباب، ويجدا الغرفة خالية، ليندهشا من إضاءة الغرفة، ليبدآ في البحث عنه في كل أركان الغرفة، حتى وجداه مختبئًا بين ملابس دولابه ليمسكاه واضعين يدهما على فمه، بينما لم يكترث "وليد" وأمسك بقناع أحدهما ليرفعه عن رأسه بسرعة غريبة أدهشت الرجل فلم يجد بُدًّا إلا صفعه، ليقع "وليد" أرضًا من أمام كاميرا لعبته ليبتسم قبل أن يعود إليه خاطفه مكشوف الوجه، لتصوره الكاميرا، بينما يظل "وليد" مبتسمًا حتى تكالبواعليه، ليستسلم غائبًا عن الوعي!

هذا ما رآه "حلمي مهران" للتو بعينه الثالثة، ليكتشف أنه قد راودته رؤيا جديدة للتو، وأن بيته خالٍ من أي متطفل في الوقت الحالي، فتمنى أن تكون رؤياه صحيحة، فتوجه إلى أعلى بسرعة، ليدخل غرفة "وليد" التي تحولت لمسرح جريمة، ليضيء الأنوار، ويتجه إلى جهاز ألعاب ابنه ليفتحه، متمنيًا أن تكون رؤياه صحيحة، وقد كانت!!

***

من غرفة "وعد" كانت "إيمان" تجهل ما حدث في غرفة العمليات للتو، فتواصل هي خشوعها في الصلاة، تتذلل لربها، عله يطمئنها على ابنتها:

- يا رب أنا مليش في الدنيا غير ولادي، ماتورنيش فيهم حاجه وحشه، خد من عمري واديهم، واجعل نهايتي قبلهم، أنا مشتقالك يا رب، وعايزه دعوة ولادي توصلك وأنا بين إيديك.

دعت "إيمان" بإيمان، وإن كانت تجهل أني قد رأيت ملك الموت في المكان، فإني أعلمه، فلقد أزهق روحي سلفًا، لذا كنت (أنا) مدركًا أنه لن يترك المستشفى إلا بروح يروي بها ظمأه!

***

داخل مكتبه ظل الرائد "هشام" وحيدًا، حال "أمنية" و"حلمي مهران" يحاول مراجعة نفسه، يحاسب نفسه على ما حدث بينه وبين "ماجي" في لقائهما الأخير بعد أحداث "الوحي" عندما كانت في

شقته يشاطرها الغرام، لتقبله قبلة مثيرة أعادته للبداية، ثم تركت السرير عارية تتقاطر منها آثاره بعدما غزاها في عمقها، لتمسك بملابسها قائلة:

- هاتوحشني.

- مش فاهم!

استعلم الرائد "هشام" الذي كان منتشيًا سعيدًا من اللحظة.

- يعني هاتوحشني يا "هشام".

وقف الرائد "هشام" ليستر نفسه في قلق.

- في إيه يا "ماجي"؟

- دي آخر مره هاتشوفني فيها يا "هشام".

- ليه بتقولي كده؟!!

- عشان ماينفعش غير كده يا سيادة الرائد، وأنا حابه أحافظ على ذكرى حلوه بينا.

أمسك بها الرائد "هشام" في رفض قائلًا:

- إنتي بتقولي إيه؟!

- "هشام" إنت تقدر تربط حياتك بيا بأي شكل؟

سكت الرائد "هشام" لتكمل هي:

- إنت عمرك ما هاتفكر تتجوزني، ولا تقدر تربط حياتك بواحده زيي، لأنك عمرك ما هاتقدر تغفر لي اللي فات، كلنا هنا كده، مابنسامحش بعض، وأنا عاذراك.

لم يستطع الرائد "هشام" الدفاع، فلقد كان يعلم أنها على حق ليصمت!

- وأنا متفهمه سكوتك، وما اعترضتش إني أعيش معاك شهور بس عشان بحبك، وماطلبتش منك حاجه ولا هاقدر أطلب، عشان أنا معاك بدي ومابخدش، بس خايفه يجي يوم وتزهق مني، أو أصحى ألاقيك

بقيت واحد منهم، الناس اللي مابقتش بتشوف إلا جسمي، عشان كده عايزه أمشي دلوقتي وأنا لسه بحبك، وعارفه أد إيه إنت عايزني، يمكن الذكرى الحلوه دي تعوضني عن غضب ربنا.

قالتها حينها وهي تتذكر تلك اللحظة من حبسها لتعيد استغفاره، عن طيشها، فلقد كانت إنسانًا يحاول تلبية طلبات جسده وعقله، حال الرائد "هشام" الذي ظل إلى تلك اللحظة نادمًا على فراقها متلهفًا إلى جسدها، ليظل متسائلًا كيف له أن يتخلى عمن أسعدته؟ فلقد كان يستطيع وضع علاقتهما في إطار شرعي، إلا أنه لم يكن يستطيع، ليظل إلى هذه اللحظة ذليلًا بتلك المتعة التي تذوقها وافتقدها.

فتح "حلمي مهران" الباب للرائد "هشام" الذي عاد من ذكراه مستقبلًا زميله بحفاوة:

- "حلمي" حمد لله على السلامه.

- دي صورة اللي خطف إبني.

قالها وهو يلقي بصورة مطبوعة وقرص صلب على مكتب الرائد "هشام" الذي أمسك بها قائلًا:

- أنت متأكد؟؟! جبتها منين؟؟!

- يا "هشام" مفيش وقت أنا إبني مخطوف، يالا اشتغل.

قالها قبل أن يدخل "فريد" مدخنًا سيجارته وهو يحمل بعض الملفات، ليوبخه الرائد "هشام":

- إنت فين من الصبح يا حيوان وتليفونك مقفول ليه؟

- في إيه يا باشا؟ كنت تحت في الأرشيف بجيب القضايا اللي المقدم "حلمي" طلبها مني.

أُحرج الرائد "هشام" وقال:

- طيب سيبهم هنا وخد الصوره دي والهارد ده، وإقلبلي الدنيا على صاحبها.

- معلش يا "هشام" إنت دور بنفسك، وخصوصًا في عصابات الآثار.

ابتسم الرائد "هشام" وقال:

- غالي والطلب رخيص، ده إبني.

- وأنا هاكسب وقت وهاشتغل على الملفات دي بسرعه.

بحرفية وبرود قالها، فلقد صار الرجل منظمًا في تفكيره، مسيطرًا على مشاعره بعدما اطمأن على تغطية "هشام" وأمسك بالأوراق وظل يبحث في سنة تلو الأخرى بينما كان الرائد "هشام" يجهل ما يبحث صديقه عنه!

- إنت بتدور على إيه بس فهمني؟

لم يُجِب "حلمي مهران" وتابع بحثه قبل أن يأمر الرائد "هشام" "فريد" بالمغادرة، ليكمل بحثه بينما ظل يكمل اتصالاته بجميع مساعديه ومخبريه للوصول إلى صورة هذا الخاطف بعدما شاهد المقطع المصور قائلًا:

- بس إبنك ده يا "حلمي" عبقري.

صمت "حلمي مهران" ليتابع الرائد "هشام" في إحراج:

- إن شاء الله هانرجعه بالسلامه.

أستمد "حلمي مهران" في صمته، ليشك الرائد "هشام" أن صديقه قد صدق كلمات "محمود وهبة" في حقه ليقول مدافعًا:

- على فكره.. ماتصدقش اللي قاله "محمود وهبة".

اختلس "حلمي مهران" نظرة ريبة إلى الرائد "هشام" الذي تابع:

- حقيقي.. في قضية "الوحي" كان في ملابسات كتير، بس حقيقي أنا مكنش...

قاطع "حلمي مهران" زميله قائلًا:

- مش موضوعي ومسألتكش يا "هشام".

بقوة وحزم قالها "حلمي مهران" ليوقف الرائد "هشام" بحثه عن صورة الخاطف، بينما أكمل "حلمي مهران" بحثه هو الآخر داخل

الملفات سنة تلو الأخرى دون أن يصل إلى شيء، حتى كانت تلك السنة الأخيرة عام ٢٠١٥، وهو يبحث عن الحوادث التي تمت في الحادي والثلاثين من تشرين الأول من كل عام، والتي طلب تحضيرها باكرًا من "فريد"، ليجد من بينها حادثين يجمعهما روابط عديدة، فلقد تمت الجريمتان بخنجرين تُركا في كل جثة! حال السم الذي ظهر بوضوح في تقرير الطب الشرعي، ليتأكد "حلمي مهران" أنه أمام مريض نفسي يقتل (فقط) في نفس اليوم، هذا اليوم الذي بحث عنه أمس "حلمي مهران":

- بس هو الاتنين دول علاقتهم إيه بـ"عياش الراوي" أصلًا؟!

تساءل الرائد "هشام" قبل أن يخطف منه "حلمي مهران" الورق قائلًا:

- لو سمحت دور إنت على الراجل ده وسيبني، أنا عارف بعمل إيه.

قالها "حلمي مهران" مشيرًا إلى خاطف ابنه ثم أكمل بحثه، ليتابع أوامري إلى عقله الباطن، ليعود إلى تلك الأوراق يستكمل بحثه لوقت طويل حتى وجد ما يجمع كلا القتيلين عام ٢٠١٥، فلقد كانا يعملان سويًا في نفس الملجأ، ملجأ مفتاح "الحياة"! لتكتمل الصورة في ذهنه، وتتأكد شكوكه في كشف "سر الأمنية الأخيرة"، لأبتسم (أنا) لذكائه من خارج مكتب الرائد "هشام" طارقًا بابه، ليندهش "حلمي مهران" الذي صار وحيدًا في تلك الغرفة بعدما تلاشى الجميع، ليطلب مني الدخول:

- ادخل..

قالها "حلمي مهران" إلا أني لم أجِبه، مكتفيًا بتكرار طرقي، ليقترب من الباب ليفتحه لي، ليجدني (أنا) هناك عند هذا الفناء الخارجي الذي كان يفصل منزل والده عن قبوي، ليتعجب "حلمي مهران" من وجوده في بيته القديم، ليحاول الفرار من هذا الباب الذي أغلقته (أنا) لتوي، لأجبره على التقدم إلى ما كان يعرفه ويتجاهله، ليخطو خطوة تلو الأخرى إلى هذا الفناء الخارجي الذي امتلأت سماؤه بالغضب، ليقترب إلى هذا الباب الذي يفصله عن خياله، ليدخل "حلمي مهران"

هذا القبو الذي حُفر داخل عقله، ليتوغل داخله شيئًا فشيئًا، حتى شهد الحقيقة من أمام عيني الخضراء التي تعرف عليها أسفل عباءتي القديمة، ليكتشف "حلمي مهران" الغرائب كلها بل والكثير من الحقائق، قبل أن يعود وحيدًا إلى حاضره أمام هذا الباب الذي فتحه للتو من مكتب الرائد "هشام" ليجد نفسه أمام "فريد" الذي كان يطرق الباب وليس (أنا)، ليتفهم استدعائي له:

- عايز إيه يا "فريد"؟

سأل الرائد "هشام" مقتربًا من "حلمي مهران" الذي ظل متوقفًا في صمت، ليفهم صديقه أنه قد شاهد شيئًا ما!

- في حاجه يا "حلمي"؟!

امتنع "حلمي مهران" عن الحديث، قبل أن يقول "فريد":

- في اشتباه في حد سعادتك؟

ابتسم الرائد "هشام" وهو ينظر إلى "حلمي مهران" الذي لم يبالِ وقال لصديقه:

- تابع إنت يا "هشام" أنا واثق فيك.

قالها "حلمي مهران" وخرج من الباب ليلبي ندائي في عقله، ليندهش الرائد "هشام" ويذهب ليتابع هذا المشتبه به الذي وجده رجال الداخلية لخاطف "وليد"!

***

وصل "فؤاد" إلى منزل والده الذي هجره لشهور طويلة ليندهش الأخير من دخول ابنه ليحتضنه قائلًا:

- "فؤاد"! الحمد لله إني شفتك قبل ما أموت يا بني!

احتضن "فؤاد" أباه بعد سنين من الفراق، فلقد ظل يحمله سبب تعاسته وافتقاده لـ"وعد" بعدما اكتشف أنه هو السبب الحقيقي لرفض تلك الزيجة، فلم يكن الرفض ماديًا أبدًا، بل كان الرفض بسبب انتماء والده لتلك الجماعات التي كانت سببًا في تهديد حياته وافتقاده

لصديق عمره "عبد المهيمن مهران" الذي فضل اللواء "فاروق" ابنه عن "فؤاد" نظرًا لانتماء والده لمثل تلك الجماعات الأمر الذي لم يعرفه "فؤاد" في تلك الفترة نظرًا لعدم إثبات رجال الداخلية لأي تورط خارج له، ألا أنه انكشف للجميع منذ بضع سنين، عندما تولت جماعته الحكم، ليخرج الرجل من جحره ويعلن انتماءه، ليتفهم "فؤاد" توجهات والده، الذي تمادى في ظلمه في تلك السنين، ليهجره "فؤاد" اعتراضًا على توجهاته، حتى هذه الساعة التي وصل إليه ليجد جسده الضعيف قد تهالك، ليمسك يده مقبلًا إياها ليقول الوالد:

- أنا كده ممكن أموت وأنا مبسوط، أنا عارف يا بني إني مكنتش الأب اللي كنت بتتمناه، أنا كنت مغيب عنكوا سنين طويله، بس ربنا بيسامح، وأنا استغفرته كتير أوي لو كنت غلطت، بس صدقني أنا مكنتش عايز غير رضاه.

- أنا اللي آسف، أنا اللي نسيت إنك أبويا، وكان لازم أفضل تحت رجلك مهما عملت فيا.

ابتسم الأب وهو يحتضن ابنه ليتساءل من على سرير مرضه:

- بس قولي الأول إيه اللي فكرك بيا؟

ابتسم "فؤاد" وقال":

- عايزك تدعيلي.

- يبقى جيت في الوقت الصح، ولحقت القطر قبل ما يمشي وأنا يا بني هادعيلك وأنا مسامحك وقلبي هايفضل راضي عنك وأنا عند رب كبير.

قالها الأب وسكت الكلام، فلقد وصل "فؤاد" في الوقت الصحيح!!

***

عرف "حلمي مهران" إلى أين يتوجه، فالسر كله كان في هذا القبو.. .القبو الذي نشأ فيه، حال "عياش الراوي" الذي لم يكتشف بعد سر قرابته له! ليخرج وحيدًا لمواجهة مصيره، أشار إلى سيارة أجرة عبرت من أمامه ليركب فيها قائلًا:

- "نزلة السمان" يا "عاطف"!

قالها وشرد في حياته كلها التي عبرت كلحظة وهو يحاول إبعاد "وليد" عن عيوبه وسلبيته، حتى عبر بجانب أهرام أجداده، ثم وصل أخيرًا إلى هذا الشارع القديم الذي نشأ في طفولته به، ليترجل ويدخل هذا العقار القديم الذي امتنع دائمًا عن بيعه أبدًا كما وصى والده، بل اكتفى بتأجيره، ويصعد تلك السلالم الستة، وليقف لدى الباب ويطرقه في ترقب، لتفتح هي الباب، لينظر "حلمي مهران" للوهلة الأولى داخل عيني الخضراء، التي حاولت هي جاهدة في حجبها عنه!

- إنتي؟!!!

- أيوه (أنا).

***

(02)

من داخل جلسة السايكودراما بدأ البعض كشف السر وإن كان هناك آخرون لا يزالون يبحثون عنه، ليطلب من الدكتور "علي" التوضيح قائلًا:

- معلش لسه الناس محتاجه تفهم.

- حاضر.

قلتها (أنا) وتابعت قصة "عياش" وهي في الحقيقة قصتي منذ تلك اللحظة!

فعندما تزوجت (أنا) من "حياة" التي حرمها الخالق من الإنجاب، لم أكترث، بل وأحببت مشاركة ضعفها لأحقق لها ما تمنت، في مساندة هذا الملجأ المفلس، وإعادة تأسيسه تحت اسمها "هي" ملجأ "مفتاح الحياة" فهي كانت أصل البذور والنواة التي خرج منها كل هؤلاء الأطفال الذين تعرضوا لكل أنواع المذلة قبل مجيئها، و ساعدنا في تأسيسه الدكتور "إيهاب" الأخ التوأم لها وقد رفض زيجتي لها في البداية قبل أن يتفهم من حقًّا (أنا). في تلك الحقبة كانت "حياة" تعطف على كل أطفال الملجأ، خاصة تلك الفتاة "أمنية" التي فقدت بصرها على يد اثنين من مشرفي الملجأ القدماء، لنتبناها نحن ونعاملها كابنتنا، تلك الابنة التي حُرمت منها "حياة"، لتحب "أمنية" الموسيقى حال "حياة" كما أحبت منا علم المصريات ونبغت فيه من حينها، علم المصريات الذي اكتشفته "أمنية" ببصيرتها دون الحاجة لبصرها، مكتفية بعين "حورس" الثالثة التي استطاعت بها الاطلاع على التاريخ المصري القديم كله من خلال عينيَّ، حتى جاءت اللحظة التي عرفت فيها أني ميت لا محالة، لأتوجه إلى "راضي" بأمنيتي الأخيرة التي حملها إلى ابنة "محمود وهبة" نفسه، في إحدى زياراته لـ"راضي" خلسه، لتحمل ابنته ما سوف يؤرقه بل وقد يقتله! فلقد ذهبت ابنة "محمود وهبة" إلى الدكتور "إيهاب" في الملجأ لتطلعه على السر، ليندهش الدكتور "إيهاب" من حديثها قائلًا:

- القدر ده غريب جدًّا يا فندم! "عياش الراوي" منعني إني أروح

أزوره تاني، وحقيقي أنا مفهمتش ليه، بس دلوقتي فهمت.

- المهم هاتقدر تنفذ طلبه؟

- لو الطلب ده كان إطلب مني قبل ما أشوف "صدفة" كنت رفضت.

- "صدفة" مين؟

- "صدفة" دي اللي خدت قلب أختي "حياة"، والست اللي شفت فيها أختي وعشت معاها سنين طويله وأنا حاسس إن "حياة" لسه عايشه فيها جواها.

- يعني هاتعمل العمليه؟

- هاعملها وهنا في الملجأ، بس المهم إني أوصل لـ"عياش" في أسرع وقت بعد ما...

لم يستطع "إيهاب" نطقها، ولكني كنت قد واجهتها! فلقد كان يقصد لحظة إعدامي في لحظات الصباح الأولى من هذا اليوم المحدد، ليجرني شرطيان إلى آخرتي، فلم تحملني قدماي، رغم أني كنت مستسلمًا لهما، ولكني كنت أهاب الخالق، لأشعر بضعفي، حتى وصلت إلى تلك الغرفة التي تحمل رائحة الجحيم، لأجد المياه على الأرض بعدما أنهى السياف عملًا آخر قبلي لألاحظ صوت جر هذا الجسد وقد سبقني إلى خالقي، لأدخل أنا وقد خارت قواي، لأسمع صوت حديد أغلالي يجرح الأرض الخشبية في محاولة بائسة للتشبث بالحياة، ليرفعوني بضعة سلالم حفظت عددها، حتى أوقفوني فوق تلك الدرجة الهاوية، ليقرأني هذا الشيخ دعاء آخرتي، ليزيد من خوفي للقاء، قبل أن ألاحظ وجود "محمود وهبة" ينظر لي في انتصار، فلقد كان يتلذذ بضعفي، بعدما استغل هذا الرجل نفوذه ليحضر تلك اللحظة شامتًا، لأحتسب ربي في الانتقام، لأوافقهم على وضع تلك العُصابة على عيني لتعميني عن رؤيته في لحظاتي الأخيرة، لأظل أردد دعائي قبل أن أجدهما كليهما من أمامي في تلك الغرفة التي زادت لتوها اتساعًا مع صوت تلك اليد الصدئة لأغرق (أنا) داخل عمق بحر الظلمات!

لأغادر (أنا) عالمكم البغيض المليء بالتنمر قبل أن يُنقل جثماني إلى تلك المدافن فورًا، ليتم دفني بعيدًا عن زوجتي!

ليحقق الدكتور "إيهاب" أمنيتي، ويصل إلى هذا المدفن، بعد ساعات قليلة من دفني، ليخرج جسدي مرة أخرى إلى النور، قبل أن يذهب بي إلى تلك الغرفة ذات السريرين الحديديين التي جهزها الدكتور "إيهاب" مسبقًا بتلك الأجهزة المعقدة لمثل هذا الحدث، فلم تحتج تلك العملية إلى تعقيدات كثيرة كما يظن البعض، لينقل الدكتور "إيهاب" قرنيتي عينيَّ إلى هذه الشابة التي طالما أحببتها منذ صغرها أنها "أمنية"، لأظل ساعات طويلة تحت يدي صديقي الدكتور "إيهاب" قبل أن يتركني في انتظار نتيجة عمله الفني!

لأظل (أنا) ساعات طويلة تحت تأثير المخدر، قبل أن أبدأ في استعادة قواي، لأفتح (أنا) مرة أخرى عيني لأجدني على قيد الحياة!! فاندهشت فهل وصلت إلى خالقي بتلك السرعة! نهضت بجسدي الغريب بصعوبة، لأنهض وأجد عن يميني سريرًا وُضع فيه جسدي الميت! فارتعبت ووقفت بصعوبة لأخطو ناحية جسدي المتروك بجانبي، مقتربًا منه أمسكه بتعجب، لأتحسس رقبتي المنكسرة بشيء من الرهبة لأفزع قبل أن أحاول التحقق من جسدي الغريب لأنظر (أنا) إلى نفسي في المرآة لأجد صورة غريبة لـ"أمنية" التي كانت بالفعل تستحق "الحياة"، إلا أنها كانت تقف في تعجب تنظر لي مندهشة، حيث لا تزال تجهل حتى الآن "سر الأمنية الأخيرة"، لأقترب (أنا) إلى المرآة لأتحسس وجه "أمنية" الناعم في اندهاش، فلقد صرت هي، وبت (أنا) عينيها، لترث هي ثأري، جاهلًا حقيقة فعلي! فلم أورثها عيني لتثأر بها، بل لتصل إلى الحقيقة التي كنت أؤمن بأهليتها للحفاظ عليها!

لم أفهم حينها من (أنا)! هل (أنا) "أمنية"؟ أم لا أزال "عياش الراوي"؟! قبل أن أختلس نظرة أخيرة لجسدي المعدوم من خلفي في المرآة لأتأكد أن "عياش الراوي" قد مات وتركني هنا داخل جسد تلك الحسناء، فمن حقًّا (أنا)؟!!

عدت إلى جلسة السايكودراما، ليطلب مني أخيرًا الدكتور "علي"

رفع قناعي، لأمتنع قبل أن يكرر هو قائلًا:

- بعد اللي حكيتيه كله مابقاش في داعي للحجاب اللي بينا وبينك.

قالها وهو يرفع غطاء عباءتي ومن ثم قناع تلك اللبؤة الثائرة الشبيهة بالقطط، لينظر الجميع داخل عيني، ليكمل الدكتور "علي" حديثه:

- "أمنية" يا جماعه أول ماجتلي العياده، كانت بتشتكي من حاجه غريبه جدًا، كانت بتشتكي إنها من ساعة ما الدكتور "إيهاب" نقل لها عين "عياش الراوي" وهي بتشوف كل اللي هو شافه.

- وهو ده بجد يا دكتور؟!

تساءل "ناصف شوكت" ليجيبه الدكتور "علي":

- الصراحه، هو مفيش أي حاجه علميه بتثبت إن القرنيه تقدر تخزن ذكريات.

- بس مفيش حاجه بتنفيها.

قلت (أنا).

- معلش يا "أمنية" إنتي قلتي حاجات كتير، لو سمحتي سيبيني أعقب.

- حاضر.

قلتها (أنا)، ليكمل الرجل:

- حتى إذا كان مفيش حاجه تنفيها، بس هاتفضل حكايتك بالنسبه لينا مجرد أوهام وخيال.

- بس (أنا) شفتهم كلهم وهما بيقتلوا "صدفة".

قلتها (أنا) مدافعًا، قبل أن يتدخل الدكتور "علي" قائلًا:

- لأ إنتي شفتي الفيديو اللي متسجل في كمبيوترات "عياش الراوي"، الفيديو اللي سجله الدبدوب الصغير اللي إنتي حكيتيلي عليه، ومن هنا بدأ مخك يرسم كل الأحداث، يعني لو كان مثلًا في

حد خامس في عملية التصفيه دي والكاميرا ماصورتهوش، مكنتيش هاتعرفيه.

قالها وقد كان صادقًا فلم أكتشف خامسهم بعد!!

- بس "أمنية" حكت قصة "عياش الراوي" كلها من أول ما اتولد لغاية ما مات!

قالتها السيدة بتعجب، ليعقب الدكتور "علي":

- "عياش الراوي" عاش كتير مع "أمنية" في الملجأ، وممكن يكون حكالها كتير عن حياته.

- بس مستحيل يحكي كل التفاصيل دي.

- يبقى ممكن تكون "أمنية" حكيتلنا خيالات محصلتش.

سكت الدكتور "علي" لحظة وهو يشاهد ردود أفعالهم باستمتاع قبل أن يضيف في مكر:

- أو ممكن تكون "أمنية" صادقه ولسه فعلًا "عياش الراوي" عايش جواها عشان يروي لينا كل الأحداث.

- يعني إيه؟

- مش مهم يعني إيه، المهم هاتعمل إيه؟ الإنسان ده يا جماعه سر من أسرار الوجود، ملوش كتالوج، ممكن تكون قدرة "أمنية" على الاستبصار وهي عاميه يكون رفع عنها حجاب إحنا مانقدرش نشوفه أو نفهمه، وممكن يكون الغضب اللي اتوجع بيه "عياش الراوي" بالفعل إتحفظ جوا عنيه، "عياش" مريض "توحد" يعني أكيد شاف في حياته حاجات إحنا مانقدرش نشوفها، ربنا سبحانه وتعالى بيخلينا نشوف بس اللي نقدر عليه، بيخلينا نشوف بس اللي تقدر عقولنا تفهمه، وممكن تكون عين "عياش" مختلفه، حقيقي العلم هايفضل عاجز عن تأكيد أو نفي كلام "أمنية" لغاية يوم الدين.

- واحد وتلاتين عشره.

قلتها (أنا) مبتسمًا بشري، ليضحك الدكتور "علي" مقللًا من صحة

حديثي ليضيف:

- دلوقتي بقى إنتي المفروض تعملي اللي إنتي اتخلقتي عشان تعمليه، حاولي تعرفي إيه سر الرساله ودوري عليه، لكن المهم إنك تختاري شخص واحد تعيشي بيه!

***

- إنتي اللي عملتي كل ده؟!!

تساءل "حلمي مهران" الذي اتبعني إلى الداخل متذكرًا هذا المنزل الذي تربى فيه من قبل.

- (أنا) عملت اللي إطلب مني.

- "سخمت"!!

قالها "حلمي مهران" لأندهش (أنا) من داخل جسد "أمنية":

- إنت ذاكرت كمان؟

- أنا منسيتش كلامك في الأقصر، الإلهة "سخمت"، إلهة الانتقام، سيدة الخطوط الحمراء، الست اللي خدت عين أبوها عشان تنتقم ليه من البشر كلهم.

لم أستطع الرد من داخل جسد "أمنية"، ليكمل هو:

- "سخمت" كانت هاتهلك البشر كلهم، "سخمت" اللي احتفلوا بيها يوم واحد وتلاتين عشره من آلاف السنين، اليوم اللي خدوه منها عيد للشياطين ونهاية العالم، بس إنتي مستحيل تكوني "سخمت".

- كفايه يا "حلمي" كفايه، إنت ماتعرفش حاجه، ولا تعرف (أنا) عشت ازاي.

- بس أنا حبيتك يا "أمنية".

- وأنا قلتلك في القطر إن طريقنا مش واحد....عارف يا "حلمي" أنا حبيتك ليه؟...عشان شبهه أوي....شبه عمك....شبه "عياش الراوي"!

***

تأكد الرائد "هشام" من هوية الخاطف الذي كان مسجل خطر بالفعل في تهريب الآثار، فتوجه على الفور إلى العميد "ضياء عدلي" ليبدأوا في وضع خطتهم في تتبع هذا الخاطف:

- كده أكيد "وليد" و"غانم" موجودين في مكان من أماكن تهريبهم.

- عارفين يا فندم، أنا طلعت أمر بمراقبة تليفوناته هو وعيلته.

- المهم الوقت يا "هشام"، المخطوف ده إبن ظابط شرطه!!

- عارف يافندم، وصدقني مفيش حد مستعجل قدي، وكنت محتاج أفكر حضرتك بقضية "ماجي"، في غياب "غانم" أعتقد ممكن إحنا اللي نبعت للقاضي تفاصيل الأحداث.

قالها صادقًا، فلقد بدأ وقت "ماجي" ينفد، ولكن العميد "ضياء عدلي" رفض حديث الرائد "هشام"، ليشعر بصعوبة موقف حبيبته.

ليخرج غاضبًا من عند مكتب رئيسه متوجهًا إلى مكتبه حيث كان "فريد" يقرأ ملف المشتبه به:

- هو أنا مفيش مره أخش أوضتي إلا وألاقيك بتقرا في ورقي؟ إنت بتعمل إيه هنا؟!

- يا باشا هاكون بتجسس عليك يعني؟! أنا بتطمن على القضيه، مش كفايه عرفتلكوا مين اللي خطف الواد، لازم أعمل كل حاجه بنفسي يعني؟

- إطلع برا يا حيوان!

قالها ليخرج "فريد" مبتسمًا قبل أن يتصل بولي نعمته الحقيقي، رئيسه الذي طالما دفع له الأموال مقابل المعلومات.

- أيوه يا "فريد" إيه الأخبار؟

توقف "فريد" عن عادته الساخرة وتحدث بجدية مطلقة قائلًا:

- باشا إحنا يوم ولّا اتنين بالكتير وهانوصلكوا، أنا شايف إنك تخلع قبل فوات الأوان!

***

ظل "حلمي مهران" شاردًا يحاول فهم حقيقتي من داخل تلك الشقة التي حرمني منها والده قبل أن أطلب من "أمنية" أن تقطنها من بعدي لعلها تكتشف هذا السر!

- لو "عياش" عمي حقيقي، يبقى حقيقي عمره ما هايطلب منك تقتلي.

- بس دي كانت أمنيته الأخيره.

- كدب، كدب يا "أمنية" أكيد إنتي لسه مافهمتيش السر، وللأسف مابقاش عندك وقت.

سكت (أنا) لتتحدث عني "أمنية" قائلة:

- إيه هاتقبض عليا يا حضرت الظابط؟ ماتخافش مش هاتلاقي ولا دليل ضدي.

- هادور وهلاقي.

قالها "حلمي مهران" بتحدٍّ تقبلته "أمنية" نيابة عني:

- عمرك ما هاتكون أذكى مني، أنا كل اللي عايزاه إن محدش يتحاسب على حاجه معملهاش.

- خايفه على "ماجي"؟

- أنا مع العدل.

قلتها بقوة فلهذا خلقت، ولهذا أحيا!

- وأنا مع القانون...

سكت "حلمي مهران" لحظة ثم تابع في تردد:

- أنا هاسيبلك فرصه لبكره، يا ريت تبقي سافرتي وسيبتي البلد، أنا فهمت إنتي كنتي مستنيه إيه.

أوقفت (أنا) "أمنية" لأتحدث عنها بأسلوبي الجنائزي المخيف.

- مش هامشي يا "حلمي"، مش هامشي قبل واحد وتلاتين عشره، عشان أخلص اللي بدأته.

شممت (أنا) رائحة الخوف في عروق "حلمي مهران" الذي أخفاها قائلًا:

- وأنا هامنعك بكل قوتي.

ابتسمت و(أنا) ألتف حوله كالحية لأقول:

- بتحمي "محمود وهبة" مني؟! مش قلتلك إننا مختلفين؟!

- أنا بحاول أطبق القانون.

- وأنا بحاول أطبق العداله.

قلتها بقوتي التي استمدَدْتُها من أبي ليقول "حلمي مهران" في تردد:

- الإتنين وجهين لعمله واحده.

- بس برضه عمرهم ماهايتلاقوا..

شرد "حلمي مهران" متألمًا:

- "محمود وهبة" خطف إبني "وليد" يا "أمنية"، وما أظنش إن "عياش" لو كان حقيقي عمي كان يحب يشوف آخر دم في عيلتنا بيموت، وأنا مضطر أدافع عن إبني.

تألمت (أنا) لأترك لـ"أمنية" المجال:

- القضيه أكبر من إبنك ومني، القضيه قضية تاريخ بلد، في حاجات إنت أكيد مافهمتهاش، في جماعات بتحاول تدنس تاريخ البلد، وأنا حاولت كتير أوصلكوا صوتي، عشان تحافظوا على التاريخ ده، بس لو إنت فاكر إن تاريخنا محتاجني أو محتاجلك تبقى غلطان، التاريخ ده ليه اللي يحافظ عليه، ولعنتهم هاتصيب كل اللي يحاول يدنس تربتهم.

قالتها "أمنية" لتعيدني إلى الحوار.

- (أنا) مش هاسمح لحد يتعدى على التاريخ، ده دوري اللي اتخلقت

عشانه.

لم يفهم "حلمي مهران" معنى حديثي، ليخرج تاركًا "أمنية" لوحدتها، لنذهب (أنا) وهي سويًا إلى قبوي، لتحاول هي إرشادي (أنا) إلى "سر الأمنية الأخيرة" التي كنا حتى تلك اللحظة يجهلها كلانا، فرغم أننا واحد إلا أننا في الأصل أكثر، فـ(أنا) و"أمنية" اثنان، بل ثلاثة، فلا تزال تنقصنا هي! من تكمل الثالوث، فهذه لعنتنا وهذا سرنا، سر الثالوث الأوحد!! لننزل إلى هذا الفناء الذي فصلنا عن قبوي، لتفتح هي الباب وأنظر (أنا) إلى الداخل باحثًا عن أجدادي الذين طالما كانوا هناك، لتجلس "أمنية" على هذا المقعد المقابل للمرآة المتواجدة على الحائط، لترتدي قناع للبؤة الذي اتخذته رمزًا لي، قبل أن أظهر (أنا) لها من داخل صورة مرآتها، لأصرخ غضبًا لتهاب هي زئيري الساخط، لتشعر بلفح أنفاسي الساخنة، لتركع أمامي عندما ظهرت (أنا) بكامل زيي المصري القديم، لأتحدث بقوة قائلة:

- أنا إلهتكم، إلهة الانتقام، ابنة رع وعينه، الجبارة، سيدة الخطوط الحمراء.

من أمام المرآة اجتمع ثلاثتنا للمرة الأولى منذ شهور، فتلك "أمنية" هائمة كالقطة، بينما تلك اللبؤة تصرخ من المرآة لنسبح بحمدها قبل أن تبدأ انتقامها بينما (أنا) الراوي، لا تزال عيناي هنا تبصر ما يعمهون! أمسكت الجبارة خنجرًا ذهبيًا على شكل مفتاح الحياة، بينما أمسكت في يدها الأخرى "شخشيخة" موسيقية، بينما توجت حية الكوبرا تاج رأسها لتكمل هي قائلة:

- كما أني إلهة الدواء، أشفي المرضى من أي داء، أستطيع منحكم تلك الحياة وبعد الغد هو عيدي الذي أستطيع أن أصفح فيه عمن أشاء.

لحظات مخيفة مرت بثلاثتنا، حتى أني لم أعد أفهم إن كانت تلك الخواطر هي في عيني المريضة أم في عقل "أمنية" أم لعلها بالفعل "سخمت" جاءت من أسفل الأرض لتنتقم ممن تشاء وتصفح عمن

تشاء، فهي إلهة تمتلك من العلم ما أعجز عن فك رموزه منذ فارقت (أنا) الحياة!

***

من غرفة العمليات أنهى الدكتور "صلاح" عمله وخرج في حالة يرثى لها، ليذهب إلى غرفة "وعد" ليتحدث إلى والديها، بينما كان اللواء "فاروق" قد وصل لتوه استقبال المستشفى مهمومًا، ليتجه إلى المصعد، ليصل إلى غرفة ابنته ليعرف نتيجة العملية، ليصل عند الغرفة التي سبقه إليها الدكتور "صلاح" دون أن يغلق بابها، ليشعر اللواء "فاروق" بالرهبة قبل أن يلمحه الدكتور "صلاح" ليخرج له، ليصفعه صفعة أخرى لم تكن متوقعة أبدًا:

- سيادة اللوا، أنا آسف جدًا، البقاء لله.

***

وصل "حلمي مهران" الشارد بذهنه إلى مكتب الرائد "هشام" الذي ظلت التساؤلات تؤرقه، ليقص على صديقه ما حدث للتو، تلك الحكاية المنافية للمنطق، ليشاركه الرائد "هشام" حيرته:

- بس ازاي يا "حلمي"؟! ده "أمنية" هي اللي كانت بتحل الأحجيات.

بشرود يجيب "حلمي مهران" متهكمًا:

- ما هي اللي عملاهم.

- طيب وفي حد يبقى قاتل ويحاول يبرأ اللي اتهموه مكانه؟!

- "أمنية" زي ما قتلت هي اللي أنقذت حياتي، "أمنية" قتلت عشان مبدأ وهدف.

- وهو إنت هاتصدق سر الأوضه اللي بتتكلم عليه؟!

- وليه لأ؟

- مش عارف يا "حلمي"!.....وفكرك هي فعلًا كانت بتقتل واحد وتلاتين عشره من كل سنه؟ بس ليه؟ ما ممكن تكون عامله جرايم

تانيه في أيام تانيه.

- ما اعتقدش يا "هشام"، واضح إن "أمنية" في اليوم ده بتتحول لـ"شيطان".

- وبقيت السنه ملاك؟

- ما إنت شوفتها يا "هشام".

- الصراحه أنا ممكن كنت أصدق إنها لعنة "سخمت" فعلًا على إنك تقنعني إن "أمنية" ممكن تعمل كده.

سكت "هشام" لحظة وهو يدخن سيجارته، ثم تساءل:

- طب و"ماجي"!!!

- ماتخافش.

- ما اخفش ازاي؟ "أمنية" ممكن تهرب و"محمود وهبة" معاه "غانم" وابنك!

قالها الرائد "هشام" في حيرة بينما كان هناك "فريد" يدون ملاحظاته حتى يوصلها كما هي، ليخرج من الغرفة بهدوء ليتصل برئيسه ليقص عليه كل ما يعرفه، ليكتشف الأخير كل الحقائق التي يحتاجها ليختفي عن الأعين حتى يخرج حيًا من هذا الموضع المزري.

***

ظلت "أمنية" في القبو تتحدث إلى قرينتها، تلك اللبؤة التي تلبستها في نفس اليوم من كل عام، لتحاول "أمنية" الهرب منها أخيرًا، لتبحث عما يدلها على السر الحقيقي للأمنية الأخيرة! بعدما شككها "حلمي مهران" في غايتها، ولكنها فشلت ويئست من البحث، فمنذ لحظة إرثها لعين "عياش" وهي قد فهمت رسالة وحيدة، ظنتها صحيحة، فلقد عشقت الميثولوجيا المصرية القديمة، فكما وهب "رع" عينه لـ"سخمت"، وهب "عياش" عينه لـ"أمنية"، لتتفهم الثأر الذي طلبه "رع" من "سخمت" لتتحول إلى تلك الجبارة المحبة للدماء، مجسدة تلك الأسطورة القديمة، فلقد صارت "سخمت" إلهة للانتقام تقتل كل من آذى والدها حتى أدمنت الدماء، ليعجز "رع"

بعدها عن ردعها، حتى رواها بالنبيذ الأحمر الشبيه للدماء لتسكر وتنام تلك الإلهة التي جسدها المصريون في جسم إنسان يحمل وجه اللبؤة، إلا أنها كانت تصحو في عيدها من كل عام، هذا العيد الذي يخلد ذكراها والذي تنبأ فيه المصريون القدماء بنهاية العالم!

ولذا فقد فهمت "أمنية" نفس رسالة "رع" فعند بحثها بين أشيائي وجدت هذا الفيديو الذي أرسلته كاميرا الدمية إلى حسابي الشخصي الذي كانت تعرف كلمة مروره، لذا تأكدت من هدفها حتى شككها "حلمي مهران" بهدفي، ولقد كان محقًّا فلم تكن تلك أبدًا غايتي، لأهمس إليها كي تفر فلن يفيدها أبدًا وجودها، فلن تستطيع مبادرة "محمود وهبة" في يومها المنشود، فبالتأكيد سيستطيع الاختفاء عني، فلمَ تُعرِّض ابن "حلمي مهران" للخطر؟ فكما ورثت قوة إلهة الانتقام ورثت حنانها على رعيتها، فهي الشافية الراعية. شعرت "أمنية" لحظة بالندم، وتوجهت أخيرًا إليَّ بجواز سفرها الذي لم يكن يحمل إلا تأشيرة وحيدة حصلت عليها بمساعدتي منذ شهور طويلة، قبل أن تلاحظ هي تلك الورقة الموضوعة داخله، الورقة التي وضعتها هناك قبل سفري؛ تحسبًا لمثل هذا اليوم، هذا العنوان الذي دون كتابةً داخله من أمام تأشيرتها الأوروبية، قد يكشف لها **"سر أمنيتي الأخيرة"**!!

***

وصل "حلمي مهران" إلى المستشفى عندما تلقى الخبر المفجع، فلم يكن أي منهما قد تصور هذا الحدث المؤسف، فلقد كانت "وعد" مريضة أمام عملية صعبة نسبيًّا، ليتفهم الجميع الخطورة، لكن ظل خبر وفاة "إيمان" والدتها في غرفة "وعد" مفاجئًا، ليظل الجميع في حالة اندهاش وتوتر، فعندما أنهى الدكتور "صلاح" عملية "وعد" التي انتهت بالنجاح، ذهب ليخطر والديها، إلا أنه وجد "إيمان" الأم على سجادة صلاتها بعدما قابلت وجه رب كريم، ليندهش الجميع عدا الدكتور "صلاح" ورئيسة التمريض اللذين شاهدا لحظة توقف قلب "وعد" في العملية، مع ظهور ملك الموت الذي هبط بجناحيه على سماء المستشفى، ولكنه اصطفى الأم على ابنتها، أو لعلها كانت

دعوة صادقة دعتها الأم بإيمان شديد!!

***

أبصر "محمود وهبة" كل الحقيقة بمساعدة عيونه، ليكتشف سر "أمنية" التي توعدت بقتل رابعهم في نفس اليوم في الحادي والثلاثين من تشرين الأول، ويتفهم السبب وراء تأخر انتقام "عياش"، فبعدما علم خبر مقتل "هجرس الزيات" و"هاشم السباعي" وهو في حفل تنبأ بوجودي، خاصة بعد هروب "أدهم الجوهري" بطريقة مريبة، ليلاحظ هو عيني الخضراء و(أنا) أرتدي عباءتي الداكنة، ثم اختفيت ويظل هو ينتظرني يومًا بعد يوم حتى فهم الآن ما سيحدث، ليتخذ "محمود وهبة" لنفسه دروعًا كثيرة للحفاظ على حياته في هذا اليوم، ليصعب من مهمة "أمنية" التي كانت بحاجة إلى معجزة لتنفيذ ثأرها!

***

- الحمد لله يا فندم قدرنا نستأصل الورم.

قالها الدكتور "صلاح" مطمئنًا "حلمي مهران" الذي لم ينسَ "وعد" في تلك الظروف.

- طيب ممكن أطمن عليها؟

- لما تفوق...

قالها الدكتور "صلاح" بقلق كان "حلمي مهران" يعلم سببه، فلقد كان هذا هو التحدي الأكبر من العملية، ليتحرك الدكتور "صلاح" مهمومًا هاربًا إلى صومعته، داخل القبو العجوز الذي كانت حوائطه تكشف له المستور، ليواصل الرجل قراءة روايته، ليخرج ذو العباءة من مخبئه وصولًا إلى تلك الصحراء!

***

من وسط الصحراء بدأ "غانم" تنفيذ خطته، فلقد علم أنه هالك لا محالة، فلن ينتظر هلاكه، ليتخذ أخيرًا زمام المبادرة، من ظلام هذا الليل الذي لن يتوقع أحد تصرفه فيه، ليستطيع أخيرًا التملص من الحراس بجرأة، بعدما اختلس هذا الهاتف الموصل بالقمر الصناعي

من أحدهم، وإن لم يكن سيمنعه أي منهم على أية حال!! ليصل به أخيرًا إلى تلك المنطقة عند غرفة "وليد"، قبل أن ينتبه إليه الحراس، ليتردد "غانم" قبل أن يمرر الهاتف إلى هذا الطفل الساكن في الظلام، ليمسك به "وليد" من داخل هذا القبو الذي وجد فيه صحبته من أجداده، فلم يكن ذو العباءة ليتركه أبدًا!

- "غااانم".

قالها الحراس الذين انتبهوا لـ"غانم" قبل أن يسرعوا إليه!!!

***

استقبل "حلمي مهران" هذه الاستغاثة من "وليد" ليتحرك من فوره مهرولًا إلى الرائد "هشام" الذي استطاع تتبع تلك المكالمة، ليحسما الأمر مع العميد "ضياء عدلي" محددين ساعة الصفر:

- بس دي ممكن تبقى مدبحه.

قالها "حلمي مهران" في تحفظ متخوفًا على ابنه، قبل أن يتدخل الرائد "هشام" مهدئًا صديقه:

- ماتخافش يا "حلمي" الخطوه دي مش هاتكون دلوقتي لسه في خطوه هانعملها في الأول.

قاطع نقاشهما تلك المكالمة الواردة من "أمنية" ليندهش وهو يجيبها مبتعدًا وقد كانت في مطار القاهرة في هذه اللحظة.

- أنا ماشيه يا "حلمي"، بس خلي بالك أنا مقتلتش حد، دي هي!

ابتسم "حلمي" ساخرًا قبل أن أضيف (أنا) بصوتي الجنائزي:

- "محمود وهبة" هايموت في "الميعاد"، وكل واحد هايتحاسب في "الميعاد".

هاب "حلمي مهران" صوتي ليتساءل:

- مش فاهم!

- ده مقدر ومكتوب، وكلنا هنا مسيرين مش مخيرين يا "حلمي".

- "أمنية" ماتخوفنيش عليكي.

- ماتخافش يا "حلمي" أكيد هاقابلك في "الميعاد".

قالتها وأنهت، فلكل أجل كتاب ولكل وعد ميعاد.

***

زاد توتر "محمود وهبة" مع اقتراب "الميعاد" ليزيد هو من الحراسة، قبل أن ينزل إلى هذا القبو الذي أفضله (أنا) ليعيد تنظيفه وسط نظرات الشماتة لأولاده وزوجته الذين عرفوا أن حياته مهددة في هذا اليوم، لأبتسم (أنا) إلى شياطينهم حال "جون" الذي كان قد تحداه في مثل هذا اليوم، ليزيد خوف من أعدائه الذين باتوا ينتظرون نهايته، ليتحدى إرادتهم جميعًا ناسيًا إرادة الإله، فلا يزال البعض يؤمن أن الإنسان مسير، حال "محمود وهبة" الذي لم يصدق وجودي (أنا) سيدة الخوارق، فالمميتة (أنا) والراعية (أنا)، ولقد عاهدت خالقي على الثأر، وكتبت اسم "محمود وهبة" على رأس قائمة هذا اليوم المنشود، لأستدعي (أنا) ملك الموت في اليوم الذي حددته مسبقًا، وفي نفس المكان الآمن الذي بيديه ينظفه الآن في تحدٍّ صارخ لإرادتي متناسيًا أن الموت يدرككم ولو كنتم في بروج مشيدة، فالإنسان فانٍ، و(أنا) باقٍ حتى الساعة!

***

(01)

بعد جلسة السايكودراما تلك، توقفت (أنا) عن زيارة طبيبي الدكتور "علي" الذي لم يستطع تفهم حالتي، فمن حقًّا (أنا)؟! "عياش" أم "أمنية" أم قد أكون إلهتكم "سخمت"؟! شهور طويلة و(أنا) أحاول معرفة ما يحدث لي في مثل هذا اليوم، حتى قرأت ما حدث في الصحف، فلقد استغل باقي حضور جلسة السايكودراما في معرفة أسرار بعض، لينفذوا أبشع عمليات ابتزاز وثأر، وإراقة الكثير من الدماء، في الأحداث المعروفة بأحداث "الوحي" التي أشعلت حواسي، بل وأمتعت غرائزي، لأشعر (أنا) الآخر بحاجة إلى أن أطلق العنان لغريزتي الدموية، فكنت بحاجة لأسكر (أنا) بشرب الدماء، لأتوجه مرة أخرى إلى الدكتور "علي"، لأقص عليه ما علمت لتوي، لأجد الرجل مستاءً لما حدث، معترفًا بخطئه في تعميم تلك الجلسات في مجتمعنا الشرقي، لأقول (أنا) له:

- يوم واحد وتلاتين عشره، كلهم هايدفعوا التمن.

- وأنا مش هاسمحلك إنك تقتلي حد.

- (أنا) مش باخد رأيك، (أنا) بقولك إني خفيت يا دكتور، قبل ما أجيلك مكنش في حاجه واضحه، مكنش مفهوم بالنسبه لي (أنا) أبقى مين، الضعف كان ماليني، بس بعد ما شفتكوا كلكوا، اكتشفت (أنا) مين.

- مين؟!

- (أنا) سيدة الخطوط الحمراء!

بأسلوب جنائزي قلتها، وبصوت غريب أرهب الرجل الذي هددني بكشف السر، فلم يعد يستطيع تحمل الذنب، ليسمعه البقية ممن كانوا في الجلسة، فلقد كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم، ليتساءل "علي" بخوف:

- إنتي شيطان؟!

- بلى (أنا) إلهة الشياطين.

أكملت بنفس الأسلوب الغريب لألاحظ تلك القطط التي ملأت المكان راكعة لي، لأنظر إليها في فخر ليكملوا سجودهم لي (أنا) ربهم الأعلى، الذي يحكم الوجود في مثل هذا اليوم من كل عام، لأنظر إلى "علي" لأنزعج من عدم خضوعه لي، فلم يكن مؤمنًا بي بعد، لأكشر (أنا) عن أنيابي في تلك اللحظة التي ظهر بقية المرضى مكتشفين أن جرائمهم قد صارت مهددة من المعلومات التي في هذا الملف المشين لتلك الجلسة الرابعة والأربعين، ليزداد غضبنا جميعًا، فلقد كان لكل منهم شيطانه، وإن كان جميعهم يسبح بحمدي، ليعزم كل منا على قتل هذا الدكتور النفسي الذي بات يعرف جميع أسرار جرائمنا، بل وصار يعرف شكوك كل منا في الآخر، فلقد تواصينا جميعًا بعد تلك الجلسة، لنتبادل شرنا، ليساعد هذا الرجل على مساعدة تلك المرأة على التخلص من زوجها، كما تساعده هي على الوصول لغايته، بينما ساعدوني في التعرف على "وحيد القط" هذا الشيطان الرجيم، الذي علمت شره، قبل أن يشك كل منا في الآخر، ليشهر كل منا سلاحه، ليطلق أحدنا الرصاص على الدكتور "علي"، فهل كنت (أنا) قاتله! لم أعرف فلقد تناسيت كل الأحداث في اليوم الذي يليه عندما اكتشف الخبر في الجرائد، لأحاول جاهدًا تذكر ما حدث، ولكني لم أستطع، فكما ذكرت مسبقًا، لم أعد أعرف من (أنا) ...."عياش"، "أمنية" أم "سخمت"! هل (أنا) مريض بالانفصام، أم مجرد حالة وهمية من الأمراض؟! لم أعرف الإجابة، إلا أني كنت متيقنًا أن من حاول قتل الدكتور "علي" كان أحدنا، أحد مرضى الجلسة الرابعة والأربعين، فمن كنا ومن أكون؟! فلم أعد أتذكر، إلا أنهم كانوا ثلاثة وكنت (أنا) رابعهم!

لتظل إجابة هذا السؤال فقط عند الدكتور "علي" الذي نجاه الله من الحادث الذي هتك فكه، ليتشوه وجهه، ويظل مرافقًا للألم شهورًا طويلة، ليهرب الدكتور "علي" خلف قناع من السيليكون، حتى وصل إلى تلك المستشفى أملًا في العلاج على يد هذا الطبيب الأعظم الذي عرفه التاريخ عبر الأزمنة، ليدخل الدكتور "صلاح" غرفة الرجل المقنع الذي كان يشرب وجبته كالمعتاد محرومًا من متعة مضغ

الطعام، لتدخل رئيسة التمريض محيية الرجل المقنع الذي لم يستطع الحديث واكتفى بالإشارات التي فهتمها:

- إزيك يا دكتور "علي"؟ أتمنى تكون بخير النهارده.

أجابه الدكتور بالإشارة، لتقرأ تلك الممرضة الأميرة عينيه، لتكشف شيطاني الذي بات داخله، فلقد كنت (أنا) عطشًا للانتقام، لتخرج رئيسة التمريض التي عرفت (أنا) حقيقة تاريخها لتبلغ رئيسها رؤياها، فلهذا خُلدت الممرضات عبر العصور، بينما لقنت (أنا) الدكتور "علي" ما يتوجب عليه فعله ليبدأ في كتابة أسماء مرضاه، ليحضر الرجل المقنع لانتقامه الذي سأديره (أنا) فقط في هذا اليوم، الذي أتواجد فيه من بينكم على تلك الأرض البالية، فلننتظر!!

***

ساعات من السهر قضوها في وضع تلك الخطة المحكمة، لمداهمة وكر الآثار الذي سُجن فيه "وليد" مع "غانم" مستغلين خوف "محمود وهبة" وانشغاله في تأمين حياته، حتى نال التعب من جسد "حلمي مهران" ليقف ليخرج من غرفة الرائد "هشام" فاتحًا باب مكتبه ليجد نفسه في هذه المدينة الصغيرة القريبة من "زيورخ" بـ"سويسرا"، ليندهش من رؤياه فلقد كان المشهد نهارًا، وإن كان مخيفًا، لم يفهم "حلمي مهران" ما الذي جلبه هنا، ولكنها كانت هناك! "أمنية" تتحرك في هذا الشارع الفرعي الصغير بحثًا عن شيء ما، ممسكة هذا العنوان الذي دونته مسبقًا داخل جواز سفرها، حيث كنت متوقعًا أن تسافر هي من البداية!

وجدت "أمنية" هذه اللافتة الصغيرة التي تعكس "عين حورس" والتي عرفتها من فورها، لتدخل ومن بعدها "حلمي مهران" لتجد في استقبالها رجلًا سويسريًا كتومًا، كالمكان الذي يشبه الجمعيات السرية، فالاستقبال صغير، من أمامه كاونتر خشبي قديم، لا يوجد مكان للجلوس، بينما رائحة طلاء خشب المكان قد وصلت "حلمي مهران" حيث كان. طلب الرجل منها جواز سفرها دون أن يتفوه بالكثير، بينما حاولت "هي فهم الحدث، إلا أن ذكاءها قد خانها،

فكانت لا تزال تجهل لمَ سافرت (أنا) إلى أوروبا بعدما اكتشفت السر! ليفتح الرجل لها بابًا صغيرًا لتدخل منه دون أن يستطيع منع طيف "حلمي مهران" الذي عبر بعدها ليشاهد الحدث. أودع الرجل "أمنية" غرفة صغيرة، ليخرج منها مفتاح رقمي مكون من أربعة أرقام مع ثلاث محاولات فقط كحد أقصى، لتتحير "أمنية" من وضع الرقم ١٧ أم ٣١ قبل العشرة فلقد كان لكل منهما مدلول، ولكنها بالفعل اختارت ٣١١٠، ليُفتح لها هذا الصندوق الصغير الذي ضم المفتاح الصغير الذي كانت تحتاجه للخطوة التالية؛ حيث دخلت "أمنية" الغرفة التالية لتكتشف أين هي؟! فلقد كان المكان بنكًا لحفظ الودائع. كانت الغرفة صغيرة ولكنها متطورة، كتب فيها الرجل رقم الخزينة التي ظهرت من باطن الأرض، قبل أن يتركها الرجل حيث لا تعرف ماذا تفعل، فلقد كانت وحيدة في الغرفة مع خيال "حلمي مهران" الذي شاهدها وهي تفتح الباب الأول عن طريق هذا المفتاح، قبل أن تقف عند هذا القفل الأخير، هذا القفل الذي لم يكن يفتح إلا ببصمة العين!

لتفهم "أمنية" أخيرًا "سر الأمنية الأخيرة" فلقد أردتها اكتشاف الخريطة التي خططتها (أنا) بتلك الرموز التي يعجز عن فك طلاسمها إلا من هم من ذريتي! لتفتح "أمنية" تلك الخزينة وتخرج تلك الخريطة التي رسمتها من أمام ابني "رمزي" قبل سفري، ليشاهدها "حلمي مهران" بوضوح الآن ليحفظها عن ظهر قلب، قبل أن تخرج مهرولة مكتشفة أن "حلمي مهران" كان صادقًا، فلم يكن الثأر همي بل التاريخ، ليبتسم "حلمي مهران" في سعادة بعدما خرجت "أمنية" قبل أن يلاحظ "جون" هناك عند أول الشارع ينتظرها، ليحاول "حلمي مهران" جاهدًا تنبيهها، إلا أنه كان مثلي مجرد "طيف" لا حول له ولا قوة، فتحت له بعض المنافذ ليس إلا! لتتحرك "أمنية" كالريشة إلى مصيرها، لتجد "جون" هناك مبتسمًا ليقول:

- آنسة "أمنية".

تعجبت هي وبكى "حلمي مهران" ليكمل "جون":

- برجاء إرسال تحياتي إلى صديقي السيد "عياش الراوي".

قالها بشر يخلو من المروءة وهو يغرز في قلبها المسكين هذا الخنجر الذي طالما كان سلاحي، ليخطف "جون" ما حاولت (أنا) حمايته، قبل أن تقع ملاكي أرضًا في هذا المكان الغريب، شاعرةً بتلك البرودة والوحدة، قبل أن ترى هي بعيني طيف "حلمي مهران" فلقد باتت مثلي، صاحبة بصيرة في لحظاتها الأخيرة، ليدنو هو منها جاثيًا على ركبته، ليلاحظ أنها تراه بعين ثالثة لتضحك هي قائلة:

- كان عندك حق يا "حلمي".

- "أمنية" إوعي تمشي يا "أمنية".

ضحكت "أمنية" في هدوء وقالت:

- ده مشهد في خيالك يا "حلمي" ماتخافش.

قالتها كاذبة ليقول "حلمي مهران" دامعًا:

- خيالي حقيقه يا "أمنية".

- يبقى خلاص يا "حلمي" زي ما قلتلك، قطري وقطرك مش هايتلاقوا غير لحظة قبل ما كل واحد فينا يوصل لمحطته.

سعلت "أمنية" وهي تصارع لحظاتها الأخيرة ثم أردفت:

- بس ماتخافش لسه السر ما انتهاش، بقيت العمله معاك إنت، حافظ عليها.

- عملة إيه؟!

- دور وهاتعرف، بس بلاش تبقى زيي، بلاش تنخدع بالصوره، دور ما بين السطور هاتوصل، زي ما وصلت.

سكتت "أمنية" لحظة وهي تتأمل عين "حلمي" وقالت أخيرًا:

- عارف يا "حلمي" أنا طول عمري شايفاك، من قبل حتى ما آخد عين عمك.

قالتها وغادرت "أمنية" الحياة لتنغلق عيناي وأعود إلى عماي، فلقد ملأ الظلام المكان ولم أعد أستطيع سرد المزيد، ولن أصبح (أنا)

الراوي منذ تلك اللحظة، فلم تعد عيناي تبصر ما تعمهون!

***

- المزيد من الطلاسم والأحجيات.

قالها "جون" متوترًا بعصبية، ثم دخلت "دنيا" قائلة:

- ولا يهمك هانعرف نفكها.

ساخرًا أجاب "جون":

- لا أعتقد أنك تملكين هذا القدر الكافي من الذكاء.

- "عياش الراوي" طالما ساب الخريطه بالرموز دي، يبقى أكيد ساب اللي يقدر يفكها.

- تفكير سليم، ولكن من هو؟!!

***

لم يستطع "حلمي مهران" التأكد من رؤياه، ليظل يتجول بين الطرقات حتى وصل حزينًا إلى منزل "أمنية" هذا المنزل الذي كانت تستأجره، ليحاول فتح الباب بمفتاحه القديم، ليتفاجأ بأنه قد فتح بالفعل، ومن ثم يدخل مودعًا آثار حبيبته، جائلًا في أرجاء المكان مستشعرًا رائحة الماضي. غرفة تلو الأخرى تحرك فيها "حلمي مهران" حتى وصل لتلك المعيشة البغيضة، ليتوجه منها إلى الفناء الخارجي الذي يفصله عن هذا القبو، الذي ناداه كالنداهة حال من قبله، ليفتح هذا الباب الساحر الذي يفصلنا عن الأوهام كالحجاب الحاجز، لينزل خطوة تلو الأخرى حتى وجد هذا الجسد المعلق في منتصف القبو، مشنوقًا بوحشية، يميل رأسه إلى اليسار ينظر إلى "حلمي مهران" فيكتشفني من توه، عمه الذي غادر "الحياة" دون أن يعلم بوجوده. لم يستطع "حلمي مهران" التحقق من ملامح المشنوق، ليمسك هذا المقعد ويقف عليه ويخلع عنه هذا القناع، الذي حجب وجه "عياش" المبتسم، ليندهش "حلمي مهران" قبل أن يجد "عياش" يتحرك بطريقة غريبة، ليفك وثاقه ويقفز إلى الأرض، ليتدلى منه حبل الشنق أرضًا، ليتحرك "عياش" داخل القبو الذي انتقل لتوه إلى وسط

المقابر وشواهد المدافن، ليشير له "عياش" إلى مدفنه قبل أن يتوجه إليه ويندثر تحت التراب.

لحظات من الترقب عاشها "حلمي مهران" جاهلًا مقصد تلك الرؤيا، فلقد اعتاد الرجل أحلامه، قبل أن يسمع صوتًا آخر من خلفه ليلتف وقد صار في القبو ثانية، ليجد جده "مهران" هناك لا يزال ينهر زوجته، والدة "عياش" جدة "حلمي مهران" فانتبه إلى حزنها. كان الجد "مهران" قاسيًا، فلم يبالِ لوجود ابنه "عبد المهيمن" والذي لا يزال طفلًا يبكي أمه، ليمسك به الجد مُبعدًا إياه عن والدته التي صفعها صفعة أوقعتها أرضًا، قبل أن يلاحظ الجد وجود "حلمي مهران" الآن يشاهده، ليشعر بشيء من تأنيب الضمير، ليترك زوجته ويرحل إلى هذا البرواز الذهبي الذي كانت فيه صورته معلقة، يتوسطها "مهران" ويتحول إلى سبات عميق داخل الإطار المعلق بينما ظل "حلمي مهران" يرمقه معاتبًا، ثم أكمل مشاهدة هذه المشاهد التي صارت تُعرض أمامه وكأن القبو صار شاشة عرض باهتة، تعرض الحقائق.

لاحظ "حلمي مهران" من داخل المشهد والده "عبد المهيمن" لا يزال يبكي أمه وهو يصعد السلم المتجه إلى خارج القبو، وإن كان المشهد غريبًا، فلقد كان "مهران" يكبر تدريجيًّا في كل خطوة يعتليها مع صعوده السلم حتى صار في هذا العمر الذي مات عليه في الدرجة الأخيرة، ليقرر "حلمي مهران" اتباع صورة أبيه إلى أعلى، فلقد كان هو عقدته وحلها. وصل "عبد المهيمن" إلى أعلى ليمر من غرفة المعيشة إلى غرفة طفولة "حلمي مهران" الذي كان نائمًا في هذا اليوم عندما تُوفي فيه الأب منذ سنين طويلة، أنها اللحظة التي تناساها "حلمي مهران"، عندما شعر الأب بالندم، من معاملة والده القاسية، ليدخل "عبد المهيمن" غرفة "حلمي مهران" حينها جاهلًا أنه يومه الأخير، ليجلس بجانب "حلمي" الطفل النائم في محاولة لتصحيح خطئه، ليقبل الأب ابنه في مودة ورحمة لم يستشعر بها الابن أبدًا، ليهمس الأب إلى ابنه متأسفًا لِما بدر عنه من قسوة، بكلمات لم يعلمها إلا هما الاثنان، وإن حاول "حلمي مهران" نسيانها،

قبل أن يكرر الأب تقبيل جبين ابنه النائم، واعدًا إياه بتعويضه عما بدر منه في حياته من قسوة، هذا الوعد الذي حال عمره دون أن يحققه! فلم يكن يعرف موعد نهايته، حال الجميع، ليحسن الرجل نهايته التي حاول "حلمي مهران" تجاهلها، ليذكره الأب بها الآن، قبل أن يرحل "عبد المهيمن" بهذا الخاتم ذي الحجر الأحمر، الذي صار يتختم به "حلمي مهران" الآن، ليراقب نفسه وهو طفل ليتذكر اليوم الذي لم يكن نائمًا فيه، بل كان متظاهرًا بالنوم، ليفتح الطفل عيونه على صورته بعد سنين فإذا به أمامه، ليتذكر كلاهما ندم والده من تلك القسوة المصاحبة لطفولته وحتى ممات والده، ليغفر "حلمي مهران" لتوه لوالده قسوة السنين!

***

عاد "فؤاد" إلى "حنان" بصدق يخلو من أي شوائب، فلقد نضج الرجل فجأة، فلقد استطاعت "حنان" سابقًا التمرد على حياة فاشلة فقط لتعيش الحياة التي تتمناها، أنهت في السابق على وعد لم يكن لها، لتستطيع البحث عن السعادة، الأمر الذي كان "فؤاد" سيبحث عنه، إن أكمل خداعه، فسيعيش خائنًا ولو بعد حين، سيخسر الشيء الوحيد الذي يميزه عن بقية الذكور، وهو قلبه! فرغم ضعفه أمامها، إلا أنه تعلم أن "خير اللقاء يكون دائمًا ساعة الفراق" ليقبل جبينها قائلًا كلمة وحيدة:

- أنا آسف!

***

الحادي والثلاثون من تشرين الأول ٢٠١٧

في ساعات الصباح الأولى من هذا اليوم، كان "حلمي مهران" يجهز لخطته التي سيساعده فيها "هشام" مع العميد "ضياء عدلي"، مستغلًا خوف "محمود وهبة" من هذا اليوم الذي أذيع أنه سيكون نهايته، هذه المعلومة التي تمنى صحتها الكثيرون، فلقد كانت اليوم زوجته تتزين للاحتفال مع ابنه وابنته اللذين حاولا تحقيق النهاية، حال عشرات المظلومين هنا وهناك، ولكنه قد تحصن في قبوه من

الجميع، فلقد كان يريد تحديد مصيره، فقط أربع وعشرون ساعة، سيقضيها بين تلك الجدران منعزلًا عن العالم حتى يضمن الخروج من هذا المصير، بينما كان "حلمي مهران" قد استطاع تتبع مكالمة "وليد" الذي أوصله لذلك الموقع الفرعوني المخيف وسط الصحراء ليشرع في تنفيذ خطته مخادعًا الجميع إلا خامسهم!

حاول رجال "محمود وهبة" الوصول إليه، ولكنه كان هناك في قبوه الذي كان كالبروج المشيدة مصفحًا ضد الموت. ساعة تلو الأخرى وهو يحارب شيطانه الذي بدأ الملل في خلقه، بينما كنت (أنا) هناك أسفل الأرض داخل تلك التربة، أحفر منذ شهور. يومًا تلو الآخر وساعة بعد الأخرى حتى استطعت الخروج من قبري، لأصل (أنا) هذا البلاط الذي كسا الأرضية، لأخرج منه كالحية، وقد كنت كذلك، أفعى تتلوى بحثًا عن ضحية، كوبرا مصرية سامة، عبدها المصريون منذ آلاف السنين، وإن لم يفهم الجميع قصتها. من داخل هذا القبو سمع "محمود وهبة" فحيحي، ليندهش من هول ما رأى! فالجميع يهابون هذا الحيوان المخيف. حاول "محمود وهبة" الهروب من قدره، ليركض داخل محبسه، لأستمتع (أنا) برائحة خوفه، بينما (أنا) ألاحقه بروية دون أي عجلة من أمري، فهذا يومي والليلة عيدي، ولقد حانت الساعة وجاء لحساب، ظل يصرخ ويمتعني بأنينه لأتراقص حوله مستمتعًا، حتى ذابت أحباله الصوتية ألمًا، ليحفر الأرض بأظافره ولكني كنت قدره، فلم يعد مخيرًا، بل بات ينتظر العذاب الذي أجبرته على تجرعه شيئًا فشيئًا، فلقد امتلك وقت الدنيا والآخرة! ساعات من الألم الممزوج بالمتعة عشناها سويًا حتى سقط "محمود وهبة" أرضًا بتلك النوبة القلبية التي شلت حركته وكادت تنهي حياته لأكمل (أنا) عذابي له ملتفةً حوله جسده مشعِرةً إياه بخشونة جلدي الماكر، ليفقد الرجل القدرة على النطق، لأكمل (أنا) إذلالي لكبريائه حتى بلل الرجل ثيابه مذلولًا، لأستمتع (أنا) بما أقوم به، وألتف بجسدي حول عنقه مانعةً إياه من الهواء، ليشعر بما يشعر به المعدوم شنقًا، إلا أني تعمدت أن تكون عملية شنقه بطيئة قدر الإمكان لأمكنه من الاستنشاق كل دقيقة لثوانٍ معدودة قبل أن أعاود منعه من الأكسجين

مرة تلو الأخرى، حتى بدأ قلبه بالتوقف تلقائيًا لأبث فيه سمي، سم الكوبرا الذي قتل بقيتهم، قبل أن يفصح "محمود وهبة" عن سر أخير! فلم يكونوا أربعة، وإن بدوا لي كذلك، بل كانوا خمسة! قالها مُزيدًا من غضبي، لأريحه من العذاب، فاتحًا لي فاه، لأتدفق (أنا) داخل أحشائه القميئة لأنهي ما بدأته في عيدي السنوي، هذا العيد الذي تُصب فيه لعنتي كل عام على كل من دنس قدسيتي وحاول نبش تربتي!

***

قبل أن يهاجم الرائد "هشام" المكان وجد هذا المشهد الغريب، فلقد خرج "غانم" مع الطفل "وليد" لتوهما من المكان دون أي مقاومة، بينما كان الجميع قد غادر هاربًا في مشهد مريب! ولكنهم لم يبالوا بغرابته من فرحتهم، ليهرع إليهما الرائد "هشام" مؤمنًا المكان الذي خلا من الجميع، فلقد استطاع خامسهم خداعهم كعادتهم ليستقبله الرائد "هشام" بحرارة:

- ألف حمد لله على السلامه يا "غانم".

ابتسم له "غانم" فلم يكن الرائد "هشام" يعلم أنه هو من حاول قتله بالمستشفى، وهو من جلب معه تلك الممرضة، فلقد كانوا أربعة وكان هو خامسهم! ولقد كان هو من البداية كبيرهم، هذا المحامي الذي استطاع خداع الجميع ببراءته، ليخرج الرجل بريئًا من محبسه بعدما استطاع التنصل من كل ما فعل وتقييد كل القضايا ضد "محمود وهبة" الذي مات وماتت معه كل الأسرار، فيُظهر هذا الفيديو لمقتل "صدفة" بدا فيه أربعة فقط من الخمسة، فلقد خدمته الأقدار عن حجب صورته ليخفي "غانم" عن الجميع حقيقته، ليتصل أخيرًا بحبيبته:

- "دنيا".

- حبيبي.. طمني.

- كله ماشي زي ما إحنا عايزين.

- يعني هاتجيلي ألمانيا؟

- لا يا حبيبتي ماتخافيش، تقدري ترجعي "مصر" خلاص.

- بجد يا روحي؟!

- طبعًا بجد، هو إنتي هاتلاقي محامي أحسن مني يطمنك؟

- يعني مش هاتخسر قضيتنا؟

- أنا مابخسرش غير القضايا اللي عايز أخسرها.

- طب و"ماجي"؟

- واضح إن ليها نصيب تعيش.

- وده مش خطر علينا؟

- لا مابقاش في منها خوف.

- بس دي حاولت تاخد مني جوزي، لازم تدفع التمن.

- Women..

قالها "غانم" الغانم ضاحكًا قبل أن يكمل:

- عمومًا هي دفعت التمن كفايه يا حبيبتي، وخدت درس عمرها، وبعدين ما هو أنا كمان خدتك من جوزك.

- لا يا حبيبي، أنا اللي من الأول بتاعتك وكنت بعمل دور وخلص، عشان نتمتع بفلوس "أدهم".

- ودلوقتي أقدر أقولك مبروك علينا فلوس "أدهم".

- يبقى مش ناقص غير إنك تقولي ازاي هانعلن إن إبني يبقى منك إنت مش من "أدهم"؟

- ماتستعجليش.. المهم دلوقتي خلينا نتمتع بفلوسه.

- فلوسه وكمان عليه شغل الخواجه "جون" الجديد كله، الراجل بقى في جيبي.

- وإحنا رجالته مابقاش ليه غيرنا في مصر.

- وهو إداني المصلحه الجديده.

- يبقى ماتتأخريش عشان عندنا شغل كتير.

أنهى الشيطان مكالمته، قبل أن يرسل تلك الهدية القيِّمة إلى مساعده "فريد"!

***

كان "حلمي مهران" جالسًا في هذا القطار بجانب "وعد" في تلك الرحلة الغريبة في عالم الأحلام، المليء بالإثارة. أمسكت "وعد" بيد "حلمي مهران" قائلة:

- أنا حاسه إني في حلم!

- بس لازم تفوقي.

- ليه ما إنت "حلمي" وعمرك ما كنت معانا في الدنيا.

- ده طبعي بس مش طبعك يا "وعد". إنتي لا زم تصحي عشان "وليد" محتاجلك.

- بس أنا مبسوطه هنا معاك يا "حلمي"، إنت مش شايف؟ إحنا في الجنه.

قالتها مشيرة إلى تلك الغابات الخضراء والأنهار تعبر من تحتها في انبهار؛ ليقول "حلمي مهران":

- بس أنا وصلت لمحطتي يا "وعد".

- مش فاهمه!

قالتها وكان القطار قد توقف، ليقف "حلمي مهران" مغادرًا قبل أن تستوقفه "وعد" متساءلة:

- رايح فين يا "حلمي"؟!

- أنا تذكرتي كانت رايح بس.

- مش فاهمه!

- ماتخافيش أنا جيت هنا عشان أوفي بوعدي يا "وعد" بس إفتكري

إنك لازم تفوقي.

قالها ونزل من القطار المتوقف عند تلك المحطة الشتوية التي كان يملأها الثلج يغطي أشجارها الباردة، ليتصاعد البخار من أنفاسه حتى قابله:

- حمد لله على السلامه.

قالها "فؤاد" الواقف عند المنتظر وحيدًا عند المحطة، ليحييه "حلمي مهران" معطيًا إياة تذكرة العودة قائلًا:

- خلي بالك عليها.

دمعت عين "فؤاد" ليحيي "حلمي مهران" بحرارة أزعجته قبل أن يدخل إلى القطار، ويشير "حلمي مهران" إلى سائق القطار الذي عرفه من فوره! فهو "عاطف" سائق أحلامه الذي ألفه مؤلف مغمور! في يوم ما، ليتأكد "حلمي مهران" أنه واهم كعادته! قبل أن يتحرك القطار ويظل "فؤاد" من الداخل يبحث عنها، ولقد كان القطار خاليًا ليعبر "فؤاد" عربة تلو الأخرى حتى وجدها هناك كادت تذبل، لتقف "وعد" مندهشة عند رؤيتها لوعدها، حلم عمرها الذي لم تستطع الحصول عليه أبدًا، لتحتضنه متذكرة كلمة "حلمي مهران" الأخيرة:

- لازم تفوقي.

***

استفاقت "وعد" من غرفتها لتجد في وجهها "صلاح" الدكتور الأعظم الذي لم يفشل في أي عملية قط منذ بدء التاريخ، ليهنئها مع رئيسة التمريض الأميرة التي لم تخذله أبدًا. اطمأن الدكتور "صلاح" على حالتها قبل أن يغادر غرفتها ليجد هذا الحشد منتظرين زيارتها، ليترك معهم رئيسة التمريض بينما ذهب هو إلى الباب الذي حذرته هي منه، وإن لم يستطع الدكتور "صلاح" الهروب من مصيره ليفتح باب غرفة الرجل المقنع، الدكتور "علي"، ليبدأ معه رحلة جديدة رغم تحذيراته له!

تابعت رئيسة التمريض جدول الزيارة، لتبدأ بـ"وليد" و"حلمي مهران"

اللذين دخلا سويًا مع هذه الهدية التي حملها الأب، ليندفع الابن نحو أمه، ليحاول شرح بطولة أبيه، وكيف استطاع إنقاذه بينما كان الأب سعيدًا بجرأة ابنه وولي عهده، ليضع عندها هديته ويتركها معه ليكمل قصه لهذه الأحداث التي جهلتها أثناء الغيبوبة التي أهداها إياها خالقها حتى تبتعد عما حدث حينها!

لتظل "وعد" مندهشة من قصة ابنها قبل أن تلاحظ اختفاء "حلمي مهران" الذي ترك هديتها التي فتحتها لتتأكد من وفائه بالوعد، فلقد أهداها حريتها لتوها، قبل أن يغادر إلى الخارج ليسلم "فؤاد" تذكرة العودة من أمام اللواء "فاروق" الذي كان لا يزال تحت تأثير صدمة فقدانه زوجته، ليدخل مع "فؤاد" إلى الداخل، لتندهش "وعد" من دخولهما سويًا، لتشعر بصحة تلك الرؤيا قبل أن يعلموها بوفاة والدتها، فأخذت تدعو لها، كما تمنت الأم الحانية "إيمان"، تلك الدعوات التي وصلتها في حينها بإيمان طاهر!

***

من بيت "محمود وهبة" كان المشهد مريبًا، فلقد استقبلت زوجته وأولاده الخبر بفرح غريب أدهش "سالي" التي جاءت لتغطي الخبر! حتى إنها شكت فيهم، ولكنهم لم يفيدوها، حال العميد "ضياء عدلي" الذي كان بالمكان بصورة مريبة وكأنه يخفي شيئًا ما! أنهت "سالي" حوارها الصامت مع زوجة "محمود وهبة" ثم أوصلتها الأخيرة إلى المدخل بخطوات واثقة!! قبل أن تصل عند الباب لتجد هذا الكرسي المصفوف بجانب المدخل لتتساءل:

- هو مين هنا بيحتاج الكرسي ده؟!

لم تجبها المرأة بالطبع واكتفت بابتسامة مريبة إلى العميد "ضياء عدلي" الذي فضل الصمت هو الآخر، لتغادر "سالي" متوجهة إلى الجريدة والفضول يقتلها حتى وصلت أخيرًا إلى مكتبها، لتكتب هذا التقرير الغريب عن وفاة "محمود وهبة" في هذا اليوم المشؤوم الذي تقبلت صحته من بعد توليها المسؤولية، لتتساءل عن حقيقة لعنة الفراعنة، أو انتقام "سخمت" فلم يتدخل بشري في وفاة "محمود

وهبة" الذي مات بطريقة مخيفة لم يعلم حقيقتها بشري، فرغم أن تحليل الطب الشرعي أثبت وجود آثار لسم الكوبرا المصرية، إلا أنهم لم يجدوا أي آثر لعضتها، لتشك في الجميع، فلقد كان الرجل كثير الأعداء، مكروهًا من الكل حتى أهله! ليظل موته محيرًا في الميعاد الذي حددته (أنا) منذ شهور! فلعل "أمنية" بريئة من كل ما نسب لها إذن!!

قاطع اندماج "سالي" تدخل مديرها "تيم" معرفًا إياها بزميلتها الجديدة في إحراج، فلقد كانت المرأة فاتنة بحق.

- "سالي" أحب أعرفك بالصحفيه الجديده "حنان".

ابتسمت "سالي" وهي تنظر إلى تلك المرأة التي بدأت صفحة جديدة في حياتها، بينما ظل "تيم" واقفًا بجانبها متسمرًا، لتقول "سالي" ساخرة:

- اللهم صلي على النبي دي باينها هاتحلو أوي.

***

- قولتلك يا خواجه إنك اخترت غلط من الأول!

- نعم يا صديقي لقد أصبت، ولكن أن تصل متأخرًا خيرًا من ألا تصل.

- يعني أقدر أقول لنفسي مبروك؟

- بالطبع يا صديقي، فنحن نبحث دائمًا عن الأوفياء.

- حضرتك هاتشوف بنفسك، طالما مش هانختلف.

- صدقني لن نختلف أبدًا أيها "العميد"!!!

***

أوفى "حلمي مهران" بوعده، فلم يحاول التمسك بها حتى بعدما حدث لـ"أمنية" فهذا القرار لم يكن يحتاج إلى ظهور بديل، بل كان يحتاج إلى جرأة لم يتمكن منها "مهران" جده ليعيش عمره يندب قرار امرأته، ولم يتمنَّ "حلمي مهران" تكرار الخطأ، لينهي بيده حياته

الزوجية مفسحًا المجال لـ"فؤاد" الذي كان هناك ينتظر تلك اللحظة بعدما أنهى الأخير خطأ عرسه، مضحيًا بـ"حنان" التي كانت بالفعل تستحق من هو أفضل، كانت تستحق من يحبها بصدق، فهي بالفعل امرأة.

لم تنتهِ الحكاية بل بدأت لتوها، فلقد اكتشف "حلمي مهران" أنه خُلق ليحلم، تلك الأحلام والرؤى التي تكشف له الكثير، ليكرس نفسه للكشف عن الحقائق، ليسلك "حلمي مهران" مجال المحاماة، هذا المجال الذي برع فيه وخُلق لأجله، ليترافع "حلمي مهران" عن "ماجي" التي خرجت من سجنها ليستقبلها زميله ومساعده الرائد "هشام" الذي استطاع مسامحتها عما سبق، كما فعلت هي، ليساعداه على مرافعته الأهم للدفاع عن ميت! حيث حاول "حلمي مهران" تبرئة اسم "عياش الراوي" من تهمته، ليبدأ "حلمي مهران" مشواره الجديد باحثًا عن العدالة محققًا القانون، تلك المعادلة الصعبة، بعدما حاول تصحيح أخطاء الماضي، ليصبح من أهم المحامين في المنطقة، بل ومن المحققين الذين يتم انتدابهم أحيانًا لمساعدة رجال الداخلية ومنها قضية اللواء "فاروق" الذي طلبه لمساعدته في قضية جديدة تمس الشارع المصري، فلقد تم اكتشاف قاتل جديد ظنوه قتل، إلا أنه كان توأم "القديس" لا يزال حيًّا طليقًا، ليبدأ "حلمي مهران" قصة جديدة كل يوم يسعى لتحقيق العدالة خلف هذا وذاك، فلم يكن الرجل المقنع أيضًا مسالمًا على أي حال.

في حياته الخاصة حاول "حلمي مهران" غسل ذنوب والده في نهب أموال أخيه اليتيم، ليتبرع بكل أمواله إلى ملجأ "مفتاح الحياة" الذي صار هو مديره، ليسكن فيه في تلك الغرفة التي أحبها فيها، كما كان يأخذ بعضًا من الأطفال ليخرجهم مع ابنه "وليد" في نزهات عديدة كل يوم، كما كان يأخذهم معه إلى بيته ليحلوا معه تلك الأحجيات التي طالما أحبها، كما كان يأخذ ابنه "وليد" ليبيت أحيانًا مع أصدقائه في الملجأ، حال عمه "عياش الراوي"!!

بينما ظل "حلمي مهران" يحاول اكتشاف الكثير من الأسرار، مرتديًا نظارة طبية جديدة بدأ يحتاجها بعد أصابته، ليحاول جاهدًا فك رموز

تلك الرسالة التي رآها في رؤياه مع "أمنية" والتي دون ما تذكره منها على مكتبه في الملجأ بغرفة الدكتور "إيهاب" القديمة، حال "جون" وجماعته الذين كانوا لا يزالون يبحثون عمن يستطيع فك طلاسم تلك الرموز، ليظل لغزًا يحير الجميع، حتى ظهر لـ"حلمي مهران" في الملجأ هذا الطفل الفضولي صاحب الشعر الأحمر الذي كان يحبه الدكتور "إيهاب" وتفضله "أمنية"، نادته ليقترب من "حلمي مهران" ومن تلك الورقة التي دون فيها تلك الطلاسم، ليبدأ الطفل في كتابة بعض الرموز التي جهلها "حلمي مهران"، وإن لم تكن خريطة كاملة على أي حال، فلقد كانت مع "جون" الآن وجماعته، لا يعرفون فك تلك الرموز التي استطاع هذا الطفل حلها، ليسأله "حلمي مهران":

- إنت إسمك إيه؟

ابتسم هذا الطفل وأجاب بوضوح لا يخفي حبه لفك الرموز:

- (أنا) "رمزي".

***

"لكل أجل كتاب ولكل وعد ميعاد"

تمت بحمد الله الواحد الأحد.

شكر وتقدير لـ:

أمي وأبي.. إخوتي وزوجتي وأولادي

عملائي الكرام وقرائي الأعزاء

ومتابعي صفحة 31 10 منذ البداية

محمد الشقنقيري..................

..............................نور

محمود.

إكرام عابد......................

...........................إنجي

مصطفى.

مارك إبراهيم....................

.... علياء

محمد.

دعد عكاوي......................

...........................شريهان

صلاح.

محمد أسامة.....................

..............................رانيا

هدهد.

أميرة طلعت حرب.................

...........................نرمين

البنا.

سوزان جلال......................

...........................محمد

صلاح.

أحمد بنداري.....................

..........................محمد أبو النجا.

سامح الديب.....................

........................هيثم عبد المجيد.

شادي هشام........................

.... محمود قشطة

عيد إبراهيم........................

......................أحمد سعد الدين.

دارين أحمد...................................محمد مجدي حمدي.

رانيا جمال.........................

...............................مرام ناصر.

سعيد سعداوي......................

...............................علي قطب.

حسام مصطفى......................

.............................محمد كرم.

فاطيما النجار.......................................

علاء عبد الناصر.

أحمد الزيني.....................

.........................بدر رمضان.

بولا سامح.........................

..........................شريف

حجازي.

إيلاريا منسي.........................

..........................سعيد

سيد.

إهداء خاص لصفوة ومتابعي صفحة 31 10 منذ البداية

www.fb.com/3110unknown

بسملة عبدالرحمن- بهجت طارق- Adel h. fahmy- Mosad Ahmed- Ph - mostafa Fawzy-Ahmed Gbr- Arch Hoda Ahmed- Ahmed El Sayed- Mohammed Sherif- Mostafa Magdy- Amr Mohamed- Mido Mido- Mosad Ahmed- Ahmed Salim- Ēmy Saied- Eman KH Shahir-Muhamed Kordy-Mahmood Abu Zare-Ismail ElTahawy-Sherif Mohamed-Amr Ezat-Andrew Magdy-- Amr - Samy-Tas N Eem-Cherry Berry-Nader Dowidar-Muhammad Hesham-Ahmed Aly-Malek Maher-Omar Sherif-Ahmed - - Manea-Muhammad Fayez-Lamiaa Rostom-Sara Mohamed Elmadawy -Nourhan Mahmoud-Mohamed احمد Saied-Ayman Fayez Mondy - Casanova Casablanca الكيادى- Eslam Kamel

حمادة ضاحي- ابومحمد الجوهر- Karim Abdelhady Ahmed Hassan Marwan Elsayyad- Hassan Al-asmar Mohamed Mostafa -أحمد محمد فتحي Akram Nafissa El Hajjar ليلى عبد W Alsaaeid Hayah Abd Almonam Laus Deo الرحمن-أحمد الخضري Mai Beltagy مدحت محروس Saeed ahmoud ĔlMäštêř AmelyanooAdel Amir Nagwa Abo Elnour Mohamed Fathi Maryam Abaza Moataz A. Elrahman Möhämëd Mïdö - Omar Neuer Mohamed Youssef Ismaeal- Noor N Aldeen Mohamed Akram Aseer Murad Semo-اسلام ماهر Laus Deo ثقتى بربى تكفينى Dody Seno Reem Ayman Sharp Shooter Mahmoud Abd El Halim Opt Esraa Throwat Opt Esraa Throwat Ishak Ibrahim Gerges

Asmaa Abd AlRhman Bakr Mansor Rania Mohamed

Laus Deo

Ahmed RoOnii سهمهو ألأمهيهر Nafissa El Hajjar Mohamed Saad Ayaat Alaa-Mohamed Ahmed Jamil-منصور اشرف Tasneem Gobran Hima Eldrdere مريم Møhāmêd Nāgëh Eslam Kamel عبدالله الديب Saeed Mohamed Elnabawy Ahmed Ekramy Ahmed Abu-الهادي She'sha

Mido Kamal Abdullah Mohamed Mostafa Mohammed Hasnaa Mohamed-Heba Oraby Mohamed Samy El Ghanam Aly Alyamany Hussien Alazawe Ahmed Ramadan Youssef Mohamed Montaser Dwaeji Tokki Tec-Hr Ahmed El Sayed Moataz A. Elrahman Mohamed Osama Mohamed El Swefy Muhammad Hesham Amany Hamdy Shehab Ahmad Ahmed Zaky Hoba Ali Nafissa El Hajjar Mena Mlakhy Abdelrhman Magdy Abdallah A Mustafa Yahya Kariem Mamoun محمود حامد كيلاني Fahim Mohamed Salem Hoba Ali Halima Abd Elraheem Asmaa Abdelmaabod Sayed Hussain Abdelrhman Magdy Mahmoud S Elkholy Ahmed M Hedra AL بهاء الأدغم Maestro Mō Sālāh Alaa Almasry Ângāił Řefââț Møuñîr Ahmed Taha Nour Abdallah Wafaa Ahmed Shahd Samir Mamdoh Mahmoud Mohamed Yhia Mohamed T Emara Asmaa Mahmoud Mostafa Vîrus Omar Kharma Gamal محمد ابن مغاورى Saeed Mahmoud Esmail Ibrahem Abdelnaser Osama Magdy Mohamed Elsayed - Omar Ahmed

من وسط عتمة ظلامي التي باتت واقعي، حاولت بعجزي عبور هذا الشارع الهادئ الذي يفصل مخبئِي عن العالم، ولكنني كنت قد لاحظت تغييرًا في أنفاس من حولي، لأصطدم بعكازي بشخصٍ ما لم أستطع رؤيته لعجزٍ في بصري، إلا أنني شعرت بالألفة.

- (أنا)...........

أحمد عثمان

مواليد القاهرة ١٩٨٢، تخرج في كلية الهندسة قسم الهندسة المعمارية، جامعة حلوان ٢٠٠٤، ليبدأ مشواره الاحترافي في مجال التصميم المعماري والديكور، متخصصًا في المجال السكني، حتى استقر فترة في "باريس" وأنشأ شركة "ريني" للعمارة والديكور، ومن ثم عاد للقاهرة؛ ليفتح فرعها الثاني في حي التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة.

درس كتابة السيناريو على يد المخرج الراحل "إبراهيم الشقنقيري" وعمل معه في بعض أعماله في بداية الألفية الجديدة، ثم ابتعد فترة طويلة قبل أن يعود للكتابة في ٢٠١٥، ليتخذ من الأدب الروائي طريقًا له بجانب مجال الديكور والهندسة المعمارية، لينجح في احتلال قائمة الأعلى مبيعًا لمؤسسة إبداع ومنها إلى مراكز متقدمة في المكتبات والمعارض المصرية والعربية..

صدر للكاتب أربعة أعمال روائية:

"لمسة مليكا" - "الوحي" - "لَ نوفيلا" - "القديس"

استطاع مؤخرًا توقيع عقد عملين للدراما، الأول عن عمله الروائي

"الوحي" مع المنتج المرموق "د. خالد حلمي" صاحب شركة "راديو وان" لعمل مسلسل درامي، ومن ثم التعاقد الثاني مع المنتج الوقور "أحمد عبد العاطي" صاحب شركة "آرت ماكرز" لعمل مسلسل تليفزيوني عن عمله الرابع "القديس"، بطولة النجم العالمي "خالد النبوي"، وأخيرًا يُجهز الكاتب عملاً روائيًّا جديدًا باسم "الميعاد".

www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com

/ArchAOsman